

فتح الله
بخصائص الاسم الله
الجزء الثانی
لإمام المحدثین نجم المفسرین زبدة المحققین
العلامة الشیخ مولانا
محمد موسیٰ الروحانی البازی
طیب الله آثاره وأعلی درجاته فی دار السلام


فتح الله
الجزء الثانى

اسم الكتاب : فتح الله بخصائص الاسم الله
اسم المؤلف : محمد موسىٰ الروحاني البازي رحمه الله تعالى
الطبعة السابعة : ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

إدارة التصنيف و الأدب

العنوان : المكتب المركزي : ١٣/دي ، بلاك بی ،
سمن آباد ، لاهور ، باكستان

هاتف : ٠٠٩٢ ٤٢ ٣٧٥٦٨٤٣٠

فاكس : ٠٠٩٢ ٤٢ ٣٧٥٣١١٥٥

جوال : ٠٠٩٢ ٤٢ ٤٤٢٦٤٤٠

البريد الإلكتروني : alqalam777@gmail.com

الموقع على الشبكة الإلكترونية : www.alqalamfoundation.org

Idara Tasneef wal Adab
(Institute of Research and Literature)
Alqalam Foundation

Address:	Head Office: 13-D, Block B, Samanabad, Lahore, Pakistan.
Phone:	0092-42-37568430
Fax:	0092-42-37531155
Cell:	0092-300-4426440
Email:	alqalam777@gmail.com
Web:	www.alqalamfoundation.org



الناشر
إدارة التصنيف و الأدب



إمام المحدّثين نجم المفسّرين زبدة المحقّقين

العلامة الشيخ مولانا **محمد موسى** الروحانی البازی

رحمه الله تعالى وأعلى درجاته فى دار السّلام

إدارة التّصنيف والأدب

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السادس و الخمسون
و فيه ثلاث خصائص

من خصائص الجلالة من بين الأسماء الحسنى تعيّنها شرعًا في لفظ التحريمة أي تحريمة الصلاة . فلايجوز الشروع في الصلاة إلّا بلفظ "الله أكبر" دون "الرحمن" و "القدير" و غيرهما من الأسماء الحسنى بدل الجلالة . و هو مختار كثير من الأئمّة ، وهو مذهب الشافعي و مالك و أحمد و أبويوسف و داود الظاهري و من تبعهم رحمهم الله تعالى .

فهٰؤلاء الأئمة متفقون على تعيّن لفظة "الله" في التحريمة . و إنما اختلفوا في اللفظ الثاني منها . فأجاز الشافعي رحمه الله تعالى "الأكبر" بدل "أكبر" و جاز عند أبي يوسف رحمه الله تعالى "كبير" و "الكبير" أيضًا . و عند أبي حنيفة و محمد رحمهما الله تعالى هو واجب لا فرض .

قال العلامة الشيخ زين الدين الشافعي رحمه الله تعالى في شرح قرة العين بمهمات الدين المسمى بفتح المعين : و يتعين فيه على القادر لفظ "الله أكبر" للاتّباع أو "الله الأكبر" . ولا يكفي "أكبر الله" ولا "الله كبير" أو "أعظم" و لا "الرحمن أكبر" .

و يضرّ إخلال بحرف من "الله أكبر" و زيادته بغير المعنى كمدّ همزة "الله" و كألف بعد الباء . و زيادة واو قبل الجلالة . وتخلّل واو ساكنة أو متحركة بين الكلمتين . وكذا زيادة مدّ الألف التي بين اللام و الهاء إلى حد لا يراه أحد من القراء . انتهى كلامه .

قال العبد الضعيف البازي : قوله "ولايكفي أكبر الله" دلّ على خاصة ثانية للجلالة وهو تعينه للافتتاح والابتداء في التحريمة . أي يجب تقديم الجلالة على لفظ "أكبر" ولا يجوز تأخيرها عنه .

قال ابن رشد المالكي رحمه الله تعالى في بداية المجتهد ج١ ص١٢٣ بعد ذكر المذاهب و ذكر سبب اختلافهم : هل اللفظ هو المتعبّد به في الافتتاح أو المعنى ؟ وقد استدل المالكيون و الشافعيون بقوله عليه الصلاة والسلام : مفتاح الصلاة الطهور و تحريمها التكبير و تحليلها التسليم . قالوا : و الألف و اللام ههنا للحصر . و الحصر يدل على أن الحكم خاص بالمنطوق به ، و أنه لايجوز بغيره .

و ليس يوافقهم أبوحنيفة رحمه الله تعالى على هذا الأصل . فإن هذا المفهوم هو عنده من باب دليل الخطاب ، و هو أن يحكم للمسكوت عنه بضد حكم المنطوق به . و دليل الخطاب عند أبي حنيفة غير معمول به . انتهى .

قال : فإن قيل : لم اختص انعقادها بلفظ التكبير دون التعظيم ؟

قلنا : إنما اختص به لأن لفظه يدل على القدم و التعظيم على وجه المبالغة . و لهذا قال صلى الله عليه وسلم : سبحان الله نصف الميزان والحمد لله تملأ الميزان والله أكبر تملأ ما بين السموات و الأرض . و قال صلى الله عليه وسلم : الكبرياء ردائي و العظمة إزاري فمن نازعني في شيء منهما قصمته و لا أبالي . استعار للكبرياء الرداء و للعظمة الإزار . و الرداء أشرف من الإزار . كذا في إعانة الطالبين في حل فتح المبين .

قال العبد الضعيف الروحاني : محصول الكلام أن عندنا معشر الحنفيّة تعيين لفظ "الله أكبر" واجب للتحريمة . وعند سائر الأئمة فرض ، لأنه هو المنقول من فعله صلى الله عليه وسلم . والأصل في ذلك التوقيف كما نقل صاحب الهداية عن مالك رحمه الله تعالى . فلا يجوز غيره .

قال ابن الهمام رحمه الله تعالى في الفتح : وهو المتوارث من قوله صلى الله عليه وسلم . و في بعض طرق حديث المسيء صلاته : قال صلى الله عليه وسلم : إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يكبر و يحمد الله عزوجل و يثني عليه و يقرأ بما شاء من القرآن ثم يقول : الله أكبر . و ذكر الحديث . انتهى .

و في كتاب السعاية ج٢ ص١٠٦ ، ذكر أربعة مذاهب مفصّلاً . و فيه : الرابع : قول أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى وهو أنه يجوز أي افتتاح الصلاة بكل ما دل على التعظيم الخالص غير المشوب بالدعاء . لأن التكبير هوالتعظيم . قال الله تعالى : وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ . أي عظِّم . وقال تعالى : وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ . وذكر اسمه أعمّ من أن يكون باسم الله أو باسم الرحمن وغير ذلك مما يدل على التعظيم .

غاية ما في الباب أن يكون اللفظ المنقول سنة مؤكدة لا أنه الشرط دون غيره . انتهى .

و في الفتح لابن الهمام رحمه الله تعالى : ثم هل يكره الافتتاح بغير "الله أكبر" عنده . قال السرخسي رحمه الله تعالى : لا يكره في الأصح . و في التحفة : الأصح أنه مكروه . و هـذا أولى . و قد ذكره في التجريد مرويًّا عن أبي حنيفة . انتهى .

ثم قال : و الثابت بالخبر اللفظ المخصوص فيجب العمل به حتى يكره لمن يحسنه تركه . كما قلنا في القراءة مع الفاتحة و في الركوع و السجود مع التعديل . كذا في الكافي . و هذا يفيد وجوبه ظاهرًا . وهو مقتضى المواظبة التي لم تقترن بترك . فينبغي أن يعوّل على هذا . انتهى . و في سنن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي العالية أنه سئل : بأيّ شيء كان الأنبياء يفتتحون الصلاة ؟ قال : بالتوحيد و التسبيح و التهليل . و عن الشعبي : بأيّ اسم من أسماء الله تعالى فتحت به الصلاة أجزاك . و مثله عن النخعي .

فإن قلت : روى الطبراني من حديث رفاعة بن رافع في قصة الرجل الذي لم يتم الصلاة ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلّ فإنك لم تصـل . أنه قال له : لا يتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء من مواضعه ثم يستقبل القبلة ثم يقول "الله أكبر" . الحديث . فهذا يؤيد مذهب مالك .

قلت : هذا الحديث دليل لنا لا لكم . فإن النبي عليه الصلاة والسلام إنما علّق به تمام الصلاة لا نفس جواز الصلاة . و كم من فرق بين التمام و الجواز . كذا في البناية .

فإن قلت : قد ورد في الحديث : و تحريمها التكبير . و قال الله تعالى : وَ رَبَّكَ فَكَبِّرۡ . وهو يدل على اشتراط خصوص لفظ "الله أكبر" دون "الله أجل" و نحوه .

قلت : العبرة للمعاني لا للألفاظ . فليس معنى الحديث تحريمها لفظ التكبير بل معنى تحريمها التكبير ما يدل على التعظيم . و قس عليه الآية .

لا يقال : قد قالوا في اشتراط لفظة "أشهد" و نحوها في الشهادة : إنها إنما اشترطت لظاهـر النصوص كقوله تعالى : وَ أَقِيمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ . و نحو ذلك . فما بالهم اعتبروا هنالـك الألفاظ المنصوصة و ههنا اعتبروا المعنى .

لأنّا نقول : الفرق بينهما معنوي . و هو أن لفظة الشهادة أقوى في إفادة تاكـيد متعلقها من

غيرها من الألفاظ كأعلم و أتيقّن لما فيها من اقتضاء معنى المشاهدة و المعاينة . و قد وقع الأمر بلفظة الشهادة فلزمت لذلك . بخلاف التكبير فإنه التعظيم . و ليس لفظ "الله أكبر" أبلغ من "الله أجل و أعظم" . فكانت هذه الألفاظ سواء . فلم تثبت خصوصية توجب تعيين "الله أكبر" . كذا حقّقه ابن الهمام رحمه الله تعالى في كتاب الشهادات من فتح القدير .

و في المبسوط ج١ ص٣٦ : أبويوسف رحمه الله تعالى استدل بقوله صلى الله عليه وسلم : وتحريمها التكبير . فلابد من لفظة التكبير . و في العبادات البدنية يعتبر المنصوص عليه . ولا يشتغل بالتعليل حتى لا يقام السجود على الخد و الذقن مقام السجود على الجبهة و الأنف . و الأذان لا ينادى بغير لفظ التكبير . فالتحريم للصلاة أولى .

ثم ذكر أدلة أبي حنيفة و محمد رحمهما الله تعالى . ثم قال : فأمّا الأذان فالمقصود منه الإعلام . و بتغيير اللفظ يفوت ما هو المقصود . فإن الناس لا يعلمون أنه أذان . فإن قال "الله" لايصير شارعًا في الصلاة بهذا اللفظ عند محمد . لأن تمام التعظيم بذكر الاسم و الصفة . و عند أبي حنيفة يصير شارعًا في الصلاة . لأن في هذا الاسم معنى التعظيم . فإنه مشتق من التأله و هو التحير . انتهى .

قال العبد الضعيف الروحاني : مقتضى هذا الكلام لصاحب المبسوط أن حكم كونه شارعًا بالاسم المفرد أي بقوله "الله" عند أبي حنيفه رحمه الله تعالى إنما هو خاصّة الجلالة . كما يدل عليه استدلاله . فهذه خاصة ثالثة للجلالة في هذا الباب .

لكن قال في فتح القدير في بيان قول صاحب الهداية "أو غيره من أسماء الله تعالى أجزأه عند أبي حنيفة و محمد رحمهما الله تعالى" : أعم من أن يكون مفردًا أو خبرًا . فيقتضي هذا الكلام أنه لو قال "الله" أو "الربّ" بلا زيادة يصير شارعًا على قول أبي حنيفة . و في التجريد : جعل هذا رواية الحسن عنه .

و قال الفضيلي : "بالرحمن" يصير شارعًا و "بالرحيم" لا ، لأنه مشترك . انتهى ما في فتح القدير بتصرف . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أعلى و أكبر و أوسع .

الله اكبر

الباب السابع و الخمسون
وهو مشتمل على خمس و عشرين خاصةً

من بدائع خصائص الجلالة و لطائف مزاياها اختصاص لفظ "أَيْمُن" بلغاته بالإضافة إليها عند القَسَم . يقال "أيمنُ اللهِ لأفعلنّ كذا" مثل "لعَمر الله لأفعلنّ كذا" ولا يصح أن يقال "أيمن الرحمن" ولا أن يقال "أيمن القدّوس لأفعلنّ كذا" بإضافته إلى اسم آخر من أسماء الله تعالى . و هذه الخاصة من غرائب خصائص اسم "الله" الشريف .

و لي في مباحث "أيمن الله" رسالة مستقلة فريدة بديعة . أدرجت فيها بدائع اللطائف و لطائف البدائع و روائع الشرائف و شرائف الروائع و غرائب العجائب و عجائب الغرائب بتوفيق الله تعالى و توقيفه . ولله الحمد و المنّة . و ها أنا أجعل ملخّص رسالتي هذه جزءً من هذا الكتاب الكبير .

قال العلامة الخفاجي رحمه الله تعالى في نسيم الرياض ج٣ ص٣٤ : و لا يجرّ لفظ "أيمن" بالإضافة إلى ما بعده إلّا لفظ "الله" و جوّز ابن مالك رحمه الله تعالى جرّ غيره . انتهى .

و قال أيضًا : و "أيم الله" قسَم "كعهد الله" و هو مبتدأ خبره محذوف . تقديره "قَسَمي" أي أيم الله قسمي . فهو مرفوع . و جوّز بعضهم جرّه بواو القسم . و فيه لغات كثيرة . و همزته همزة وصل . و هو اسم . و قيل : حرف . و قيل : إنه في الأصل جمع "يمين" . انتهى .

و في حديث عروة رحمه الله تعالى : لَيْمُنُك لئن ابتليتَ لقد عافيتَ ولئن أخذتَ لقد أبقيتَ . كذا في النهاية وغيرها .

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ في النهاية ج٤ ص٢٦٨ : "لَيْمُن" و "أَيْمُن" ألفاظ القسم . تقول "ليمن الله لأفعلن" و "أيمن الله لأفعلن" و "أيم الله لأفعلن" بحذف النون . و فيها لغات غير هذا . و أهل الكوفة يقولون "أيمن" أي بفتح الهمزة و سكون الياء و ضمّ الميم ، جمع "يمين" القسم . و الألف فيها ألف وصل . و تفتح و تكسر . و قد تكرر في الحديث . انتهى كلامه .

قال الإمام ابن هشام رَحِمَهُ اللهُ في المغني ج١ ص٩٥ في بيان "أيمن" : و يلزمه الرفع بالابتداء و حذف الخبر و إضافته إلى اسم "الله" سبحان مسمّاه و تعالى . خلافًا لابن درستويه في إجازة جرّه بحرف القسم . و لابن مالك رَحِمَهُ اللهُ في جواز إضافته إلى الكعبة و لكاف الضمير . و جوز ابن عصفور رَحِمَهُ اللهُ كونه خبرًا و المحذوف مبتدأ ، أي قسمي أيمن الله . انتهى .

إن قلت : ما الحكمة في اختصاص لفظ "أيمن" بالإضافة إلى اسم "الله" الشريف و ما السرّ في ذلك ؟

قلت : في اختصاص "أيمن" بالإضافة إلى الجلالة أسرار شريفة و ثمرات منيفة وفوائد لطيفة .

السرّ الأوّل : أن "الأيمن" مشتق من "اليمن" وهو البركة كما هو مذهب البصرية . والإضافة تفيد الاختصاص . ففي إضافة "أيمن" إلى اسم "الله" و اختصاصه به إيماء لطيف إلى أن ذات الله الكريمة مجمع اليمن و البركات كلها و مرجع الحسنات و الكمالات بأجمعها دنيا و عقبى . فكمالات كل كامل مستفادة من كمالات ذات الله السامية و جَدُّ كل ذي جدّ و عظمة ظلّ جدّ الله المتعالي و عظمته المتعالية . فسبحان الله الذي يُمن كل ميمون و بركة كل مبارك غيضٌ من فيض فيوض ذاته تعالت و جلّت . فلا يمن ولا بركة في الدنيا و الأخرىٰ إلاّ بالارتباط بذاته تعالى و التوجه إلى بحر فيوضه و التمسكن إلى جنابه العظيم .

ففي قولنا "أيمن الله" هداية للمضطرين أن لا يدعو غيره تعالى و أن لا يسألوا البركات إلاّ منه سبحانه و تعالى .

السرّ الثاني : أنه جمع "يمين" بمعنى القسم عند الكوفيين . ففيه إرشاد للعباد أن لا يقسموا بغير اسم الله سبحانه و أن لا يعظّموا غيره تعالى كتعظيمه سبحانه .

و الإضافة للاختصاص . فأفاد الكلام نظرًا إلى كونه جمعًا أن جميع أنواع اليمين و الحلف مختصة به تعالى . و في الحديث الصحيح ورد المنع من الحلف بغير اسم الله تعالى .

السرّ الثالث : أن فيـه تلويحًا بالمسلمين أن الله ذو القوة المتين . لا قوة لأحد في جنب قوته و قدرته . ولا حول ولا قوة إلّا بالله . و اليمين في الأصل القوّة . و الإضافة أفادت الاختصاص .

و هذا الرمز و إن كان فيه نوع بُعد نظرًا إلى ظاهر معناه ، إذ أصل معنى "أيمن الله" و ظاهـر فحواه هو القسم . فهو بمعنى "والله" . لكن لمثل هـذا الرمز مجال لطيف في كلام العرب . و ذلك بطريق التلويح و التعريض . و التلويح و التعريض في ضمن العبارات و الكلمات أمر مقبول و مسموع .

و لذا كان رسول الله ﷺ يحب الاسم الحسن و يكره الاسم القبيح . ولا يخفى على ذوي الألباب أنّ الأعلام لاتدل إلّا على مسمّاها . فلا قبح في الأعلام مطلقًا نظرًا إلى المعنى العَلَمي . و إنما قبحها و حسنها بالنظر إلى أمر آخر ، و هو التلويح و التلميح في ضمن مدلولها العلَمي إلى معنى آخر لغويّ وضع له اسم العلَم قبل صيرورته عَلَمًا . كما قالوا في قوله تعالى "تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ" : إن المراد من "أبي لهب" العَلَم الدال على مسماه مع اللمح إلى كونه ناريًّا .

السرّ الرابع : أن "أيمن" بمعنى الأيمان . واختصاص هذا اللفظ بالاسم "الله" كما هو ثابت في لغة العرب بعد ظهور الإسلام كان مسلَّمًا عند العرب في الجاهلية قبل الإسلام أيضًا .

ففي هذا الاختصاص رمز لطيف للردّ على المشركين ، حيث أجرى الله تعالى على ألسنتهم ما يضادّ شركهم و يردّ عقيدتهم . إذ جعلوا مع الله آلهة شركاء في العبادة و الحلف و التعظيم و الحبّ . و "أيمن الله" يدل على أن الأيمان كلها مختصة بالله تعالى .

السرّ الخامس : أن "أيمن الله" بمعنى "والله" و "بالله" و مع هذا هو دالّ على توكيد الحلف و على أن الحلف باسم "الله" آكد من الحلف بسائر أسمائه الحسنى .

و وجهه أنه في الظاهر حلف واحد بمعنى "والله" و "بالله" لكنه في المعنى أيمان متعدّدة . فإن "أيمنًا" جمع "يمين" فهو يتضمن أيمانا . كأنه قال "والله" ثم "والله" ثم "والله" و هكذا . و اسم "الله" جامع للأسماء الحسنى كلها . فالحلف به بمنزلة الحلف بجميع أسمائه تعالى بطريق التفصيل . فمن

حلف وقال "والله" فكأنه قال "والرحمن" "والرحيم" "والستار" "والغفور" عن آخر الأسماء الحسنى . و لإظهار هذا السر اختص "أيمن" بالإضافة إلى الاسم "الله" .

السرّ السادس : تدل إضافة "أيمن" إلى اسم "الله" على أن اسم"الله" أعظم الأسماء الحسنى . إذ القسم يدلّ على تعظيم المقسم به .

فالقسم هدانا إلى أنه اسم عظيم . و اختصاص "أيمن" بالإضافة إليه هدانا إلى أنّ الاسم "الله" اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى .

السر السابع : ثم لمّا دل قولنا "أيمن الله" على أن اسم "الله" أعظم من كلّ اسم دلّ على أن مسمّاه تعالى جدّه أعظم من كل ذات و من كل مسمًّى . و هو معنى ما ورد في الحديث : تبارك اسمك و تعالى جدّك . و هذا كما قالوا : إنّ كون اسم "الله" مباركًا ينتج كون ذاته تعالى مباركة . قال الله تعالى : تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ .

السرّ الثامن : أنه يدل على أنه تعالى هو الحبيب الأعظم . ولا يؤمن أحد إيمانًا كاملًا حتى يكون الله تعالى أحبّ إليه من كل حبيب .

و وجه الدلالة أنه قد حصحص من قولنا "أيمن الله" أنه تعالى أعظم من كل عظيم كما ذكرنا آنفًا . و الذي يكون أعظم حقيقةً و أكبر في الواقع و نفس الأمر لابدّ أن يكون أكبر و أعظم في كونه حبيبًا . إذ كل من هو عظيم حقيقةً و في نفس الأمر عظيم حبًّا و خلّةً . فالله تعالى هو الخليل الأكبر ، و هو الحبيب الأعظم .

السرّ التاسع : يدلّ قولنا "أيمن الله" على توحيد الله تعالى و على نفي الشرك . إذ لمّا تحقّقت دلالته على أنه تعالى أعظم من كل عظيم ثبت منه أنه تعالى واحد لا شريك له في العظمة ولا مثيل له في صفات العظمة . و هذا هو التوحيد .

السرّ العاشر : يدل هذا القول على أنه لا معبود إلّا الله عزَّ و جلّ .

و وجه الدلالة أنه لما ثبت من هذا القول أنّه تعالى واحد لا شريك له في العظمة و في رفعة الشان ثبت أنّه لا يستحق للعبادة إلّا الله تعالى ولا معبود حقيقةً إلّا هو . إذ لا يستحق للعبادة إلّا من كان

أعظم من كل عظيم و إلاّ من كان متفرّدًا متوحّدًا لا شريك له في العظمة و الرفعة .

السرّ الحادي عشر : لأجل اختصاص إضافة "أيمن" إلى اسم "الله" انعكس على المضاف بعض خصائص المضاف إليه . و عدّي بعض آثار المضاف إليه وهو اسم "الله" إلى المضاف وهو "أيمن" .

و هذا الأثر هو إبهام الحقيقة و احتجابها . فحقيقة اسم "الله" تعالى مسمّاه مبهمة كما لا يخفى على من طالع كتابي هذا .

كأنّه تشعشعت أشعّة اسم "الله" على المضاف المختصّ به . فأصبح المضاف مبهمًا و مكتومًا . فقيل : إن المضاف أي لفظ "أيمن" مفرد . و قيل : جمع . و على تقدير إفراده قيل : هو اسم . و قيل : حرف .

السرّ الثاني عشر : بيانه مثل بيان السرّ المتقدّم أي السر الحادي عشر . و إنّما الفرق بينهما بالنظر إلى اختلاف الأثر و النتيجة .

فالأثر المتعدّي إلى المضاف كان في السرّ المقدَّم هو إبهام الحقيقة . و أمّا هٰهنا فالأثر المتعدّي إلى المضاف أي إلى لفظ "أيمن" هو بقاء المعنى كما هو من غير تغيّر مع وقوع الحذف و التصرّف مرّة بعد أخرى في اللفظ الدال .

إيضاح الكلام أن لفظ "أيمن" المضاف إلى اسم "الله" في قولنا "أيمن الله" بمعنى القسم . و يتصرف في لفظ "أيمن" بالحذف فيقال : من الله . ثم يتصرّف فيه مرّة أخرى فيقال : أيمُ الله . ثم يتصرّف فيه فيقال : م الله . مع بقاء معنى القسم . و هذا من جميل ثمرات المضاف إليه و جليل آثاره .

فإنّ المضاف إليه و هو اسم "الله" يحذف منه الألف و اللام فيبقى "إله" ثم يحذف منه الهمزة فيبقى "له" ثم يحذف منه اللام الجارّة فيبقى "هو" مع بقاء المعنى الأوّل و المصداق المتقدّم ، و هو ذات الله تعالى . و قد فَصَّلنا هذا البحث في باب مستقلّ من هذا الكتاب ، فارجع إليه .

هذه نفائس رصينة لطيفة استقامت دعائمه ، و بدائع متينة شريفة ازدانت معالمه . فخذها و اغتنمها ، فإنك لن تجدها في غير هذا الكتاب . حرّرتها و رتّبتها بمكة المكرّمة . و كنت مقيمًا بها مع بعض أهلي في شهر رمضان . قدمناها لأداء العمرة المباركة . ولله الحمد .

فصل
في مباحث لفظ " أيمن الله "

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : الكلام في "أيمن الله" مشتمل على أبحاث : الأوّل : في أنه خاص بالإضافة إلى الله تعالى أم لا . و الثاني : في وجوه إعرابه . والثالث : في لغاته . و الرابع : في أنه اسم أو حرف . و الخامس : في كونه مفردًا أو جمعًا . و السادس : في أن همزته همزة وصل أو قطع . و السابع : البحث على همزته على تقدير كونها وصلاً . و الثامن : بحث أدبي لطيف في معنى مادة "ي ، م ، ن" .

فصل
في البحث الأوّل

أمّا البحث الأوّل : فأقول و الله المستعان في الأمور كلها ، و عليه التكلان في الأمور كلها ، و به التوفيق ، و بيده أزمّة التحقيق و أعنّة التدقيق : فيه مسألتان :

المسألة الأولى : لا يستعمل لفظ "أيمن" إلّا مضافاً مثل سبحان و معاذ . يقال "سبحان الله" و "معاذ الله" . والأسماء اللازمة الإضافة كثيرة استقصاها ابن هشام في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، و الحافظ السيوطي في جمع الجوامع و غيرهما من العلماء .

هذا على تقدير كون "أيمن" اسمًا . ولو كان حرفًا كما سيجيء فلا يتعلق به هذا البحث . إذ جميع الحروف الجارة يلزمها المجرور .

المسألة الثانية : تختص لفظة "أيمن" عند الجمهور بالإضافة إلى اسم الجلالة . فيقال : أيمن الله . ولا يقال : أيمن الرحمن . و جوز ابن مالك رحمه الله إضافته إلى الكعبة وكاف الضمير ، لما روى ابن الأثير في النهاية وغيره من العلماء في كتبهم حديث عروة : ليمنك لئن ابتليت لقد عافيت ولئن أخذت لقد أبقيت .

و في شرح ابن عقيل ج٢ ص٢٠٢ : و يجب إضافة الكل أي "أيمن" بجميع لغاته للفظ الجلالة . انتهى . و زاد الدماميني جواز إضافته إلى "الذي" .

و في حواشي المغني ج١ ص٩٥ : وأجاز بعضهم إضافته "للذي" لما ورد : ليمن الذي نفس محمد بيده . و أضيف إلى غير ذلك في الشعر . أنشد الشارح :

* لأيم أبيهم بئست العذرة اعتذروا *

انتهى ما في الحواشي .

و قال نجم الأئمة الرضي في بحث الحروف الجارة من الكافية ج٢ ص٢٨١ : إن في كلمة "أيمن" لغات كثيرة بالتغيير و القصر . و "أيمن" يستعمل مع لفظة "الله" و "الكعبة" . و أمّا ما قصر من "أيمن" فلا يستعمل إلّا مع لفظة "الله" ولا يستعمل مع "الكعبة" كما استعمل "أيمن" معها . انتهى بتفسيره .

و قال أيضًا قبيل هذه العبارة في قولهم في القسم "مِنِ ربي" بكسر الميم و النون : إن "أيمن" مختص كما يجيء "بالله" و "الكعبة" و "مِنِ" مختصة بلفظ "ربي" . انتهى .

و في جمع الجوامع و شرحه همع الهوامع ، كلاهما للحافظ السيوطي رحمه الله تعالى ج٢ ص٤٠ : و الأصح أنه أي لفظ "أيمن" مضاف "لله" و "الكعبة" و "الكاف" و "الذي". والأوّل هو الغالب ، والباقي كقولهم "أيمن الكعبة" و قول عروة بن الزبير : أيمنك لئن ابتليتَ لقد عافيتَ . و قوله عليه الصلاة والسلام : و أيم الذي نفسي بيده . و قال الفارسي : لا يضاف إلّا إلى "الله" و "الكعبة" . و قال ابن هشام رحمه الله تعالى : إلّا إلى "الله" فقط . أمّا إضافته لغير ما ذكر فشاذ . أنشد الكسائي :

* ليمن أبيهم لبئس العذرة اعتذروا *

انتهى كلام السيوطي .

و فيه : أن رجلا من بني العنبر سئل : ما الدهدران ؟ فقال في الجواب : مِ ربّي . الباطل . انتهى . هذا .

فصل
في البحث الثاني

البحث الثاني في تركيب "أيمن الله" و وجوه إعرابه . قلت : هو مثل "لعمرك" إعرابًا و تركيبًا نحويًّا . و "لعمرك" مبتدأ حذف خبره وجوبًا . و هو "ما أقسم به" و التقدير "لعمرك ما أقسم به" أو "لعمرك قسمي لأفعلنّ كذا" .

فقولنا "أيمن الله" كذلك ، أي مبتدأ خبره محذوف وجوبًا . أي "أيمن الله قسمي" أو "ما أقسم به لأفعلنّ كذا" . و أجاز ابن عصفور كون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي "لقسمي عمري" و "قسمي أيمن الله" .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في جمع الجوامع و شرحه الهمع ج٢ ص٤٠ : و الأصح على الرفع أنه مبتدأ خبره محذوف ، أي "قسمي" . و قال ابن عصفور : هو خبر و المحذوف مبتدأ . انتهى .

قال ابن الشجري رحمه الله تعالى في أماليه ج١ ص٣٢١ : و من الأخبار التي ألزموها حذف خبر المبتدأ قولهم "لعمر الله لأفعلنّ" و "لأيمن الله لأذهبنّ" تريد "لعمر الله" المقسم به . وكذلك "ليمن الله" المحلوف به . ولكن قولك "لأفعلنّ" و "لأذهبنّ" طوّل الكلام . فحسن لذلك حذف الخبر . و مثل هذا سد الفاعل مسد الخبر في نحو "أذاهب أخواك" . انتهى كلامه .

و قال الرضي في شرح الكافية ج١ ص٩٣ ، في بحث حذف الخبر وجوبًا : ضابطه كل مبتدأ في الجملة القسمية متعين للقسم نحو "لعمرك" و "أيمن الله" فإن تعيينه للقسم دال على تعيين الخبر المحذوف . أي "لعمرك ما أقسم به" و جواب القسم سادّ مسدّ الخبر المحذوف . و "العمر" بفتح العين و "العمر" بضمها بمعنًى . ولا يستعمل مع اللام إلّا المفتوح . لأنّ القسم موضع التخفيف لكثرة الاستعمال . انتهى .

و قال ابن عقيل رحمه الله تعالى في شرح الألفية ج١ ص١١٢ : الموضع الثاني من المواضع التي يجب فيها حذف الخبر أن يكون المبتدأ نصًّا في اليمين نحو "لعمرك لأفعلن" التقدير : لعمرك قسمي . فعمرك مبتدأ و قسمي خبره . ولا يجوز التصريح به أي بخبره .

قيل : و مثله "أيمن الله لأفعلن كذا" التقدير : أيمن الله قسمي . وهو لا يتعين أن يكون المحذوف فيه خبرًا لجواز كونه مبتدأ . و التقدير : قسمي أيمن الله . بخلاف "لعمرك" فإن المحذوف فيه يتعين أن يكون خبرًا . لأنّ لام الابتداء قد دخلت عليه ، و حقها الدخول على المبتدأ . انتهى .

و في التوضيح لابن هشام رحمه الله تعالى وشرحه التصريح لخالد بن عبد الله الأزهري المصري رحمه الله تعالى ج١ ص١٧٩ : المسألة الثانية من مسائل يحذف فيها الخبر وجوبًا : أن يكون المبتدأ صريحا في القسم بمعنى أنه لايستعمل إلّا في القسم . و يفهم منه القسم قبل ذكر المقسم عليه نحو "لعمرك" بفتح العين من "عَمِر الرجل" إذا عاش زمنًا طويلاً . ثم استعمل في القسم مرادًا به الحياة أي "وحياتك لأفعلن" و "أيمن الله" بفتح الهمزة و ضم الميم من "اليمن" و هو البركة . أي "و بركة الله لأفعلن" فعمرك و أيمن الله كل واحد منهما مبتدأ حذف خبراهما وجوبًا . أي "لعمرك قسمي" و "أيمن الله يميني" .

و إنما وجب حذفه لسدّ جواب القسم مسده . فإن قلت : "عهد الله لأفعلن كذا" جاز إثبات الخبر و حذفه لعدم الصراحة في القسم به . لأن "عهد الله" غير ملازم للقسم . إذ يستعمل في غيره نحو عهد الله يجب الوفاء به . ولا يفهم منه القسم إلّا بذكر المقسم عليه .

و زعم ابن عصفور أنه يجوز في نحو "لعمرك لأفعلن كذا" أن يقدر "لقسمي عمرك" فيكون من قبيل حذف المبتدأ . انتهى .

و في المغني في بيان "أيمن" : و يلزمه الرفع بالابتداء و حذف الخبر . و جوّز ابن عصفور كونه خبرًا والمحذوف مبتدأً ، أي "قسمي أيمن الله" . انتهى . قيل : قول ابن عصفور خلاف الظاهر .

و قال الأزهري في التصريح : و الأوّل أولى لأنه إذا دار الحذف بين أن يكون من الصدر والأوائل أو من الأعجاز والأواخر فالحمل على الأواخر أولى . لأنها هي محل التغيير غالبًا ، و لأنّ دخول اللام على شيء واحد لفظًا وتقديرًا أولى من جعلها داخلة في اللفظ على شيء و في التقدير على شيء آخر . انتهى .

و قال العلامة الشيخ يس بن زين الدين رحمه الله تعالى في حواشيه : و لأنّ لفظ "عمرك" و "أيمن الله" إنما وضع ليستعمل مقسمًا به . و إذا جعل خبرًا لم يستعمل مقسمًا به بل مخبرًا عن المقسم به . انتهى .

ثم قال الشيخ يٰس معترضًا على الأزهري : قد يقال : إذا دار الأمر بين كون المحذوف خبرًا أو مبتدأ كان الأولى حذف المبتدأ . لأن الخبر محطّ الفائدة على أحد القولين . انتهى .

فصل
في تحقيق إعراب " أيمن الله "

قال العبد الضعيف الروحاني : القول الفيصل عندي في تحقيق إعراب "أيمن الله" أن يقال : إن ههنا مقامين :

المقام الأوّل : مقام الجواز أي تجويز حذف المبتدأ ههنا مع تجويز حذف الخبر . كما هو مسلك ابن عصفور .

و المختار عندي و الأمسّ بالطبيعة السليمة و الوجدان الصحيح في ذلك قول ابن عصفور . إذ أيّ محال يستلزمه حذف المبتدأ في "أيمن الله" و ليس ههنا دليل يعيّن تعيينًا لا مردّ له أن المذكور في "أيمن الله لأفعلن كذا" مبتدأ و المحذوف خبر مثل تحقّق دليل في نحو قولنا : أفضل منّي أفضل منك . و في مثل : أين زيد . فإنّ تساوي المبتدأ و الخبر تعريفًا في المثال الأوّل يقتضي كون الأوّل مبتدأً دفعًا للبس و أن كون "أين" ظرفًا في المثال الثاني أوجب كونه خبرًا . و أمّا ما قيل : إن حذف الخبر هو الظاهر . و ما نقلنا عن الأزهري و الشيخ يٰس فلا يدل إلّا على أولوية حذف الخبر لا على أنه هو المتعيّن الواجب . هذا .

و المقام الثاني : مقام الأولوية . فأقول : الأولى حذف الخبر لا المبتدأ . و ذلك لوجهين :

الوجه الأوّل ما ذكروه ، وقد سلف آنفًا قبيل عدّة أسطر .

و الوجه الثاني ما خطر ببالي و ألقي في روعي . و هو أن حذف الخبر أكثر وقوعًا و استعمالًا و أعذب في اللسان و أقرب إلى الذهن من حذف المبتدأ . ألا ترى أن مِن أكثر تراكيبهم استعمالًا نحو "زيد في الدار" و "زيد أمامك" و "زيد وراءك" و "المال لزيد" و نحوذلك مما كان الخبر فيه ظرفًا . و في جميع ذلك الخبر محذوف . و هو نحو "ثبت" أو "ثابت" . و قد تحقق عند المحققين أن الأمر إذا دار بين

كون المحذوف قليل الاستعمال نادرًا و كثير الاستعمال شائعًا فالحمل على كثير الاستعمال أولى .

و ما قال الأزهري صاحب التصريح على ما نقلنا عنه آنفًا : إنّ على تقدير ابن عصفور و هو "لقسمي عمري" يلزم دخول اللام في اللفظ على شيء و في التقدير على آخر . و هو خلاف ما هو الأولى . فهو لا يتمشّى في "أيمن الله لأفعلن" لانعدام اللام . و كذا لا يتمشّى في "عمري لأفعلن" بدون اللام .

تنبيه

ظن بعض الناس لزوم اللام في "لعمري" و الحق عدم لزومها . قال ابن أبي الصلت عند ذكر ذي يزن الحميري :

ثم انثنىٰ نحو كسرى بعـد عاشرة من السنين يهين النفس و المالا

حتى أتى ببني الأحرار يحملهم إنك عمري لقـد أسرعتَ قلقالا

و قبله :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ريم في البحر للأعداء أحوالا

يمم قيصـرًا لما خان رحلتـه فلم يجد عنده بعض الذي سالا

فقوله "إنك عمري" قسم ، أي لعمري بتقدير اللام .

قال العلامة السهيلي رحمه الله في روض الأنف شرح سيرة ابن هشام ج١ ص٥٢ : وقوله "عمري" أراد "لعمري". و قد قال الطائي :

عمري لقد نصح الزمان و إنه لمن العجائب ناصح لا يشفق

أي : لعمري لقد نصح . انتهى بزيادة يسيرة .

قلت : ليس في رواية ابن الشجري لهذه القصيدة قوله "عمري" حيث قال في أماليه ج١ ص١٦٩ : إن سيف بن ذي يزن بعد ظفره بالحبشة و استقراره في دار مملكته وفدت عليه وفود العرب تهنئه بالملك و الظفر . و دخل عليه أبوالصلت في وفد ثقيف . قال : و قيل : إن قائل الأبيات أمية بن

أبي الصلت :

ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعة   من السنين لقد أبعدت قلقالا
حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم   تخالهم فوق سهل الأرض أجبالا

تنبيه

ما قلنا : إن "عمرك" و "لعمرك" مع اللام و بدونها واحد أي مرفوع و قسم هو خلاف ما قال بعض النحاة : إن "عمرك" بدون اللام منصوب بنزع الخافض . و التقدير : أقسم بعمرك . و في ذلك تناقض . فدفع التناقض أن يقال : إنه يصح الرفع و النصب .

قال ابن الشجري رحمه الله في أماليه ج١ ص٣٤٨ : و أمّا قولهم "عمرك الله" فليس كقولهم "عمر الله" لأنهم قالوا "لعمر الله" و "عمر الله" رفعوه مع اللام بالابتداء و ألزموا خبره الحذف . لأن الجواب سدّ مسد الخبر . فإذا قلت "لعمر الله لأفعلن" تريد "لعمر الله قسمي" .

و نصبوه مع حذف اللام بالفعل المقدر . وذلك أن الأصل "أقسم بعمر الله" أي ببقائه و دوامه . ثم حذفوا الفعل و الجار فنصبوا كما قالوا "الله لأفعلن" و الأصل "أقسم بالله" و الجواب يلزمه منصوبًا كما يلزمه مرفوعًا . تقول : عمر الله لأقمت و عمرك لأذهبت . و العَمر بمعنى "العُمر" مصدر قولهم "عمِر الرجل يعمر" إذا امتدّ بقاؤه . ولكنهم لم يستعملوا في القسم إلّا المفتوح . و قولهم "عمرك الله" مخالف لقولهم "عمر الله" من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن " عمرك الله " ليس بقسم عند جل النحويين . قالوا : و الدليل على ذلك أنه لا جواب له لا ظاهر ولا مقدر . و إنما هو إخبار بأنك داع المخاطب بالتعمير . قال عمر بن أبي ربيعة :

أيّها المنكِح الثريّا سهيلًا   عَمْرَكَ الله كيف يلتقيان

و الثاني : أنك تنصب "عمر الله" نصب المفعول به على ما أريتك . و تنصب "عمرك" بنصب المصادر . لأن سيبويه ذكره مع "سبحان الله" .

و الثالث : أن "العمر" في قولك "عمر الله يا فلان" بمعنى "العُمر" و هو في قولك "عمرك الله"

بمعنى التعمير . حذفوا زوائده و نصبوه بفعل اختزلوه ، أي حذفوه .

فصل
في شرح قاعدتين و إيضاحهما

القاعدة الأولى : ما قال الأزهري رحمه الله تعالى صاحب التصريح : إنّه إذا دار الحذف بين أن يكون من الصدر أو من العجز فالحمل على العجز أولى . لأنها هي محل التغيير .

القاعدة الثانية : ما قال الشيخ يٰس رحمه الله تعالى : إنّه إذا دار الأمر بين كون المحذوف خبرًا أو مبتدأ كان الأولى حذف المبتدأ . لأن الخبر محط الفائدة . فعلى القول الأوّل يكون المحذوف في "أيمن الله" هو الخبر ، و على الثاني المبتدأ .

أقول في شرح القاعدة الأولى ، والله المستعان نعم المولى و نعم الوكيل و به التوفيق و بيده أزمّة التحقيق :

قال ابن هشام رحمه الله تعالى في المغني ج٢ ص١٦٥ : إذا احتاج الكلام إلى حذف مضاف يمكن تقديره مع أوّل الجزئين و مع ثانيهما فتقديره مع ثانيهما أولى . نحو "ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ" ونحو "ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ" فيكون التقدير "الحج حج أشهر " "والبر بر من آمن" أولى من أن يقدر "أشهر الحج أشهر " و "ذا البر من آمن" لأنك في الأوّل قدّرت عند الحاجة إلى التقدير . و لأن الحذف من آخر الجملة أولى . انتهى .

و **قال** أيضًا فيه ص١٦٣ : إذا دار الأمر بين كون المحذوف أوّلًا أو ثانيًا فكونه ثانيًا أولى . و فيه مسائل : الأولى : نون الوقاية في نحو "أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي" و "تَأۡمُرُوٓنِّيٓ" فيمن قرأ بنون واحدة . و هو قول أبي العباس و أبي سعيد و أبي علي الفارسي و أبي الفتح ابن جني و أكثر المتأخرين . و قال سيبويه رحمه الله تعالى و اختاره ابن مالك رحمه الله تعالى : إنّ المحذوف الأولى .

الثانية : نون الوقاية مع نون الإناث في نحو قوله :

تراه كالثغام يعـلّ مسكًا   يسوء الفاليات إذا فَلَيْني

الشعر لعمرو بن معديكرب . يصف الشيب . و الثغام نبت أبيض . و الشاهد في "فليني" أي فلَيْنِي . من فلي الشعر فتّشه . هذا هو الصحيح . و في البسيط : أنه مجمع عليه . لأن نون الفاعل لا يليق بها الحذف . و لكن في التسهيل : أن المحذوف الأولى ، و أنه مذهب سيبويه .

الثالثة : تاء الماضي مع تاء المضارع في نحو "نَارًا تَلَظَّىٰ" .

و قال أبوالبقاء في قوله تعالى "فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ" : يضعف كون "تَوَلَّوْا" فعلاً مضارعًا . لأنّ أحرف المضارعة لا تحذف . انتهى .

و هذا فاسد ، لأن المحذوف الثانية و هو قول الجمهور . و المخالف في ذلك هشام الكوفي . ثم إن التنزيل مشتمل على مواضع كثيرة من ذلك لا شك فيها نحو : نَارًا تَلَظَّىٰ . وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ .

الرابعة : "مقول" و "مبيع" المحذوف منهما واو مفعول . والباقي عين الكلمة . خلافًا للأخفش .

الخامسة : نحو "إقامة" و "استقامة" المحذوف منهما ألف الإفعال و الاستفعال . و الباقي عين الكلمة . خلافًا للأخفش أيضًا .

السادسة : نحو "زيد و عمرو قائم" . و مذهب سيبويه أن الحذف فيه من الأوّل لسلامته من الفصل . و لأن فيه إعطاء الخبر للمجاوز . مع أن مذهبه في نحو "يا زيد زيد اليعملات" أن الحذف من الثاني .

قال ابن الحاجب رحمه الله : إنما اعترض بالمضاف الثاني بين المتضايفين ليبقى المضاف إليه المذكور في اللفظ عوضًا ما ذهب . و أمّا هنا فلو كان "قائم" خبرًا عن الأوّل لوقع في موضعه . إذ لا ضرورة تدعو إلى تأخيره . إذ الخبر يحذف بلاعوض نحو "زيد قائم و عمرو" من غير قبح في ذلك . انتهى . بخلاف حذف التنوين من غير إضافة و لا سادّ مسدّها . و قيل أيضًا : كل من المبتدأين عامل في الخبر . فالأولى إعمال الثاني لقربه . و يلزم من هذا التعليل أن يقال بذلك في مسألة الإضافة .

السابعة : نحو "يا زيدَ زيدَ اليعملات" بفتحهما و "و بين ذراعي و جبهة الأسد" . و هذا هو الصحيح . خلافًا للمبرد .

ثم قال : الخلاف في القانون المذكور أي كون المحذوف الأوّل أو الثاني إنما هو عند التردد . انتهى بتفسيره .

و على هذا القانون تخريج كلمة "مُزَيِّن" تصغير "مزدان" اسم فاعل "ازدان يزدان" افتعال من الزينة . و هي المسألة الخامسة من المسائل الثماني الواردة على ابن الشجري من بلدة الموصل . و هذه صورة السوال .

الخامسة : السوال عن "مُزَيِّن" تصغير أيّ شيء هو .

قال الإمام ابن الشجري رحمه الله سبحانه في جوابها : و أمّا "مزين" فلفظة تحتمل معنيين . لكل واحد منهما وزن غير وزن الآخر : أحدهما : أنه مكبّر وزنه مفعل بتشديد العين و كسرها ، اسم فاعل من باب التفعيل .

و الآخر : أنه مصغر وزنه مُفَيعِل . و هو مصغر "مزدان" اسم فاعل من "ازدان" افتعال من "الزينة" . و لمّا أريد تصغيره و عدة حروفه خمسة ، اثنان زائدان الميم و الدال ، وجب ردّه إلى أربعة أحرف بحذف أحد الزائدين . و حذف الدال أولى لأمرين :

أحدهما : أن الميم تدل على اسم الفاعل . والحرف الدال على معنى أولى بالمحافظة عليه .

و الثاني : أن الدال أقرب إلى الآخر و الطرف . و الطرف و ما قاربه أحق بالحذف . انتهى بحذف . راجع الأمالي لابن الشجري ج١ ص٢٩٩ و ص٢٨٥ .

ثم أقول في شرح القاعدة الثانية : إذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ وكونه خبرًا فأيهما أولى ؟

قال الواسطي : الأولى كون المحذوف المبتدأ . لأن الخبر محطّ الفائدة . و قال العبدي : الأولى كونه الخبر . لأن التجوّز في أواخر الجملة أسهل . نقل القولين ابن أبان .

و مثال المسألة "فَصَبۡرٌ جَمِيۡلٌ" أي شاني صبر جميل . أو صبر جميل أمثل من غيره . و مثله "طَاعَةٌ مَّعۡرُوۡفَةٌ" أي الذي يطلب منكم طاعة معلومة لا يرتاب فيها لا إيمان باللسان لا يواطئه القلب . أو

طاعتكم معروفة . أي عُرِف أنها بالقول دون الفعل . أو طاعة معروفة أمثل بكم من هذه الأيمان الكاذبة . كذا قال ابن هشام في المغني ج٢ ص١٦٣ .

و يعلم من فحوٰى كلام ابن الشجري في أماليه ج١ ص٣٢٠ أن المختار عنده في مثل هـذه المقامات حذف المبتدأ . و هذه عبارته :

فالأسماء التي وقع بها الحذف ثلاثة عشر ضربًا : الأوّل : المبتدأ و الخبر . و الثاني : خبر "كان" و "إن" و "لا" . والثالث : المفعول به . والرابع : المضاف . والخامس : الموصوف . والسادس : المنادٰى . والسابع : المفسر . والثامن : الضمير العائد إلى الموصول . والتاسع : الضمير العائد إلى الموصوف . والعاشر : العائد إلى المبتدأ . والحادي عشر : المضاف إليه في باب الغايات . والثاني عشر : ياء المتكلم . والثالث عشر : الاسم الذي ينوب عنه الظرف خبرًا وصفةً و حالاً .

فمما جاء فيه حذف المبتدأ قوله تعالى : لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ . و مثله "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ" أي شاني صبر جميل . و مثله "وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ" التقدير : الحطمة نار اللّٰه الموقدة . و جاء الحذف في قوله تعالى : طَاعَةٌ وَّ قَوْلٌ مَّعْرُوْفٌ . فقيل تقديره : أمرنا طاعة . و احتج هذا القائل بقول الشاعر :

فقالت على اسم الله أمرك طاعة وإن كنت قد كلّفت ما لم أُعوّد

فقال : قد أظهر الشاعر المبتدأ المحذوف في الآية . والقول الآخر : أن قوله "طاعة" مبتدأ وخبره محذوف . و التقدير : طاعة و قول معروف أمثل من غيرهما . انتهى .

وجه دلالة هذا الكلام على أن المختار عند ابن الشجري حذف المبتدأ أمران . أحدهما : ذكره لقوله تعالى "طَاعَةٌ مَّعْرُوْفَةٌ" و قوله "فَصَبْرٌ جَمِيْلٌ" في مساق حذف المبتدأ . و الثاني : اقتصاره في قوله تعالى "فَصَبْرٌ جَمِيْلٌ" على حذف المبتدأ .

قال ابن هشام في المغني ج٢ ص١٦٨ : و مما يحتمل حذف المبتدأ و حذف الخبر ما يكثر بعـد الفاء نحو : فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ . فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ . فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ . فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ . أي فالواجب كذا ، أو فعليه كذا ، أو فعليكم كذا . و "فَصَبْرٌ جَمِيْلٌ" أي أمري أو أمثل . و مثله "طَاعَةٌ وَّ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ"

أي أمرنا أو أمثل . و يدل للأول قول عمر بن أبي ربيعة :

* فقالت على اسم الله أمرك طاعة *

و قد مر تجويز ابن عصفور الوجهين في "لعمرك لأفعلن كذا" و "أيمن الله لأفعلن" وغيره جزم بأن ذلك من حذف الخبر . و في "نعم الرجل زيد" وغيره جزم بأنه إذا جعل على الحذف كان من حذف المبتدأ . انتهى بتصرف .

و قال أيضًا ابن هشام فيه ص١٦٣ : و لو عرض ما يوجب التعيين عمل به كما في "نعم الرجل زيد" على القول بأنهما جملتان . إذ لا يحذف الخبر وجوبًا إلّا إذا سد شيء مسده . و مثله "حبذا زيد" إذا حمل على الحذف .

و جزم كثير من النحويين في نحو "عمرك لأفعلن" و "أيمن الله لأفعلن" بأن المحذوف الخبر . و جوز ابن عصفور كونه المبتدأ . و لذلك لم يعدّه فيما يجب فيه حذف الخبر ، لعدم تعيّنه عنده لذلك . قال : و التقدير إمّا "قسمي أيمن الله" أو "أيمن الله قسم لي" . انتهى . ولو قدرت "أيمن الله قسمي" لم يمتنع . إذ المعرفة المتأخرة عن معرفة يجب كونها الخبر على الصحيح . انتهى كلام ابن هشام .

و قال أيضًا فيه ص١٥٥ ، ما حاصله : أن "نعم الرجل زيد" على تقدير تسليم الحذف فيه محمول على حذف المبتدأ . أي هو زيد . و جوّز ابن عصفور في المخصوص المؤخر أن يكون مبتدأ حذف خبره . و يردّه أن الخبر لا يحذف وجوبًا إلّا إذا سدّ شيء مسده . و ذلك وارد على الأخفش في "ما أحسن زيدًا" صيغة التعجب . حيث ادّعى أن الخبر محذوف بناء على أن "ما" معرفة موصولة أو نكرة موصوفة و ما بعدها صلة أو صفة . هذا . والله أعلم .

فصل
في تفصيل شرط حذف الخبر وجوبًا

اعلم : أن وجوب حذف الخبر مشروط بكون المبتدأ نصًّا في القسم كما سبق . فلابد أن نفصل ما يكون نصًّا و ما لا يكون نصًّا . فأقول و من الله التوفيق و التوقيف :

قال ابن عقيل في شرح الألفية ج١ ص١١٣ : فإن لم يكن المبتدأ نصًّا في اليمين لم يجب حذف الخبر نحو "عهد الله لأفعلن" التقدير : عهد الله عليّ . فعهد الله مبتدأ و "عليّ" خبره . و لك إثباته و حذفه . انتهى .

و إنما لم يكن هذا نصًّا في القسم لاستعماله في غيره كثيرًا كعهد الله يجب الوفاء به و أوفوا بعهد الله . و لا يفهم منه القسم إلّا بذكر المقسم عليه . بخلاف "لعمرك" فإنه غلب استعماله فيه حتى لا يفهم منه غيره إلّا بقرينة .

فمرادهم بالنص و غيره غلبة الاستعمال و عدمها لا الصريح و الكناية . فلا ينافي تسوية الفقهاء بين "العَمر" و "العهد" في أنهما كناية عن "يمين" لأن مرادهم اليمين الشرعي الموجب للإثم ، وهو لا يكون إلّا بأسماء الله و صفاته ، لا اللغوي الأعم . و لا يعتد بهما شرعًا إلّا إذا نوى بالعَمر بقاء الله أو حياته ، و بالعهد استحقاقه لما أوجبه علينا من العبادات . بخلاف ما إذا أطلق أو نوى بهما نفس العبادة لأنهما يطلقان عليها كما نقل عن سم . فتدبر . كذا في الخضري .

و **قال** الحافظ السيوطي رحمه الله في همع الهوامع : الثاني : إذا وقع خبر قَسَم صريح نحو "لعمرك" و "أيمن الله" و "أمانة الله" . و إنما وجب حذفه لكونه معلومًا و قد سد الجواب مسده ، بخلاف غير الصريح فلا يجب حذف خبره بل يجوز إثباته نحو "عليّ عهد الله لأفعلنّ كذا" لأنه لا يشعر بالقسم حتى يذكر المقسم عليه . انتهى .

فقد زاد السيوطي لفظًا آخر و هو "أمانة الله" من القسم الصريح .

و **عدّ** الشيخ الرضي قوله "أمانة الله" من غيرالصريح حيث قال في شرح الكافية ج٢ ص٢٨٢ عند بحث حروف الجر : و إن لم يتعين للقسم "كأمانة الله" و "عهد الله" و "يمين الله" جاز لك حذف الخبر و إثباته . و المراد "بأمانة الله" ما فرض على الخلق من طاعته كأنّها أمانة له تعالى عندهم ، يجب عليهم أن يؤدّوها إليه تعالى سالمًا ، قال الله تعالى : إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمٰوٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا . الآية .

و معنى "يمين الله" ما حلف به تعالى من قوله "وَٱلشَّمْسِ" "وَٱلَّيْلِ" "وَٱلضُّحَىٰ" و نحوها . أو

اليمين التي تكون بأسمائه تعالى نحو "والله" "و رب الكعبة" "والخالق" و نحو ذلك . و المعنى : يمين الله يميني . و يجوز إثبات الخبر نحو "عليّ أمانة الله" و "عليّ عهد الله" و "عليّ يمين الله" .

و أيضًا قال الرضي في الكافية ج٢ ص٢٨٤ ، عدّ "ظنّ" بمعنى القسم الغير الصريح حيث قال : و قال بعضهم : إن قوله تعالى : وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ . "ظنوا" بمنزلة القسم و "ما لهم" جوابه . و ليس بنص إذ يحتمل التعليق . انتهى .

فصل
في ملخّص إعراب " أيمن الله "

خلاصة إعراب "أيمن الله" أن جواز الوجهين فيه و هما حذف الخبر أو حذف المبتدأ إنما هو على تقدير كونه مرفوعًا . و جوّز ابن درستويه جره بواو القسم الجارة . فيقال : و أيمنِ الله . فعلى هذا لايكون المحذوف إلّا المبتدأ . إذ لا يصح وقوع الجار و المجرور مبتدأً .

و أيضًا على تقدير كون " أيمن " اسمًا و على مسلك الرماني و الزجاج القائلين بأنه حرف جر إنما هو خبر ، و المبتدأ محذوف ليس إلاّ .

ثم اعلم : أن ما هو وجه إعراب "أيمن الله" و تركيبه النحوي هو وجه إعراب لغاته عن آخرها . بخلاف "من" و "م" بلغاتهما ، حيث اختلف في ذلك . فمن قال : إنهما حرفان و ليسا بقية "أيمن" كابن مالك رحمه الله تعالى و غيره فالمحذوف المبتدأ فقط على قولهم .

فصل
في البحث الثالث

البحث الثالث في لغات "أيمن" . من عجائب اللغة العربية و مزاياها التي لا تجاريها لغة أخرى أنّ في "أيمُن" لغات كثيرة حتى أن بعض الأعلام أنهاها إلى عشرين لغةً .

اعلم : أن كثرة لغات كلمة تدل على كثرة دورانها على الألسنة ، و شدّة خطورها في الأفئدة كما أن كثرة الأسماء يشعر بذلك و بشرف المسمّى . يدلك على ما قلنا كثرة أسماء الله تعالى و أسماء رسول الله ﷺ و كثرة أسماء الأسد و العسل و السيف .

ثم اعلم : أن في لفظ "أيمن" لغات كثيرة . وهي كما في بعض الكتب "أيمن" و "أيم" و "أم" بفتح الهمزة و كسرها مع ضم الميم فيهما . و "م" و "من" بتثليث الميم فيهما . و يجب إضافة الكل للفظ الجلالة . انتهى ما في الخضري على ابن عقيل ج٢ ص٢٠٣ .

و قال ابن الأثير رحمه الله تعالى في النهاية ج٤ ص٢٦٨ : و "أيمن" من ألفاظ القسم . تقول "ليمن الله لأفعلن" و "أيمن الله لأفعلن" و "أيم الله لأفعلن" بحذف النون . و فيها لغات غير هذا . و الألف فيها ألف وصل تفتح و تكسر . انتهى .

و في بعض كتب اللغة : "أيمن الله" اسم وضع للقسم . و فيه لغات : منها "أيمن الله" بفتح الهمزة و ضم الميم و "إيمن الله" بالكسر فالضم و "أيمن الله" بفتحهما و "أيمن الله" بفتح فكسر و "أيم الله" بفتح الهمزة و ضم الميم و "إيم الله" بكسرتين و "أم الله" بتثليث الميم و "من الله" بتثليث الميم و النون و "م الله" مثلثة . انتهى بزيادة .

و قال العلامة الفيومي رحمه الله تعالى في المصباح : و قد يختصر فيقال "أيم الله" بحذف الهمزة والنون . ثم اختصر ثانيا فقيل "م الله" بضم الميم و كسرها . انتهى .

قال الرضي في شرح الشافية ص١٨٧ في بحث الابتداء بالهمزة : وفتحت الهمزة في "أيمن" لمناسبة التخفيف . ألا ترى إلى حذف الخبر في "أيمن الله" و "لعمرك" وجوبًا و حذف النون من "أيمن" . و حكى يونس عن بعض العرب كسر همزة "أيمن" و "أيم" . انتهى كلامه .

و قال العلامة الأشموني رحمه الله تعالى في شرح الألفية ج٤ ص٢٠٨ : في "أيمن" اثنتا عشرة لغة جمعها ابن مالك رحمه الله تعالى في هذين البيتين :

همز أيم وأيمن فافتح واكسر أو أم قل   أو قل مُ أو مِن بالتثليث قد شكلا

و إيمن اختم به و الله كلاًّ أضف إليـه في قسمٍ تستوفِ ما نقـلا

قال العلامة الشيخ الصبان رحمه الله تعالى في شرح هذين البيتين : قوله "همز أيم و أيمن" بنصب همز على المفعولية ، و وصل همزة أيم و أيمن ، و نقل حركة همزة "أو" إلى راء "اكسر" و كسر همزة "إم" و ضم ميمها . و قوله "فافتح و اكسر" أي مع ضم الميم فيهما . و قوله "أو من" بضم النون . و قوله "بالتثليث" أي تثليث الميم راجع "لِم" و "من" . و قوله "و إيمن اختم به" أي بكسر الهمزة و فتح الميم .

و الحاصل أن همزة "أيمن" إن فتحتْ تعيّن ضم الميم ، و إن كسرت جاز ضمها و فتحها . انتهى . يس على الفاكهي مع زيادة من الفارضي .

و نقل شيخنا السيد عن شرح الشافيـة : "أم" بفتح الهمزة و ضم الميم . و "أيمن" بفتح الهمزة و الميم بدل "إيمن" بكسر الهمزة و فتح الميم . و على هذا لا يتعيّن في "أيمن" مفتوح الهمزة ضم الميم . و تحصل من مجموع ذلك أربع عشرة لغة .

و قوله "كلاًّ أضف" بنقل حركة "أضف" إلى تنوين "كلا" . انتهى كلام الصبان .

قال العبد الضعيف البازي : حاصل هذه اللغات الاثنتي عشرة المجموعة في بيتي ابن مالك رحمه الله تعالى أن اللغة الأولى و الثانية "أيمُ" بفتح الهمزة و "إيمُ" بكسرها مع ضم الميم فيهما .

و الثالثة "أَيمُن" بفتح الهمزة و ضم الميم . ولا يجوز مع الهمزة المفتوحة كسر الميم ولا فتحها .

و الرابعة و الخامسة "إيمُن" بكسرالهمزة وضمّ الميم و "إيمَن" بكسر الهمزة و فتح الميم . ولا يسوغ مع الهمزة المكسورة كسر الميم .

و السادسة "إمُ" بكسر الهمزة و ضم الميم .

و السابعة و الثامنة و التاسعة "مِ" و "مَ" و "مُ" بكسر الميم و فتحها و ضمها .

و العاشرة و الحادية عشرة و الثانية عشرة "مِنُ" و "مَنُ" و "مُنُ" بكسر الميم و فتحها و ضمها مع ضم النون في الجميع .

و ما نقله الشيخ الصبّان عن شرح الشافية لغتان : الأولى "أَمُ" بفتح فضم ، و قد ذكرنا فيه كسرًا فضمًّا . فعلم من كلامه هذا أنه لا يجوز فيه ضم الهمزة مع ضم الميم .

و الثانية "أَيمَن" بفتح الهمزة و فتح الميم . و مجموع ما ذكرنا أربع عشرة لغة .

ثم إن الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى أوصل لغاته إلى عشرين حيث قال في جمع الجوامع و شرحه همع الهوامع ج٢ ص٣٩ : الخامس من حروف القسم الجارة "أَيمُن" بفتح الهمزة و ضم الميم . و يقال فيه "إِيمُن" بالكسر فالضم ، و "أَيمَن" بفتحهما ، و "إِيمَن" بالكسر فالفتح ، و "إِيمُ" بالكسر و الضم لغة لسليم ، و "أَيمُ" بالفتح فالضم لغة لتميم ، و "إِيمِ" بكسرتين .

و "هَيمُ" بفتح الهاء مبدلة من الهمزة فالضم . قال أبوحيان : وهي أغرب لغاتها . و "إِيمِ" (لعلّه إِمِ) بكسرتين . و "أَمَ" بفتحتين . و "أَمُ" بالفتح فالضم . و "أَمِ" بالفتح والكسر . و "إِمُ" بالكسر فالضم لغة أهل اليمامة . و "إِمَ" بالكسر و الفتح . و "مُنُ" مثلّث الحرفين ، أي الميم و النون ، أي بفتحهما و كسرهما و ضمهما .

و "مُ" مثلّثًا . حكى الفتح الهروي ، و حكى الكسر و الضم الكسائي و الأخفش . و إن رجلا من بني العنبر سئل : ما الدهدران ؟ فقال : م ربّي ، الباطل . فهذه عشرون لغة . حكى ابن مالك رحمه الله تعالى منها بضع عشرة . والسبب في كثرة تصرُّفهم في كلمة "أيمن" كثرة الاستعمال . انتهى كلام السيوطي رحمه الله تعالى .

جدول لغات كلمة "أيمن"

١ - أَيْمُن	٦ - أَيْمُ	١١ - أَمَ	١٦ - مِنِ
٢ - إِيْمُن	٧ - إِيْمِ	١٢ - أَمُ	١٧ - مُنُ
٣ - أَيْمَن	٨ - هَيْمُ	١٣ - إِمُ	١٨ - مَ
٤ - إِيْمَن	٩ - أَمِ	١٤ - إِمَ	١٩ - مِ
٥ - إِيْمُ	١٠ - إِمِ	١٥ - مَنَ	٢٠ - مُ

تنبيه شريف

اعلم : أنّ في بعض هذه اللغات كلامًا للأئمة ذكروه و فصّلوه في كتبهم .

قال الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٢٨٠ : إن "من" مكسورة الميم وقد يضم و الكسر أكثر حرف جر عند سيبويه ، قامت مقام الباء في القسم . و ضم الميم لدلالة تغير معناها و خروجها عن بابها . كما تقول في العَلَم " شُمس بن مالك " بضم الشين .

و في الجمع و الهمع ج٢ ص٤٠ : جزم ابن مالك رحمه الله في كتابه "سبك المنظوم" بأن "مُِ" و "مُِنُِ" بلغاتهما حرفان ، و ليسا بقية "أيمن" لأن "أيمن" يستعمل مع "الله" فقط ، و قد استعملتا مع غيره . و لأن الاسم المعرب لا يسوغ حذفه حتى يبقى على حرف واحد . و ردّ بأن كثرة تصرُّفهم فيها اقتضى ذلك ، و هو أولى من إثبات حرف جر لم يستقر في موضع من المواضع . انتهى بتصرف .

قال نجم الأئمة الرضي : مذهب الكوفيين أن المضمومة الميم مقصورة من "أيمن" و المكسور بها من "يمين" . و فيه نظر لأن "أيمن" مختص كما يجيء باسم "الله" أو "بالكعبة" . و "من" مختصة بلفظ "ربّي" و لا منع من أن يقال : تغيَّر حكمه بعد اختصاره . و يمكن أن يستدل ببنائه على أنه ليس محذوفًا من "أيمن" لأن اختصار المعرب و ردّه إلى حرفين لا يوجب البناء كما في يد و دم . هذا . والله أعلم بالصواب .

فصل
في البحث الرابع

البحث الرابع في أنّ لفظ "أيمن" اسم أو حرف . اختلف في ذلك أئمّة اللغة و النحو . فقال بعضهم : إنّه اسم . و قال البعض : إنّه حرف . و لكلّ وِجهة هو مولّيها ، و الكل يرمي عن قوسه نبله .

ففي المغني ج١ ص٩٤ : " أيمن " المختص بالقسَم اسم لا حرف . خلافًا للزجاج و الرماني . انتهى .

و في الجمع و شرحه الهمع ج٢ ص٤٠ : و الأصح أنه اسم . و قال الرماني و الزجاج : هو حرف جر . قال أبوحيان : و هو خلاف شأنه .

قال العبد الضعيف البازي : هذا الاختلاف في كلمة "أيمن" نفسها . ويتفرع عليه الاختلاف فيما اختصر منها . و هي اللغات العشرون التي ذكرناها . فإن كانت كلمة "أيمن" اسمًا كان جميع لغاتها أسماء ، و إن كانت حرفًا تكون تلك اللغات بأسرها حروفًا . هذا مجمل الكلام .

و تفصيل المرام بحيث ينحل به الكلام أن القائلين بحرفيتها قالوا بحرفيتها بجميع لغاتها بغير اختلاف بينهم .

و أمّا الذين قالوا : إنها اسم و هم الجمهور فاختلفوا في بعض لغاتها .

فمنها "م" و "من" بجميع لغاتهما ، فقيل : إنهما اسمان اختصرا من كلمة "أيمن". و أقرّ السيوطي رحمه الله تعالى ذلك في الهمع .

و قال ابن مالك رحمه الله تعالى في كتابه سبك المنظوم : إنهما حرفان . و ذكر قوله السيوطي في الجمع و أقرّه . لأنهما لو كانا من بقية "أيمن" لم يستعملا إلّا مع اسم الله "كأيمن" و قد استعملتا مع غيره . إذ حكي : من ربّي لأفعلنّ كذا . و لأنّ الاسم المعرب لا يجوز حذفه حتى يبقى على حرف واحد .

و ردّ بأن كثرة تصرُّفهم فيها اقتضى ذلك . و هو أولى من إثبات حرف جر لم يستعمل و لم يستقر في موضع من المواضع .

و قال الرضي : مذهب سيبويه أن "من" القسمية مكسورة الميم و قد تضم حرف جر قامت مقام الباء . و مذهب الكوفيين أن المضمومة الميم مقصورة من "أيمن" و المكسور بها مقصورة من "يمين".

ثم قال ، ما حاصله : أن المختار أن "من" بضمتين و كسرتين و فتحتين حرف . و فصّل ذلك تفصيلاً .

و أمّا "م" فقيل : حرف مقصور من كلمة "من" على ما قال سيبويه ، واختاره جار الله . وقيل :

مقصور من "أيمن". فعلى الأوّل حرف و على الثاني اسم. و قيل: "م" بدل عن واو القسم كالتاء لكونهما شفهيتين. هذا.

فصل
في البحث الخامس

البحث الخامس في بيان أنّ لفظ "أيمن" هل هو جمع أو مفرد، قولان لعلماء العربيّة و النحو.

تفصيل المقام بحيث ينحلّ به المرام أنّ الأئمّة اختلفوا في لفظ "أيمن" فقال البصريون و عليه الجمهور من الأدباء و النحاة: إنه مفرد. و قال الكوفيون: إنه جمع "يمين". تمسك الكوفيون بوجوه:

الوجه الأوّل: أنه يؤدّي معنى لفظ اليمين. فيجب أن يحمل عليه.

الوجه الثاني: أنه على وزن الجمع وهو أفعُل مثل "أفلس" جمع فلس، و "أكلب" جمع كلب. و ليس في كلامهم مفرد على أفعل إلاّ كلمة أو كلمتين. و هما أشُدّ و أجُرّ فيمن خفّف الراء و آنُك.

قال ابن فارس في المجمل: سمعت أبا الحسن القطان يقول: سمعت ثعلبا يقول: حكى أبوالمنذر عن القاسم عن معن أنه سمع أعرابيا يقول: هذا رصاص آنُك، و هو الخالص. قال: ولم يوجد في كلام العرب أفعُل غير هذا الحرف.

و حكي عن الخليل أنه لم يجد أفعُلاً إلاّ جمعًا غير أشدّ. انتهى. قال الله تعالى: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ. بل أنكر سيبويه وجود هذا الوزن في المفردات مطلقًا.

و أجاب عن بعض المفردات المسموع على أفعل كما نقل عنه الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في المزهر ج٢ ص٥٢ حيث قال: قال سيبويه: لم يأت في الكلام على مثال أفعُل للواحد. إنما هو من أبنية الجمع.

قال الإمام المرزوقي رحمه الله تعالى: و من جعل منه "أبهل" و "أسنمة" فالمعروف فيه ضم الهمزة، و "آنُك" و "آوُن" فهو فارسي، و "أمرُع" و "أشُد" فهما جمعان، و كذا "أنعُم" اسم موضع، أصله جمع سمي به. انتهى كلام الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى.

و قال السيوطي رحمه الله تعالى أيضًا في المزهر ج٢ ص١٠ : وممّا جاء أفعُل مكسّرًا اسمًا "أكلب" و صفةً "أعبد" . و أثبت بعضهم أفعُلاً في المفردات . و ذكر أعلاما لرجال و مواضع . و الصحيح وجوده فيها لثبوت "أبهُل" نباتًا ، و "أصبُع" لغةً في إصبع ، و "أنمُلة" لغة في أنملة ، و "أفُرّة" لغة في أفرّة . انتهى .

و في المزهر أيضًا ج٢ ص١١٤ : قال ابن مالك رحمه الله تعالى : كل ما هو على أفعُل فهو جمع إلاّ ألفاظًا ، و نظمها فقال :

في غير جمع أفعُل كأبلُم ... و أجرُب و أذرح و أسلُم

و أسعُف و أصبُع و أصوع ... و أعصُر و أقرُن به اختم

قال ابن الأنباري رحمه الله تعالى في الإنصاف ج١ ص٤٠٤ : ذهب الكوفيون إلى أن قولهم في القسم "أيمن الله" جمع يمين . و ذهب البصريون إلى أنه اسم مفرد مشتق من اليمن .

أمّا الكوفيون فاحتجّوا بأن قالوا : الدليل على أن "أيمن" جمع "يمين" أنه على وزن "اَفعُل" أي بفتح الهمزة و سكون الفاء و ضمّ العين . وهو وزن يختص به الجمع ، ولا يكون في المفرد . يدل عليه أن التقدير في "أيمن الله" أي "عليّ أيمن الله" أي "أيمان الله عليّ فيما أقسم به"، وهم يقولون في جمع يمين "أيمن" . قال زهير :

فتجمع أيمنٌ مِنّا و منكم ... بمقْسَمة تَمُور بها الدِّماء

و قال الأزرق العنبري :

طِرن انقطاعةَ أوتارٍ مُحظْرَبة ... في أقوس نازعتها أيمن شملا

و قال الآخر : يأتي لها من أيمن و أشمُل .

ثم قال : و أجاب البصريون عن قول الكوفيين هذا : بأنا لا نسلم أن هذا الوزن يختص بالجمع ، بل قد جاء ذلك في المفرد . فإنهم قالوا : رصاص آنك ، و هو الخالص . و قالوا "أسنُمة" اسم موضع و "أشدّ" على الصحيح ، و هو منتهى الشباب و القوة . و قيل : هو الحلم . انتهى ما في الإنصاف .

الوجه الثالث : ما قيل في تأييد الكوفيين أن سيبويه رحمه الله تعالى لم يذكر "أفعُلاً" في أبنية الجمع

بل أنكر عن ذلك كما نقلنا عنه آنفا . و كفى به حجة .

الوجه الرابع : أن الخليل رحمه الله وهو أعلى كعبًا من سيبويه و شيخه أنكر عن وجود هذا الوزن في المفردات ما خلا "أَشُدّ" كما لاح لك سابقًا . و كفى بالخليل قدوةً .

الوجه الخامس : أن الإمام ثعلبًا لم يذكر سوٰى "آنك" أي في المفرد . وهو إمام بل إمام الأئمة و معاصر للمبرد . و كفى به أسوةً .

الوجه السادس : أن المتأخرين من الأئمـة الذين نمقنا كلامهم سابقًا كالإمام المرزوقي و ابن مالك و السيوطي و ابن الفارس رحمهم الله لم يذكروا "أيمنًا" عند استيعابهم المفردات على وزن أفعُل .

الوجه السابع : قد لاح لك من إنكار سيبويه من وجود وزن أفعُل في المفردات خطأ ما عزوا إليه القول بإفراد "أيمن" . فنظرًا إلى هذا يوافق قولُ سيبويه قول الكوفية .

و على التسليم تعارضـ قولا سيبويه فتساقطا . إذ لا يعلم أيُّ العزوين خطأ . فبقي أقوال سائر الأئمة مصونة بلا تعارض . و هي تدل على كونه جمعًا .

الوجه الثامن : على تسليم عزو إفراد "أيمن" إلى سيبويه ، و تسليم ترجيحـه ذلك نرجّح قول الخليل المنكر عن ثبوت وزن المفرد على أفعُل سوى "أشد" . و لاريب أنّ الخليل أعلى شانًامن سيبويه ، لكونه شيخ سيبويه وأستاذه ، و لِما قال صاحب إعراب الفاتحة : إنّ الخليل لم يخلف بعده أحدًا يجاريه .

الوجه التاسع : أن "أيمن الله" قسم ، والقسم إنما يورد للتاكيـد . فقولنا "أيمن الله لأفعلن" آكد ما يكون عند كون "أيمن" جمعًا لا مفردًا . لأن الأيمان المتعددة آكد من يمين واحدة ، و الكلام المشتمل على أيمن متعددة أوقع من الكلام الحاوي على يمين واحدة . و لذا يقولون عند التاكيد في القسم : والله والرحمن والقدير لأفعلن كذا . بتعدّد الأيمان .

قلت : و يطربني هذا الوجه ، و هو مما ألهمني الله تعالى كما ألهمني أكثر الوجوه المذكورة في هذا الفصل . ولله الحمد .

فإن الجمع عندهم في حكم الأفراد المتعددة المعطوفـ بعضها على بعض بالواو . ففي التحفـة

النظامية : أنّ الجمع موضوع للآحاد المجتمعة دالًّا على تلك الأفراد دلالة تكرار الواحد بالعطف ، كزيدون فإنه في قوة "زيد و زيد و زيد" .

و أمّا اسم الجمع فهو موضوع للآحاد دالًّا على تلك الأفراد دلالة المفرد على جملة أجزائه ، كقوم و رهط فإنهما يدلّان على مجموع الأفراد . انتهى ما في التحفة .

و في كتاب الكشكول للبهاء العاملي مؤلف خلاصة الحساب و تشريح الأفلاك : أن الاسم الدال على أكثر من اثنين بشهادة التأمل إمّا أن يكون موضوعًا للآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف ، و إمّا أن يكون موضوعًا لمجموع الآحاد دالًّا عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسمّاه . و الأوّل هو الجمع . و الثاني هو اسم الجمع . كذا قال ابن مالك رحمه الله سبحانه . انتهى ما في الكشكول .

فعلى هذا يكون "أيمن الله لأفعلن" في قوة : يمين الله و يمين الله و يمين الله إلى عشرة . لأن منتهى مدلول "أيمن" عشرة أيمان ، لكونه جمع قلّة . و جمع القلّة يدل على ثلاثة إلى عشرة . و الأنسب الأمسّ بالمرام ههنا إرادة الأكثر وهو عشرة لا إرادة الأقلّ و هو ثلاثة . لأن المقام مقام المبالغة و التاكيد . فالأمس بالمرام الكثرة .

الوجه العاشر : معنى "أيمن الله" متعدد . والدال على المعنى المتعدد إنما هو الجمع . فيجب أن يكون "أيمن" جمعًا لا مفردًا .

و إنما قلنا : إن معناه أمر متعدد ، لما قالوا : إن المراد "بأيمن الله" و "يمين الله لأفعلن كذا" ما حلف به الله تعالى من قوله "وَٱلشَّمْسِ" "وَٱلَّيْلِ" "وَٱلضُّحَىٰ" "وَٱلْقَلَمِ" و "لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ" و نحوها . أو اليمين التي تكون بأسمائه تعالى نحو "والله" "وربّ الكعبة" "والخالق" و نحو ذلك . قاله نجم الأئمة الرضي في بحث حروف الجر و غيره من النحاة .

فالأنسب بالنظر إلى ما ريم و عني "بأيمن" أن يقال بجمعيته دون إفراده . فإن الدال على الأمور المتعددة إنما هو الجمع لا المفرد .

الوجه الحادي عشر : قد استقرّ عند المحققين أنه إذا تعارض وزنان في كلمة و أشكل أمرهما فالترجيح بالأشهريّة و الأوسعيّة . فتردّ الكلمة عند وقوع الإشكال إلى ما هو أمكن و أشهر .

و هذا القانون يقتضي كون "أيمن" جمعًا . لأن وزن "أفعُل" على تقدير ثبوته في المفردات أشهر و أوسع و أفصح في الجمع منه في المفرد .

الوجه الثاني عشر : "أيمن" عند البصرية القائلين بإفراده من "اليمن" وهو البركة . و عند الكوفية القائلين بأنه جمع من "اليمين" وهي القسم . وقد تحقق عند الأئمة قانون معروف مسلّم ، و هو أنه إذا تعارض اشتقاقان مأخذًا لِكلمةٍ فالترجيح بالأمكنية .

و هذا القانون يقتضي أن يردّ "أيمن" إلى اليمين . لأن الباب باب اليمين و القسم . و الاشتقاق في باب اليمين من اليمين أمكن و أرجح و أسبق إلى الذهن من غيرها .

الوجه الثالث عشر : اشتقاق "أيمن" من اليمين أظهر و أوضح . لأن معنى اليمين متبادر . و حمل الكلام على المعنى المتبادر أعلق بالقلوب و أمسّ بالعقول .

الوجه الرابع عشر : معنى اليمين أخص و معنى اليمن أعم بالنسبة إلى باب اليمين . إذ لايختص اليمن باليمين ، بل يتحقق في غير اليمين و القسم أيضًا . و صرح علماء الاشتقاق أن الأخص يرجح على الأعم كما سيأتي .

الوجه الخامس عشر : الاشتقاق من "اليمين" و الأخذ منها أحسن تصرفًا و أسهل . لأنّ الباب باب اليمين .

الوجه السادس عشر : أن الأخذ من "اليمين" أقرب إلى الذهن لكون الباب باب اليمين . و الآخر أبعد .

الوجه السابع عشر : الأخذ من "اليمين" أليق بالمقام من الآخر . فيكون أولى .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : دليل هذه الوجوه الستة من الوجه الثاني عشر إلى الوجه السابع عشر ما قال الحافظ السيوطي رحمه الله في المزهر ج١ ص٣٤٩ : إذا تردّدت الكلمة بين أصلين في الاشتقاق طلب الترجيح . و للترجيح وجوه :

أحدها : الأمكنية كمهدد علمًا من "الهد" أو "المهد" فيردّ إلى المهد . لأن باب كرم أمكن

و أوسع و أفصح و أخف من باب كر . فيرجح بالأمكنية .

الثاني : كون أحد الأصلين أشرف . لأنه أحق بالوضع له ، و النفوس أذكر له و أقبل كدوران كلمة "الله" فيمن اشتقها بين الاشتقاق من "إله" أو "لوه" أو "وله" فقال : من أله أشرف و أقرب . ومعنى "أله" تحير ، لأن العقول تتأله في عظمته ، أو من "أله إلى كذا" لجأ إليه . و في القاموس : لاه الله الخلق . خلقهم . ثم قال : لاه يليه . تستر . و جوّز سيبويه اشتقاق لفظ الجلالة منها .

الثالث : كونه أظهر و أوضح كالإقبال و القبل .

الرابع : كونه أخص ، فيرجح على الأعم كالفضل و الفضيلة . و قيل عكسه .

الخامس : كونه أسهل و أحسن تصرفًا كاشتقاق المعارضة من العرض بمعنى الظهور ، أو من العُرْض و هو الناحية . فمن الظهور أولى .

السادس : كونه أقرب و الآخر أبعد . كالعقار يردّ إلى عقر الفهم لا إلى أنها تسكر ، فتعقر صاحبها .

السابع : كونه أليق كالهداية بمعنى الدلالة لا بمعنى التقدم من الهوادي بمعنى المتقدمات .

الثامن : كونه مطلقا ، فيرجَّح على المقيد كالقرب و المقاربة .

التاسع : كونه جوهرًا و الآخر عرضًا لا يصلح للمصدرية ولا شانه أن يشتق منه . فإن الردّ إلى الجوهر حينئذ أولى ، لأنه الأسبق . فإن كان مصدرًا تعيّن الردّ إليه ، لأن اشتقاق العرب من الجواهر قليل جدًّا . والأكثر الاشتقاق من المصادر . و من الاشتقاق من الجواهر قولهم "استحجر الطين" و "استنوق الجمل" . انتهى ما ذكره السيوطي بتصرف .

الوجه الثامن عشر : من وجوه ترجيح مذهب الكوفية القائلين بأن الأيمن جمع يمين أنه يلزم على مذهب الكوفية حمل الكلمة على الحكم الشائع الدائر . و على مذهب سيبويه و أحزابه يلزم ردّها إلى ما هو شاذ . و الردّ إلى الحكم الذائع أولى من الردّ إلى الشاذّ ، بل هو المتعين عند فقد ضرورة داعية إلى الشاذ .

و حاصل البحث أن البصرية و الكوفية أطبقوا على شذوذ همزة الوصل و قلّة تحققها في الأسماء ما خلا المصادر ، حتى لا تزيد تلك الأسماء على عشرة ، و هي "امرؤ" "امرأة" "اثنان" وغيرها كما ستأتي .

فالأصل عدم همزة الوصل في الأسماء مهما أمكن . و المحافظة على الأصل واجبة . فالواجب بالنظر إلى تقرير هذه الضابطة أن تكون همزة "أيمن" قطعية كما قال الكوفيون ، لا وصلية كما لهج به البصريون . و قطعيتها تقتضي كون "أيمن" جمعًا .

الوجه التاسع عشر : يلزم على مسلك سيبويه و أحزابه ردّ كلمة "أيمن" إلى الأشذّ الأندر . و التوقّي عن الشاذ النادر والاجتناب عن القول به واجب علينا ما استطعنا . فما بال الأشذّ الأندر .

إيضاح الكلام بفضل الملك المنعام أن النحاة أجمعوا على أن همزة الوصل لا تكون إلّا مكسورة سواء كانت في الاسم أو في الفعل . و أمّا "أل" للتعريف فعند الخليل نحو "هل" فليست الهمزة فيها وصلًا . و على التسليم فهي حرف و ليست اسمًا . و أمّا "أل" الموصولة فعند بعض النحاة حرف أيضًا كما فصل في موضعها . و على تقدير كون لفظ "أل" اسمًا يقال : إنه محمول على "أل" الحرفية . و الاستدلال بكلمة "أيمن" مصادرة . و مع قطع النظر عن قبح المصادرة لايخلو عن ندرة و شذوذ .

و بعد اللتيا و التي تحقُّق همزة الوصل ولو مكسورة في الأسماء ما سوٰى المصادر شاذّ نادر قليل . و أمّا تحقّق همزة الوصل المفتوحة في الأسماء كلفظ "أيمن" على وفق ما اختاره سيبويه فأشذّ و أندر .

و هذا البيان الشافي و الكلام الوافي يقتضي كينونة مسلك سيبويه و أحزابه في لفظ "أيمن" مرجوحًا و مردودًا . إذ يلزم على طبق مذهب سيبويه ردّ كلمة "أيمن" إلى الأشذّ الأندر ، و هو القول بوجود همزة الوصل المفتوحة في الأسماء . و الاجتناب عن اختيار الشاذ النادر واجب ، فعن اختيار الأشذّ الأندر أولى .

فحصحص و ثبت أن همزة "أيمن" المفتوحة ليست وصلية كما قال سيبويه ، بل قطعية كما قال الكوفيون . فتكون كلمة "أيمن" جمعًا لا مفردًا .

الوجه العشرون : اختلفوا في "أيمن" هل هو مفرد فهمزته وصلية أو جمع فهي قطعية . و اتفقوا على عدم ثبوت همزة الوصل المفتوحة في اسم غير "أيمن" . فيجب حمل المختلف على المتفق . إذ هو

أقضى على المختلف و أملك للحاكم منه . و هذا القانون من المسلَّمات . فعلى هذا ثبت أن "أيمن" جمع ، و همزته همزة قطع .

الوجه الحادي و العشرون : قد استعمل "يمين" بمعنى القسم في هذا الباب . يقال : يمين الله لأفعلن . كما استعمل "أيمن الله" فيه . و حذف خبره . و التقدير : يمين الله قسمي . كما حذف خبر "أيمن الله" . و لم يستعمل "يُمن" بمعنى البركة في القسم . فلا يقال عند إرادة القسم : يمن الله لأفعلنّ .

ثم لمّا وقع الاختلاف في أن "أيمن" هل هو من اليمين أو من اليُمن وجب ردّه إلى اليمين . لكونهما متجانسين و متآخيين في باب القسم . و الجنس أميل إلى الجنس منه إلى خلافه ، و أقضى و أملك عند الاختلاف ، لاسيما الجنس الذي هو واحد الجنس الآخر . فإن الواحد أجلب لجمعه إليه عند التجاذب بين هذا الواحد و غيره .

الوجه الثاني و العشرون : في "أيمن" لغات كثيرة كما ذكرنا . و منها "أم" و فيها ست لغات .

"فأم" بلغاتها الستّ يهدينا السبيل إلى قطع همزها قطعًا . إذ لو كانت وصلاً لحذفت لعدم الضرورة ، كما حذفت في "سم" على تثليث السين ، لغات في لفظ "اسم" . فيكون جمعًا لا مفردًا .

قال ابن الأنباري في الإنصاف ج١ ص٤٠٧ : الذي يدل على أن الهمزة في "أيمن" ليست همزة وصل أنها تثبت في قولهم "أم الله لأفعلن" فتدخل الهمزة على الميم و هي متحركة . و لو كانت همزة وصل لوجب أن تحذف لتحرك ما بعدها .

ثم ذكر جواب البصرية بقوله : قلنا : إنما تثبت الهمزة فيه من وجهين :

أحدهما : أن الأصل في الكلمة "أيمن" فالهمزة داخلة على الياء و هي ساكنة . فلمّا حذفت الياء و حذفها غير لازم بقي حكمها .

و الثاني : أن حركة الميم حركة إعراب و ليست لازمة ، و تسقط في الوقف . فلذلك ثبتت الهمزة الوصلية .

و الدليل على ذلك أن العرب تقول في الأحمر "ألحمر" فلا يحذفون همزة الوصل . لأن حركة

اللام ليست بلازمة . و بعض العرب يحذفون الهمزة لتحرك ما بعدها ، على أن من العرب من يقول "م الله" فيحذف الهمزة . انتهى كلامه .

و أنت تعلم ما في هذا الجواب من الضعف . إذ المعروف عند العرب حذف همزة الوصل مطلقًا عند تحرك مابعدها . اللّهم إلّا أن يقال : إن هذا أي عدم حذف همزة الوصل من لفظ "أم" إنما هو من خصائص الجلالة .

الوجه الثالث و العشرون : لا يخفى على المتيقّظ المتفطّن أنّ قولنا "أيمن الله" يدلّ على معنى القسم و اليمين من غير احتياج إلى قرينة .

و أيضًا هذا المعنى أي معنى اليمين هو المتبادر إلى الذهن عند سماع القول المذكور . بخلاف معنى اليُمن و البركة فإنه لا يتبادر إلى الذهن عند سماع هذا القول .

و أيضًا لا يدلّ هذا القول على اليُمن و البركة بغير قرينة واضحة . و هذه القرينة منتفية ههنا كما لا يخفى .

و قد حقّق علماء الأدب و مهرة علم المعاني و البيان أنّ التبادر إلى الذهن علامة المعنى الحقيقي . كما أنّ فهم المعنى من اللفظ و دلالة اللفظ عليه بغير احتياج إلى قرينة علامة كون ذلك المعنى معنى حقيقيًّا لا مجازيًّا .

قال المحقق العلامة محبّ الله البهاري رحمه الله تعالى في كتابه سلّم العلوم : علامة الحقيقة التبادر والعراء عن القرينة . انتهى .

و المراد من التبادر تبادر معناه المستعمل فيه إلى الذهن . قاله بحرالعلوم رحمه الله تعالى في شرح سلّم العلوم ص٥٤ . راجع للاطّلاع على التفصيل شرح السلّم للقاضي مبارك رحمه الله تعالى ص١٤٧ ، و للمحقق ملاحسن رحمه الله تعالى ص٦٦ .

و بالجملة : يستنتج من هذا البيان أن معنى اليمين والقسم بمنزلة المعنى الحقيقي لقولنا " أيمن الله ". و معنى اليُمن و البركة بمثابة المعنى المجازي لهذا القول .

و المعنى الحقيقي و ما يقاربه أولى من المعنى المجازي وما يشارفه إلّا عند الضرورة . و لا ضرورة ههنا .

فثبت أن مسلك الكوفية في هذا الموضوع أرجح و أولى من مسلك سيبويه و أتباعه . هـذا . والله أعلم بالأسرار و الحقائق و علمه أتمّ .

يقول العبد الضعيف البازي : كتبتُ هذه السطور وفرغت من تهذيب هذا البيان البديع الغريب الرفيع الذي لم يمسّه ذهن أحد من السلف و الخلف . و ذلك بعد صلاة الجمعة من رابع شوال بمكة المكرمة ، قدمتها للاعتمار . و أنا جالس في المسجد الحرام مستقبلاً الكعبة المعظمة . و هي بين يديّ أتمتّع بالنظر إليها و إلى غلافها الأسود المبارك ، و بالنظر إلى السعادات القدسيّة و الأنوار الربانيّة و البركات الصمدانية و الرحمات الرحمانية النازلة عليها الغاشية لها كالغيث .

و أسطر هذه الكلمات و أكتب و أهذّب و أنتخب ، و أرى الجمع الكبير من ضيوف الرحمن المصلّين و الذاكرين لله تعالى حواليّ ، و الطائفين العاشقين حول بيت الله ، و أسمع نحيب ضيوف الله الذاكرين العابدين ، و يجذب قلبي جذبًا توالي تهليلات المهلّلين و بكاء الداعين الخاشعين المستجدين ، و يهيّجني إلى العقبى و زيادة الحسنى ، و البكى تتابع ضجيج السائلين المستغفرين ، و أصوات تلهّفات الطالبين المسترشدين ، و يُبكيني أنين التائبين و التائبات ، الباكين و الباكيات ، و نشيج الخاشعين و الخاشعات ، المتبتّلين و المتبتّلات ، و يرضّض كبدي و يعظني استمرار عويل الساجدين و الساجدات ، المعولين و المعولات ،و عجيج أذكار العارفين والعارفات ، المتواضعين والمتواضعات . فطوبى ثم طوبى لمثل هذه الاجتماعات الدينية ، والمجالس الإيمانية ، والأوقات السنيّة ، و الساعات العليّة ، و المقامات القدسيّة ، و النفحات الإلهيّة . اللّهم لا تحرمني من هذه البركات و الأنوار و الرحمات ، و نوّر قلبي بنور معرفتك و نور عبادتك . إنك جواد كريم ملك برّ رؤف رحيم . آمين . هذا .

فصل
في أدلّة البصريّين

استدل البصرية بوجوه :

الوجه الأوّل : أنه يجوز كسر همزة "أيمن" فلو كان جمعًا لما جاز الكسر . إذ لا يجوز في "أفلس" جمع "فلس" كسر الهمزة . فعلم أنه مفرد . و همزته للوصل ، إذ كل جمع همزته قطع .

و **الوجه الثاني :** يجوز فتح عينه و هو الميم . ولا يجوز مثل ذلك في الجمع من نحو "أفلس" و "أكلب" .

قال ابن هشام رَحِمَهُ اللهُ في المغني ج١ ص٩٤ في بيان "أيمن" : هو مفرد مشتق من اليُمن و هو البركة . و همزته وصل . لا جمع يمين و همزته قطع خلافًا للكوفيين و يردّه جواز كسر همزته و فتح ميمه . ولا يجوز مثل ذلك في الجمع من نحو "أفلس" و "أكلب" و قول نصيب حيث قال :

فقال فريق القوم لمّا نشدتهم نعم و فريق ليمن الله ما ندري

فحذف ألفها في "ليمن الله" في الدرج . انتهى كلامه .

و **قال** نجم الأئمة الرضي : وعند سيبويه هو أي "أيمن" مفرد مشتق من اليُمن و هو البركة . انتهى .

و **قال** الحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللهُ في الجمع و الهمع ج٢ ص٤٠ : و الأصح أنه مفرد . و قال الكوفيون : هوجمع يمين على أفعل كأفلس . لأنّ بناء أفعُل لا يوجد في الأسماء مفردًا . و ردّ بأنه لو كان جمعًا للزمت همزته بالفتح و القطع و ميمه الضم مرفوعًا و منصوبًا . انتهى كلامه . هذا .

فصل
في البحث السادس

البحث السادس في بيان أنّ همزة " أيمن " هل هي همزة قطع أو همزة وصل ؟ قولان : الأوّل للكوفية و الثاني للبصرية .

ثم اعلم : أن هذا البحث فرع البحث الخامس . فمن قال بأن "أيمن" جمع قال بقطع همزته ، و من قال بأنه مفرد قال بوصل همزته .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في الجمع و الهمع ج٢ ص٤٠ : و الأصح أن همزه وصل بدليل سقوطها بعد متحرك كقوله :

فقال فريق القوم لا و فريقهم نعم و فريق ليمن الله لا ندري

و قال الكوفيون : بأنها قطع بناءً على أنه عندهم جمع "يمين" . واستدلوا بها مفتوحةً . ولا تكون همزة وصل مفتوحةً . و إبدالها هاءً في بعض اللغات . و أجابوا عن حذفها في الدرج بأنه تخفيف لكثرة الاستعمال ، و لا يبدل من الوصل . انتهى .

و قال العلامة الأشموني رحمه الله تعالى في شرح الألفية ج٤ ص٢٠٧ : و أمّا "أيمن" المخصوص بالقسم فألفه للوصل عند البصريين ، و القطع عند الكوفيين ، لأنه عندهم جمع "يمين" و عند سيبويه و غيره من البصريين اسم مفرد من "اليُمن" و هو البركة . فلمّا حذفت نونه فقيل "أيم الله" أعاضوه الهمزة في أوّله ، و لم يحذفوها لمّا أعادوا النون ، لأنها بصدد الحذف كما قلنا في امرئ . انتهى بزيادة .

و قال شارحه الصبان رحمه الله تعالى : قوله "أعاضوه الهمزة في أوّله" إن كانت الهمزة موجودة قبل الحذف ، فالمعنى قصدوا كونها عوضًا . و إن كان أصله "يمن" بلا همزة فحذفت النون و اجتلبت الهمزة عوضًا عنها . فينبغي أن يقول : فلمّا حذفت نونه أعاضوه الهمزة في أوّله فقيل "أيم الله" . انتهى .

و قال الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٢٨٢ : و "أيمن الله" عند الكوفيين جمع " يمين " فهو مثل " يمين الله " جعلت همزة القطع فيه وصلاً تخفيفًا لكثرة الاستعمال . كما قال الخليل في همزة "أل"

المعـرفة . و عند سيبويه هو مفرد مشتق من اليُمن و هو البركة . أي بركة الله يميني . و همزته للوصل في الأصل .

و الدليل عليه تجويز كسر همزته . وإنما كان الأغلب فتح الهمزة لكثرة استعماله . و يستبعد أن يكون الهمزة في الأصل مكسورة ثم فتحت تخفيفًا لعدم "إفعل" بكسر الهمزة في الأسماء و الأفعال . وكذا قالوا في الأمر من نحو "انصر" بضم الهمزة . ويستبعد إصالة "افعل" في المفردات أيضًا . انتهى .

و في المغني و حواشيه : هو مفرد مشتق من "اليمن" وهو البركة ، وهمزته وصل ، لا جمع "يمين" و همزته قطع ، خلافًا للكوفيين . و يردّه جواز كسر همزته و فتح ميمه . ولا يجوز مثل ذلك في الجمع من نحو "أفلس" و "أكلب" و قول نصيب :

فقال فريق القوم لمّا نشـدتهم　　　نعم و فريق لَيْمنُ الله ما ندري

محصول الكلام و توضيح المرام أن البصرية استدلّت على وصل الهمزة بوجوه :

الأوّل : أنه مفرد من " اليُمن " و اليمن هو البركة . و مادته "ي ، م ،ن" و الهمزة زائدة . فلا مجال فيه إلاّ للهمزة الوصلية .

و الجواب : أنه مصادرة على المطلوب .

الثاني : أن همزته ربما تكسر كما مر في بحث لغاتها . ولا يجوز ذلك في همزة الجمع القطعية من نحو "أفلس" .

و الثالث : قد يكسر ميمه كما لاح مما تقدم . ولا يجوز ذلك في نحو "أكلب" و "أفلس" . فعلم أنه مفرد و همزته للوصل . إذ همزة الجمع لا تكون إلاّ قطعًا .

و الجواب أوّلًا عن هذين الوجهين : أن ذلك لكثرة الاستعمال . و الكثرة تورث العجائب وتفعل الغرائب . و لنا كتاب في آثار كثرة الاستعمال غريب بديع هو نهمة الفاضل النامي و بغية الكامل السامي .

و الجواب ثانيًا عنهما : أن ذلك من خصائص الجلالة .

و الرابع : أنها تحذف في الدرج كما مر من بيت نصيب . وفي حديث عروة : ليمنك لئن ابتليتَ لقد عافيتَ ، و لئن أخذتَ لقد أبقيتَ . رواه ابن الأثير في النهاية ، و الحافظ السيوطي في الدر النثير .

و الجواب : أن هذا من خصائص الاسم "الله" المضاف إليه "أيمن" أو أن ذلك لكثرة الاستعمال ، لاسيما القسم فإنه يختص بجريان أمور لا تجوز في غيره . و ذلك لكثرة الاستعمال .

إن قلت : الأمور المختصّة بالقسم ما هي و ما تفصيلها ؟

قلت : معرفة هذه الأمور تنجدعند الأوام و تزين في مجالس الأعلام . فأقول و بالله التوفيق :

من الأمور الجارية في القسَم عدّ الثابت فيه كالمعدوم . كما قال الرضي في توجيه مذهب البصرية : إن همزة "أيمن" عوض عن نونه . فإن نونه لما كانت تحذف كثيرًا نحو "أيم الله" والقسم موضع التخفيف صار النون الثابت كالمعدوم . راجع الرضي على الشافية ، بحث الابتداء ص١٨٥ .

و من تلك الأمور الجارية في القسَم تخفيفًا : ما قال البصريون أنفسهم كما في الرضي على الشافية ص١٨٧ . إن الهمزة إنما فتحت في " أيمن " لمناسبة التخفيف . لأنّ الجملة القسمية يناسبها التخفيف ، إذ هي مع جوابها في حكم الجملة الواحدة .

و منها : حذف الخبر جوازًا في مثل "عهد الله" و "أمانة الله لأفعلنّ كذا" .

و منها : حذف الخبر وجوبًا في نحو "لعمرك لأفعلنّ كذا" و في "أيمن الله لأفعلنّ كذا" . قاله الرضي .

و منها : حذف المبتدأ وجوبًا كما قال ابن عصفور في "أيمن الله" و "لعَمرك" أي "قسمي يمين الله" و "لقسمي عَمرك" كما مر منا .

و منها : حذف حرفٍ من كلمة بلا قانون صرفي ، نحو "أيم الله" في "أيمن الله" .

و منها : جواز بقاء حرف واحد من كلمة و حذف سائر حروفها ، نحو "م الله" في "أيمن الله" . ولا يجوز مثل هذا الإجحاف في غير القسم إلاّ على الشذوذ في بعض الأشعار كقوله :

* فقلت لها قفي فقالت لي قاف *

و منها : اطّراد حذف الجار وإبقاء عمله كقولهم "اللهِ لأفعلنّ كذا" بجر "الله" أي "والله لأفعلنّ".

و منها : حذف حرف النفي في جوابها . يقال "والله أفعل كذا" أي "لا أفعل كذا" . كذا في المزهر ج١ ص٣٣١ .

هذه عدّة شواهد ذكرناها كي تطمئنّ قلوب الناظرين بصدق ما ادّعينا و صحّة ما سطرنا من أن القسَم لأجل كثرة الاستعمال موضع تخفيف . فيجري و يسوغ في القسم أمور لا تجري ولا تجوز في غير القسم رومًا للتخفيف .

ثم نعود عودًا بعد هذا البيان إلى ما نحن بصدد شرحه في هذا الفصل . و هو ذكر الأدلّة على أن همزة "أيمن" همزة وصل كما قالت البصرية ، أو همزة قطع كما قالت الكوفية . و قد مرّت أدلّة البصرية بأجوبتها .

و أمّا أهل الكوفة فاستدلّوا على كون همزة "أيمن" قطعًا بوجوه مرت متقدمًا في بحث كون "أيمن" جمعًا أو مفردًا . واختلاف هذا الفصل متفرع على الاختلاف المذكور في الفصل المتقدم ، و مرتب عليه ترتب النتيجة على الدليل ، و تفرّع اللازم على الملزوم . فكل ما هو دليل على أن لفظ "أيمن" جمع هو دليل على أن الهمزة قطع . و هي نحو عشرين دليلاً وقد أسلفناها فراجعها . إلاّ أنا نذكر هنا أنموذجًا تبصرة و تذكرة .

الدليل الأوّل : أنه لم يثبت مفرد على وزن "أفعُل" بفتح الهمزة و سكون الفاء و ضمّ العين في كلامهم . و قيل : ثبت " آنك" و "أشدّ" و " آجرّ" على قول التخفيف . و مضى تفصيل ذلك .

و بعد اللتيا والتي لا يخلو القول بثبوت "أفعل" في المفرد عن ارتكاب ما لايستحسن أو عن ترجيح ما هو شاذّ و نادر . فيجب أن يكون "أيمن" جمعًا و همزته قطعًا .

الدليل الثاني : قد ذكرنا أن سيبويه قال بوصل الهمزة و إفراده ، وهو كبش زمرة البصرية . و قد ذكرنا من قبل في الوجه الثاني من البحث الخامس عن سيبويه إنكار وجود وزن "أفعُل" في المفردات . فتعارض قولاه فتساقطا . و لا أقلّ من تحقّق الاضطراب في مذهبه و مذهب البصريين .

الدليل الثالث : أخذ "أيمن" من "اليمين" أولى . لأن المقام مقام القسم ، فتكون جمعًا

و همزته قطعًا .

الدليل الرابع : أجمعوا على أن همزة الوصل لا تطّرد في الاسم سوى المصادر . و لم ينقل تحقّق همزة الوصل إلّا في نحو عشرة أسماء .

الدليل الخامس : على التسليم فهمزة الوصل لا تكون إلّا مكسورة . سواء كانت في الأسماء نحو "امرؤ" و "ابن" و "اسم" أو في الأفعال نحو "اقتصر" و "انصرف" . فلو عدّت همزة "أيمن" وصليةً و هي مفتوحة كانت أشذّ . و لا يكون لها نظير في كلامهم . و حمل الشيء على النظائر و ردّه إليها أولى من خلافه .

الدليل السادس : و مع قطع النظر عن ذلك همزة الوصل إنما تتأتّى في الأسماء إذا كانت عوضًا عن محذوف نحو "ابن" و "اسم" و سيجيء تفصيل ذلك . فلا وجه للقول بوصل همز "أيمن" . نعم له وجه في همز "أيم الله" .

و أجاب البصريون عن الخامس بأن فتحها للتخفيف في كثير الاستعمال لاسيما القسم المقتضي للخفة . صرح به الرضي في شرح الشافية . هذا .

فصل
في ترجيح مذهب الكوفية

قد سنح لك مما مرّ في البحث السادس والخامس أن الأمسّ بالمرام والأعلق بالفؤاد عند من ألقى السمع و هو شهيد مذهب الكوفية القائلين بأنّ "أيمن" جمع ، و أن همزته همزة قطع ، و أن على مسلك البصرية يلزم المسير إلى اختيار الأشذّية و إلى خلاف المتبادر .

ثم إن البصرية و أحزابهم أسندوا إلى سيبويه القول بوصل الهمز في "أيمن" و أنها عنده مفرد من اليمن . ثم قد شاع عنه و سار مسير الأشعّة الإنكار عن وزن "أفعُل" في المفردات كما تقدم منا . كما نقل السيوطي عن سيبويه بل عن شيخ سيبويه رحمه الله الإمام العبقري الخليل رحمه الله أيضًا الإنكار عن وزن "أفعل" في المفردات سوى "أشدّ" . و هل هذا إلّا تدافع غير مدفوع و معضلة ليس لها أبوالحسن . وقد

كفانا هذا التدافع مؤونة ترجيح مسلك الكوفية .

تنبيه

ثم إني متعجّب إلى غاية من جمهور الأئمة المتأخّرين ، و هم الذين يجب علينا مراعاتهم أدبًا ، كابن هشام و الرضي و الزمخشري و العلامة الأزهري و الشيخ يس و ابن مالك و أبي حيان و السيوطي و الصبّان و ابن الحاجب و غير هؤلاء رحمهم الله كيف رجّحوا في هذا الموضوع قول البصرية مع كونه أضعف و أوهن ، و كيف أغمضوا عن دلائل كثيرة قوية للكوفية و نبذوها وراءهم ظهريًّا .

فهؤلاء العلماء و أمثالهم من الأذكياء صدور المجالس و بدور الحنادس و أذمّة العباد و أئمّة البلاد و أوتاد التحقيق و الملّة و أطواد التحقيق والأدلّة . وهب الله تعالى لهم قوة جنان و قدرة بيان و حدّة فهم و بسطة علم .

ثم قد اشتهر عندهم لا كاشتهار "قفانبك" أن المختار في المسائل النحوية أقوال البصرية مطلقًا لا أقوال الكوفية . و هذه داهية دهياء و فتنة عمياء اضطرّتهم إلى القول بترجيح أقوالهم في كل مقام ، مع أن مذهب الكوفية أقوى في غير ما موضع كما لا يخفى على المتفحّص المنصف ، و على المرء اتّباع الحق و الدليل لا اتّباع الجمهور البصريين .

و لقد أنصف الشيخ النحوي أبوحيان رحمه الله حيث قال كما في الإتقان للسيوطي رحمه الله ج١ ص٢٠٠ ، ما حاصله : أن جمهور البصريين منعوا العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار . و جوّزه الكوفيون . و خرج عليه قراءة حمزة "وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامِ" .

قال أبوحيان في قوله تعالى "وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ" : إن المسجد معطوف على ضمير "به" و إن لم يعدِ الجار . قال : والذي نختاره جواز ذلك لوروده في كلام العرب كثيرًا نظمًا و نثرًا . قال : و لسنا متعبّدين باتباع جمهور البصريين بل نتّبع الدليل . انتهى .

فالحق أن أهل الكوفة عمدة في العربية مثل البصرية . بل الكوفيّة الذين دوّنوا النحو أوّل أوّل . فحازوا قصبات السبق حينما استبقوا هُم و أهل البصرة في هذا المضمار . و السابقون السابقون

أولئك هم المقربون .

ثم إن كبش زمرة الكوفية و رأسهم الإمام الكسائي رَحِمَهُ اللهُ أحد القرّاء السبعة الذين يكفر منكر قراءاتهم . وأين مقام سيبويه رَحِمَهُ اللهُ على علوه من مقام الكسائي . و القراءة و النحو صنوان لدوحة واحدة و شعبتان لفن واحد .

و يطلعك على شان الكسائي ما حكى ابن الأنباري في نزهة الألبّاء مناظرة اتّفقت في مجلس يحي بن خالد بين الكسائي و سيبويه ، حين ورد سيبويه بغداد ، في قول العرب : قد كنت أظن أن العقرب أشدّ لسعة من الزنبور فإذا هو هي . و قال : فإذا هي إياها . فقال سيبويه : فإذا هو هي . ولا يجوز النصب . و كذا في أمثاله : خرجت فإذا عبد الله القائم .

و قال الكسائي : العرب ترفع كل ذلك و تنصب . فحكّموا الأعراب الفصحاء فحكموا للكسائي و وافقوه . فاستكان سيبويه فأمر له يحي بعشرة آلاف درهم . فخرج إلى فارس فمات هناك عن قليل .

و من عجائب الخرافات و غرائب الرجم بالغيب ما قيل : إن الأعراب قد أرشوا على ذلك أو أنهم علموا منزلة الكسائي عند الرشيد . و ما يقال : إنهم إنما قالوا : القول قول الكسائي . و لم ينطقوا بالنصب . و إن سيبويه قال ليحي : مُرهم أن ينطقوا بذلك ، فإنّ ألسنتهم لا تطوع به .

و لعمري إنه فرية بلا مرية و سوء أدب مع الإمام الكسائي رَحِمَهُ اللهُ . وكبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تعلمون . و ليت شعري ما الذي ندبهم إلى تبجيل سيبويه بإهانة الكسائي و حطّ منزلته .

ولو جوّز مثل هذا في حق هؤلاء الأئمّة لارتفع الاعتماد عن العلوم العربية مما جاءنا برواياتهم . و هل هذا إلّا بناء قصر و هدم مصر .

و قد صرّح العلماء أنه كما تشترط العدالة لرواة الحديث كذلك تشترط العدالة لرواة العلوم العربية . لاسيما الكسائي الذي هو راوي القراءات فإنّه ثقة عدل ثبت حجة . فلو صح أنه رشا الأعراب ليصوّبوا قوله لارتفع الاعتماد عنه في القراءة . و شان القراءة أهمّ من شان النحو عِلمِ سيبويه . بل من شان الحديث علمِ المحدّثين أيضًا . فأمر العدالة لرواتها والتجنب عن موجبات الفسق لاسيما في المرويات أشدّ منه في الحديث و العلوم العربية .

و قد عقد الحافظ السيوطي رحمه الله في المزهر عدّة فصول لتحرّج أئمة العربية واحتياطهم في باب تفسير الكلمات و الروايات .

ألا ترى إلى الإمام الأصمعي رحمه الله راوي الحكايات المطربة و الأشعار عن الأعراب ، و شانه في التقوى يعلم من أنه من رواة مسلم ، روى عنه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه .

و ألا ترى إلى نضر بن شميل رحمه الله و أبي عبيدة رحمه الله إمامَي أهـل العربية حيث روى عن نضر مسلم في صحيحه ، و عن أبي عبيدة أخذ البخاري في كتاب التفسير من صحيحه .

و في المزهر ج٢ ص٣٢٨ : قال المبرد في الكامل : كان الأصمعي لا يفسر ولا ينشد ما كان فيه ذكر الأنواء ، لقوله ﷺ : إذا ذكرت النجوم فأمسكوا . وكان لا يفسر ولا ينشد شعرًا يكون فيه هجاء . انتهى .

و من تثبّتهم و ورعهم أنهم قالوا في أجوبة كثير من المسائل : لا أدري . فمن ذلك ما قال الأصمعي : لا أدري ما الحور في العين . و قال : لا أعرف للصوت الذي يجيء من بطن الدابة اسمًا . و قال : المصحاة إناء . و لا أدري من أيّ شيء هو . و قال : لا أدري لم سمي سام أبرص .

قال ابن دريد في الجمهرة : "جَيئَل" اسم من أسماء الضبع . سألت أبا حاتم عن اشتقاقه . فقال : لا أعرفه . و سألت أبا عثمان . فقال : إن لم يكن من جألت الصوف و الشعر فلا أدري .

و قال الأخفش : لا أدري والله ما قول العرب : وضع يديه بين مقمورتين . يعني بين شرَّين .

و بعد اللتيا و التي يجب على المنصف اطراح مثل هذه الأقوال المخسولة الساقطة و التحرّج عن مثل هذا الاجتراء في حق الكسائي و جماعة الكوفيين و عن تضعيفهم هذا التضعيف في باب النحو .

ألا ترى أن النحو أكثر مآخذه الأشعار ، والكوفيون أعلم الناس بها حتى من البصريين بإطباق العلماء .

قال ابن رشيق في العمدة : ما تكلّمتْ به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون . فلم يحفظ من المنثور إلّا عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره . انتهى كلامه .

و في الخصائص لابن جني عن حماد الراوية قال : أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب الفحول ، وما مدح به هو و أهل بيته في الطنوح وهي الكراريس . ثم دفنها في قصره الأبيض . فلمّا كان المختار بن أبي عبيد قيل له : إن تحت القصر كنزًا ، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار . فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة . انتهى .

و فيه أيضًا : أخبرنا أبوبكر جعفر بن محمد بن الحجاج عن أبي خليفة الفضل بن الحباب قال : قال لي ابن عون عن ابن سيرين قال : قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم ، و لم يكن لهم علم أصح منه . فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ، و غزوا فارس و الروم و لهت عن الشعر و روايته . فلما كثر الإسلام و جاءت الفتوح و اطمأنت العرب في الأمصار راجعوا رواية الشعر . فلم يؤولوا إلى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب ، و ألفوا ذلك . و قد هلك من العرب من هلك بالموت و القتل . فحفظوا قُلَّ ذلك و ذهب عنهم كُثرُه . انتهى .

فأهل الكوفة هم المصيبون في أن "أيمن" من اليمين و جمع له . و من تعمّق النظر فيما نمقنا لهم من الوجوه و الدلائل استيقن أنهم ذهبوا فيه بكل حلاوة و رشاقةٍ ، و سبقوا إلى كل طلاوة و لباقة .

و ليس لأهل البصرة في "أيمن" حجة قوية . و أقوى حججهم حسب زعمهم حذف همزته وصلاً . مع أنه أضعف شيء عندنا . إذ كما جاز حذف نون "أيمن" بلا قانون فيقال "أيم الله" لكثرة الاستعمال بالاتفاق ولا مساغ للقول بوصل النون .

فما بال حذف الهمزة و إشكاله عليهم مع أن شان الهمزة و لو كانت قطعًا أسهل . حيث يعامل معها معاملة حروف العلة في الإسقاط و الإبدال و نحو ذلك . ألا ترى إلى "أل" عند الخليل و حذف همزها مع أنها عنده كهل ، و إلى "ويلمّ" فإنّ أصله "ويلٌ أمّ" فحذفت الهمزة مع كونها قطعا . هذا .

فصل
في ذكر توجيه بديع لقول البصريّة في الهمزة

قال العبد الضعيف الروحاني البازي و بالله التوفيق و منه التوقيف : قد سمعت أن في

همزة لفظ "أيمن" و في أصله و مأخذه قولين للأئمة . فعند الكوفية همزة "أيمن" قطع و هو جمع يمين . و عند البصريّة همزته وصلية و هو مفرد و أصله "يمن" . و قد عرفت من قبل أن قول البصرية بوصل الهمزة ضعيف جدًّا . فالبصرية لزعمهم أنه مفرد و أنه من اليمن كأنهم اضطرّوا إلى القول بوصل الهمزة الزائدة . فوقعوا فيما وقعوا ، و تعذّر لهم الخلاص من وحل الإشكال .

و الأحسن عندي في توجيه قول البصرية أي على تقدير تسليم كون "أيمن" مفردًا مأخوذا من "اليُمن" قول ثالث لم يقل به أحد قبلي . و أرجو أن يكون أقوى و أسلم .

و حاصل هذا القول الثالث أن همزة "أيمن" قطع كهمزة "إصبع" إذ أصل إصبع "ص ، ب ، ع" كما يعلم من صنيع أئمة اللغة حيث يذكرون لفظ "إصبع" في تلك المادة . راجع المصباح للفيومي و غيره . و سقوط همز "أيمن" في الدرج لكثرة الاستعمال و لاقتضاء القسم التخفيف كما مرّ منا .

و هذا القول سالم من كثير من الخدشات اللازمة على قول أهل البصرة . هذا . و الله أعلم بالصّواب .

كتبتُ هذا و هذّبتُه بمكة المكرّمة و أنا جالس في المسجد الحرام تجاه الكعبة الشريفة منتظرًا أذان صلاة العشاء ليلة السبت ليلة الخامس من شوال . و أسأل الله تعالى العافية التامة في البدن و الأهل و المال ، و أن ينوّر حياتي و مماتي بأنوار المباركة ، و يشرح صدري لأسراره القيمة المكنونة في أسمائه و كتابه ، و يتقبل دعائي كله ببركة هذا المقام المبارك ، و يجعل كتابي هذا مقبولاً محبوبًا عند العلماء والفضلاء ، و يجعله لي ذخيرة في العقبى و زيادة في الحسنى . آمين .

فصل

يتفرّع على هذا الاختلاف الاختلاف في همز لفظ "أيم الله" بلغاته أيضًا . إذ هو مخفّف "أيمن الله" . فالاختلاف في "أيمن الله" هو الاختلاف في "أيم الله" إلاّ أن بعض البصريين اختاروا في "أيم الله" بخصوصه مسلك الكوفية .

قال السيوطي رحمه الله تعالى في الجمع والهمع ج٢ ص٤٠ : همز "أيم" قطع ، بخلاف "أيمن" . حكي عن

الأخفش قال : لأن همز "أيمن" قد علمت أنها وصل . ولا أحمل عليها "أيم" لأن همزة الوصل ليست مطّردة في الأسماء . انتهى . هذا .

فصل
في البحث السابع

البحث السابع في بعض أحكام همزة الوصل . لما انجرّ بنا الكلام إلى البحث على همزة "أيمن" هل هي وصلية أو قطعية ناسب أن نرقم نبذًا من مباحث همز الوصل تبصرة للعلماء و تذكرة للأذكياء و إتمامًا لأطراف الكلام في هذا المرام و إزالةً للغبار عن الأوهام . و الشيء بالشيء يذكر .

فأقول و بالله التوفيق : في همز الوصل مباحث متعدّدة . الأوّل في مواقع تحققها . و الثاني في أصلها حركةً و سكونًا . و الثالث في وجه تسميتها .

أما البحث الأوّل ففيه مسائل متعددة نافعة جدًّا .

المسألة الأولى : لا توجد همز الوصل في الحرف عند الخليل رحمه الله تعالى . خلافًا لسيبويه رحمه الله تعالى في حرفين "أل" للتعريف و "أم" كذلك ، أي للتعريف على لغة حمير من اليمن ، بدليل حذفها في الدرج . و قال الخليل : "أل" كهل . فالهمز قطع . و استدل الخليل بفتح الهمزة . إذ همز الوصل لا تكون إلّا مكسورة أو مضمومة نحو "اِمرؤ" و "اُنصر" و حذفها وصلاً لكثرة الاستعمال ، و "أم" فرع لها .

قال الرضي : و في لغة حمير و نفر من طي إبدال الميم من لام التعريف . كما روى النمر بن تولب عنه صلى الله عليه وسلم : أليس من امبر امصيام في امسفر . انتهى كلامه .

المسألة الثانية : لا تكون همزة الوصل في مضارع إصالةً بالاتّفاق . و اختلفوا في وجودها فيه عارضةً . فقال بوجودها فيه ابن مالك رحمه الله تعالى في شرح كافيته و ابنه في شرح الخلاصة . فإنك إذا أدغمت التاء الأولى من نحو "تتجلّى" و "تتذكر" اجتلبت همزة الوصل ليتوصّل بها إلى النطق بالتاء الساكنة للإدغام . فتقول في "تتجلّى" "اتّجلّى" .

و أنكره ابن هشام رحمه الله تعالى في التوضيح ، و ردّ على ابن مالك و ابنه أشدّ الرد ، حيث قال بعد ذكر

الإدغام في نحو "تتجلى" : و فيه نظر فإنه لم يخلق الله همزة الوصل في أوّل المضارع . و إنما إدغام هذا النوع في الوصل دون الابتداء . انتهى بزيادة .

و قال الأزهري رحمه الله تعالى في التصريح شرح التوضيح ج٢ ص٤٠٠ : قال الحوفي رحمه الله تعالى : فإن وقف ابتدئ بالإظهار ، ولا يجوز إدخال ألف الوصل عليه ، لأنّ ألف الوصل لا تدخل على الفعل المضارع . و ذكر ابن مالك رحمه الله تعالى في بعض كتبه هذه المسألة على الصواب ، فقال : يجوز إدغام تاء المضارعة في تاء أخرى بعد مدّ أو حركة نحو "وَلَا تَيَمَّمُوا" و "تَكَادُ تَمَيَّزُ" . انتهى . أصلهما "لا تتيمّموا" و "تتميّز" . قال ابن هشام : و بذلك قرأ البزي في الوصل نحو "ولا تّيمّموا" "ولا تّبرّجن" و "كنتم تَّمنّون" . و الأصل "تتيمّموا" و "تتبرّجن" و "تتمنّون" بتاءين ، أدغمت أولاهما في الثانية . انتهى .

قال الشيخ يٰس رحمه الله تعالى في حواشي التصريح : قوله "لم يخلق الله إلخ" قال الدنوشري رحمه الله تعالى : فيه نظر ، لأن ابن مالك وابنه رحمهما الله تعالى من أجل علماء الإسلام . ولايخلو حالهما من أمرين : إمّا أن يكونا استندا فيه إلى فهم ذلك من لغة العرب أو استنباط ذلك منها لعدم ما ينافيه و يناقضه . و على كل لايحسن الردّ عليهما بمجرد عدم العِلم بأن الله لم يخلق همز الوصل في أوّل المضارع .

لأنهما مثبِتان . و الرادّ عليهما نافٍ . و المثبِت مقدم على النافي ، و من حفظ حجة على من لم يحفظ . ولا تظن أنهما ذهبا إليه بمجرد التشهي من غير استناد إلى شيء يعتمدان عليه و يستندان إليه . لأن سوء الظن بالأئمة غير لائق . كيف وقد نقل الثقات أن ابن مالك قال : طالعت كتاب الصحاح فلم استفد منه إلّا ثلاث مسائل . ولا يضرهما عدم ذكرهما المستند في ذلك صريحًا و إن ذكراه تلويحًا .

ثم رأيت شيخنا شيخ الإسلام قال : ومن خطه نقلت : و لقائل أن يقول : إن أردت لم يخلق الله في أوّل المضارع إصالةً فمسلم . ولايرد لأن الكلام فيما هو على سبيل العروض . أو لم يخلقها مطلقًا فممنوع . انتهى كلام الشيخ يٰس .

قال العبد الضعيف الروحاني : لي ههنا تقريران مهمّان نافعان لمحبّي العلم و مشتاقي أسرار الحقائق .

التقرير الأوّل : محاكمة بين الفريقين ، و هي أن قول ابن هشام رحمه الله تعالى أصح روايةً و نقلًا

حيث لم تنقل همز الوصل في أوّل الفعل المضارع . و هو مراده من قوله : لم يخلق الله همز الوصل في أوّل المضارع ، أي فيما يروى .

و قول ابن مالك رحمه الله أقوى درايةً . إذ لا مانع من اجتلاب همز وصل عند سكون مبدأ كلمة . بل اجتلابها هو المنقاس . و هو مراده من قوله : اجتلبت همز الوصل في أوّل "تتجلى" بعد الإدغام ، أي حسب ما ينقاس في مثل هذا المقام .

و التقرير الثاني : في ترجيح قول ابن مالك و تصويبه فأقول : ههنا أصلان معروفان مسلّمان عند النحاة و غيرهم من العلماء :

الأصل الأوّل : الأصل في همز وصل اجتلابها عند سكون مبدأ الكلمة سواء كان سكونا أصليًّا أو عارضيًّا .

و الأصل الثاني : ماصرّح العلماء أنّ الأصل في الأفعال سكون أوائلها . وسيجيء تحقيقه مفصّلاً فانتظر .

و بعد تمهيد هذا أقول : لما أسكن أوّل نحو "تتجلى" بعد الإدغام رجع المضارع إلى أصله و إن كان عارضيًّا ، و هو سكون أوّل الفعل ، كما لاح من الأصل الثاني . ثم يؤتى بالهمز الوصلية . فيقال "اتّجلى" لكونها أصلاً في مثل هذا الموضع لاسيما في الأفعال ، كما سنح لك من الأصل الأوّل ، وهو اجتلاب الهمز عند سكون أوّل الكلمة .

و الأصل إلى الأصل أميل و الجنس للجنس أجلب و به آنس من غيره . فكل أصل منهما أخذ مقامه و استقرّ مقرّه . و كل ما هو كذلك يجب أن يستحسن لا أن يردّ . و من سلك هذا المسلك يجب أن يثنى عليه لا أن ينكد و يؤنّب .

إن قلتَ : ما الدليل على الأصل الثاني و ما وجه صحّته ؟

قلتُ : إنما قلنا في الأصل الثاني : إن السكون أصل في مبدإ الأفعال لما قال نجم الأئمة الرضي في شرح الشافية ص١٨٤ : اعلم : أن الأصل أن يكون أوّل حروف الكلمة متحركًا ولا يكون أوّلها ساكنا على وجه القياس . إلّا في الأفعال و ما يتصل بها من المصادر . و ذلك لكثرة تصرف الأفعال ، و كونها

أصلا في الإعلال من القلب و الحذف و نقل الحركة . فجوّز فيها تسكين الحرف الأوّل . انتهى .

و قال الرضي أيضًا بعيد هذا : و إنما جاز تسكين أوائل الأفعال ، لما ذكرنا من قوة تصرفاتها . فجوّزوا تصريفها على الوجه المستبعد أيضًا . أعني سكون الأوائل . و خصوا ذلك بما ماضيه على أربعة أو أكثر دون الثلاثي . لأنّ الخفة بالثقيل أولى .

و أمّا في فاء الأمر من الثلاثي نحو "اخرج" فلكونه مأخوذًا من المضارع الواجب تسكين فائه . لئلا يجتمع أربع متحركات في كلمة .

و لم يسكن حرف المضارعة ، لأنه زاد على الماضي بحرف المضارعة . فلو سكنت أوّله لاحتيجت إلى همزة الوصل فيزداد الثقل . فلما حذف حرف المضارعة في أمر المخاطب للتخفيف لكونه أكثر استعمالاً من أمر الغائب احتيج في الابتداء إلى همزة الوصل . انتهى .

المسألة الثالثة : الذي ينقاس في أوّل كل كلمة أن يكون متحركًا سوى الأفعال حيث ينقاس في أولها السكون أيضًا ، و سوى ما ينضاف إليها من المصادر ، كما تقدم من كلام الرضي .

و من ههنا سنح لك أن همز الوصل لا تنقاس في الأسماء سوى المصادر . لأنها تجتلب للتوصل إلى بقاء السكون في الابتداء . و يقابلها هاء السكت حيث تجتلب في آخر اللفظ عند الوقف للتوصّل إلى إبقاء حركة آخر اللفظ . لأنّ الوقف يكون بإسكان الآخر .

نعَم وقعتْ همز الوصل في عشرة أسماء غير المصادر و هي "اسم" و "است" و "ايمن" و "ابن" و "ابنم" بمعنى ابن و "ابنة" و "اثنان" و "اثنتان" و "امرئ" و "امرأة" . كذا قال غير واحد من العلماء منهم السيوطي رحمه الله تعالى .

و ههنا أسماء أخر زادها العلماء وهي "أيم" و "أم" لغتان في "أيمن" و "أل" الموصول في اسم الفاعل و المفعول ، فإنه اسم على الأصح . فالأسماء المبدوءة بهمز الوصل ثلاثة عشر . جمع الإمام الجزري رحمه الله تعالى في مقدمته في النحو سبعة منها في قوله :

ابن مع ابنة امرئ و اثنين   و امرأة و اسم مع اثنتين

و قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته ناظمًا سبعة منها في بيت :

و في اسم است ابن ابنم سمع و اثنين و امرئ و تانيث تبع

و عنى بقوله "و تأنيث" ابنة و اثنتين و امرأة .

ثم إن الهمزة في هذه الأسماء سوٰى "أل" الموصول عوض عن لاماتها المحذوفة .

قال الرضي في شرح الشافية ص١٨٤ : و الهمزة في الأسماء العشرة عوض مما أصابها من الوهن . إذ هي ثلاثية فتكون ضعيفة الخلقة . و قد حذف لاماتها نسيا . أو هي في حكم المحذوف وهو وهن على وهن . لأن المحذوف نسيًا كالعدم . و ليس يجب في جميع الثلاثي المحذوف اللام إبدال الهمزة منها . ألا ترى إلى "غد" و "يد" و "حر" أصله حرح .

فنقول : لما نهكت هذه الأسماء بالإعلال الذي حقه أن يكون في الفعل شابهت الأفعال فلحقها همزة الوصل عوضًا من المحذوف بدلالة عدم اجتماعهما نحو "ابني" و "بنوي" .

و قولك "ابنم" و "امرئ" و "أيمن" ليست بمحذوفة الأواخر . و ميم "ابنم" بدل من اللام أي الواو . لكن لما كانت النون و الراء في "ابنم" و "امرئ" تتبع حركتهما حركة الإعراب بعدهما صارتا كحرف الإعراب على أنه قيل : إن ميم "ابنم" زائدة كما في "زرقم" و "ستهم" و اللام محذوفة . و أمّا "أيمن الله" فإن نونه لما كانت تحذف كثيرًا نحو "أيم الله" و القسم موضع التخفيف صار النون الثابتة كالمعدوم . انتهى .

و قال الأزهري في التصريح ج٢ ص٣٦٤ : و "ابنم" بمعنى "ابن" و الميم زائدة للتوكيد و المبالغة كما في "زرقم" بمعنى الأزرق . و ليست بدلاً من الكلمة . و إلا لكانت اللام في حكم الثابتة . فلا يحتاج إلى همزة وصل تتبع نونه ميمه في الإعراب . و "امرؤ" اسم تامّ لم يحذف منه شيء . إلّا أنه لمّا كان يجوز تخفيف همزته بنقل حركتها إلى الساكن قبلها مع الألف و اللام نحو "المرُوْ" أعلّوه لذلك لكثرة الاستعمال . انتهى .

و قال الأشموني في شرح الألفية ج٤ ص٢٠٧ : و أمّا "ابنم" فهو "ابن" زيدت فيه الميم للمبالغة كما زيدت في "زرقم" . قال الشاعر :

و هل لي أمّ غيرها إن ذكرتها أبى الله إلاّ أن أكون لها ابنمًا

و ليست عوضًا عن المحذوف . و إلاّ لكان المحذوف في حكم الثابت ، و لم يحتج إلى همزة الوصل . و أمّا "امرؤ" فأصله "مرء" فخفف بنقل حركة الهمز إلى الراء . ثم حذفت الهمزة و عوض عنها همزة الوصل . ثم ثبتت عند عود الهمزة لأنّ تخفيفها سائغ أبدًا ، فجعل المتوقع كالواقع . انتهى .

و قال الشيخ يٰس : إن لفظ "المرء" بالألف و اللام يجوز فيه نقل حركة الهمزة إلى ما قبلها . فيقال "المُرُوْ" و "المرا" و "المري" بإبدال الهمزة الساكنة من جنس ما قبلها . فجاز إسكان لفظ "امرئ" بإسكان ميمه و اجتلاب همز الوصل . لأن الإعلال يأنس بالإعلال . انتهى .

قال الأزهري رحمه الله : و الحاصل أن بعض هذه الهمزات عوض عن لام هي "واو" و ذلك في "ابن" و "ابنة" و "ابنم" أصله "بنو" مثل قلم و اسم . و بعضها عن لام هي "ياء" و ذلك في "اثنان" و "اثنتان" أصل ذلك "ثنيان" بفتح الفاء والعين . و بعضها عن لام صحيحة وهي "هاء" وهي في "است" أصلها "سته" بدليل جمعها على "أستاه" . و بعضها من حذف متوهّم و ذلك في "امرئ" و "امرأة". و بعضها من حذف واقع أحيانًا و ذلك في "أيمن" . انتهى بزيادة .

و أصل "اسم" "سمو" عند البصرية . فحذفت الواو على خلاف القياس ، ثم أسكن السين ، ثم جيء بهمز الوصل . و التفصيل فيه مشهور .

قال العبد الضعيف الروحاني : الذي أختاره أنا ، و نفثه الله سبحانه في روعي أن "اسمًا" على تقدير كون أصله "سموًا" وقع فيه القلب . فقلبت الواو إلى فاء الكلمة و السين إلى العين فصار "وِسم" بكسر الواو و سكون السين . ثم أبدلت الواو همزة بقانون "إشاح" أصله وِشاح . ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال ، كما قال الكوفية في "أيمن" إن الهمزة قطع ، و كما قال الخليل في "أل" إنها "كهل"، و حذفها لكثرة الاستعمال ،كما حذفت كتابة لذلك في "بسم الله الرحمن الرحيم" .

و القلب المكاني أمر سائغ ذائع كما قالوا في "قسي" إنه جمع "قوس" فوقع فيه القلب .

و إذا ابتلي الإنسان ببليتين اختار أهونهما . وما سطرناه و اخترناه أهون و أخفّ وقرًا مما ذكره العلماء في تقرير مسلك البصرية ، و أسلم عن خدشات تحملوها .

فمن تلك الخدشات : حذف الواو في الآخر بدون قانون . وكثرة الاستعمال لا تتقاضى حذفها ، ولا قالوا بذلك .

و منها : إسكان السين بلا وجه ، ثم اجتلاب الهمز . ولا تبتغيه كثرة الاستعمال . إذ مبتغاها الخفة . و لا خفّة في "اسم" بمقابلة "سم" كما لا يخفى على ذي ذوق سليم .

فإن قلت : تحذف الهمزة في حالة الوصل . و عندئذ يكون "اسم" أخفّ من "سم" .

قلت : الأصل في الكلام الابتداء . وكذا في كل كلمة . و لذا يكتب كل كلمة على ما هو مقتضاها في حالة الابتداء و الوقف . فأوّلها تبع الابتداء وآخرها تبع الوقف . و شان الابتداء والوقف واحد و هو كون الابتداء و القطع في الكلمة أصلاً . إذ الابتداء هو الابتداء ، و الوقف تمهيد لابتداء كلمة بعد كلمة موقوفة .

و منها : الفرار من الخفيف إلى الثقيل . لأن "اسم" أثقل على اللسان من "سمو" إذ الهمزة حلقية و الواو شفهية . و الأُولى أصعب أداءً من الثانية . و في مثل هـذه المواضع قيل : فرّ من المطـر و قام تحت الميزاب ، و بنى قصرًا و هدم مصرًا .

تنبيه

حاصل هذا التوجيه أن الهمزة أثقل من الواو . ففيه تعويض الأثقل من الأخف ، لا أن نفس لفظ "اسم" أثقل من "سمو" لأنه لا يصح ، كما سيأتي بُعيد هذا .

و منها : حذف العوض و المعوض عنه معًا . وهذا قبيح وخلاف الأَولى . لاسيما اطّراد حذفه . لأن همز الوصل و هي عوض تحذف في الدرج مطّردًا . و هذا وهن على وهن . بل يجب حذفها . و هل هذا إلّا ضغث على إبّالة .

و منها : كون العوض في غير موضع المعوض عنه . لأن الهمزة التي هي عوض في أوّل "اسم" والواو المعوض عنها في الآخر . ولايخفى أن الأصل الأعلق بالقلوب أن يؤتى بالعوض في موضع المعوض عنه كما عوّضت "يا" للنداء في موضع "أدعو" في نحو "يا زيد"، وجواب القسم عن الخبر في موضع الخبر

في قولهم : لعمرك لأفعلن ، أي لعمرك قسمي لأفعلن . فتفكر .

و منها : مخالفة ما عليه أصل وضع الأسماء . وهي إسكان الأوّل و هو السين . إذ الأصل في الأسماء تحرّك أوائلها ، كما صرح به الرضي ، و قد ذكرناه سابقًا . ولا موجِب لهذه المخالفة حتى تخفّ وقرها .

إن قلت : الباعث على المخالفة اجتلاب الهمزة و التوطية لها .

قلت : اجتلابها في الأسماء خلاف الأصل كما سبق و سيأتي أيضًا . فالمخالفة لاجتلابها مَثَلها كمَثَل من يرتكب ذنبًا ليتيسّر له الوصول إلى ذنب آخر ، أو مريض عالج أمرًا و باشره ليزيده مرضًا .

و منها : همز الوصل في الأسماء خلاف الأصل بالاتفاق . و لم تتأتَّ حسب ما قالوا إلّا في تلك الأسماء العشرة التي ذكرناها . فالأولى الاجتناب عنها في الأسماء ما أمكن . و الإمكان هنا متأتٍّ حسب ما قررنا .

و منها : اجتماع الإعلالين و ثلاث تصرفات في كلمة واحدة . أمّا الإعلالان فحذف الواو و إسكان السين . و أما التصرُّفات الثلاث فهذان الإعلالان و اجتلاب الهمز و اجتماعهما . وكذا اجتماع التصرفات خلاف الأولى . و هم يتحرّجون عنه أشدّ التحرج ما أمكنهم . لاسيما الإعلالين والتصرفات التي لاينقاس كل واحد منها كما فيما نحن فيه . و ما اجتماع ذلك إلّا وهن على وهن و ضغث على إبّالة .

و منها : أنه لا مناسبة بين الهمزة و الواو فلا يعوّض إحداهما عن الأخرى . و وجه عدم المناسبة أن إحداهما حلقية و الأخرىٰ شفهية فلا تقارب بينهما . سوٰى ما قال ابن دريد في الجمهرة : إن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو و الياء و الهمزة . فاشتركتا في كثرة الاستعمال .

و منها : قلب الموضوع فإن همز الوصل إنما تجتلب للساكن و إبقاء سكون الساكن . و ههنا قد عكسوا حيث أسكنوا حرف السين لتجتلب الهمز . وما هذا بالطريق المثلىٰ . و مثل ذلك كمن شجّ رأسَه ليستعمل الدواء .

فتلك عشرة كاملة من وجوه الخدشات الواردة على مذهب البصرية حسب تقريرهم المشهور . ولا يرد شيء منها على تقريري المختار . و حسبك من القلادة ما أحاط بالجيد . ولِلّٰه الحمد و المنة .

و ربما يتوهم في ردّ قول البصرية أنّ "سموًّا" أخفّ من "اسم" فسرتم أيها البصريون من الأخفّ إلى الأثقل .

فإن كان مراد هذا المتوهم ما قلنا في الخدشة الثالثة إن العوض و هو الهمزة أثقل من المعوض عنه و هو الواو فلاجناح عليه . إلاّ أنه لا حاجة إلى ذكره على حدة .

و إن كان مراده أن نفس التلفظ بالأوّل أخفّ من التلفظ بالثاني فلا يصح . بل الأمر بالعكس كما في كتاب عروس الأفراخ في بيان رتب الفصاحة ، قال مؤلّفه :

إن كانت الكلمة ثلاثية فتراكيبها اثنا عشر : الأوّل : الانحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى نحو "ع ، د ، ب" . الثاني : الانتقال من الأعلى إلى الأدنٰى إلى الأوسط نحو "ع ، ر ، د" .

ثم قال بعد ذكر هذه التراكيب : فاعلم : أن أحسن التراكيب و أكثرها استعمالاً ما انحدر فيه من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنٰى . ثم ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى نحو "د ، م ، ع" ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط . انتهى .

فهذه ثلاث تراكيب . و لا يخفى أن تركيب "اسم" من القسم الأوّل فهو أحسنها . و أمّا "سمو" فليس بداخل في قسم من هذه الأقسام الثلاثة .

تنبيه

لا يبعد أن يرتكب هذا العمل في "ابن" و "است" و "اثنان" فيقال : وقع فيها أيضًا القلب المكاني بين الحروف . فتفكر .

هذا ما أردنا من البحث على وفق مذهب البصريين في لفظ "اسم"حيث قالوا : إن أصله "سمو".

و **قال** الكوفيون : أصله "وِسم" لكونه كالعلامة على المسمّى ، فحذف الفاء على خلاف القياس ، فجيء بهمز الوصل . كذا قال الرضي و غيره .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : الذي أختاره أنا على تقدير قول الكوفية و تسليم أنه في الأصل "وِسم" بكسر الواو أن الهمزة أبدلت من الواو المكسورة بقانون "أقّتت" و "إشاح" أصل ذلك "وقّتت" و "وِشاح" فالهمز قطع . و حذفها في الدرج لكثرة الاستعمال كما قال الخليل في "أل" للتعريف . هذا . والله أعلم .

فصل
في البحث الثامن

البحث الثامن فيما هو أصل في الهمزة الوصلية حركةً و سكونًا . اختلفوا في ذلك فقال الفارسي : أصلها السكون . و اختاره الشلوبين . و مذهب سيبويه أن أصلها الحركة ، و هو الظاهر لوجوب التحريك في كل حرف يبتدأ به مثل لام الابتداء .

و على هذا فأصل حركتها الكسرة كما في " إضرب " وإنما ضمّت في نحو "أخرج" كراهية للخروج من كسر إلى ضم . و على الأوّل دبّرت بحركة ما قبل الآخر . فكسرت في "إضرب" و ضمت في "أخرج" و امتنع أن تفتح في "إذهب" للالتباس بالمضارع حالة الوقف . فكسرت لأنه أخفّ من الضم . كذا في التصريح للأزهري ج٢ ص٣٦٥ .

قال السيوطي في الهمع ج٢ ص٢١١ : و قد اختلف في همزة الوصل هل وضعت همزة ؟ فقال ابن جني : نعم . و قيل : يحتمل أن يكون أصلها ألفًا و إنما قلبت همزة لأجل الحركة .

و اختلف البصريون في كيفية وضعها . فقال الفارسي وغيره : اجتلبت ساكنة و كسرت لالتقاء الساكنين . و علّله الشلوبين بأن أصل الحروف السكون . و قيل : اجتلبت متحركة ، لأنّ سبب الإتيان بها التوصّل إلى الابتداء بالساكن . فوجب كونها متحركة كسائر الحروف المبدوء بها . و أحقّ الحركات بها الكسرة ، لأنها راجحة على الضمة بقلة الثقل و على الفتح بأنها لا توهم استفهامًا .

و قال الكوفيون : حركتها للاتّباع . فكسرت في "إضرب" اتباعًا للكسرة ، وضمت في "أخرج" اتباعًا للضمة . ولم تتبع في المفتوح لئلا يلتبس الأمر بالخبر . انتهى .

و **قال** الرضي في شرح الشافية ص١٨٦ : الكوفيون على أن أصل الهمزة السكون ، لأن زيادتها ساكنة أقرب إلى الأصل لما فيه من تقليل الزيادة . ثم حرّكت بالكسر كما هو حكم أوّل الساكنين إذا لم يكن مدًّا المحتاج إلى حركته . و ظاهر كلام سيبويه يدل على تحرّكها في الأصل لقوله : فقدمت الزيادة متحركة لتصل إلى التكلم بها . وهو الأولى لأنك إنما تجلبها لاحتياجك إلى متحرك . فالأولى أن تجلبها موصوفة بما يحتاج إليه أي الحركة . و أيضًا قد تقدم أن التوصل إلى الابتداء بالساكن بهمزة خفية مكسورة من طبيعة النفس . انتهى كلامه .

فصل
في البحث التاسع

البحث التاسع في وجه تسميتها : أقول : سميت بذلك لأنه يتوصّل بها إلى النطق بالساكن كما قاله الشلوبين . وقال تلميذه ابن الضائع : سميت بذلك لسقوطها عند وصل الكلمة بما قبلها . و الإضافة تكون بأدنى ملابسة . كذا قال الأزهري .

فصل
في وضع تركيب "ي ، م ، ن" لغةً

أقول والله المستعان و عليه الاعتماد والتكلان : إن تركيب "ي ، م ، ن" موضوع للقوّة و الشدّة و التاكيد .

فمنه : "اليُمن" بمعنى البركة و "الميمون" المبارك . يقال "يمن الرجل على قومه" بالبناء للمفعول ، فهو ميمون . و "يمنه الله" من باب نصر إذا جعله مباركًا . و "تيمّنت به" مثل تبرّكت وزنا و معنى . ولايخفى على اللبيب أن البركة من الله في شيء قوة منه فيه . و المبارك أقوٰى من غيره .

و **في فتح الملهم** ج٢ ص٣٨ في حديث الثناء "وتبارك اسمك" : البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء . و فيه إشارة إلى اختصاص أسمائه تعالى بالبركات . انتهى .

و منه : "اليمين" بمعنى القسَم . إذ بها يصبح الكلام ذا قوة و تاكيد . ولذا لايؤتى بالقسم إلاّ في مواضع التقوية و التاكيد . و موضع البحث عنه علم المعاني . و قال الإمام الفيومي رحمه الله تعالى في المصباح : اليمين القوة و الشدة .

و منه : "اليمين" بمعنى التعليق كقول المولى لعبده : إن دخلتَ الدار فأنت حر . و عَنونَ الفقهاء رحمهم الله تعالى باب التعليقات "بباب اليمين" إذ به يضحي فعل الشرط محظورًا ممنوعًا مؤكدًا .

و منه : "اليمين" للجارحة خلاف الشمال و اليسار . لأنّ فيها قوة بالنسبة إلى الشمال .

و منه : "اليمين" و الأيمن خلاف الأيسر و هو جانب اليمين . لأن القوة والخير الإلهي في تلك الناحية . و لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبّ التيامن في كل شيء حتى التنعّل و الترجّل . و في الحديث : إن الشيطان يأكل بالشمال . و في حديث آخر : تنزل رحمة الله على ميامن الصفوف . و في آخر : أمر عليه الصلاة والسلام بالتيامن في التقسيم .

لطيفة ربانية

و من البدائع الربانية و لطائف الأسرار الإلهامية أن العارف الرباني الشيخ عبدالعزيز الأمّي رحمه الله تعالى سئل عن سرّ قوله عليه الصلاة والسلام لصاحب الرؤيا المحزنة "تعوّذ بالله من شرّها و شرّ الشيطان و انفث إلى اليسار ثلاثا" .

فأجاب بكلام مطنب . منه قوله رحمه الله تعالى :

و إنما أمر عليه الصلاة والسلام بالنفث عن يساره ، لأنّ جهة اليسار منها يأتي الشيطان . و الخير كله يأتي من جهة اليمين . فالحافظ الكاتب القوي في النور على جهة اليمين . و الضعيف في النور على جهة الشمال . والجنّة من جهة اليمين . و جهنم من جهة الشمال .

و جبريل عليه الصلاة والسلام لم يأته صلى الله عليه وسلم قط إلاّ من جهة اليمين . و أرواح الشهداء لا ينظرها صلى الله عليه وسلم إلاّ من جهة اليمين . لأنه عليه الصلاة والسلام بعد موتهم في بدر و أحد و غيرها كان يتوحشهم فينظر عن يمينه . فيراهم فرسانًا راكبين مجاهدين . و العرش من جهة اليمين . و الأرض من جهة الشمال . و الأرض التي فيها المؤمنون من

بني آدم من جهة اليمين . و التي فيها الجن من جهة الشمال .

و العروق التي في الجانب الأيمن تسبّح الله كثيرًا ، بخلاف التي في الشمال فإنها صمة مصمتة . و نور الحق يأتي من جهة اليمين و الباطل من جهة الشمال . و بالجملة فالخير كلّه من جهة اليمين و الشر كلّه من جهة الشمال .

ثم سأله تلميذه المستملي ما المراد باليمين ؟

فقال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ : أمّا بالنسبة للمفتوح عليه فإنه يرى كلّ خير من جهة يمينه ، و يرى كلّ شر من جهة شماله . ثم يتحول الأمر إذا تحول ، حتى أنّا لو فرضناه متوجهًا نحو المشرق فإنه يرى من جهة يمينه التي هي ناحية الجنوب كلّ خير . فيشاهد الجنة و العرش و أرواح الشهداء . و يرى من جهة شماله التي هي إلى ناحية الشمال جهنم و الشياطين و أرواح الأشقياء و غير ذلك من وجوه الظلام .

فلو تحوّل و انقلب إلى جهة المغرب و رجعت يمينه إلى ناحية الشمال و شماله إلى ناحية الجنوب فإنه يرى من جهة يمينه جميع الخيرات السابقة وغيرها ، و يرى من جهة شماله التي هي إلى ناحية الجنوب جميع أنواع الشرور السابقة و غيرها . و هكذا إذا انقلب إلى جهة أخرى فإن الحال ينقلب .

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ : و سرّ ذلك أن العارف له مرآتان ينظر بهما : إحداهما نورانية لايرى بها إلّا النور و ما شاكله . والأخرى ظلمانية لايرى بها إلّا الظلام وما شاكله . فالنورانية في يمينه و هي نور إيمانه بالله عزوجل . و الظلمانية في يساره و هي شهوات النفس الخبيثة . و خبثها بالإضافة إلى نور الإيمان .

فإذا نظر إلى جهة يمينه كان نظره بنور إيمانه ، فيرى ما يشاكله من كلّ ما هو حق و نور . و إذا نظر إلى جهة شماله كان نظره بظلام شهوات النفس ، فيرى ما يشاكله من كلّ ما هو ظلام و باطل . لأن نظره بنظر طبيعة ذاته ، لأنه فيه روح و ذات . فلما سكنت الروح في ذاته سكون المحبة و الرضا و القبول مع الإيمان قام بهما نور ، و هو نور إيمانه . و اختلط في ذاته ، وكان واحدًا . و العقل هو الناظر . فإذا نظر بمرآة نور الروح رأى الطيبات . و إذا رأى بمرآة نور الذات رأى الظلام و ما يماثله .

و على هذا فتخرّج حديث الأسودة التي على يمين آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التي إذا نظر إليها ضحك . و الأسودة التي هي عن يساره عَلَيْهِ السَّلَامُ التي إذا نظر إليها بكى . والأسودة الأولى أرواح السعداء ، و الثانية

أرواح الأشقياء . راجع الإبريز ص٨٧ .

قلت : و لهذا الملك الحافظ الكاتب للخير على المنكب الأيمن ، والآخر الكاتب للشرّ على الأيسر . والأوّل أمير على الثاني .

و منه : "اليَمَن" إقليم من العرب . سميت بذلك لكونها على يمين الكعبة .

قال ياقوت في معجم البلدان ج٥ ص٤٤٧ : قال الشرقي : إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها . قال ابن عباس : تفرقت العرب . فمن تيامن منهم سميت اليمن . و يقال : إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم . فالتأمت بنو يمن إلى اليمن ، وهي أيمن الأرض ، فسميت بذلك .

قلت : قولهم "تيامن الناس فسموا اليمن" فيه نظر . لأن الكعبة مربعة فلا يمين لها و لا يسار . فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين . وكذلك الجهات الأربع . إلّا أن يريد بذلك من يستقبل الركن . فإنّه أجلّها فإذًا يصح . والله أعلم .

و النسبة إليهم "يمني" و "يمانٍ" مخففة . و الألف عوض عن ياء النسبة فلا تجتمعان . و قال سيبويه : و بعضهم يقول "يمانيّ" بتشديد الياء . قال أمية بن خلف الهذلي :

يمانيًّا يظلّ يشدّ كيرًا و ينفخ دائبًا لَهَب الشواظ

و قوم يمانية و يمانون مثل ثمانية و ثمانون .

أو يقال : سمّيت اليمن بذلك لكونها من أعزّ الأراضي ، و سكّانها من أعزّ الناس و أقواهم و أصدقهم في أمر الحق و أجلدهم قلوبًا . فهي أرض مباركة يسكنها أقوام مباركون ، فنعم المنزل و نعم النازل .

و الشاهد على ما قلنا ما قال الأصمعي رحمه الله كما في معجم البلدان : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا و لا تكون إلّا باليمن : الورس و الكُندُر و الخطْر و العصب . انتهى .

و ما روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : الملك في قريش و القضاء في الأنصار و الأذان في الحبشة و الأمانة في الإزد . يعني اليمن . قال الترمذي : و روي موقوفًا عن

أبي هريرة رضي الله عنه و هو أصح . و ما أخرج أحمد و أبويعلى و البزار و الطبراني عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب . هم خير أهل الأرض . الحديث . و في الطبراني من حديث عمرو بن عنبسة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعيينة بن حصن : أيّ الرجال خير ؟ قال : رجال أهل نجد . قال : كذبت . بل هم أهل اليمن . الإيمان يمان . الحديث . و في بعض الأحاديث المرفوعة : يقدم قوم هم أرقّ منكم قلوبًا ، فقدم الأشعريون فجعلوا يرتجزون :

غدًا نلقى الأحبّه مُحـمَّدًا و حزبه

و في زاد المعاد : عن جبير بن مطعم قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر . فقال : أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب . هم خيار مَن في الأرض . الحديث . و روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاء أهل اليمن هم أرقّ أفئدة . الإيمان يمانٍ ، و الفقه يمانٍ ، و الحكمة يمانية . و في رواية : هم ألين قلوبًا و أرقّ أفئدةً .

فائدة شريفة

اختلفوا في المراد بقوله عليه الصلاة والسلام : الإيمان يمانٍ و الفقه يمان و الحكمة يمانية .

فقيل : المراد النسبة إلى مكة .

و قيل : إلى مكة و المدينة كلتيهما . لأنّهما مبدأ الإيمان و شمس النبوة . و مكة من اليمن و المدينة يمانية من تبوك . و هذا الحديث قاله عليه الصلاة والسلام في تبوك .

و قيل : المراد الأنصار لأنهم يمانون في الأصل . فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصارًا للإسلام و المسلمين . و غير ذلك من الأقوال .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : قد نفث الله في روعي و ألهمني ربي أن في هـذا الحديث إشارة إلى إمام الكلام أبي الحسن الأشعري سيد الأشاعرة رحمه الله الذي أنهج مناهج العقائد و عبّد جادة الحكمة المصطفية و سبيل فقه الشريعة المحمدية و فهمها . و أبوالحسن الأشعري يمانٍ ، أي من أهالي اليمن . فمعنى "الإيمان يمان" أن العقائد الإيمانية تشعّ من اليمن و تذاع منها بواسطة رجل من

أهلها .

و المراد من الفقه فهم الدين . و للدين أصول وهي العقائد ، و فروع هي سائر الأعمال . فدوحته و أصله في اليمن سقاه الإمام الأشعري رحمه الله تعالى . و أمّا فروع الدين فهذّبها و فصّلها الأئمة الأربعة و غيرهم من العلماء و الفقهاء رحمهم الله تعالى .

و المراد من الحكمة العلم و العمل على مقتضى العلم . و قيل : معرفة حقائق الأشياء كما هي . و لا يخفى أن حقيقة الشريعة العقائد . و معلّم العقائد الإمام الأشعري و هو يمانٍ . فأضحت الحكمة أيضًا يمانية .

فهذا الحديث من أخبار المغيبات المستقبلة . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عن بعض أئمة الفروع و أثنى عليهم كالإمام أبي حنيفة و الإمام مالك و الإمام الشافعي رحمهم الله تعالى . فلا يبعد أن يخبر النبي صلى الله عليه وسلم و يثني على إمام العقائد و الأصول . بل هو أليق و أولى بذلك لكون العقائد أصلاً و الفروع فرعًا و تبعًا .

و يؤيد ذلك ما في جلاء العينين : أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله تعالى كان أوّلًا معتزليًا تلميذًا لأبي على الجبائي المعتزلي . فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام و أرشده إلى ترك الاعتزال و إلى تشييد عقائد أهل السنة و الجماعة . فقال الأشعري : و كيف ذلك و قد شاع منّي في الأرض دلائل شيّدت بها مذهب الاعتزال .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا به زعيم . فلما انتبه رجع إلى ما أمره صلى الله عليه وسلم .

ثم وجدت في النبراس ص٢٩ مؤيّدًا صريحًا لما قلت : إن في هذا الحديث إشارة إلى الأشعري رئيس المتكلمين من أهل السنة . ففي النبراس عن بعض الأولياء المكاشفين أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه عن الأشعري . فقال : أنا قلت و قولي حق : الإيمان يمانٍ و الحكمة يمانية . انتهى ما في النبراس .

ثم قد ذاع بين المحدثين و ثبت عندهم إخباره صلى الله عليه وسلم بالوحي عن أبي حنيفة و مالك و الشافعي رحمهم الله تعالى .

أمّا أبوحنيفة رحمه الله تعالى فروي عن النبي عليه الصلاة والسلام : ترفع زينة الدنيا سنة خمسين و مائة . قال شمس الأئمة الكردي رحمه الله تعالى : إن هذا الحديث محمول على أبي حنيفة رحمه الله تعالى . لأنه مات تلك السنة .

انتهى قوله .

و **قال** أيضًا : قد وردت أحاديث صحيحة تشير إلى فضل أبي حنيفة رحمه الله تعالى . منها : قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه و الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس .

و رواه أبونعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه و الشيرازي و الطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو كان العلم معلّقًا عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس . ولفظ الطبراني عن قيس : لا تناله العرب لناله رجال من أبناء فارس .

و في رواية مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : لو كان الإيمان عند الثريا لذهب به رجل من أبناء فارس حتى يتناوله .

قال السيوطي رحمه الله تعالى : هذا الحديث الذي رواه الشيخان أصل صحيح يعتمد عليه في الإشارة لأبي حنيفة رحمه الله تعالى .

و **أمّا مالك** رحمه الله تعالى فروى الترمذي و غيره بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك أن تضرب الناس آباط المطيّ في طلب العلم فلا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة . و قد روي عن سفيان بن عيينة قال : هو مالك بن انس .

و **أمّا الشافعي** رحمه الله تعالى فقد قال الساجي رحمه الله تعالى في أوّل كتابه المشهور في اختلاف العلماء : إنما بدأت بالشافعي و قدّمته عليهم و إن كان فيهم أقدم منه اتّباعًا للسنة . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قدّموا قريشا و تعلّموا من قريش .

و **قال** الإمام أبونعيم عبدالملك صاحب الربيع بن سليمان المرادي : في هذا الحديث علامة بينة . إذا تأمّله الناظر المميز علم أن المراد به رجل من علماء هذه الأمة من قريش ظهر علمه و انتشر في البلاد . و هذه صفة لا نعلمها في أحد غير الشافعي رحمه الله تعالى .

قال : فهو عالم قريش الأفضل الذي دوّن العلم و شرح الأصول والفروع و مهّد القواعد . قال البيهقي بعد روايته كلام أبي نعيم : و إلى هذا ذهب أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في تأويل الخبر . هذا . والله أعلم

و علمه أتم .

فصل

في تفصيل خصائص الجلالة على وفق مسلك الكوفية

لا يذهب عليك أن فهم هذا الفصل موقوف على استحضار مباحث الفصول المتقدمة . ثم اعلم : أن هذه الخصائص وكذا خصائص فصل يليه للجلالة باعتبار اللفظ المضاف إلى الجلالة و هو لفظ "أيمن" . فللجلالة نفسها خصائص و مزايا . فتعدّت أنوارها إلى جارها المضاف و جليسها "أيمن" والجلالة جديرة بأن لا يشقى جليسها و جارها . و قد قيل : و للأرض من كأس الكرام نصيب . و حسبك من القلادة ما أحاط بالجيد .

ففي قولنا "أيمن الله" غير واحد من المزايا و الخصائص للجلالة على تقدير كون "أيمن" جمعًا كما هو مختار الكوفيين .

منها : اختصاص لفظ "أيمن" بالإضافة إلى الجلالة .

و منها : جواز حذف همزة الجمع . أي همزة "أيمن" وهي قطع . ولا يجوز حذف همزة نحو "أفلس" و "أكلب" و غير ذلك من همزات قطعية .

و منها : كون "أيمن" لازم الإضافة . و ليس في كلامهم جمع تلزمه الإضافة سواه . و النادر كالمعدوم .

و منها : جواز كسرة همزة "أيمن" أي مع بقاء العين مضمومة . ولا يجوز هذا فيما سواه من الجموع على وزن "أفعُل" نحو "أفلُس" جمع فلس .

و منها : جواز كسر همزته و إبدال ضم عينه بفتحة . و لم يثبت هذا العمل في نحو "أفلس" و "أكلب" .

و منها : جواز فتح عين "أيمن" أي فتح الميم مطرّدًا مع بقاء فتح الهمزة . و لم يسغ هـذا في عين

"أفلس" فضلاً عن الاطّراد .

و منها : حذف الخبر وجوبًا في قولنا "أيمن الله" عند الجمهور . أي "أيمن الله قسمي" . و نظائره قليلة في كلام العرب . و أمّا نظائره في باب القسم خصوصًا فأقلّ مثل "لعمري" ونحو ذلك . و أمّا في أسماء الله تعالى بالخصوص فلا نظير "لأيمن الله" إذ لم يثبت عند القسم باسم من أسماء الله تعالى وسبحانه وجوب حذف الخبر فيما سوى "أيمن الله" . و النادر الأندر كالمعدوم .

و منها : احتمال حذف المبتدأ في القول المذكور وجوبًا عند ابن عصفور .

و منها : جواز حذف لام "أيمن" أي حذف النون تخفيفًا من غير تعويض . و لم يثبت مثل هذا الحذف في غيره من الجموع . نعم ثبت في بعض المفردات نحو "إست" أصله "سته" لكن عوّضت الهمزة من الهاء المحذوفة .

و منها : كثرة ما جاء في "أيمن" من اللغات . و هذا من البدائع . والله أعلم .

فصل
في ذكر خصائص و مزايا على مذهب البصرية

قد عرفت من قبل أنّ لفظ "أيمن" عند البصريّة مفرد و همزته وصليّة . للجلالة باعتبار المضاف إليها في قولنا "أيمن الله" على تقدير كون "أيمن" مفردًا و وصل همزه خصائص و مزايا .

فمنها : اختصاص اسم "أيمن" بالإضافة إلى الجلالة . و تتفرّع هذه الخاصة على كون "أيمن" اسمًا كما هو مختار جمهور البصريين .

و منها : اختصاص حرف "أيمن" الجارّ بالدخول على الجلالة عند إرادة اليمين . و هذه الخاصة تبني على مذهب الزجاج و الرماني و أتباعهما القائلين بكون "أيمن" حرف جرّ . كما مضى البحث على ذلك .

و منها : كون اللفظ المختص بالإضافة إلى الجلالة وهو "أيمن" على وزن "أفعُل" بضم العين مع

أن هذا الوزن لا يوجد في المفردات أو هو أقلّ و أندر كما تقدم .

و منها : كون "أيمن" لازم الإضافة لاينقطع عن الإضافة في وقت من الأوقات . و هـذا أمر عجيب قلّت نظائره . إذ الأسماء اللازمة الإضافة تضاف مرة و تنقطع عن الإضافة أخرى ، نحو قبل و غير وكلّ و غير ذلك .

و منها : افتتاح همز "أيمن" مع أنّ همز الوصل لا تفتح كما ذكرنا من قبل . بل تكسر غالبًا .

و منها : حذف خبر "أيمن الله" وجوبًا على مذهب الجمهور . و قلّت نظائره في الكلام مطلقًا . و أمّا في أسماء الله تعالى فلا نظير له أو نادر . و النادر يعدّ معدومًا .

و منها : احتمال حذف المبتدأ وجوبًا في "أيمن الله" على ما هو مختار الزجاج و غيره .

و منها : تعويض همزته من النون المحذوفة . و لم تعوّض إلاّ في عدة أسماء من كلمات العرب ، نحو "ابن" و "اسم" . و أمّا بالنظر إلى أسماء الله تعالى بالخصوص فلا نظير للجلالة في هذه الخاصة في الأسماء الحسنٰى . إذ لم تعوّض في لفظ لازم الإضافة إلى اسم من أسماء الله غير الجلالة .

و منها : الجمع بين العوض و المعوض عنه . و هما الهمزة و النون في "أيمن" مطّردًا . و هذه من عجائب الخصائص في الجلالة باعتبار المضاف .

و منها : بقاء همزة الوصل في "أم اللهِ لأفعلن كذا" مطّردًا مع تحرك ما بعدها و عدم الحاجة إلى الهمزة . و هذا من اللطائف .

و منها : عدّ الثابت المذكور أي نون "أيمن" بمنزلة المعدوم الغير الثابت كما قدّمنا من قول الرضي في توجيه مشرب البصرية : إن همزة "أيمن" عوض عن نونه . فإن نونه لما كانت تحذف كثيرًا نحو "أيم الله" و القسم موضع التخفيف صار النون الثابت كالمعدوم . راجع شرح الشافية للرضي ، بحث الابتداء ص١٨٥ .

و منها : تحقُّق وزن "إفعُل" في "أيمن" كما مضى في فصل لغاته . مع أن هذا الوزن لا يوجد لا في الأسماء و لا في الأفعال .

هذه الخاصة مترتّبة على تسليم أن همزته كانت أوّلاً مكسورة كما هو الأصل في الهمزة الوصلية ، ثم فتحت تخفيفًا .

و فيه بحث فإن نجم الأئمّة الشيخ الرضي أنكر ذلك في كتبه . و التفصيل قد مرّ في فصل البحث السادس من هذا الباب فراجعه .

و منها : حذف النون من "أيمن" مطّردًا تخفيفًا .

و منها : إبهام حال "أيمن" و اختفاء أمره و اختلاف الأئمة فيه كثيرًا . فاختلفوا في أنه اسم أو حرف . و على التقدير الأوّل هل هو مفرد أو جمع ، و أن همزه وصل أي إن كان هو اسما مفردًا ، أو قطع أي إن كان هو حرفًا أو جمعًا .

و في أنه من اليمين أو من اليمن . و لم يتحقق مثل هذا الاختلاف الفاحش في اسم من الأسماء اللازمة الإضافة غير هذا الاسم اللازم الإضافة إلى الجلالة .

و منها : كثرة اللغات في "أيمن" . و هذا من عجائب العربية .

هذا آخر رسالتي الفريدة البديعة في قولهم "أيمن الله" . و لكون هذا الباب كتابًا برأسه ترى فيه بعض الأبحاث طويلة الأطراف أو مباحث أجنبية شذبتها بها زائدة على شرح المرام إحاطة لأطراف الكلام . و للكلام شعاب و شجون و شعاف و غصون .

فتلك الأبحاث ذكرتها لمناسبة أبحاث "أيمن الله" تكميلاً و تأييدًا ، كما هو المعتاد المسلّم المقبول في الرسائل المستقلة . فلا تحرق عليّ الأرم في ذلك . فإن لم يكن لك بها حاجة فامض إلى بحث آخر من هذا الكتاب ، و دعها لمن يكون أحرص عليها من نملة ، و لمن يعدّها ضالة . هذا . و الله أعلم ، والله يقول الحق و هو يهدي السبيل ، و علمه أجلّ و أوسع و أعلى .



الباب الثامن و الخمسون
و فيه نحو عشر خصائص

من خصائص الاسم "الله" اختصاص حرف "م" الجارة بالدخول عليه . فيقال "م الله لأفعلنّ كذا" . و لفظ "مِ" حرف جرّ للقسم .

و كذا من خصائص الاسم "الله" اختصاص حرف "أمُ" الجارة به . حيث تدخل عليه لا على غيره من الأسماء . فيقال "أمُ اللهِ لأفعلن كذا" و هي أيضًا حرف جار للقسم . فهاتان خاصتان للفظ "الله" و لم يثبت مع غير الاسم "الله" كونهما جارتين فضلاً عن كونهما للقسم . بل لم يتحقق دخولهما على ما سوى لفظة "الله" .

ثم كون "م" و "أم" من الحروف الجارة مستقلًا مما اختاره بعض النحاة . صرح بذلك ابن هشام في شرح شذور الذهب في الحروف المبنية على الضم ج١ ص١٢٧ على هامش شرحه للشيخ عبادة .

قال السيوطي في الجمع و الهمع ج٢ ص٤٠ : و "من" و "م" بلغاتهما حرفان . و ليسا بقية "أيمن" . و جزم به ابن مالك في كتابه سبك المنظوم . لأن الاسم المعرب لا يجوز حذفه حتى يبقى على حرف واحد . و ردّ بأن كثرة تصرفهم فيها اقتضى ذلك . وهو أولى من إثبات حرف جر لم يستقر في موضع من المواضع . انتهى باختصار .

فذلكة الكلام بحيث ينحل به المرام أن تأتّى هاتين الخاصتين للاسم "الله" متفرع على أن لا تكون "م" و "أم" مقصورتين من "أيمن" كما قيل فيهما ، أو من "يمين" كما قيل في "م" أو من حرف

"من" الجارة كما قيل في "م" أيضًا . و قد مضى توضيح بعض ذلك ، وسيأتي توضيح ما بقي . إذ على هذه التقادير لا تكونان خاصتين على حدة ، بل تنطويان فيما سواهما من الخواص .

ثم اعلم : أن في كلمة "م" ثلاث لغات : الضم و الفتح و الكسر ، و في "أم" خمس لغات : الأولى : بفتحتين . الثانية : بفتح و ضم . الثالثة : بفتح و كسر . الرابعة : بكسر و ضم . الخامسة : بكسر و فتح .

فهنّ ثمان خواص باعتبار هذه الحركات و اللغات . إذ ليس في كلامهم حرف جر سواهما يضم مع مجرور واحد و يفتح و يكسر . و أمّا اللام الجارة فتفتح مع الضمير دائمًا و تكسر مع الظاهر مستمرًّا نحو "له" و "لله" فلم يسوّغوا فيها الفتح و الكسر مع مدخول واحد .

و أمّا الخاصتان السابقتان في "م" و "أم" فبدون النظر إلى حركاتهما . فمجموع خواص الاسم "الله" الشريف في هذا الباب عشر خواص . ولك عدّهن ثمانيًا بإسقاط السابقتين و طيهما في الثماني . هذا . والله أعلم و علمه أعلى و أوسع .



الباب التاسع و الخمسون

من خصائص اسم "الله" أنه يطّرد الحذف مرةً بعد أخرى في الاسم الذي أضيف إليه . و ذلك الاسم هو "أيمن" في قولهم "أيمن الله" فيسوغ فيه "أيم الله" بحذف النون . وهمزة "أيمن" همزة قطع عند الكوفيين ، وهمزة وصل عند البصريين . و قد فصّلنا من قبل أدلّة الفريقين .

قال الأشموني : عند سيبويه اسم مفرد من "اليمن" و هو البركة . فلما حذفت نونه فقيل "أيم الله" أعاضوه الهمزة في أوّله . و لم يحذفوها لمّا أعادوا النون لأنها بصدد الحذف . انتهى .

قال العلامة الشيخ الصبان رحمه الله في شرحه : قوله "أعاضوه الهمزة" إن كانت الهمزة موجودة قبل الحذف فالمعنى قصدوا كونها عوضًا . و إن كان أصله "يمن" بلا همزة فحذفت النون واجتلبت الهمزة عوضًا عنها . فينبغي أن يقول : فلمّا حذفت نونه أعاضوه الهمزة في أوّله فقيل "أيم الله" . انتهى .

ثم يسوغ حذف الياء فيقال "أمَ الله" ثم تحذف الهمزة فيقال " م الله " بالحركات الثلاثة في الميم . و أيضًا يقال فيه "من الله" بضمتين وفتحتين و كسرتين . ثم تحذف النون فيقال "م الله" مثلثة الميم .

و الأولى أن يقال : إن ما روي من قولهم "من الله" مضموم الميم و النون و مكسورهما مع لفظة "الله" وحدها هي "من" الجارة المستعملة مع "ربّي" اتبعت النون الميم ضمًّا و كسرًا للساكنين .

و أمّا "من الله" بفتحتين فنقول : هو "من الله" بكسر الميم و فتح النون . اتبعت الميم النون و إن كانت فتحتها عارضة للساكنين طلبًا للتخفيف . فعلى هذا "من" الجارة في القسم مختصة "بربي" أو "بالله" . و قيل : بالثلاثة أي مضموم الميم و النون و مكسورهما و مفتوحهما مع لفظة "الله" مقصورة من

"أيمن" .

أمّا اختصار "من اللهِ" بضمتين من "أيمن" فظاهر .

أمّا المكسورتهما والمفتوحتهما فلا أرى لكونهما مقصورتين منه وجهًا ، لأن "أيمن" عندهم واجب الرفع سماعًا كما يجيء . و القصر لا يوجب البناء ، فمن أين جاء كسر النون و فتحها . بل لو جاء "أيمن الله" على ثلاثة أوجه بالرفع و النصب و الجر كما جاء "يمين الله" رفعًا و نصبًا عند الجميع و جرًّا أيضًا عند الكوفيين جاز أن يقال : اتبع الميم و النون فتحًا أو كسرًا .

و يجوز أن يكون "من اللهِ" مقصورًا من "يمين الله" باتباع الميم النون بعد القصر . ولايجوز أن يكون "من اللهِ" بكسرتين مقصورًا من "يمين الله" باتباع النون للميم ، لأن حركة الإعراب لاتزال لأجل الاتباع .

و أمّا "أيم الله" بفتح الهمزة و كسرها مع ضم الميم فمقصور من "أيمن" بفتح الهمزة و كسرها . وقد يحذف الياء مع النون فيقال "أم الله" بفتح الهمزة و كسرها . كذا قال الرضي .

فائدة عظيمة

ربما يظن أن "مِ" مثلاً مقصور من "أيمن" دفعة . و ليس كذلك . بل قصر منه على التدريج . وكذا "أم" و "من" فيقال : قصر "أيمن" فصار "أيم" أو "من" ثم قصر "أيم" أو "من" فصار "م" . فالحذف تدريجًا أولى من الحذف دفعة .

و يدلك على ذلك ما قال ابن هشام في نظائره : إنه إذا استدعى الكلام تقدير أسماء متضايفة أو موصوفة و صفة مضافة أو جار و مجرور مضمر عائد على ما يحتاج إلى الرابط فلا تقدِّر أن ذلك حذف دفعة واحدة بل على التدريج . فالأوّل نحو "كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ" أي كدوران عين الذي . و الثاني كقوله :

إذا قامتا يضوّع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل

أي تضوُّعًا مثل تضوع نسيم الصبا . و الثالث كقوله تعالى : وَٱتَّقُوا۟ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن

نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا . أي لا تجزي فيه . ثم حذفت "في" فصار لا تجزيه . ثم حذف الضمير منصوبًا لا مخفوضًا . هذا قول الأخفش .

و عن سيبويه : أنهما حذفا دفعة واحدة . ونقل ابن الشجري هذا القول عن الكسائي و اختاره . قال : و الثاني قول نحوي آخر . و قال أكثر أهل العربية منهم سيبويه و الأخفش : يجوز الأمران . انتهى كلام ابن الشجري . وهو نقل غريب . انتهى كلام ابن هشام بلفظه في المغني ج٢ ص١٦٢ .

قال الرضي في شرح الكافية ج٢ ص٣٤ : إن الضمير المنصوب يحذف بشرطين : أحدهما : أن لايكون منفصلاً بعد إلاّ . الثاني : أن يكون مفعولاً للفعل نحو : الذي ضربت زيد . و أمّا المجرور فيحذف بشرط أن ينجر بإضافة صفة ناصبة له تقديرًا نحو : الذي أنا ضارب زيد . أي ضاربه . أو ينجر بحرف جر متعين . و إنما شرط التعيين لأنه لابد بعد حذف المجرور من حذف الجار . إذ لا يبقى حرف جار بلا مجرور . نحو قوله تعالى : فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ . أي تؤمر به .

ثم مذهب الكسائي في مثله التدريج في الحذف . وهو أن يحذف حرف الجر أوّلًا حتى يتصل الضمير بالفعل فيصير منصوبًا ، فيصح حذفه . و مذهب سيبويه و الأخفش حذفهما معًا إذ ليس حذف الجر قياسًا في كل موضع . انتهى باختصار . هذا . والله أعلم بالصّواب و علمه أجلّ و أتمّ .



الباب الستون
و فيه خمس خصائص

من خصائص لفظة "الله" دخول "من" الجارة القسميّة عليها . وإن شئتَ فقل : من خصائصها أنّ "من" الجارّة إذا دخلت عليها أفادت معنى القسم . فيقال : من الله لأفعلن كذا . بمعنى "والله لأفعلن" . و القول بأنها "من" الجارة مذهب سيبويه و ابن مالك و الرضي . و اختاره الحافظ السيوطي في الجمع . خلافاً لمن قال : إنها مقصورة من "أيمن" أو "يمين" كما مضى و سيأتي . و هذه خاصة واحدة .

و هنا ثلاث خصائص أخر . إذ يسوغ في "من" هذه الفتحتين أي فتح الميم و النون و الضمتين و الكسرتين مع أنها في مثل هذه المواضع لا تكون إلّا بكسر ثم فتح . فهنّ ثلاث خواص أخر للفظة "الله" .

و لعل هذه اللغات الثلاث في كلمة "من" دلالة على وقوع تغير في معناها و إشارة إلى خروجها عن بابها . لأنها في الأصل لمعان أخرى كالابتداء و غيره . ولا يشارك الاسم "الله" في هذه الخاصة إلّا الاسم "الرب" .

قال ابن مالك في كتابه سبك المنظوم : إن "من" في "من الله لأفعلن" حرف جارّ . و ليست بقية "أيمن" لأنها لو كانت منها لم تستعمل إلّا مع "الله" كأيمن . و قد استعملتا مع غيره . حكي "من ربي لأفعلن" . و ردّ بأن كثرة تصرفهم فيها اقتضى ذلك . و هو أولى من إثبات حرف جرّ لمعنى لم يستقر لهذا المعنى و هو القسم ههنا في موضع من المواضع . و ردّ هـذا الردّ بأن للفظة "الله" خواصّ و مزايا . فلا يبعد أن ينظم هذا في سلك خواصّها .

و قال بعض الكوفيين : مكسورة الميم من "يمين" ، و الباقي عن "أيمن" . و قيل : كل ذلك اقتصر عن "أيمن" . صرح به الرضي .

ثم اعلم : أن "من" مكسورة الميم و قد تضم ، و الكسر أكثر ، و سكون النون مختصة بلفظ "ربي" . قال الرضي : و مذهب سيبويه أنها حرف جرّ قامت مقام الباء . و ضم الميم للدلالة على تغير معناها و خروجها عن بابها . كما تقول في العلَم "شُمس بن مالك" بضم الشين .

و مذهب بعض الكوفيين أن المضمومة الميم مقصورة من "أيمن" و المكسورتها من "يمين" و فيه نظر . إذ "أيمن" مختص كما سيجيء "بالله" أو "به" و "بالكعبة" و "من" مختصة بلفظ "ربي" . ولا منع أن يقال : تغير حكمه عند اختصاره .

و يمكن أن يستدل ببنائه على أنه ليس محذوفًا من "أيمن" لأن اختصار العرب و ردّه إلى حرفين لا يوجب البناء كما في "يد" و "دم" . و الأولى أن يقال : إن مضموم الميم و النون و مكسورهما و مفتوحهما كل ذلك حرف جر اتبعت الميم النون في الآخر و إن كانت فتحتها عارضة للساكنين طلبًا للتخفيف . و اتبعت النون الميم طلبا للتخفيف . فعلى هذا "من" الجارة في القسم مختصة بربي و بالله . انتهى كلامه باختصار .

ثم ردّ قول من قال باختصار كل ذلك من "أيمن" و قال : إن اختصار ما هو بضمتين ظاهر . و أمّا اختصار الباقيين فلا أرى له وجهًا . لأن "أيمن" واجب الرفع سماعًا ، والقصر لايوجب البناء . فمن أين جاء كسر النون و فتحها . هذا قول الرضي .

و حاصله على ما يخطر بالبال أن "من" في "من الله لأفعلن" مبنية ولو كانت مختصرة من "أيمن" لكان بناؤه بلا وجه . و بناء الاسم لا يكون بدون مقتض له . كما بيّن ذلك في مبنيات كتب النحو .

و الجواب على ما يخطر بالبال أن للكوفية أن يقولوا : إن بناءه بدون مقتض من خواص اسم "الله" . ثم لمّا لا مندوحة عما اخترنا في بناء "أيم" بالضم أو الكسر و لا مخلص له و لأتباعه إلّا الفرار إلى ما عنه الفرار فالأولى اتحاد الحكم و العلة في "أيم" و "من" و أن يوسع الدائرة من أوّل الوهلة بالقول بأن ذلك من خصائص اسم "الله" الشريف .

قال الرضي : نعم لو جاء "أيمن الله" على ثلاثة أوجه بالرفع و النصب و الجر كما جاء "يمين الله" رفعًا و نصبًا و جرًّا جاز أن يقال : اتبع الميم و النون فتحا و كسرًا .

ثم قال : و يجوز أن يكون "من الله" بفتحتين مقصورًا من "يمين الله" باتباع الميم النون بعد القصر . ولا يجوز اختصار "من الله" منه باتباع النون للميم . لأن حركة الإعراب لا تزال لأجل الاتباع .

قال العبد الضعيف الروحاني : زوال الحركة الإعرابية لأجل الاتباع أيضًا من خواص اسم "الله" الشريف . و هي خاصة خامسة في هذا الباب . هذا . والله أعلم بالصّواب و إليه المرجع و المآب و علمه أجلّ و أعلى .



الباب الحادي و الستون
و هو محتوٍ على خمس عشرة خاصة

من خصائص اسم "الله" بناء لفظ أضيف إليه بدون سبب البناء . و هو كلمة "من" و "أيم" و "أم" مثلثة الآخر في الأولى و الأخيرة ، و ضمًّا و كسرًا في الثانية . فيقال : "من الله" و "أيم الله" و "أم الله لأفعلن كذا" .

ثم في "من" ثلاث لغات و في "أيم" أربع لغات و الرابعة "هيم" و في "أم" ست لغات . كما تقدم في بيان لغات "أيمن" . فانتهت لغات هذه الكلمات الثلاث إلى اثنتي عشرة لغة . و تبتني على كل لغة منها خاصة . فهنّ اثنتا عشرة خاصة .

ثم هنا ثلاث خصائص أخرى تتفرع على اختلاف حركات بنيت بها هذه الكلمات الثلاث "أيم" و "أم" و "من" فتبني تارةً على الضم و تارةً على الفتح و تارةً على الكسر .

و بناء الكلمة الواحدة المضافة إلى مفرد على الضم أحيانًا و على الفتح مرة و على الكسر أخرى نادر . بل لا نظير لذلك في كلام العرب العرباء . كما لا يوجد في كلام الفصحاء اسم بني بلا مقتضٍ قوي سوى ما نحن فيه . و هذا على مذهب من قال باختصار "من" من "أيمن الله" .

و أمّا على مسلك من قال بأنها حرف جر كما سبق فلا تحقق لهذه الخصوصية . ثم يحتمل أن يقال في المضمومة الآخر بعدم البناء ، و الضم فيها ضمة أصلها ، و هو "أيمن" و أمّا "أيم" مكسورة الميم فمبني على الأصح ، و أصلها السكون ، كسرت لالتقاء الساكنين . و فيها قول آخر سيأتي . كذا في الجمع و الهمع .

و أيضًا في الجمع والهمع أن "من" و "م" مبنيان . لأنهما على وضع الحرف ، و حركة الثاني لضرورة الابتداء ، و حركة الأوّل لالتقاء الساكنين في الاسم بعدها . انتهى .

تنبيه

بحثنا المذكور مبني على فحوى ما يعلم من كلام الرضي المذكور من قبل ، حيث قال ، ما حاصله : أن اختصار "من" من "أيمن" يوجب البناء على الكسر أو الفتح . ولا وجه لذلك البناء .

ثم اعلم : أن البحث مع الرضي على وجوه :

الأوّل : ما نحن بصدده في هذا الباب و هو أن ذلك من خصائص اسم "الله" .

و الثاني : أن آخر "من" ساكن كما أن آخر "أيم" ساكن ، على ما نقلنا آنفًا عن الجمع و الهمع ، ثم كسر ، لأن الكسر أصل في موضع التقاء الساكنين ، و بني على الفتح للخفة .

و الثالث : أن الفتح في ميم "أيم" أصلية حيث كانت في أصله . إذ يجوز في "أيمن" فتح الميم أيضًا كما سبق منا في لغات "أيمن" ثم فتحت النون في "من الله" أيضًا إتباعًا لفتح الميم .

و الرابع : أن الكسر في نون "من الله" بواو قسم مقدرة كما هي في "أيم" كذلك . نقل ذلك الحافظ السيوطي في الهمع في كلمة "أيم" و قسنا نحن عليه كلمة "من" ولا بُعد في هذا القياس .

هذا البحث مع الشيخ الرضي في الحركات .

و أمّا البحث معه في سبب البناء فعلى وجوه :

الأوّل : ما وضعنا له هذا الباب ، وهو أن ذلك من خصائص اسم "الله" .

و الثاني : أن أصل ذلك مبني وهو "أيمن" حيث قال بعض الكوفيين : إنه مبني . فبني فرعه . و الأصل ينبئ عن الفرع و الشجر عن الثمرة .

و الثالث : أن البناء موجه يشبه الحرف في عدم التصرف . و أيضًا وضع "من" وضع الحرف .

قال الحافظ السيوطي في الجمع و الهمع ج٢ ص٤٠ : و الأصح أن "أيمن" معرب لعدم سبب

البناء . وقال الكوفيون : مبني لشبهه الحرف في عدم التصرف . إذ لم يستعمل في موضع من المواضع التي تستعمل فيها الأسماء إلّا في الابتداء خاصة كالحرف . و "أيم" المكسورة مبني ، و أصله السكون ، كسر لالتقاء الساكنين ، و على الأوّل هي جرة إعراب بواو قسم مقدرة . و "من" و "م" مبنيان . لأنهما على وضع الحرف . انتهى بتصرف . هذا . والله أعلم .

فصل

ما قلنا : إنه لا يوجد في كلامهم اسم بني على الضم مرةً و على الفتح أخرى و على الكسر أخرى سوى "م الله" و "أيم الله" . إنما ذلك في الاسم المضاف إلى مفرد . و أما في المضاف إلى جملة فيوجد عدّة ألفاظ . وكذا ما لا يكون مضافًا أو لا يكون اسمًا بل يكون حرفًا .

و لكون هذا البحث لطيفًا أحسن من الدنيا المقبلة نوضحه بعض التوضيح بإيراد النظائر . ولا سلف لنا في جمعها في باب . فأقول و بالله التوفيق :

فمن نظائر ذلك : "حيث" حيث تبنى على الضم و على الفتح و الكسر . كما صرّح به المحقّقون من النحاة .

قال السيوطي في الجمع و الهمع ج١ ص٢١٢ : من الظروف المبنية "حيث" بنيت على الضم تشبيهًا "بقبل" و "بعد". و من العرب من بناها على الفتح طلبًا للتخفيف . و منهم من بناها على الكسر على أصل التقاء الساكنين . و لغة طيء إبدال يائها واوًا فيقولون "حوث" . و في ثائها أيضًا الحركات الثلاث . و قرئ قوله تعالى "سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُوْنَ" بالكسر . ولاتضاف "حيث" إلى مفرد فلا يختلّ به خاصية لفظ "الله" هذه .

فإن قلت : روى الكسائي إضافتها إلى مفرد كقوله :

* ببيض المواضي حيث ليّ العمائم *

و قوله :

* أما ترى حيث سهيل طالع *

قلت : نعم ينقاس إضافتها إلى مفرد عند الكسائي . و أمّا عند الجمهور فلا . و كلامنا مبنيٌّ على قول الجمهور . و قال الرضي : و مع إضافة "حيث" إلى المفرد يعربه بعضهم لزوال علة البناء ، أي الإضافة إلى الجملة .

و منها : "غير" في قولهم : قبضتُ عشرة ليس غير . فتبنى "غير" على الضم نحو "قبل" و "بعد" و على الفتح .

و منها : "عوض" و هي للوقت المستقبل عمومًا كأبدًا . تبنى على الضم كقبل و بعد ، و على الفتح طلبًا للتخفيف ، و على الكسر على أصل التقاء الساكنين .

و منها : "قط" وهي مقابل "عوض" للوقت الماضي . بنيت على الضم مثل "قبل" و "بعد" و على الكسر على أصل التقاء الساكنين .

و منها : "عن" الجارة . تكسر نونها عند اجتماع الساكنين وقد تضم مع اللام . حكى الأخفش "عن القوم" بضم النون . قال أبوحيان : ليس له وجه من القياس . كذا في الهمع للسيوطي ج٢ ص٢٠٠ .

و منها : "إذ" الشرطية للوقت الماضي . إذا حذفت الجملة التي أضيفت إليها "إذ" فتعوض منها التنوين و تكسر الذال على أصل التقاء الساكنين . نحو "حينئذ" وتفتح منوّنًا أيضًا طلبًا للتخفيف . و عليه قوله تعالى "وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ" . ليست "إذن" هذه الكلمة المعهودة و إنما هي "إذ" الشرطية حذفت جملتها التي تضاف إليها و عوّض عنها التنوين .

قال السيوطي في الهمع ج١ ص٢٠٥ : سمعت هذا التخريج عن شيخي الكافيجي . وكنت أستحسن هذا جدًّا . وأظن أن الشيخ لاسلف له في ذلك . حتى رأيت بعض المتأخرين جنح إلى ما جنح إليه الشيخ . و فصله السيوطي في الإتقان فقضٰى حقه . راجع الإتقان ج ١ ص١٥٠ .

إن قلت : كلمة "إذ" قد تضاف إلى مفرد . فتختل خاصية هذا الباب .

قلت : عندئذ يكون صدر الجملة محذوفًا . فهي مضافة إلى جملة حقيقةً . صرح به السيوطي في الهمع . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أتم و أجلّ .

الباب الثاني و الستون

من خصائص اسم "الله" بناء الاسم المضاف إليه حالة الإضافة . و لفظة "الله" مفردة معربة . و قد تحقّق في كتب النحو أن الإضافة من خواص الاسم . فالإضافة و كل ما هو من خواص الاسم كالتثنية واللام للتعريف و التنوين للتمكن مانعة عن البناء .

فإضافة الاسم المبني مع بقاء بنائه من خواص هذا الاسم الشريف . فيقال "م الله" مثلثة و "أيم الله" بكسر الميم و ضمها و "أم الله" مثلثة و "من الله" مثلثة .

هذا على تقدير اقتصار كل ذلك من "أيمن" وكون "أيمن" اسمًا كما ذكرنا سابقًا . و أمّا على مذهب من قال بأن "أيمن" حرف جر ، وهو الزجاج و الرماني ، أو على قول عدم الاقتصار كما هو مختار البعض في بعض ذلك ، فلا توجد هذه الخصوصية فيه .

تنبيه و توضيح

اعلم : أن كون الإضافة مانعة من البناء مما أطبقوا عليه . ثم الأصح أن ذلك حكم لزوم الإضافة لا حكم نفس الإضافة و إن كانت كلمات البعض على خلاف ذلك . و أيضًا يختص هذا الحكم بموضع يكون المضاف إليه مفردًا معربًا لا جملة أو مبنيا .

قال الرضي في شرح الكافية ص٨٠ : وإنما بنيت هذه الظروف أي "قبل" و "بعد" و "لا غير" و "ليس غير" وأخواتها عند قطعها عن المضاف إليه لمشابهتها الحرف باحتياجها إلى معنى ذلك المحذوف .

فإن قلت : فهذا الاحتياج حاصل لها مع وجود المضاف إليه . فلِمَ لم تبن معه كالأسماء الموصولة

تبنى مع وجود ما تحتاج إليه من صلتها .

قلت : لأن ظهورالإضافة فيها يرجح جانب اسميتها لاختصاصها بالأسماء . انتهى .

و **قال** ابن هشام في المغني ص١٣٧ : إن كلمة "غير" إذا أضيفت إلى مبني مفردًا كان أو جملة يجوز بناؤها على الفتح كقوله :

لم يمنع الشربَ منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أو قال

فإن "غير" فاعل الفعل ، بني على الفتح لإضافته للمبني . و قوله :

لذ بقيس حين يأبى غيره تلفه بحرا مفيضًا خيره

"فغيره" مبني على الفتح مع كونه فاعلاً للفعل لإضافته إلى الضمير . و الإضافة لمبني تضمن غير معنى إلا . انتهى بزيادة .

قال محشيه : إن قلت : هذا يقتضي بناء "غير" في الاستثناء مطلقًا لا جوازه في خصوص ما ذكر .

قلنا : عارضه لزوم الإضافة التي هي من خواص الاسم . فإن كان المضاف إليه مبنيا تقوى البناء بعض تقوّ . انتهى .

و **قال** السيوطي في الجمع والهمع ج١ ص٢١٣ ، ما حاصله : أن "عوض" من الظروف المبنية . فإن أضيف إلى العائضين أو أضيف إليه . الأوّل نحو قولهم : لا أفعل ذلك عوض العائضين ، أي دهر الداهرين . و الثاني كقوله :

* و لا بتل عوضٍ في خطاي و أوصالي *

أعرب في الحالين لمعارضة الشبه بالإضافة التي هي من خصائص الأسماء . انتهى .

و لذا يعرب الظروف المبنية "كقبل" و "بعد" عند قطعها عن الإضافة و حذف المضاف أيضًا إذا نوي لفظ المضاف إليه فيقال "أما بعد" بالنصب بلا تنوين . و بناؤها إنما إذا نوي معنى الإضافة . صرح به النحاة كلهم .

و في الهمع ص١٦ بعد ما ذكر أن بناء الاسم لشبه الحرف : ثم إن شبه الحرف إنما يؤثر حيث لم يعارضه معارض . فإن عارضه ما يقتضي الإعراب فلا أثر له . و ذلك كأيّ شرطًا و استفهامًا و موصولة ، فإنها معربة مع مشابهتها للحرف في الأحوال الثلاثة . لكن عارض هذا الشبه لزومها للإضافة . و كونها بمعنى "كل" إن أضيفت إلى نكرة ، و بمعنى "بعض" إن أضيفت إلى معرفة . فعارضت مناسبتها للمعرب مناسبتها للحرف . فغلبت مناسبة المعرب لأنها داعية إلى ما هو مستحق بالإصالة . انتهى .

و فيه أيضًا : أن كلمة "مع" وضعت على حرفين وضع الحرف . فيجب أن تبنى مع أنها معربة على الأصح . فالجواب : أن ذلك للزومها للإضافة . و ذلك معارض للشبه . و قيل : إنها ثلاثية الوضع و إن أصلها " معي " فحذفت لامها اعتباطًا . و لذا ردّت إليها عند نصبها على الحال . فيقال : معًا . انتهى .

و قال الرضي في شرح مركبات الكافية ص٦٩ : وإذا عرف نحو ثلاثة عشر من المركبات المبنية باللام فلا خلاف في بقائه على بنائه لبقاء علة البناء مع اللام أيضًا . و أمّا إذا أضيف نحو "ثلاثة عشرك" مثلاً ففي إعرابه خلاف كما يجيء في باب العدد .

فإن قلت : لم لم يجز الإعراب مع اللام المرجحة لجانب الاسمية كما ذكرت في باب الأصوات نحو "كل الأين" ؟

قلت : لأن الجزء الذي باشره اللام من المركب أي صدره يتعسّر إعرابه للزوم دوران الإعراب في وسط الكلمة أو الجزء الأخير ، ولم يباشره اللام فكيف يعرب . بخلاف نحو "كل الأين" فإن اللام باشرت فيه المبني ، و بخلاف الإضافة فإنها تباشر الثاني في نحو "ثلاثة عشر زيد". فمن ثم جوّز الأخفش إعرابه كما يجيء في باب العدد . انتهى .

و أيضًا قال الرضي في شرح عدد الكافية ص١٢٥ : و إذا أضفت العدد المركب نحو "أحد عشرك" و "خمسة عشر زيدٍ" فعند سيبويه الاسمان باقيان على بنائهما لبقاء موجبه و هو التركيب . و الإضافة عنده لا تخل بالبناء كما لا تخل به الألف واللام اتفاقًا في نحو "الأحد عشر" و إن كانت الإضافة و اللام من خواص الأسماء .

و أمّا الأخفش و الفراء فإنهما فرّقا بين اللام و الإضافة . و ذلك لأن ذا اللام كثيرًا ما يكون

مبنيًّا نحو "الآن" و "الذي" و أخواته و "الأمس" عند بعضهم . و أمّا المضاف فلا يكون إلّا معربًا إلّا "لدن" و أخواته . ألا ترى إلى إعراب "أيّ" للزوم إضافته مع ثبوت علة البناء فيه و إلى إعراب "قبل" و "بعد" و أخواتهما مع الإضافة و البناء عند القطع منها . و أمّا بناء نحو "غلامي" على مذهب النحاة و بناء "حيث" و "إذا" و نحو قوله "على حين عاتبت إلخ" فقد مضى الكلام عليها في مواضعها .

فالأخفش يعرب ثاني الاسمين قياسًا مع الإضافة نحو "جاءني خمسة عشر زيد" إجراء له مجرى بعلبك . و الفراء يجعل الجزئين معربين إعراب المضاف و المضاف إليه نحو "ابن عرس" تشبيهًا لفظيًا لهذا المركب بالمضاف و المضاف إليه . انتهى .

و من ثم يعرب كلمة "أمس" المبنية إذا أضيفت . صرح به ابن هشام في شرح شذور الذهب ج١ ص١١٧ . و مثله بقولهم "ما كان أطيب أمسنا" بنصب "أمسنا" . هذا .

فصل

إنما قلت : إن المانع عن البناء الإضافة إلى المفرد ، لأن الإضافة إلى الجملة كلا إضافة . و لذا بنيت الظروف المضافة إلى الجملة "كإذ" و "إذا" و "حيث" .

ففي الخضري ج١ ص٣١ : و لم تعارض إضافتها شبه الحرف ، لأن الإضافة للجملة كلا إضافة . إذ هي في الحقيقة إلى مصادر الجمل . فكأن المضاف إليه محذوف . انتهى .

فائدة

ثم اعلم : أنّهم اختلفوا في علة كون الإضافة إلى الجملة كلا إضافة . فقال ابن هشام وغيره : لأن أثرها و هو الجر لا يظهر .

وقال الرضي وغيره : لأنها مضافة في المعنى إلى المصدر الذي تضمنته الجملة لا إلى الجملة نفسها . وإن كانت في الظاهر مضافة إلى الجملة فإضافتها إليها كلا إضافة . فشابهت الغايات المحذوف ما أضيفت إليه . انتهى .

ثم إنّ تعليـل ابن هشام تؤيّده الإضافة إلى المفرد المبني حيث يبنى المضاف عندئذ لظهور أثر الإضافة أي الجر غالبًا كما سيجيء .

و تعليل الشيخ الرضي وما اختاره يؤيّده جواز إضافة ما يدل على الزمان "كيوم" و نحوه إلى جملة مستفاد منها أحد الأزمنة الثلاثة . وهي الفعلية والاسمية التي يستفاد الزمان منها . نحو قوله تعالى : يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ . لأن المضاف إليه في الحقيقة هو المصدر . فاحتيج إلى هـذا التناسب بين المضاف و المضاف إليه .

قال الرضي في شرح ظروف الكافية ج٢ ص٨٣ : و اختلف في كون الظروف مضافة إلى ظاهر الجملة أو إلى المصدر الذي تضمنته . و النزاع في الحقيقة منتف ، لأن الإضافة في اللفظ إلى ظاهر الجملة بلا خلاف . و من حيث المعنى إلى مصدرها ، لأن معنى "يوم قدم زيد" يوم قدومه . ولو كان مضافا في الحقيقة إلى ظاهر الجملة و هي خبر لكان المعنى "يوم هذا الخبر المعين" . و أيضًا الإضافة في المعنى لتخصيص الزمن . و لابد في الإضافة المفيدة للتخصيص من صحة تقدير لام التخصيص . و اللام يتعذّر دخولها على الجملة . انتهى .

فائدة

اعلم : أن لزوم الإضافة إلى الجملة بل مطلق الافتقار إلى الجملة موجب للبناء ، كالموصولات المفتقرة إلى الصلة فأشبهت الحروف .

ثم الظروف الواجبة الإضافة إلى الجملة ثلاثة فقط ، و هي "حيث" في المكان و "إذا" و "إذ" على خلاف في "إذا" هل هي مضافة إلى الجملة التي تليها أو لا .

و أمّا جائزة الإضافة إليها فعلى ضربين : لأنها إمّا أن تضاف إلى جملة ماضية الصدر نحو :

* على حين عاتبت المشيب على الصبٰى *

و "يوم قدم زيد" فيجوز بناؤها و إعرابها بالاتفاق .

و إمّا أن تضاف إلى الفعلية التي صدرها مضارع نحو قوله تعالى "هٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصّٰدِقِينَ" أو

إلى الاسمية . فعند بعض البصريين تعرب فقط لضعف علة البناء . و عند الكوفيين و بعض البصريين يجوز بناؤها اعتبارًا بالعلة الضعيفة . و احتجوا بقوله تعالى "هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ ٱلصّٰدِقِيْنَ" بفتح "يوم" مع أنه خبر . و أجيب بأنه يحتمل الظرفية أي هذا المذكور في "يوم ينفع" .

تنبيه ثان

إن قلت : قدذكرت في التنبيه الأوّل المذكور في أوّل هذا الباب أن كون الإضافة مانعة من البناء مختصّ و مشروط بموضع الإضافة إلى المفرد المعرب . فما وجه اشتراط الإضافة إلى المفرد المعرب ؟

قلت : وجه هذا الاشتراط ما قد صرّحوابه وقالوا : إنّ الإضافة إلى المفرد المبني غير مانعة عن البناء . بل مسوّغ له إذا أضيف الظرف المبهم إليه خلافًا لابن مالك .

قال السيوطي رحمه الله في الهمع ج١ ص٢١٨ : من الظروف التي تبنى جوازًا أسماء الزمان المبهمة إذا أضيفت إلى مبني مفرد نحو "حينئذ" و "يومئذ" . وألحق بها الأكثرون كل اسم ناقص الدلالة "كغير" و "مثل" و "دون" و "بين" فبنوه إذا أضيف إلى مبني نحو "ما قام أحد غيرك" بفتح الراء . و قال تعالى : إِنَّهٗ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنْطِقُوْنَ . و قرئ "إن يصبكم مثل ما أصاب" بفتح اللام . و قال : وَ مِنَّا دُوْنَ ذٰلِكَ . لَقَدْ تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ . والقول ببناء المضاف إلى ياء المتكلم من شعب هذا الأصل .

و ذهب ابن مالك إلى أنه لا يبنى مضاف إلى مبني بسبب إضافته إليه أصلًا لا ظرفًا ولا غيره . لأن الإضافة من خصائص الأسماء التي تكفّ سبب البناء و تلغيه في غير موضع . فكيف تكون داعية إليه .

و الفتحات في الشواهد السابقة حركات إعراب . "فمثل" في الآية الأولى حال من ضمير لحق المستكن ، و في الثانية مصدر أو حال . و فاعل يصبكم "الله" . و "دون" و "بين" منصوبان على الظرف . و هذا الذي ذهب إليه هو المختار . انتهى . هذا .

فصل
في بيان الأسماء المبنيّة المضافة إلى مفرد

اعلم : أنه لا مندوحة هنا عن البحث عن أسماء بنيت مضافةً إلى مفرد . إذ قد قلنا : إن ذلك من خصائص المضاف إلى الاسم "الله" نحو "أيم الله" .

و يرد على قولنا هذا عدة أسماء بنيت مع كونها مضافة إلى مفرد . فلابد من ذكر تلك الأسماء و ذكر الحلّ و الجواب عنها ههنا ، كي ينكشف الغطاء عن وجه الخاصّة المذكورة في هذا الباب و ينحسر الغشاء و يتّضح الطَّخاء و ينكشط الغماء ، و كي تظهر علاء هذه الخاصّة المباركة و تشهر سناؤها و تبهر ضياؤها . فأقول و بالله التوفيق :

فمنها : "لدن" و معناها أوّل غاية زمان أو مكان . نحو : لدن صباح . و من لدن حكيم . و نقض أبوحيان كما في الهمع ج١ ص١٦ قول منع الإضافة عن البناء "بلدن" فإنها ملازمة للإضافة . بل هي أقوى من "أيّ" فيها . فإنها لا تنفك عنها لفظًا وهي مبنية .

و حلّه أوّلًا : أن "لدن" معربة عند قيس . و بلغتهم قرأ أبوبكر عن عاصم قوله تعالى : لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ . إلاّ أنه أسكن الدال و أشمّها ضمة فلا إيراد .

و ثانيًا : أن وجه بنائها قوة شبهها بالحرف . و بيّن ذلك ابن الحاجب بأن من لغات "لدن" ما وضعها وضع حروف فحمل البقية عليها و هي "لد" بحرفين .

و بيّنه الرضي بأنها زادت على سائر الظروف غير المتصرفة في عدم التصرف بكونها مع عدم تصرفه لازمًا لمعنى الابتداء . فتوغّل في مشابهة الحرف .

و بيّنه السيوطي وغيره بلزومها استعمالاً واحدًا . وهي كونها مبتدأ غاية و امتناع الإخبار بها و عنها .

و بيّنه شيخ الإسلام السراج البلقيني بأن "لدن" ليست بمعنى لفظة معربة كما أن "أيّ" بمعنى "بعض" إن أضيفت إلى المفرد ، و بمعنى "كل" إن أضيفت إلى الجملة . و بأن "لدن" بنيت لشبهها

الحرف في لزوم استعمال واحد و امتناع الإخبار بها و عنها . فلم يعارض شبه الحرف في "لدن" من الوجوه المذكورة لزوم الإضافة . فإن الشيء الواحد لا يقوى أن يعارض أشياء . بخلاف "أيّ" فإن معنى الحرف واحد عارضه لزوم الإضافة لفظًا و معنى أو لفظًا لا معنى . فيصير إلى ما هو الأصل في الأسماء من الإعراب .

و بيّنه الشهاب القاسمي كما في حواشي يس على التصريح ج١ ص٤٩ بأن في "لدن" قوة الشبه حيث انضم إلى شبهها المعنوي . و هو تضمنها معنى الملاصقة المخصوصة التي هي من معاني الحروف . ولم يضعوا لها حرفًا الشبهُ اللفظي في بعض لغاتها . انتهى . وفي الخضري : حكي هذه العلة عن أبي حيان .

و **ثالثًا :** أن إضافتها إمّا لمفرد أو لجملة . فلم تلزم الإضافة إلى الأفراد ، فلم تقو على المعارضة . حكاه بعض محشي الخضري عن ابن هشام .

و **رابعًا :** أنها ليست ملازمة الإضافة . حيث روى سيبويه نصب "غدوة" في "لدن غدوة" و حكى الكوفيون رفع "غدوة" بعدها .

و **منها :** "قد" الاسمية بمعنى "حسب" يقال "قدْ زيد درهم" بسكون الدال و "قدني" أي "حسبي" فهي مبنية مع كونها ملازمة للإضافة .

و **حلّه** من وجوه :

الأوّل : أنها تستعمل معربة أيضًا في لغة و إن قل هذا الاستعمال . كذا قال ابن هشام . وكفى هذا القدر من الإعراب لدفع البناء .

و **الثاني :** أن البناء مذهب البصرية . و قالت الكوفية : إنها معربة مطلقًا . فلا ورود بالنظر إلى مذهب الكوفية .

و **الثالث :** بنيت مع إضافتها لقوة وجه الشبه فيها لشبهها "بقد" الحرفية لفظًا ، و لكثير من الحروف في وضعها . فمجموع هذين الأمرين علة واحدة ، كذا قيل . والصواب أن يقال : هما علتان اجتمعتا فيها .

و في حواشي المغني : مجموع الأمرين علة واحدة . فإنهما في حيز الشبه المعلل به . خصوصًا

إذا كان البناء غير واجب فيكتفي فيه بأدنى سبب . فلا يقال : إن الأمر الأوّل وحده لا يوجب البناء . ألا ترى إلى "إِلًى" بمعنى النعمة مفرد الآلاء فإنها شبيهة بلفظ الجارة و الاستفتاحية . و مع ذلك معربة . و أما جواب العلامة الشمني بمنع المشابهة لكون "إلى" بمعنى النعمة منونة . ففيه أن التنوين إنما جاء للإعراب و لو بنيت لحذف . فهذا جواب بما فيه التنازع .

و الرابع : أن لزوم الإضافة إلى مفرد إنما يعارض تحتُّم البناء و لزومه لا جواز البناء . قال الدنوشري : إن قيل : إن "قد" الاسمية و "لدن" ملازمان الإضافة إلى مفرد و هما مبنيان . ثم قال بعد ذكره هذا الجواب الرابع : و هذان يجوز أن يعربا في لغة . انتهى .

قال الشيخ يٰس : و يرد عليه أن الكلام في أسباب البناء عند الجمهور و في اللغات الفصيحة كما مر نحوه عن الشهاب القاسمي . و لم يذكر الشهاب هذا الجواب . و إنما أجاب بأن الشبه الوضعي لا يعارض خصوصًا فيما هو على صورة الحرف . و هذا جواب خامس فتدبر .

و منها : "كم" فإنها تضاف إلى مفرد معرب نحو "كم عبد ملكتُ" و هي مبنية .

و حلّه من وجوه :

الأوّل : ما مضى من الجواب الخامس في "قد" .

و الثاني : أنها غير ملازمة للإضافة . قاله الشيخ يٰس في حواشي التصريح .

و منها : "حيث" فإنها تضاف إلى مفرد ، وهي مبنية .

و حلّه من وجوه :

الأوّل : بنيت في ذلك حملاً على أكثر أحواله و هو البناء . حيث تضاف في الأكثر إلى الجملة كما مضى . و لهذا نظائر .

الثاني : أن إضافتها إلى مفرد نادرة غير منقاسة . وكلامنا في المنقاس . قال ابن هشام : و ندرت إضافتها إلى مفرد كقوله "حيث ليّ العمائم" و إن كان الإمام الكسائي يقيسه . لأنه متفرد في هذا .

الثالث : أنها معربة عندئذ . قال أبوالفتح ابن جني في كتاب التمام : و من أضاف "حيث"

إلى المفرد أعربها . انتهى . و الجواب عن تمسكهم بقوله :

*　　أما ترى حيثُ سهيلٍ طالعًا　　*

بضم الثاء . أن ابن هشام رواه عن بعض الضابطين بنصب "الثاء" على المفعولية ، و بضم "الثاء" و رفع "سهيل" لا جرّه على أنه مبتدأ خبره محذوف أي "موجود" فهي مضافة إلى جملة لا إلى مفرد .

و منها : المركب البنائي نحو "خمسة عشر" فإنه يضاف إلى مفرد و هو مبني .

و حلّه أنه معرب عند الأخفش إذا أضيف . و اختاره الجمهور . و أما البناء عند الإضافة فمسلك سيبويه . و قد مضى منّا الكلام عليه في بدء هذا الباب فراجعه .

و منها : "مع" فإنها تبنى على السكون قبل حركة نحو "زيد مع عمرو" مع لزومها الإضافة .

قلت : حلّه من وجوه :

الأوّل : هذه لغة ربيعة . وكلامنا في لغة عامة العرب . و عامتهم يحرّكونها على الإعراب قبل حركة و قبل سكون كليهما . صرح به في الهمع .

و الثاني : في لفظة "مع" شبه وضعي للحرف لكونها على حرفين مثله . و إضافتها ضعيفة لكونها غير لازمة حيث تفرد عنها . فتنصب على الحال نحو : جاء زيد و بكر معًا . فمن ثم بني و أعرب عملاً بالشبهين . بناؤه أقل لكونه فرعًا و إعرابه أكثر لكونه أصلاً . و الأصل للشيء أجلب و أجذب له إليه من الفرع . و قد مضى منا البحث على "مع" حيث جعلها السيوطي لازمة الإضافة .

و الثالث : ما في شرح ابن عقيل أن سيبويه زعم أن تسكين العين في "مع" ضرورة شعرية .

و الرابع : قال بعضهم : إن "مع" ساكنة العين حرف نحو "قد" . و ادعى الإمام النحاس الإجماع على ذلك .

و منها : "أيّ" الموصولة . قال ابن هشام في شرح شذور الذهب ص١٢٢ : إنها تبنى بشرطين : أحدهما : أن تضاف . الثاني : أن يكون صدر صلتها ضميرًا محذوفًا كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ . بضم "أيّ" و الظاهر أن يفتح لأنها مفعول الفعل . و التقدير : أيهم

هو أشد .

و حلّه من وجوه :

الأوّل : أن من العرب من يعرب "أيًّا" في أحوالها كلها مع كونها موصولة . و قد قرأ هارون و معاذ و يعقوب "أَيَّهُمْ أَشَدّ" بنصب "أيّ" . حكاه ابن هشام في شرح شذورالذهب ص١٢٢ .

قال سيبويه : هي لغة جيدة . و قال الجرمي : خرجت من الخندق أي خندق البصرة حتى صرت إلى مكة . فلم أسمع أحدًا يقول : اِضرب أيّهم أفضل . أي كلهم ينصب و لا يضم . قال الزجاج : ما تبين لي أن سيبويه غلط إلاّ في هذا . و نصب "غدوة" بلدن . لأنه يسلم أن "أيًّا" إذا أفردت تعرب فكيف يبنيها إذا أضيفت . انتهى .

و في شرح محمد عبادة : و خالف يونس و الخليل فإنهما يقولان : ليست حينئذ موصولة . و إنما هي استفهامية معربة . و اختلفوا في تخريج الآية على الضم فقال الخليل : المفعول محذوف . أي لننزعن الفريق الذي يقال فيه"أيّهم أشد" .

و الثاني : أن "أيًّا" غير ملازمة للإضافة . فضعفت جنبة الاسمية . فتدبر فإنه يخالف ما ذكرنا من لزوم إضافتها .

و الثالث : ما حكي عن سيبويه معتذرًا عن ذلك أنها لما بعدت عن حال أخواتها من الموصولات بحذف أحد جزئي صلتها و هو المبتدأ كان ذلك مخالفًا لأخواتها . فغيروها تغييرًا ثانيًا و بنوها . لأن التغيير يأنس بالتغيير . كذا في شرح محمد عبادة العدوي رحمه الله على شرح الشذور .

و الرابع : ما قال الرضي : إذا حذف صدر صلتها بنيت كأخواتها الموصولة . و ذلك لأنها كانت معربة على خلاف جميع الموصولات . و الشيء إذا فارق أخواته لعارض فهو شديد النزوع و الرجوع إليها بأدنى سبب . و ضعّف الشنواني هذين الجوابين .

و الخامس : بنيت لمخالفتها لبقية الموصولات بحذف صدر صلتها . فرجعت إلى حقها من البناء .

و السادس : ما ذكره محمد عبادة العدوي أن قياسها البناء و إعرابها مخالف له . فلما نقص

من صلتها شيء رجعت إلى قياسها .

و **السابع :** ما حكاه محمد عبادة أيضًا . و هو أن صدر صلتها لما حذف صار ما أضيف إليه بمنزلته . فصارت بمنزلة ما لم تضف لفظًا ولا نيةً . أشار إلى هذا ابن مالك .

بخلاف ما إذا لم تضف لفظًا فإن التنوين قائم مقام المضاف إليه سواء ذكر الصدر أم لا . فالإضافة موجودة فأعربت . و بخلاف ما إذا أضيف و ذكر الصدر . هذا . والله أعلم بالصّواب و علمه أعلى و أتمّ .



الباب الثالث و الستون

من خصائص لفظ "الله" الجليل جواز الضمّ في "مُ" الجارّة الداخلة عليه . ولك أن تقول بعبارة أخرى :

من خصائص لفظ "الله" الشريف جواز ضم كلمة هي على حرف واحد ، بل اطّراد ذلك ، وهي حرف "م" الجارة له القسمية ، حيث يجوز فيها كما تقدم مرارًا الضم مع الفتح و الكسر .

فيقال "م الله لأفعلن" مثلثة الميم ، أي بضم الميم و كسرها و فتحها . و ليست في كلامهم كلمة على حرف واحد ضمت كما صرح به الرضي . و من ثم أنكر الإمام الرضي كون الميم في "م الله لأفعلن" حرفًا مستقلًّا . و يجاب بأن ذلك من خصائص لفظ "الله" .

تنبيه

هذه الخاصية مبنية على كون الميم حرفًا مستقلًّا كما مرّ غير مقصورة من "من" الجارة على ما قال سيبويه ، و لا من "أيمن" و لا من "يمين" .

فائدة شريفة

قد انجرّ بنا الكلام في شرح المرام إلى المبني على الضم . فلامندوحة من أن نستقصي المبنيات على الضم ، لينكشف الغطاء عن خاصية هذا الباب لاسم "الله" و يتجلى المقصود سافر المحيا أبين من فلق الصديع .

فأقول والله المستعان : الكلمات المبنيّة على الضم أنواع :

منها : ما قطع عن الإضافة لفظًا لا معنى من الظروف المبهمة كقبل و بعد . و أسماء الجهات نحو قدام و أمام و خلف و أخواتها و هي وراء و فوق و تحت و خلف و كأوّل و أسفل و بعد . قال تعالى : لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ . في قراءة السبعة . أي من قبل كل شيء و من بعده . فحذف المضاف إليه لفظًا فقط لا معنًى ، أي نوي معناه . فاستحق البناء على الضم . و قال الحماسي :

لعمرك ما أدري و إني لأوجل على أيّنا تعـدو المنيّـةُ أوّلُ

بضم "أوّل" أي أوّل الوقت أو أوّل الساعة . فبني "أوّل" و هو ظرف على الضم . و قال آخر :

إذا أنا لم أومن عليك ولم يكن لقـاؤك إلاّ من وراءُ وراءُ

أي وراء ما ذكر . فهو مبني على الضم .

و إنما قلت : حذف المضاف إليه لفظًا لا معنى . احترازا من أن يقطع عن الإضافة لفظا ومعنى . فإن المضاف أي كلمة "أوّل" وغيره حينئذ تبقى على إعرابها . و ذلك كقولك : أبدأ بذا أوّلاً . إذا أردت "أبدأ به متقدّمًا" . و قرئ قوله تعالى "لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ" بالخفض و التنوين على إرادة التنكير و قطع النظر عن المضاف إليه أي لفظا و معنى . و قرأ الجحدري و العقيلي بالجر من غير تنوين على إرادة المضاف إليه و تقدير وجوده .

و كل هذه التراكيب جائزة في قولهم في الخطبات "أمّا بعد" أي بالضم بلا تنوين و بالنصب مع التنوين و بدون التنوين على الظرفية . و يجوز فيه تركيب آخر و هو الرفع مع التنوين .

و منها : ما ألحق بقبل و بعد . و هو "غير" بعد "ليس" و "حسب" كقولهم : قبضت عشرة ليس غير . و الأصل : ليس هو أي المقبوض غير ذلك . فأضمر اسم "ليس" فيها و حذف ما أضيفت إليه "غير" و بنيت على الضم تشبيهًا لها بقبل و بعد لإبهامها . و يحتمل أن يكون التقدير : ليس غير ذلك مقبوضًا . ثم حذف خبر "ليس" و المضاف إليه لغير . و تكون الضمة على هذا ضمة إعراب . لأن اسم "كان" لا يكون إلاّ مرفوعًا . و هذا لنية لفظ المضاف إليه . و إليه ذهب الأخفش . و إن أريد معنى المضاف إليه فهي ضمة بناء . و هو مختار المبرد .

و الحاصل أن ضمة "غير" ههنا ضمة إعراب عند الأخفش فهي اسم لا خبر . و ضمة بناء عند المبرد فيحتمل أن تكون اسمًا و أن تكون خبرًا .

و أمّا على الفتح منونة أو غير منونة فحركتها إعراب بلا خلاف ، و هي خبر .

و أمّا على الضمة مع التنوين فهي اسم والخبر محذوف . و حركتها إعراب بلا ريب . ثم إن جعلها خبرًا أولى تقليلاً للحذف ، و لأن الخبر في باب "كان" يضعف حذفه جدًا . ولا يجوز حذف ما أضيفت إليه "غير" إلّا بعد "ليس" فقط . و أما ما يقع في كلام العلماء من قولهم "لا غير" فلم تتكلم به العرب . هذا كلام ابن هشام في الشذور .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : كثر قول الفقهاء والمصنفين في كتبهم "لا غير" و نسبة اللحن إلى جم غفير خطأ . فالصواب القول بتصحيحهم في قولهم "لا غير" .

قال ابن هشام في المغني : و قولهم "لا غير" لحن . انتهى . و في حواشيه : الحق أنه ليس بلحن . و قد استعمله المصنف نفسه في مصنفاته كثيرًا ، و حكاه ابن الحاجب في الكافية ، و أقره محققو كلامه كالرضي . و أنشد ابن مالك في شرح التسهيل في باب القسم و تبعه صاحب القاموس :

جوابًا به تنجو اعتمد فوربّنا لعن عمل اسلفت لا غير تسئل

قال ابن الحاجب في الكافية في بحث الظروف : منها ما قطع عن الإضافة كقبل وبعد ، وأجري مجراه "لا غير" و "ليس غير" . انتهى .

و قال الرضي : شبه "غير" بالظروف الغايات لشدة الإبهام الذي فيها . و لذا لا تتعرف بالإضافة . و هي أشدّ إبهامًا من "مثل" فلذا لم يبن "مثل" على الضم . و لا يحذف منها المضاف إليه إلّا مع "لا" التبرئة و مع "ليس" لكثرة استعمال "غير" بعد "لا" و "ليس" و "غير" التي بعد "ليس" بمعنى "إلّا" . و قد تقدم أنه قد يحذف المستثنى بعد "إلّا" التي بعد "ليس" .

و المضاف إليه المحذوف في قولهم "ليس غير" هو المستثنى المحذوف في نحو قولك : جاءني زيد ليس إلّا .

و أمّا "حسب" فجاز حذف ما أضيفت إليه لكثرة الاستعمال . و بني على الضم تشبيهًا بغير . إذ لا تتعرف بالإضافة مثلها . انتهى بحذف .

و في شرح شذور الذهب لمحمد عبادة العدوي ص١٢١ : ذكر الفاكهي في شرح القطـر أن تقييد المصنف "غير" بالواقعة بعد "ليس" لا يعوّل عليه . بل لا فرق بين "ليس" و بين "لا" كما نص عليه الزمخشري في المفصل و ابن الحاجب و تابعه على ذلك شراح كلامه . و منهم المحققون كالرضي . و قد سمع وقوع "غير" بعد "لا" . أنشد ابن مالك قوله : جوابا به تنجو إلخ .

و في الجمع و الهمع ج١ ص٢١٠ : و قبضت عشرة ليس غير . أي ليس غير ذلك مقبوضًا . و ذكر ابن هشام أن شرطها أن تقع بعد "ليس" و أن قول الفقهاء "لا غير" لحن . و ليس كما قال ، فقد صرح السيرافي وابن السراج و أبوحيان بأن "لا" كليس في ذلك . انتهى كلامه .

و منها : ما ألحق بقبل من "عل" كقولك : أخذت الشيء الفلاني من أسفل ، و الفلاني من عل . أي من فوق الدار . ولا تستعمل "عل" مضافة أصلا . و لو أردت "بعل" علوا مجهولاً غير معروف تعين الإعراب كقوله "كجلمود صخرٍ حطّه السيل من عل" أي من مكان عال .

و منها : ما ألحق بقبل و بعد "أيّ" الموصولة .

قال ابن هشام وغيره : اعلم : أنّ "أيًّا" الموصولة معربة في جميع الأحوال إلّا في حالة واحدة فإنها تبنى فيها على الضم . و ذلك إذا اجتمع شرطان : أحدهما : أن تضاف . الثاني : أن يكون صدر صلتها ضميرًا محذوفًا كقوله تعالى : ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمٰنِ عِتِيًّا . أي أيّهم هو أشدّ . و المبتدأ المحذوف مع خبره صلة أي الموصولة المفعول للفعل . و حقها الفتح . لأن إعراب المفعول النصب . إلّا أنها هنا مبنية على الضم . و من العرب من يعربها في جميع الأحوال . و قرأ هارون و معاذ و يعقوب "أَيَّهُمْ أَشَدُّ" بالنصب .

و منها : المنادى نحو "يا زيد" أي المنادى المفرد المعرفة .

و منها : منذُ .

و منها : "هيتُ" بمعنى "هلم" من أسماء الأفعال .

و منها : ضمير "قمتُ" و "ضربتُ" للمتكلم .

و منها : "هؤلاءُ" بضم الآخر . حكاه قطرب عن العرب .

و منها : "ذات" بمعنى "التي" في لغة بعض طيء . حكى الفراء أنه سمع بعض السؤال يقول في المسجد الجامع : بالفضل ذو فضلكم الله به و الكرامة ذات أكرمكم الله بها . أي الذي فضلكم به و التي أكرمكم بها . بضم "ذات" مع أنها صفة للكرامة . و أما عند غير طيء "فذات" بمعنى صاحبة لا موصولة .

و منها : "حيث" تلزمها الإضافة إلى الجملة . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أجلّ و أعلى و أتمّ .



الباب الرابع و الستون
و فيه خاصّتان

من خصائص لفظ "الله" زوال حركة الإعراب عن المضاف إليه لأجل الإتباع . و هو كلمة "من" في "من الله لأفعلن" بفتحتين و كسرتين ، أي بفتح الميم و النون و كسرهما ، على تقدير اختصار الأوّل من "أيمن" المعرب المفتوح الميم و المرفوع النون . فأتبعت النون الميم بعد القصر فصارتا مفتوحتين . و حركة النون إعرابية و هي الرفع قد زالت للإتباع .

و قد صرح الرضي في بحث الحروف الجارة أن زوال الحركة الإعرابية للإتباع لا يجوز . فزوالها ههنا من خواص لفظة "الله" .

و على تقدير اختصار الثاني من "يمين الله لأفعلن" أو "أيمن الله" على لغة كسر الميم كما قال به بعض الكوفية و قد تقدم تفصيله . فالنون أتبعت الميم كسرًا فأصبحتا مكسورتين . و ضم النون إعرابية زالت للإتباع . فهما خاصتان : الأولى فتح النون إتباعًا . و الثانية كسرها إتباعًا .

قال العبد الضعيف : الإتباع في "من" بكسرتين متفرّع على تقدير كونه مقصورًا من "يمين" لا من "أيمن" مفتوحة الميم أو مضمومتها ، ولا على تقدير كونه حرف جر . إذ على التقدير الأوّل لا كسرة في الميم فلا إتباع لها ، و على التقدير الثاني هو حرف فلا حركة إعرابية ههنا .

تنبيه

قد جوز الكوفيون في "يمين الله لأفعلن" جر "يمين" أيضًا كما صرح به الرضي . فعلى هذا يقال :

إن كسرة النون في "من" إعرابية ، و هي ما كان في "يمين" لا للإتباع . ثم قد سبق منّا في لغات "أيمن" فتح الميم والنون . فعلى هذه اللغة لا إتباع في كلمة "من" بفتحتين .

ثم اعلم : أن الإتباع باب لطيف غير منقاس . له دائرة وسيعة في القرآن و الأحاديث و أشعار العرب . هذا . والله أعلم بالحقائق و الأسرار المكنونة و بالدقائق و اللطائف المكتومة و علمه أعلى و أتمّ و أجلّ .

الله جل جلاله

الباب الخامس و الستون
و فيه ثلاث خصائص

من خواص لفظ "الله" إبدال الواو الجارّة القسمية ميمًا إذا دخلت عليه . فيقال في "والله لأفعلنّ كذا" "م الله لأفعلنّ" . ثم الواو مفتوحة و هذا يقتضي أن تكون الميم أيضًا مفتوحة . لكن ساغ في الميم الضم و الكسر مع الفتح . فهما خاصتان غير ما ذكرت . فمجموع خصائص هذا الباب ثلاث .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله في الجمع و الهمع ج٢ ص٤٠ : و قيل : هي أي "مِ" بدل من الواو كالتاء لكونهما شفهيتين . و ردّ بأنه لو كان كذلك للزمت الفتح كالتاء . و بأن إبدال التاء من الواو معروف مطرد كاتّصف و اتّصل . و غير مطرد كتراث و تجاه . و لم تبدل الميم منها إلاّ في موضع شاذ و هو "فم" و فيه مع شذوذه خلاف . انتهى .

قال الرضي : و قيل : هما أي "م الله" بالضم والكسر بدلان من الواو كالتاء . لكون الميم و الواو شفويتين . فاختصا بلفظ "الله" كالتاء . و فيه نظر لأن الكلمة التي على حرف واحد لم تجئ في كلامهم مضمومة . انتهى .

يعلم من هذه العبارات أن الميم في قولنا "م الله" عند بعض النحاة حرف مستقلّ و بدل من الواو . و ليست بمقصورة من "أيمن" أو من حرف "من" .

وإنما قالت هذه الفرقة بكون الميم في "م الله" حرفًا مستقلاًّ ، ولم يقولوا بأنها مقصورة من "أيمن" لكون القصر خلاف الأصل ، ولا من حرف "من" على ما قال سيبويه في "من الله لأفعلن" لأن الحذف

لا يكون في الحروف أو يقلّ .

ولذا قال ابن ملكون و أحزابه : إن "مذ" و "منذ" أصلان . و ردّ قول الجمهور والفرّاء و غيرهم .

حيث قال الجمهور : إن "منذ" أصل "مذ" حذفت نونها .

و **قال** الفراء : أصل "منذ" "من ذو" ، "من" الجارة و "ذو" الطائية بمعنى الذي .

و **قال** غيره : أصل "منذ" "من إذ" حذفت الهمزة فالتقى ساكنان النون و الذال ، فحركت الذال و جعلت حركتها الضمة التي هي أثقل الحركات ، لتضمنها معنى "من" و "إلى" إذ معنى ما رأيته منذ يومان من أوّل هذا الوقت . فقامت مقامهما فقويت . ثم ضمت الذال إتباعًا لحركة الذال .

قال ابن ملكون في ردّ هذه الأقوال : هما أصلان . و تمسك بأن الحذف و التصرف لا يكونان في الحروف ولا في الأسماء غير المتمكنة .

و **في الهمع** ج١ ص٢١٦ : أن الشلوبين ردّه بأنه قد جاء الحذف في الحروف . ألا ترى تخفيفهم إنّ و أنّ و كأنّ . و قالوا في لعل "عل" . انتهى .

و **قال** الرضي في بحث الظروف ص٩٣ : إنّ الحذف تصرّف و هو بعيد من الحرف . فإن الحرف لا يحذف منه حرف إلّا المضعّف نحو "ربّ" و "رب" . انتهى كلامه . هـذا . والله أعلم بالبدائع القدسيّة و النفائس العلميّة و بالعجائب الكونيّة و الغرائب اللغويّة و علمه أجلّ و أتمّ و أهمّ .



الباب السادس و الستون

من خصائص اسم "الله" جواز الإجحاف . بل اطّراده في الاسم الذي أضيف إليه . حتى يبقى الاسم المضاف على حرف واحد .

و ذلك الاسم المضاف هو "أيمن" فيحذف من "أيمن" حرف حرف حتى يبقى منه "م" فيقال "م الله" كما يقال "أيمن الله" . ولا يسوغ مثل هذا النحت و الحذف في اسم غير "أيمن" . و أمّا نحو "قِ" و "عِ" وغيره من صيغ الأمر فمنقاس . وكلامنا فيما لا ينقاس .

ثم اعلم : أنّ ههنا مسائل متعدّدة شريفة مهمّة من باب النحت و القطع في كلمة "أيمن" وغيرها و من باب أسرار هذا النحت نُدرج منها في هذا الباب مسألتَين منها نافعتَين جدًّا :

المسألة الأولى

إن قلت : ما الحكمة في قطع لفظ "أيمن" و نحته ، و ما السرّ في ذلك ؟

قلت : في ذلك عدّة حِكَمٍ لطيفة بديعة و أسرار شريفة رفيعة تسرّ الناظرين و تفرّح القارئين .

السرّ الأوّل : سِرّ قطع لفظ "أيمن" و نحته هو الإشارة اللطيفة إلى أن الله تعالى الذي هو مسمّى اسم الله المضاف إليه "أيمن" منفرد في عظمته وكماله و متوحد بسطوته و جلاله . فتوحيد الحرف و هو "م" في "م الله" الداخل على اسم "الله" دال على توحيد ذات مدخوله و مسمّاه كبرياءً و جلالاً . فليس كمثله شيء . و القَسَم موضع التعظيم و التبجيل . فلا يستبعد هذا الرمز إلى عظمته تعالى .

السرّ الثاني : سرّ هذا النحت و القطع إلى أن بقي حرف واحد إيماء إلى مقام العارفين

الكاملين . وهو أن من راقب الله و داوم على اصطحاب ذكره غاب عنه الكثرة ، ولم يشاهد إلّا الله تعالى . و هذا مقام الفناء في الله تعالى .

كما قال العارف الشعراني رحمه الله : إنه إذا ضبط أحد شهوده تعالى في قلبه في جميع أحواله فقد أخلى شهوده عن بقية شهود الوجود المحيط به . انتهى .

"فأيمن الله" مقام العلم بالله تعالى ، و "م الله" مقام المعرفة بالله تعالى . و الثاني أرفع و أعلى من الأوّل .

حيث قال أصحاب الطريقة : السلوك إلى الله قبل الوصول إلى الله هو علم بالله تعالى ، و بعد الوصول إليه تعالى معرفة بالله تعالى . و في هذا المقام يرى العارف أن لا وجود في الحقيقة إلّا لله تعالى ، و ما سواه كأنه أظلال و آثار . و يغيب عن الكثرة و عن غيره تعالى حتى عن نفسه و عن وجود ذاته أيضًا . و هذا هو الفناء في الله تعالى . و في هذا المقام يحصل للعارف السير في الله و بالله و من الله و إلى الله . و هناك يعرف نفسه أنه محتاج بل فانٍ لما عرف أن الغني و الباقي هو الله تعالى . روي : من عرف نفسه عرف ربه . و من عرف ربه غاب عنه ما سواه . فلا يرى شيئًا إلّا و يرى الله قبله و بعده . أي يرى آثار قدرته و دلائل توحيده في كل شيء .

السرّ الثالث : حروف "أيمن" أربعة ، و الجوانب المشهورة أربعة أيضًا : يمين ، يسار ، أمام ، خلف .

فلفظ "أيمن" بإضافته إلى اسم "الله" رمز إلى عموم ملكه تعالى و ملكوته ، و إلى سعة دائرة قدرته و جبروته في جميع النواحي الأربعة المذكورة ، و إلى تأتّي المغايرة و المباينة فيما بين هذه الجوانب الأربعة وتمايز بعضها عن بعض عند السالكين إلى الله تعالى .

ثم قطع "أيمن" فبقي "أيم" ثم قطع فبقي "أم" و "من" ثم قطع فبقي حرف واحد و هو "م" .

و هكذا منازل السالكين حيث يتأتّى عند كل واحد في مَيعة السلوك و مبدئه النواحي الأربعة ، و يميز جانبًا من جانب . ثم يترقّى فينقطع إلى الله عن الجوانب الأربعة . ثم يترقّى فينقطع إلى الله فوق المنزل السابق . فلا يرى إلّا بجانبين . ثم يترقى فلايبقى عنده إلّا جانب واحد و هو جانب أمام .

و هذا آخر مقامات الكاملين ، لا يفوز به إلّا الأنفس القدسية ، و به يكمل العلم الحق للعالم الرباني و السالك الصمداني .

قال العارف بالله الشيخ عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ : إن للعلم الطاهر البالغ الغاية في الطهارة والصفاء سبعة أجزاء من الأنوار . ثم ذكر و فصّل تلك الأنوار .

ثم قال : السابع : انحصار الجهات في جهة واحدة ، و هي جهة أمام . و هي من أجزاء العالم الكامل . و ذلك أن العلم بعد كونه نورًا يدرك من جميع الجهات لينظر فيه . فإن رزق الله صاحبه قوى زائدة حتى صار ما يراه من غير جهة أمام بمثابة ما يراه من جهة أمام من غير زيادة ولا نقص . و يكون نظره إذ ذاك لا يحس إلّا بجهة أمام . و تحمى سائر الجهات في رؤيته و لا تبقى إلّا جهة أمام . فإن العلم يوصف بالكمال . وليس هذا إلّا في علم المفتوح عليه . و عليه يتخرج حديث : إني لأراكم من خلفي كما أراكم من أمامي . فهم مع كونهم وراءه يراهم في قبلته كما يرى ﷺ ما في قبلته . و إن كان صاحب العلم يحس بافتراق الجهات فالعلم غير كامل و الله تعالى أعلم . انتهى كلام العارف . فكن على تجريد فإنه كلام وراء طور العقول المتوسطة .

المسألة الثانية

لم يتحقق مثل هذا النحت و القطع في غير "أيمن الله" إلّا في الأشعار ، و مع ذلك لا يطرد فيها . و إلا في القرآن على ما نقل عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في مقطعات القرآن و فواتح السور . إلّا أنها غير منقاسة . و أيضًا غير مقطوع بذلك فيها لكونها من المتشابهات ما لايعلم تأويله إلّا الله تعالى .

أمّا في الأشعار فكقوله :

* قلت لها قفي فقالت ق *

أي وقفت . و كقول آخر :

بالخير خيرات و إن شرًّا فا و لا أريد الشرّ إلّا أن تا

أراد "و إن شرًّا فشر" في المصراع الأوّل ، و "إلا أن تشاء" في الثاني . و كقول آخر :

نادا هم إلّا الحموا ألا تا قالوا جميعا كلهم ألا فا

أراد "ألا تركبون" في المصراع الأوّل ، و "ألا فاركبوا" .

قال الزجاج : العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها .

و **قال** السيوطي في الجمع والهمع ج٢ ص٢١٠ : و قد يوقف على حرف موصلاً بألف كقوله :

* قد وعدتني أمّ عمرٍو أن تا *

أي "أن تأتي" فوقف على حرف المضارعة و وصله بألف . و قوله :

* بالخير خيرات و إن شرًّا فأً *

أي " فشر " فوقف على الفاء التي هي جواب الشرط و وصلها بهمزة و ألف . انتهى .

و أمّا في القرآن فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله "الٓمٓ" أنا الله أعلم . أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي الضحى . فالألف مقطعة من "أنا" و اللام من "الله" و الميم من "أعلم" . و في قوله "الٓر" أنا الله أرٰى . أخرجه ابن أبي حاتم . و أخرج أيضا عنه من طريق عكرمة قال : "الٓر" و "حمٓ" و "نٓ" حروف "الرحمن" مفرقة .

و أخرج أبوالشيخ عن محمد بن كعب القرظي قال : "الٓر" من الرحمن . و أيضا عنه : "الٓمٓصٓ" الألف من "الله" والميم من "الرحمن" والصاد من "الصمد" . و عن الضحاك : "الٓمٓصٓ" قال : أنا الله الصادق . و قيل : "الٓر" معناه : أنا الله أعلم و أرفع . حكاه الكرماني في غرائبه . هذا . والله أعلم بما هو صواب و أنيق و بما هو حق و بالقبول حقيق و علمه أدقّ و أتمّ و أعلى .



الباب السابع و الستون

من بدائع خصائص اسم "الله" كثرة اللغات والتصرفات في الاسم الذي أضيف إليه . وهو اسم "أيمن" في "أيمن الله" . و قد ذكرنا من قبل أن ابن مالك رحمه الله تعالى أوصل لغات "أيمن" إلى اثنتي عشرة لغة ، و جمعها في بيتين . و أنهاها الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في الجمع و الهمع إلى عشرين لغة .

و السبب لكثرة تصرّفهم فيها كثرة الاستعمال .

أو يقال : إن ذلك لسر بديع . و إن السبب لكثرة التصرُّفات فيما أضيف إلى اسم "الله" الإيماء اللطيف إلى كثرة تصرفات مسماه تعالى جدّه ، و إلى سعة دائرة قدرته و مقدوراته تعالى التي لا تحصى ولا تعد . فانعكست أشعة من ذاته تعالى على اسمه الأعظم و على ما اتصل باسمه تعالى . و قد سبق منّا تفصيل تلك اللغات في "أيمن" . ولا يشاركه اسم آخر مضاف في ذلك .

فائدة شريفة

و أمّا مطلق كثرة اللغات مع قطع النظر عن أن تكون في المضاف فقليلة لم تتأتّ إلّا في أسماء عديدة :

منها : "إصبع" للجارحة . روي فيها نحو عشر لغات . قال الإمام الفيومي رحمه الله تعالى : قال بعضهم : و في "الأصبع" عشر لغات . تثليث الهمزة مع تثليث الباء . العاشرة "أصبوع" وزان عصفور . و المشهور من لغاتها كسر الهمز و فتح الباء . وهي التي ارتضاها الفصحاء . انتهى كلامه .

و منها : "أفّ". قال الإمام الرضي : وفيها إحدى عشرة لغة . "أف" مضمومة الهمزة و مشددة

الفاء مثلثتها بتنوين و دونها . و "إف" بكسرتين بغير تنوين . و "أُفّى" كبشرى ، و مُمالًا . و "أُفُ" كخُذ . و "أفة" منونة و غير منونة . و قد يتبع المنونة "تفة" فيقال "أفة" و "تفة" . وقد رفع "أفة" كويل . انتهى كلامه .

قال الإمام النووي رحمه الله في تهذيب الأسماء و اللغات : قولهم "أف" فيها عشر لغات . حكاهن القاضي عياض و آخرون : ضم الهمزة مع ضم الفاء و كسرها و فتحها بلا تنوين و بالتنوين . فهذه ست . و "أف" بضم الهمزة و إسكان الفاء . و "إف" بكسر الهمزة و فتح الفاء . و "أفى" و "أفه" بضم همزتيهما . و أصل "الأف" و "التف" وسخ الأظفار . و تستعمل هذه الكلمة في كل ما يستقذر . و هي اسم فعل . انتهى .

و أوصلها صاحب القاموس في قاموسه إلى أربعين لغة حيث قال : و لغاتها أربعون : "أف" بالضم و تثلث الفاء و تنون و تخفف فيهما . "أف" كطُفُ . "أف" مشددة الفاء . "أفِي" بغير إمالة و بالإمالة المحضة و بالإمالة بين بين . و الألف في الثلاثة للتانيث . "أفي" بكسر الفاء . "أفوه" أي بضم الهمزة و شد الفاء و سكون الواو و الهاء . "أفه" بالضم مثلثة الفاء مشددة وتكسر الهمزة . "إف" كمن . "إف" مشددة . "إف" بكسرتين مخففة . "إف" منونة مخففة و مشددة و تثلث . "إف" بضم الفاء مشددة . "إفا" كإنّا . "إفّى" بالإمالة . "إفّي" بالكسر و تفتح الهمزة . "أفّ" كعن . "أف" مشددة الفاء مكسورة بغير تنوين . " آف" ممدودة . "أفٍ" " آفٍ" منونتين .

وفي حواشي القاموس : قوله "أف" مشددة الفاء ، أي مع ضم الهمزة قبلها . وقوله الآتي "أفوه". و قوله بعدها "إفّ" مشددة مع كسر الهمزة . و في هذه الثلاثة كما قال الشارح الجمع بين الساكنين ، و هو جائز عند بعض القراء . انتهى .

و أيضًا في حواشي القاموس : قوله "ولغاتها أربعون" قال الشارح بعد أن سردها وأبدى احتمالًا في عبارته : فهذه أربعة و أربعون وجها . و على الاحتمال الذي ذكرناه تكون سبعة و أربعين وجها . فقوله "أربعون" محل نظر . انتهى ملخصا .

و **قال** العلامة الصبان رحمه الله في شرح الأشموني ج٣ ص١٤٩ : ذكر صاحب القاموس فيها

أربعين لغة . منها : تثليث الفاء المشددة مع التنوين و عدمه . و "أف" بتثليث الهمزة مع سكون الفاء . و "أف" بضم الهمزة و تخفيف الفاء مثلثة مع التنوين و عدمه . و "أف" بضم الهمزة و كسرها مع تثليث الفاء مشددة . و "إفّى" كحُبلىٰ و ذِكرىٰ . و "إفى" بكسر الهمزة و الفاء مشددة و بفتح الهمزة . انتهى كلامه بلفظه .

قال الأديب العلامة الخفاجي رحمه الله في نسيم الرياض شرح الشفا ج٢ ص٧٥ في شرح حديث أنس رضي الله عنه "خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط" : هي كلمة تقال لما يكره و يتضجر منه . و هي اسم فعل . فيه لغات نحو الأربعين . أشهرها ضم الهمزة و كسر الفاء المشددة . و للسيوطي في ذلك أبيات مشهورة حيث قال :

أف رَبِّع أخيره ثم خفِّف   مبتداه مشدّد و مخفف
و بتنوينه و بالترك اف   لا مالا و بالإمالة مضعف
و بكسر ابتدا و افّى مثلث   و زِد الهاء في اف اطلق لا اف
ثم مدا بكسر اف و اف   ثم افوا فاحفظ ودع ما يزيف

و الحاصل مما تقدم أن همزته مثلثة . وكذا فاؤه مع التنوين و عدمه . و قد فصل أبوحيان لغاتها في البحر .

و منها : "هيهات" حيث حكى الإمام اللغوي الصغاني رحمه الله فيها ستًّا و ثلاثين لغة . و هي : "هيهات" و "أيهات" و "هيهان" و "أيهان" و "هيهاء" و "أيهاء" . كل واحدة من هذه الست مضمومة الآخر و مفتوحته و مكسورته . و كل واحد منها منونة و غير منونة . فتلك ست و ثلاثون . و حكى غيره "هيهاك" و "أيهاك" بكاف الخطاب و "أيهاء" و "أيها" و "هيهاه" . فهذه إحدى و أربعون لغة . كذا في التصريح .

و زاد الأشموني ج٣ ص١٥١ "أيهاه" و "هيهاء" . فهذه ثلاث و أربعون لغة .

قال العلامة الصبان رحمه الله في شرحه : قوله "أيهاء" أي بالمد و "أيهاه" أي بهاء السكت الساكنة

كاللغة الأخيرة . و بذلك غايرا "أيهاه" و "هيهاه" المعدودتان في اللغات السابقة . فإن "الهاء" فيهما للتانيث بدل من التاء و محركة . و قوله : و "هيهاء" أي بالمد أيضًا . و لم يبين الشارح حركة الآخر على الثلاث الأوّل . و الخامسة من هذه اللغات الأخيرة على ترتيب الأشموني هي "هيهاء" و لعلها الفتحة .

و زاد في القاموس ثلاث عشرة أخرى : "هايهات" و " آيهات" و "هايهان"و " آيهان" بزيادة ألف بين الهاء أو الهمزة و الياء المكسورة لالتقاء الساكنين مثلثات الآخر و "أيآت" و زان "هيهات" بإبدال الهاءين همزتين . انتهى . فهذه ست و خمسون لغة .

و منها : " أنملة " حيث يروى فيها تسع لغات . و هي : تثليث الهمزة مع تثليث الميم . فتحصل من ضرب الثلاث في ثلاث تسع لغات .

و منها : "لَدُن" فيها ثماني لغات : فتح اللام مع تثليث الدال و ضمهما ، و النون في هذه الأربعة مفتوحة ، و فتح اللام مع سكون الدال و النون مكسورة ، أو مع تثليثها و النون محذوفة . كذا في حواشي المغني في باب "عند" .

قال بعض المحققين : إنّ "لدن" لأوّل غاية زمان أو مكان . و فيها إحدى عشرة لغة : الأولى إعرابها مثل "عند" و إشمام الدال الساكنة الضم . و به قرأ عاصم "بأسا شديدًا من لدنه" بجر النون . و منها "لدن" سكون النون مع ضم الدال و فتحها أو كسرها ، و سكونها مع سكون الدال و فتح اللام أو ضمها ، و فتح النون مع سكون الدال ، وحذف النون مع سكون الدال و فتح اللام أو ضمها ، و حذف النون مع ضم الدال و فتح اللام .

و قال أبوحيان : "ولت" أيضًا بلام مفتوحة و تاء مكسورة . قاله السيوطي رحمه الله في الهمع و غيره من العلماء المحقّقين .

و منها : "رُبَّ" فيها ثماني لغات . أشهرها ضم الراء و فتح الباء المشددة . و الثانية : ضم الراء و فتح الباء المخففة . و الثالثة : ضم الراء و ضم الباء المخففة . و الرابعة : ضم الراء و إسكان الباء المخففة . و الخامسة : فتح الراء و فتح الباء المشددة . و السادسة : فتح الراء و فتح الباء المخففة . والسابعة والثامنة : ضم الراء و فتح الباء المشددة و المخففة بعده تاء مفتوحة . كذا في الرضي .

و **قال** ابن هشام في المغني : في "رُبّ" ست عشرة لغة : ضم الراء وفتحها ، و كلاهما مع التشديد و التخفيف . و الأوجه الأربعة مع تاء التانيث ساكنة أو محركة و مع التجرد منها . فهذه اثنتا عشرة . و الضم والفتح مع إسكان الباء و ضم الحرفين مع التشديد و مع التخفيف . انتهى . هذا . و الله أعلم و علمه أجلّ و أوسع .



الباب الثامن و الستون
و هو مشتمل على خاصتين

من خصائص اسم "الله" اطّراد جمع العوض مع المعوض عنه في الاسم الذي أضيف إليه .

تفصيل الكلام أنهم قالوا : إن همزة الوصل في "أيمن" على مسلك البصرية عوض عن نونها المحذوفة في بعض استعمالاتها . ثم ترى أنه يستعمل "أيمن" مطردًا باجتماع الهمز و النون . و هم صرّحوا بكراهة اجتماع العوض مع المعوض عنه . فجواز اجتماعهما في "أيمن" بل اطّراد ذلك من خصائص لفظة "الله" الشريفة .

قال العلامة الأشموني رحمه الله في شرح الألفية ج٤ ص٢٠٨ : "أيمن" عند سيبويه اسم مفرد من "اليمن" وهو البركة . فلمّا حذفت نونه أعاضوه الهمزة في أوّله ، ولم يحذفوها لما أعادوا النون ، لأنها أي النون بصدد الحذف كما قلنا في "امرئ" . انتهى .

ولا نظير للفظ "الله" في ذلك إلّا لفظ "امرئ" حيث قالوا : أصله "مرؤ" على وزن قُفل . فخفف بنقل حركة الهمزة إلى الراء ، ثم حذفت الهمزة بقانون "يسأل" حيث تحذف همزته بعد نقل حركتها ، فيقال "يسل" و عوّض عنها الهمزة الوصلية ثم ثبتت عند عود الهمزة ، لأن تخفيفها سائغ أبدًا . فجعل المتوقع كالواقع . هذا .

إن قلت : فعلى هذا لا يصح كون اجتماع العوض و المعوض عنه من خصائص اسم "الله" حيث تأتّى له نظير في ذلك .

قلت : مرادنا الذي نحن تصدّينا له أعم من الخصائص الحقيقة بأن لا تتحقق في غير اسم "الله". و النوعية بأن تتأتّى في عدة ألفاظ أخرٰى . إذ لا يختل كون الحكم خاصية لكلمة من بين آلاف الكلمات بوجود نظير أو نظيرين لها .

و مع هذا سهّل اجتماع ذلك في "امرئ" كونهما من جنس واحد . إذ العوض و المعوض كلاهما همزة ، بخلاف لفظ "أيمن" . فافترقا .

و ههنا فرق آخر وهو أنه لايجب في "امرئ" ثبوت العوض عند إعادة المعوض عنه . حيث ساغ أن تقول "المرؤ" و "المرأة" بدون الهمزة في المبدء . بخلاف "أيمن" حيث يجب بقاء الهمزة بعد إعادة النون فلا يقال "يمن" بدون همزة . و هذه خاصية أخرى للفظة "الله" و ليس لها نظير في كلامهم . فهاتان خاصتان للجلالة . هذا .

فصل
في امتناع اجتماع العوض و المعوض عنه و بيان أحكام تتفرّع على ذلك

اعلم : أنهم صرحوا في غير واحد من المواضع في كتبهم بأن اجتماع العوض و المعوض عنه لايسوغ . و هم أطبقوا على ذلك و بنوا عليه مسائل نذكر بعضًا منها هٰهنا تبصرةً . فأقول و بالله التوفيق :

منها : همزة "اسم" حيث قالوا : إنها عوض عن اللام المحذوفة . و لهذا لم يجمعوا بين اللام و الهمزة . ولم يرو اجتماعهما عن أحد ، مع أنهم رووا فيه ثمانية عشر لغة نظمت في هذا البيت :

سُم سِمة وِاُسم سُماة كذا سِما   سُماء بتثليثٍ لأوّل كلها

و منها : ألف "يمانِي" بياء مخففة نسبة إلى "يمن" والقياس "يمنيّ" فحذفت إحدى اليائين تخفيفًا ، و عوّض عنها الألف . و لذا لا تجتمع الألف مع الياء المشددة فيه .

قال الإمام النووي رحمه الله في تهذيب الأسماء و اللغات : اليمن الإقليم المعروف . و يقال في

النسب إليه "رجل يمني و يمان" بالتخفيف من غير ياء . لأن الألف بدل منها ، فلا يجتمعان . انتهى .

و قال الرضي في شرح الشافية ص١٣١ : و قالوا : يمان و شآم و تهام . ولا رابع لها . و الأصل : يمني و شامي و تهمي . و "التهم" تهامة . فحذف في الثلاثة إحدى يائي النسبة و أبدل منها الألف . و جاء "يمني" و "شامي" على الأصل و جاء "يماني" و "شآمي" وكأنهما منسوبان إلى يمان و شأم المنسوبين ، لا إلى يمن و شام بحذف ياء النسبة دون ألفها . إذ لا استثقال فيه كما استثقل النسبة إلى ذي الياء المشددة لو لم يحذف . و المراد بيمان و شآم في هذا موضع منسوب إلى الشأم و اليمن . فينسب الشيء إلى هـذا المكان المنسوب . و يجوز أن يكون "يماني" و "شآمي" جمعًا بين العوض و المعوض عنه . و أن يكون الألف في "يماني" للإشباع لا عوضًا . كما في "ينباع" في قوله :

* ينباع من ذفرى عضوب جسرة *

و "شآمي" محمول عليه . انتهى .

و في الأشموني و شرحه للصبان ص١٥١ : و قولهم في النسب إلى الشام و اليمن و تهامة "رجل شآم و يمان و تهام" وكلها مفتوحة الأوّل . حذفوا إحدى يائي النسبة و عوّضوا منها في الأوّلين الألف ، و في الأخير فتحة التاء لتأدية التعويض فيه بالألف إلى اجتماع الألفين . فيضطر إلى حذف إحداهما . و حينئذ فلا معنى للتعويض بها . و سمع شذوذًا "يمانيّ" و "شآميّ" بتشديد الياء فيهما جمعًا بين العوض و المعوض عنه . قال الدماميني نقلاً عن المرادي : ولا يجيء ذلك إلاّ في الشعر . انتهى .

و منها : "ابن" و "است" أصلهما "سته" و "بنو" فلما حذفت اللام فيهما عوضت عنها الهمزة في الأوّل . ثم في النسبة إليهما طريقان : تقول : بنوي و ستهي ، و ابني و استي . فإن أعدتَّ اللام حذفت الهمزة . و إن أبقيت الهمزة حذفت اللام . و لا يسوغ الجمع بينهما . فليس لك أن تقول "ابنوي" و "استهي" . وكذا يجوز في "اسم" "اسمي" و "سموي" لا "اسموي" تحاشيًا عن اجتماع العوض و المعوض .

قال العلامة الأشموني : إذا نسب إلى ما حذفت لامه و عوض منها همزة الوصل جاز أن يجبر و تحذف الهمزة وجوبًا لئلا يلزم الجمع بين العوض و المعوض عنه ، و أن لا يجبر و تستصحب .

فتقول في "ابن" و "اسم" و "است" : "بنوي" و "سموي" و "ستهي" على الأوّل ، و "ابني" و "اسمي" و "استي" على الثاني . و تقول في "ابنم" : ابنمي و ابني و بنوي ، ولا يجوز أن تقول : ابنموي . انتهى بزيادة من شرحه للشيخ الصبان .

قال الرضي في شرح الشافية ص١٢٣ باب النسبة : و اعلم : أن كل ثلاثي محذوف اللام في أوّله همزة الوصل تعاقب اللام . فهي كالعوض منها . فإن رددت اللام حذفت الهمزة . و إن أتيت بالهمزة حذفت اللام . نحو "بني" و "بنوي" و "اسمي" و "سموي" . و أمّا "امرؤ" فلامه موجودة . فلا يكون الهمزة عوضًا من اللام . فلذا قال سيبويه : لايجوز فيه إلّا "امرئيّ" . انتهى .

ثم قال : و أمّا "ابنم" فكأن الهمزة مع الميم عوضان من اللام . فإذا رددت اللام حذفتهما . انتهى كلامه .

و منها : نحو "إقامة" و "استقامة" حيث قالوا : إن أصلهما "إقوام" و "استقوام" فحذفت العين و عوض منها التاء في الآخر . و من ثم لا يسوغ "إقوامة" و "استقوامة" باجتماع التاء و الواو إلّا إذا أريد معنى الوحدة . لكن التاء حينئذ للوحدة لا للعوض .

و منها : نحو "عدة" و "سعة" عوضت التاء من الواو في فاء الكلمة ، فلا يجتمع التاء و الواو فيهما .

قال الأشموني ج٤ ص٢٥٦ : إن أصل "عدة" "وِعد" بكسر الفاء . فحذفت فاؤه حملاً على المضارع و حركت عينه و عوضوا منها تاء التانيث . و لذلك لا يجتمعان . و التعويض هنا لازم . و قد أجاز بعضهم حذفها للإضافة و هو مذهب الفراء .

قال الشيخ الصبان : قوله "هنا" احتراز عن التعويض بالتاء في باب "إقامة" و "استقامة" فإنه غالب لا لازم .

و منها : "أسطاع" و "أهراق" بسكون السين و الهاء و فتح الهمزة و قطعها على مذهب سيبويه .

قال الرضي في شرح الشافية ص٢٣٤ : و اختلفوا في توجيهه فقال سيبويه : هو من باب الإفعال . وأصله "أطوع" على وزن أكرم . قلبت الواو ألفًا بعد نقل حركتها إلى ما قبلها . ثم جعل السين

عوضًا من تحرك العين الذي فاته . كما جعل الهاء في " أهراق " بسكون الهاء عوضًا من مثل ذلك كما يجيء .

و لا شك أن تحرك العين فات بسبب تحرك الفاء بحركته . و مع هذا كله فإن التعويض بالسين و الهاء شاذان .

و ردّ ذلك المبرد ظنًّا منه أن سيبويه يقول : السين عوض عن الحركة . فقال أي المبرّد : كيف يعوض من الشيء والمعوض منه باق ، يعني الفتحة المنقولة إلى الفاء . و الجمع بين العوض و المعوض لايجوز .

و ليس مراد سيبويه ما ظنه المبرّد ، بل مراده أنه عوض من تحرك العين . ولا شك أن تحرك العين فات بسبب تحرك الفاء بحركته .

و قال الإمام الفراء : أصل "اسطاع" من باب استفعل . فحذفت التاء ،ثم فتحت الهمزة و قطعت شاذًّا . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أجلّ و أوسع و أحكم .



الباب التاسع و الستون

من رفيع خصائص الاسم "الله" أنه سيد الأسماء الحسنى ، أو سيد الأسماء مطلقًا .

ألا ترى أنه يقدّم عند اجتماعه مع سائر أسماء الله الحسنى . و لذا قدّم في البسملة ، و في قوله تعالى : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ .

و ألا ترى أنه يوصف بالأسماء الحسنى ، ولا يوصف به اسم منها .

و ألا ترى أنه عَلَم لذات الله تعالى .

و ألا ترى ما بدأ الله تعالى به كتابه الكريم فقال : بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . فأضاف الاسم إلى الجلالة . و قال تعالى : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . فنسب الحمد إليها .

و ألا ترى أنه لم يسمّ بالاسم "الله" غيره تعالى وسبحانه . لأن الله تعالى هو السيد الكامل الأكمل .

فاسم الجلالة سيد الأسماء الحسنى و سيد الأعلام ، كما أن نبينا ﷺ سيد الخلق ، و أبوبكر الصديق رضي الله عنه سيد الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، و علي رضي الله عنه سيد العرب ، و أبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنه سيد الأمناء ، و عمر رضي الله عنه سيد الناس في الشدة في أمر الله سبحانه ، و عثمان رضي الله عنه سيدهم في الحياء ، و علي رضي الله عنه سيدهم في القضاء ، و أبيّ رضي الله عنه سيدهم في القراءة ، و فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء أهل الجنة ، و حمزة رضي الله عنه سيد الشهداء في الجنة ، و الحسن و الحسين رضي الله عنهما سيّدا شباب أهل الجنّة .

و ذكر الشيخ الحلبي رحمه الله تعالى أثرًا من هـذا القبيل بغير إسناد في السيرة النبوية في بيان زمن

رضاعته ﷺ و شقّ صدره في الصبا فقال : قال ﷺ : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض . أي و هما جبريل و ميكائيل . أي و هما المراد بقوله في رواية : فأقبل إليّ طيران أبيضان كأنهما نسران .

ثم قال : و في كون مجيء جبريل و ميكائيل على صورة النسر لطيفة . لأن النسر سيد الطيور . فقد جاء في الحديث : هبط عليّ جبريل فقال :

يا محمد ! إن لكل شيء سيدًا فسيد البشر آدم ، و أنت سيد ولد آدم ، و سيد الروم صهيب ، و سيد فارس سلمان ، و سيد الحبش بلال ، و سيد الشجر السدر ، و سيد الطير النسر .

و في بحر العلوم : و سيد الملائكة إسرافيل ، و سيد الشهداء هابيل ، و سيد الجبال جبل موسى ، و سيد الأنعام الثور ، و سيد الوحوش الفيل ، و سيد السباع الأسد .

زاد بعضهم : و سيد الشهور رمضان ، و سيد الأيام يوم الجمعة ، و سيد الكلام العربية ، و سيد العربية القرآن ، و سيد القرآن سورة البقرة . انتهى . و في البعض نظر فتفكر .

و في لطائف المنن لتاج الدين في أحوال إبي العباس و الشيخ الشاذلي رحمهما الله تعالى : و قال رحمه الله تعالى لبعض أصحابه : ليكن ذكرك "الله" فإن هذا الاسم سلطان الأسماء ، و له بساط و ثمرة ، و بساطه العلم و ثمرته النور ، ثم النور ليس مقصودًا لنفسه ، و إنما يقع به الكشف و العيان . انتهى . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أوسع و أعلى .



الباب السبعون
و هو محتوٍ على تسع خصائص

من خصائص الجلالة خصائص عديدة ذكرها بعض أهل السّلوك و الكشف . أكثرها من إشارات أهل الطريقة و رموزهم المخفية . و كل إشارة مزية و خاصة برأسها .

فمن الإشارات اللطيفة : أن الاسم "الله" للأسماء بمنزلة الذات لما تحمله من الصفات . فكل اسم فيه يندرج و منه يخرج و إليه ينتهي .

و من الإشارات اللطيفة : أنه يظهر في مواطن كثيرة . فينوب هذا الاسم الجليل مناب كل اسم كالغفار و الستار .

قال بعض أهل الطريقة : إن "الله" للأسماء بمنزلة الذات لما تحمله من الصفات . فكل اسم فيه يندرج و منه يخرج و إليه يعرج . و هو عند المحققين للتعلُّق لا للتخلُّق . و حقيقته أنه دليل الذات لا غير .

ثم إنه يظهر في مواطن كثيرة و مراتب جمة . إذ لا فائدة لتصور الذات في تلك المواطن لما تطلبه تلك المراتب من المعاني والأحكام . فتكون الجلالة في ذلك الموطن تعطي بما تحتوي عليه من معاني الأسماء ما يعطيه ذلك الاسم من جهة ذلك المعنى الذي يختص به .

و فيه شرف ذلك الاسم من حيث أن الجلالة قامت مقامه في ذلك الموطن بمهيمنيتها على جميع الأسماء . و خصوصيتها بالإحاطية فيها كالمذنب إذا قال : يا الله اغفرلي . فالجلالة ههنا نائبة مناب

الغفار . فلا يجيبه منها إلّا معنى الاسم الغفار . و تبقى الجلالة مقدسة عن التقييد . انتهى .

و من الإشارات اللطيفة : ما قال بعض أهل الإشارات : إن الجلالة غيب كلها ما فيها من عالم الشهادة شيء إلّا استرواح ما في وقت تحريكها بالضم في قولك "الله" لا غير . فإن "الهو" يظهر هناك . و ما عدا هذا فغيب مجرد . أعني في اللفظ . و أمّا في الخط و الرقم فغيب مطلق لا غير . انتهى .

و من الإشارات اللطيفة : أن في حروف الجلالة الملفوظة و المرقومة أسرارًا مخفية ولطائف مكتومة و نكات علية .

قال بعض أهل الطريقة : واعلموا : أن الجلالة تحوي من الحروف ستة أحرف ، و هي "ا ، ل ، ل ، ا ، ه ، و" أربعة منها ظاهرة في الرقم . و هي الألف الأوّلية ، و لام بدء الغيب و هي المدغمة ، و لام بدء الشهادة و هي المنطوق بها مشددة ، و هاء الهوية .

و أربعة منها ظاهرة في اللفظ . وهي ألف القدرة ، و لام بدء الشهادة ، و ألف الذات ، و هاء الهو . و حرف واحد منها لا ظاهر في اللفظ و لا في الرقم لكنه مدلول عليه . و هو واو "الهو" في اللفظ و واو "الهوية" في الرقم . و انحصرت حروفه .

و اللام للعالم الأوسط و هو البرزخ و هو معقول ، و الهاء للغيب ، و الواو لعالم الشهادة . و لما كان "الله" هو الغيب المطلق . وكان فيه واو عالم الشهادة لأنها شفهية ولا يتمكن ظهورها في الله لهذا لم تظهر في الرقم ولا في اللفظ فكانت غيبًا في الغيب . و هذا هو غيب الغيب .

و من هنا صح شرف الحسّ على العقل . فإن الحسّ اليوم غيب في العقل . و العقل اليوم هو الظاهر . فإذا كان غدًا في الدار الآخرة كانت الدولة في الحظيرة الإلهية وكثيب الرؤية للحس . فنظرت إليه الأبصار . وكانت الغايات للأبصار و البدايات للعقول . و لولا الغايات ما التفت أحد إلى البدايات .

فانظر ما هنا من الأسرار . و هو أن الآخرة أشرف من الدنيا . قال الله تعالى : تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ . وقال : وَ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَّ أَبْقَىٰٓ . ثم إن الآخرة لها البقاء والدنيا لها الزوال والفناء . و البقاء أحسن و أشرف من الفناء . انتهى .

و من الإشارات اللطيفة : أن قلب المؤمن التقيّ عرش اسم "الله" كما أن العرش الظاهر المعروف عرش اسمه "الرحمن" . و لذا قال : ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ . و ذلك العرش ظل اسمه "الله" و هذا ظل اسمه "الرحمن" . و ذلك عرش باطن ، و هذا عرش ظاهر . واسم "الله" أعلى من اسمه "الرحمن" فيكون عرشه أيضًا أعلى من عرش اسم الرحمن . و يكون التفاوت بين العرشين مقامًا و مرتبة مثل التفاوت بين الاسمين "الله" و "الرحمن" .

قال بعض أهل الطريقة : و لكل شيء ظل و ظل الله العرش . غير أنه ليس كل ظل يمتد و العرش في الألوهية ظل غير ممتد لكنه غيب . ألا ترى الأجسام ذوات الظل المحسوس إذا أحاطت بها الأنوار كان ظلها فيها . و النور ظله فيه . والظلمة ضياؤها فيها . و لما استوى الله على قلب عبده فقال : ما وسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي . حين استوى الاسم "الرحمن" على العرش المعروف الظاهر .

فالعرش الظاهر ظل الرحمن و العرش الإنساني ظل الله . و بين العرشين في المرتبة ما بين الاسم "الله" و "الرحمن" . و إن كان قد قال : قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ . فلا يخفى من كل وجه على كل عاقل تفاوت المراتب بين الاسمين . و لهـذا قال المكلفون : وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ . حين قيل لهم : ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ . و لم يقولوا : و ما الله . حين قيل لهم : ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ . و لما كان العرش سريرًا صار غيبًا في الرحمانية .

و من الإشارات اللطيفة : أن "الله" كلمة نفي شدت في العالم العلوي . فارتفع بها الترجمان . ومن عاد نفيًا بعد الإثبات فلا عين له ولا ظهر في اللفظ . كما نفى الشريك بقوله "لا شريك له" فلا عين له في الحكم و اللفظ به موجود .

و ما بقي بعد نفي "لا" إلّا الألفان . و هو الأوّل و الآخر . فاضرب أحدهما في الآخر يخرج الهاء بينهما . و ينتفيان و هو "الهو" فإن الأوّل له تعالى اسم إضافي لا حقيقة له فيه . فإنه بوجودنا و حدوث عيننا كان له حكم الأوّلية ، و بتقدير فناء أعياننا كان حكم الآخرية . و نحن من جانب الحقيقة في عين . انتهى .

و من الإشارات اللطيفة : أن هذا الاسم كمل فيه الوجود المحدث و القديم ، و أنه يحوي بالإشارات على مقام قوله عليه الصلاة والسلام : كان الله ولا شيء معه . من حيث الألف ، و على مقام المعرفة من حيث اللام الأولى ، وعلى مقام الملك من حيث اللام الثانية ، و أن صورته صورة "له" .

قال بعض أهل الإشارات : إن لام الاسم "الله" الأولى لام المعرفة ، فإن الألف واللام للتعريف كما جاء . و الألف الأولى لكان الله ولا شيء معه . فبقيت اللام الثانية و الهاء . وكلامنا على صورة الرقم . فهي لام الملك ، فإن بزوال الألف و اللام الأولى تبقى صورة "له" فهي لام الملك . و الهاء كناية عن غيب الذات المطلقة ، فإن الهاء أوّل الحروف و لها المبدأ ، و هي غيب في الإنسان و لكن أقصى الغيب .

فصار هذا الاسم بهذه الإشارات يحوي على "كان الله ولا شيء معه" من حيث الألف . و يحوي على مقام المعرفة من حيث اللام الأولى . و يحوي على مقام الملك . و فيه ظهور كل ما سواه من حيث اللام الثانية . و يحوي على ذكر العالم له من حيث الهاء ، لأنها دليل الغيب وهو غيب عنهم . فلا يطلقون عليه تعالى إلاّ هو .

فبالألف يذكر نفسه ، و بالهاء يذكره خلقه ، و بالوجه الذي يلي الألف من لام المعرفة يعرف نفسه أزلاً ، و بالوجه الآخر منها الذي هي لام الملك يعرفه خلقه أبدًا بالمعرفة المحدثة ، و من حيث اللام نفسها التي هي لام المعرفة تعرفه المعرفة . فقد كمل في هذا الاسم الوجود المحدث و القديم صفته حقيقة و موصوفه . فانظر ما أتم هذا الاسم و ما أكمله .

و أمّا الألف الظاهرة في اللفظ بعد لام الملك المتصلة بالهاء في الخط و الواو الغيبية في الهاء إذا نطق بالهاء الروح . فإن نطق بها الجسم عادت الواو ياء . فإن نطقت بها النفس المثلية عادت ألفا .

فحكم هذه الألف النطقية و الواو المتحولة من صورة إلى صورة بحسب الناطق حكم آخر . و ذلك أن الهاء لما كانت تنظر إلى الألف الأولى و مقام الألف هناك أن لا يتصل بها شيء ظهرت الألف بعد اللام . فاتصلت بها اللام في النطق . فبقيت الهاء و لا شيء معها ما دام الكون لا يذكرها . فهي ساكنة سكون حياة لا سكون موت . فإن نطق بها الكون أو ذكرها فلابد أن يكون الذاكر كما قدمنا . فيظهر بعدها من الحروف كما ذكرنا .

و من الإشارات اللطيفة : أنه لمّا كانت لاسم "الله" المهيمنية على سائر الأسماء سرت فيه الأسماء إذا ظهر . و سرى فيها إذا ظهرت سريان الماء في الماء .

و كان التعين عن واحد من هذه الأسماء فيها أو تعيينها فيه للحكم و الأثر . و ما توجهت عليه فالقصص تبدي الأسماء و الألوهية في العلَم و الأسماء و الألوهية توجد القصص . فكأن الأمر دوريّ . انتهى .

و من الإشارات اللطيفة : أن حكم هذا الاسم المبارك في العالم الذي يخصه الزائد له على مقام الجمعية و المهيمنية هو الحيرة السارية في كل شيء عند ما يريد المعرفة به و المشاهدة . و حضرته الفعل . وهو المشهد الذي لا يشهده منه سواه . و كل من تكلم فيه فقد جهل ما يتكلم فيه و يتخيل أنه قد أصاب و هو مخطئ .

و بهذا المشهد الكوني و الحضرة الفعلية صحّت الألوهية لا غير . حتى أن العقلاء و أصحاب القياس من أصحابنا مثل أبي حامد و غيره تخيّل أن المعرفة به تتقدم على المعرفة بنا عند الأكابر . وهو غلط .

نعم يعرفونه من حيث التقسيم العقلي أن الموجودات تنقسم قسمين : إلى ما له أوّل و إلى ما لا أوّل له . و غير ذلك . و هذا كله صحيح . و لكن لا يعرفون أبدًا كونه إلهًا ابتداء قبل معرفتهم بهم . و كونه ذاتا معلوم صحيح غيركونه إلهًا . و كلامنا إنما هو في الألوهية لا في أن ثم ذات قديمة يستحيل عليها العدم . فالقائلون بهذا القول لا تثبت لهم المعرفة بالألوهية و اسمه "الله" إلاّ بعد معرفتهم به .

و لهذا صرح الشرع بالربوبية على حد ما ذكرنا . فقال : من عرف نفسه فقد عرف ربه . و لم يقل : من عرف الرب عرف نفسه . فإنه لا يصح . فإذا كانت الربوبية التي هي الباب الأقرب إلينا لم تتمكن معرفتنا بها إلاّ بنا . فأين أنت و الألوهية .

و قد كنى الشرع عن هذا المقام الإلهي أن حضرته الحيرة في قوله حين قيل له : أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء و الأرض ؟ فقال ﷺ : في عما (بالقصر و المد) ما فوقه هواء وما تحته هواء . كلمة نفي . فالقصر للحيرة و جعلها للاسم "الله" . فلهذا حارت البصائر و الألباب في إدراكه من أيّ وجه

طلبته . لأنه لا يتقيد بالأين . و المد للسحاب و هو الجو الحامل للماء الذي هو الحياة . انتهى .

كل ما ذكر في هذا الباب فهو ملخّص من رسالة الجلالة للشيخ الكبير الحاتمي رحمه الله تعالى . و هي رسالة صغيرة نحو ست ورقات مشتملة على إشارات لا يفهمها حق فهم إلّا من هو مثله . و يجب علينا الاقتداء بما وافق النيّرين الكتاب و السنة . والله يقول الحق و هو يهدي السبيل و هو أعلم بالصَّواب و علمه أجلّ و أتمّ .



الباب الحادي و السبعون

من خصائص الاسم "الله" أن لله تعالى وسبحانه في كل ذرة من ذرات العالم و في كل جزء من أجزاء أركان السمٰوات و الأرض و الكرسي و العرش و في كل قطرة من قطرات المياه سرًّا من أسرار اسمه "الله" .

كأنه نور من أنوار اسمه "الله" و نفحة من نفحات هذا الاسم الجليل المبارك و أثر مبارك من آثار هذا الاسم الكريم . فبذلك السر فهم عنه تعالى و أقر له بالتوحيد كل عالم على نوره الذي هو قائم به ، علم أم لم يعلم . كما قال الله تعالى : وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا .

فالألف الأولى دلالة الذات ، و اللام الأولى دلالة صفات الذات ، و اللام الثانية دلالة أسماء الأفعال ، و الألف الثانية دلالة أسماء المعاني القائمة بأسماء الصفات ، و الهاء دالة على أسماء الإشارة لبواطن الأسماء . كذا في مفتاح الفلاح . هذا . والله أعلم بالصواب و الحقائق و إليه المرجع في معرفة الدقائق و علمه أتم و أوسع و أدقّ .



الباب الثاني و السبعون
و هو محتوٍ على ثلاث خصائص

من خصائص الجلالة تطويل باء "بسم" الداخلة على الاسم المضاف إلى الجلالة رسمًا و رقمًا . فتنمق هكذا "بسم الله الرحمن الرحيم" بتطويل الباء و إعلائها خطًّا و رسمًا . و لا تكتب بغير إعلاء و تطويل .

إن قلتَ : ما وجه تطويل هذه الباء رقمًا و رسمًا ، و ما وجه استحسانهم هذا التطويل في هذا المقام ؟

قلتُ : إنّما استحسنوا تطويل الباء ههنا رسمًا و خطًّا ، واستحبّوه لوجوه متعدّدة بديعة ، ولأسرار عديدة رفيعة ، تسرّ النّاظرين و تهزّ أعطاف المتفكرين .

الوجه الأوّل : أنه عوض عن همزة الاسم المحذوفة رسمًا .

الوجه الثاني : ما ذكره الإمام القتبي رحمه الله تعالى وهو أنه إنما طولوا الباء لأنهم أرادوا أن لايستفتحوا كتاب الله إلاّ بحرف معظَّم .

الوجه الثالث : أن إعلاءها صورة و رفعها ظاهرًا إشارة إلى إعلاء ما بعدها و ارتفاع شان ما يليها . و هو اسم "الله" فإن أسماء الله تعالى كلها عالية معظمة و سامية مفخّمة .

الوجه الرابع : أنه إشارة إلى إعلاء مسمى ما بعدها . وهو ذات الله تعالى و تبارك . فإن الظاهر عنوان الباطن .

الوجه الخامس : أن تطويل الباء خطًّا و رسمًا و تعظيمها يدل على عظمة معنى هــذه الباء و فخامة فحواها و كرامة مغزاها و سعة دائرتها و طول ساحتها . حيث صرحوا أن جميع علوم القرآن في البسملة و جميع علوم البسملة في الباء .

فكأنّ الباء على كونها حرفًا واحدًا كتاب ضخيم و سفر عظيم . فهي حرف رحيب الساحة فسيح المعنى و كثير المغزٰى ، حيث تشتمل على جميع علوم القرآن . و حسبك من القلادة ما أحاطت بالجيد .

و هذا بحث بديع لطيف المغزى فخيم المعنى يحتاج إلى تطويل و تفصيل . فأقول والله المستعان :

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره ج١ ص٩٦ : و عن الحسين قا ل : أنزل الله تعالى مائة و أربعة كتب من السماء . فأودع علوم المائة في الأربعة . و هي التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان . ثم أودع علوم هذه الأربعة في الفرقان . ثم أودع علوم الفرقان في المفصل . ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة . انتهى .

و في الإتقان ج٢ ص١٢٦ : أخرج البيهقي عن الحسن رحمه الله تعالى قال : أنزل الله مائة و أربعة كتب . فأودع علومها أربعة منها التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان . ثم أودع علام الثلاثة الفرقان . انتهى .

و أيضًا في الإتقان ج٢ ص١٥٧ : في تسمية الفاتحـة بأمّ القرآن : قال الحسن البصري : إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن . ثم أودع علوم القرآن الفاتحة . فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة . أخرجه البيهقي .

و أيضًا فيه ج٢ ص١٦٠ : ذكر كثيرون في أثر أن الله جمع علوم الأوّلين و الآخرين في الكتب الأربعة . و علومها في القرآن . و علومه في الفاتحة .

فزادوا : وعلوم الفاتحة في البسملة . وعلوم البسملة في بائها . و وُجِّه بأن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الربّ . و هذه الباء باء الإلصاق فهي تلصق العبد بجناب الرب . و ذلك كمال المقصود . ذكره الإمام الرازي و ابن النقيب رحمهما الله تعالى في تفسيرهما . انتهى .

الوجه السادس : هذا الوجه من قبيل إشارات السالكين العارفين . و هو أن الباء حرف

منخفض في الصورة . فلمّا اتصل كتابةً بلفظ "الله" ارتفعت واستعلت . فنرجو أن القلب لما اتصل بخدمة الله عز و جل أن يرتفع حاله و يعلو شانه . انتهى . كذا في تفسير الإمام الرازي ج١ ص٥٨ .

الوجه السابع : ما قاله العلامة الآلوسي رحمه الله في روح المعاني : إن الباء إنما طولت للإشارة إلى أن الظهور تام .

الوجه الثامن : ما قاله البعض : وهو أن الباء إنما طوّلت و عوّضت ليكون الباء بمنزلة ألف اسم "الله" فيكون الابتداء "ببسم الله" ابتداء باسم "الله" . فاعرفه فإنه ليس من عمل الأفهام بل من مبذولات الإلهام . انتهى .

قال الآلوسي رحمه الله في تفسيره : و هذا التوجيه في التحقيق من مبتذلات الأوهام . و ليس له في التحقيق أدنى إلمام . على أن في تعليلهم السابق خفاء بالنظر إلى مشربهم أيضًا . فافهم ذلك كله . و قال في منهياته : و فيه أنه بما به يقتضي تخصيص الامتثال بالابتداء الخطي فقط . و غير ذلك فافهمه . انتهى .

هذه وجوه ثمانية لتطويل باء البسملة ، نقتصر على ذكرها ههنا اختصارًا و إجمالاً من غير استقصاء . و سنعود إلى ذكر أسباب تطويل الباء و وجوهه في الفصل القادم ، و العود أحمد ، رومًا لتفصيل المزايا و توضيح السنايا و كشفًا للنقاب عن الخبايا في الزوايا .

فصل
في ذكر أقوال الأئمة في تطويل الباء

اعلم : أن تطويل الباء رسمًا و خطًّا من البسملة لكونه بحثا نادرًا غريبًا يجدر لنا بأن نغوص فيه شيئا من الغوص بذكر أقوال العلماء الكبار و استيعاب وجوه تطويل الباء خطًّا و علل إعلائها نسخًا و أسباب ذلك ، ليطمئنّ به القلوب . فأقول و بالله التوفيق :

قال الرازي رحمه الله في تفسيره ج١ ص٥٨ : طوّلوا الباء من "بسم الله" وما طوّلوها في سائر المواضع . و ذكروا في الفرق وجهين :

الأوّل : أنه لمّا حذفت ألف الوصل بعد الباء طوّلوا هذه الباء ليدل طولها على الألف المحذوفة التي بعدها . ألا ترى أنهم لما كتبوا "باسم ربك" بالألف ردّوا الباء إلى صفتها الأصلية .

الثاني : قال القتبي رحمه الله تعالى : إنما طوّلوا الباء لأنهم أرادوا أن لا يستفتحوا كتاب الله إلّا بحرف معظم . و كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لكتّابه : طوّلوا الباء وأظهروا السين و دوّروا الميم ، تعظيمًا لكتاب الله . انتهى .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : إن قلت : ما بالهم عظّموا كتاب الله بتطويل الباء و إظهار السين و تدوير الميم في البسملة فقط دون سائر مواضع القرآن . مع وقوع هذه الحروف الثلاثة أي الباء و السين و الميم في آلاف المواضع من كتاب الله ؟

قلت : تنويهًا بشان الجلالة بعد هذه الحروف مع كثرة الاستعمال . فقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى "أظهروا السين و دوروا الميم" إشارة إلى خاصتي الجلالة الأخريين .

فمجموع الخواص في هذا الباب ثلاث : الأولى تطويل الباء . و الثانية إظهار السين . و الثالثة تدوير الميم .

قال جارالله في الكشاف : و قالوا : طولت الباء تعويضًا من طرح الألف . و عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه : طول الباء و أظهر السنات و دور الميم . انتهى .

قال السيد السند رحمه الله تعالى في حواشي الكشاف : و ذكر حديث التعويض و تأييده بقول أعدل بني مروان إشارة إلى أن الأصل أيضًا مرعي بقدر الإمكان .

المراد من الأصل ما ثبت أن وضع الخط على الابتداء دون الدرج جمعًا بين قاعدة الخط والاستعمال . ثم إن في تطويل الباء و إظهار السين و تدوير الميم تحسينًا للخط ومحافظة على تفخيم الاسم ، نظرًا إلى جلالة ما أريد به من أسماء الله المعظمة بكبرياء مسماها .

و الموجود في النسخ المعتبرة "السينات" جعل كل سنة سينة مجازًا مبالغة في إظهارها . كأنه قال : اجعل كل سنة بمنزلة سينة في الظهور . قال : و هذه أصح رواية و دراية ردًّا على من قال : السينات

أصح رواية . و السنات بدلها أصح دراية . انتهى كلامه .

قال العلامة الآلوسي رحمه الله في روح المعاني ج١ ص٥١ : و إنما طوّلت الباء أي في التسمية للإشارة إلى أن الظهور تامّ ، أو إلى أنها و إن انخفضت لكنها إذا اتصلت هذا الاتصال ارتفعت و استعلت . و فيه رمز إلى أن من تواضع لله رفعه الله . و أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى .

و قال الرسميون : طولت الباء لتدل على الألف المحذوفة ، و لتكون عوضا عنها ، و ليكون افتتاح كتاب الله تعالى بحرف مفخم . ولذا قال ﷺ لمعاوية رضي الله عنه فيما روي : ألق الدواة و حرّف القلم و انصب الباء و فرّق السين ولا تعور الميم و حسّن الله و مدّ الرحمن وجوّد الرحيم و ضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك .

و لعل منه أخذ عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله لكاتبه : طول الباء و أظهر السينات و دوّر الميم . انتهى .

تفصيل المرام و توضيح ما ذكرنا من الكلام في تطويل الباء أنّ استحباب تطويل الباء من البسملة لوجوه متعدّدة لطيفة و أسباب غريبة شريفة .

السبب الأوّل : طوّلوا الباء من التسمية ليكون طولها نسخًا وخطًّا دليلاً على الألف المحذوفة نسخًا من لفظ "اسم" بعد الباء . ألا ترى أنهم لما لم يحذفوا الألف من لفظ اسم في "بِٱسۡمِ رَبِّكَ" و كتبوا فيه الألف لم يطوّلوا الباء بل ردّوها إلى صفتها الأصلية .

السبب الثاني : طوّلوا الباء عوضًا عن الألف المحذوفة رسمًا من لفظ "اسم" مضاف إلى الجلالة بقدر الإمكان . إذ لا نستطيع التعويض عن هذه الألف المحذوفة إلّا بهذا القدر . و هذا يكفي لنا . فما لا يدرك كله لا يترك كلّه .

السبب الثالث : باء البسملة مبدأ كتاب الله ، فطَوّلوها تعظيمًا لها ليكون مفتاح كتاب الله حرفًا مفخّمًا .

السبب الرابع : التسمية جزء سورة الفاتحة عند بعض الأئمة . فطوّلوا الباء رسمًا في التسمية لتكون فاتحة سورة الفاتحة حرفًا معظّمًا مفخّمًا في ظاهر الرسم و الكتابة . و الظاهر عنوان الباطن .

ففي تعظيم الظاهر إشارة إلى تعظيم الباطن .

و الفاتحة أعظم سورة في القرآن ، و لذا تكرّرت في الصلاة و سمّيت بأمّ القرآن و جعلت مبدأ القرآن . و هذا يقتضي أن تستفتح سورة الفاتحة بحرف مفخّم . فَطوّلوا حرف الباء من التسمية تفخيمًا لمبدأ سورة الفاتحة أمّ الكتاب . ثم أبقي تطويل الباء في البسملة مطلقًا و إن كانت في غير سورة الفاتحة تعميمًا لحكم التفخيم و طردًا للباب .

السبب الخامس : طوَّلوا الباء تعظيمًا لبداية جملة البسملة التي هي مفتاح كل ذي بال في الشريعة حيث قال عليه الصلاة والسلام : كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر . و في رواية : فهو أقطع .

السبب السادس : هو مثل الوجه الخامس . إلّا أنّ الملتفت إليه بالذات في السادس جهة الأمر ذي البال الذي جعلت التسمية مبدأ له . فيقال : طوّلت هذه الباء تعظيمًا للأمر الذي هو ذوبال . و جعلت التسمية مبدأً له بأمر الشارع عليه الصلاة والسلام .

السبب السَّابع : طَوَّلوها تعظيمًا لبداية كلّ سورة من القرآن بقدر الاستطاعة ، وهو التعظيم في الكتابة . هذا الوجه مترتّب على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى القائل بأن التسمية جزء لكل سورة من سور القرآن .

السبب الثامن : البسملة عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى آية مستقلة نزلت للفصل بين السور ، و ليست بجزء لسورة . و هذه كرامة للبسملة لا تماثل و منقبة لا تساجل . فيجب تعظيم البسملة و تفخيمها من كل وجه بقدر الاستطاعة . و مقتضى تفخيم البسملة رسمًا وكتابةً أن يُكتب مفتاحها وهي الباء مطوّلاً . هذا الوجه مبنيّ على مسلك الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى .

السبب التاسع : لحرف الباء مناقب من بين الحروف عظيمة و فضائل فخيمة :

منها أنها أوّل حرف نطق به بنوآدم في عالم المثال في الأزل حيث قالوا "بلى" في جواب قوله تعالى : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ . و أوّل حرف "بلى" هو الباء .

و منها ما صرّح به غير واحد من المفسّرين الكبار أن أوّل حرف يتكلم به الطفل غالبًا حرف الباء . و ذلك من نتائج ما قالوا في الأزل : بلى . في جواب سواله تعالى : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ .

و منها أنها أوّل القرآن .

و منها أنها أوّل كل أمر ذي بال ، حيث يبدأ بالبسملة ، و أوّل البسملة الباء . و كل هذه المناقب تقتضي تفخيم هذه الباء .

و مواضع استعمال الباء لا تعدّ ولا تحصى . و تفخيم الباء في المواضع التي لا تعدّ و لا تحصٰى صعب دونه خرط القتاد ، فاختصّت من بين هـذه المواضع موضع واحد لتكريم التطويل و تفخيمه . و هذا الموضع هو أوّل البسملة . إذ للبسملة مكانة لا تجارٰى و منقبة لا تبارٰى . و المنقبة تجلب المنقبة و تميل إليها . و الجنس إلى الجنس يميل . و بالجملة للباء فضائل كما أنّ للبسملة مناقب . فاختصّت الباء التي في أوّل البسملة بهذه الكرامة و هي التطويل رسمًا وخطًّا لأجل هذه المناسبة .

السبب العاشر : طوّلوا هذه الباء في الكتابة تحسينًا للخطّ و تجويدًا للحروف .

السبب الحادي عشر : طوّلوها تعظيمًا للجلالة بعدها .

السبب الثاني عشر : طوّلوها محافظة على تعظيم لفظ "الاسم" المجرور بالباء المضاف إلى الجلالة نظرًا إلى تعظيم ما أريد بلفظ الاسم و إلى جلالة ما قصد به من أسماء الله المعظمة بكبرياء مسمّاها . قاله السيد السند .

السبب الثالث عشر : طوّلوها عملًا بالسنة النبويّة و امتثالًا لأمر النبي عليه الصلاة والسلام ، حيث قال النبي عليه الصلاة والسلام كما في روح المعاني للآلوسي رحمه الله تعالى : ألق الدواة و حرّف القلم و انصب الباء و فرّق السين . و المراد من نصب الباء إقامتها و تطويلها رسمًا و كتابةً .

السبب الرابع عشر : تطويل باء البسملة من إحدٰى خصائص الجلالة اللاحقة بالباء و المجرورة بها .

السبب الخامس عشر : طوّلت الباء للإشارة إلى أنّ الظهور تامّ . ذكره الآلوسي في روح المعاني .

السبب السادس عشر : طوّلت هذه الباء للإشارة إلى أنها و إن انخفضت وتسفّلت لكنها

علت و طالت و ارتفعت ببركة جوار الاسم المبارك و هو اسم "الله" الذي هو علَم لذات الله تعالى . وللجوار و المصاحبة تاثير عظيم قوي ، إن خيرًا فخير ، و إن شرًّا فشرّ . فلا تصاحب إلّا صالحًا ، ولا تختر إلّا جوار الكريم ، ولا تخالل إلّا ذا خصال طيبة . و إياك ومرافقة السيّئ الفاسق ومُصاحبة اللئيم الخسيس النَّذْل و الزنيم المهين الرَّذْل . فللمصاحبة و المقاربة في الظاهر عدوٰى حتى في الكلمات و العبارات كجرّ الجوار .

السبب السابع عشر : باء البسملة مكسورة ، فهي منخفضة ، إذ الكسرة نوع انخفاض . و الانخفاض من أنواع التواضع . فكأنّ الباء لما اتصلت باسم الله الجليل المبارك تواضعت و انخفضت . و التواضع يرفع المتواضع و يُعليه . فالباء ههنا ارتفعت و استعلت ، و علا رأسها وسما ظاهرها كتابةً ونسخًا .

و هذا سرّ بديع و نكتة رفيعة . ففي تطويل هذه الباء رمز إلى ما روي في الحديث أنّ : من تواضع لله رفعه الله . و إلى ما نقل في الخبر القدسي : أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي .

السبب الثامن عشر : قصدوا أن يعظّموا باء البسملة و يكرّموها . فطوّلوها رسمًا و رقمًا قضاءً لحقّها العظيم و إشارة إلى علوّ مقامها الكريم .

فلهذه الباء شان جليل ومقام نبيل ، فإنها كما بينوا و حقّقوا جامعة لعجائب لا تحصى ، وحاوية على غرائب لا تنقضي ، و مشيرة إلى معان و أسرار لا تعدّ ، و إلى علوم و حقائق لا تحدّ . فحدِّث عن البحر ولا حرج . كيف لا ، و هذه الباء تحتوي على مضامين القرآن بأسرها ، بل على علوم الكتب السماوية عن آخرها .

و تفصيل ذلك ما قالوا : إن القرآن جامع لعلوم الكتب السّماوية كلها . و الفاتحة جامعة لعلوم القرآن جميعها . و البسملة جامعة لعلوم الفاتحة بأسرها . و قالوا : إن باء البسملة جامعة لعلوم البسملة بتمامها . كما مرّ في أوّل هذا الباب .

السبب التاسع عشر : هذا السبب يقارب ظاهرًا السبب السادس عشر المذكور من قبل . و الفرق بينهما باعتبار البيان و بعض الجهات .

محصوله أن تطويل الباء إشارة إلى أن كل قلب يرتفع حاله و يعلو شانه و مقامه ، و ينال المرتبة

السامية و الرتبة العالية بعد أن يتّصل بخدمة الله عزّ و جلّ ، و بعد ما يواظب على ذكره و يتبتّل إليه بشراشره .

قال الفخر الرازي رحمه الله : قال أهل الإشارة : الباء حرف منخفض في الصورة . فلمّا اتصل بلفظ "الله" ارتفعت و استعلت . فنرجو أن القلب لما اتصل بخدمة الله عزّ و جلّ أن يرتفع حاله و يعلو شانه .

السبب العشرون : الملحوظ في هـذا الوجه تحصيل الابتداء بألف لفظ "اسم" أو بألف لفظ "الله" بقدر الإمكان . و الابتداء بألف "اسم" أو بألف "الله" من المطالب المحبوبة المستحسنة و المقاصد الحسنة المستحبّة . و زعم بعض أهل العلم أن هذا الوجه من الإلهامات الربانيّة .

توضيح الكلام أنّ الباء إنما طوّلوها لتكون الباء صورةً و ظاهرًا بمنزلة ألف اسم "الله" فيكون الابتداء ببسم الله ابتداءً باسم "الله" . و ردّه العلامة الآلوسي كما مرّ في الوجه الثامن .

السبب الحادي و العشرون : طوّلوا الباء و أعلوها صورةً و خطًّا إشارة إلى علو شان ما يليه ، و إلى ارتفاع مقام ما بعدها ، و هو اسم "الله" فإن اسم "الله" أفضل أسماء الله تعالى و أعظمها .

السبب الثاني و العشرون : طوّلوا البَاء وعظّموها إيماءً إلى تعظيم مسمّى ما بعـدها وإعلائها ، وهو ذات الله تعالى و تبارك . فإن الظاهر يدل على الباطن و يهدي إلى أحواله . هذا . والله أعلم بالصّواب من الحقائق و الدقائق و علمه أجلّ و أتمّ و أعلى .



الباب الثالث و السبعون
و فيه خاصّتان

من خصائص اسم "الله" الرسمية الخطّية من بين أسماء الله الحسنى حذف الألف منه حتمًا و وجوبًا في الرسم و الخطّ بعد اللام و قبل الهاء . فيكتب حتمًا هكذا "الله" بغير الألف و لا يكتب "اللاه" بالألف على ما هو القياس .

ولا نظيرله في ذلك في أسمائه تعالى . أمّا اسم "الرحمن" فيكتب بغير الألف بشرط أن لا يجرد من اللام . وليس اللام لازمة معه كما لزمت لاسم "الله". و محصول الجواب عن ألف "الرحمن" أن حذفها في "الرحمن" ليس بواجب على الإطلاق .

قال السيوطي رحمه الله تعالى في الهمع ج٢ ص٢٤٠ : ويحذف الألف رسمًا أيضًا من "إله" و من "الرحمن" لكثرة الاستعمال مع أنه لا يلبس . و شرطه أن لا يجرد من الألف واللام . فإن جرد منها كتب بالألف نحو "رحمان الدنيا و الآخرة" . انتهى .

قال الرضي في شرح الشافية : يكتب "الرحمن" أي المعرّف باللام بدون الألف ، سواء كان في البسملة أو لا . انتهى .

و أمّا كتابة "إله" بدون الألف كما صرح به السيوطي رحمه الله تعالى في الهمع فلكونه أصل الجلالة . فأثّرت فيه الجلالة تاثير الفرع في الأصل و استتبعته الجلالة استتباع الفرع للأصل . و تخصيص العرب الجلالة من بين الأسماء بهذا الحكم مثل تخصيص الله تعالى أبوي النبي صلى الله عليه وسلم بالإسلام بعد الموت .

و هذه خاصة ثانية حيث أثّرت الجلالة في الأصل و استتبعته . فثبت أنه لا نظير للجلالة في هذه الخاصية في أسماء الله الحسنى .

بل إن قلت : إنّها خاصة للجلالة مطلقًا أي باعتبار جميع الأسماء كان قولًا حقًّا حيث لايشاركها إلّا عدة ألفاظ ، و هي "ذلك" و "أولئك" لكنهما لا يخلّان بخاصية الجلالة ، لكونها من القوانين اللفظية و الضوابط العربية و الكليات الأدبية ، حيث لا يخل شذوذ بعض الجزئيات و خروجها عن الكليات و القوانين في صحّة تلك الكليّات كما لا يخفى على من له أدنى دربة و مسّ بقواعد أهل العربية .

و إن قيّدنا هذه الخاصية بالنسبة إلى الأسماء المعربة فلا يرد شيء و لا يوجد للجلالة نظير في الأسماء مطلقًا .

ولا يرد ما صرحوا أن الألف تنقص من عدة ألفاظ ، وهي "ثلاث" و "ثلاثة " و "ثلاثين" و "ثمانية" وما كثر استعماله من الأعلام الزائدة على ثلاثة أحرف عربية كانت أو لا مثل "مالك" و "صالح" و "عثمان" و "خالد" و "إبراهيم" و "إسماعيل" و "إسحاق" و "هارون" و "سليمان" .

لأن نقص الألف خطًّا عن هذه الألفاظ و حذفها فيها جائز لا واجب ، بخلاف نقص الألف و حذفها من الجلالة فواجب لازم .

و أيضًا لا يرد ما صرحوا كما في الهمع بأن الألف تحذف من "لكن" مخففا و مشددًا و من "هاء" التنبيه مع الإشارة خالية من الكاف نحو "هٰذا" و "هٰذه" و "هٰؤلاء" .

كما قال السيوطي رحمه الله : إنما حذفت ألف الهاء مع الإشارة لكثرة استعمالها معها حتى صار كلفظ مركب . بخلاف الهاء المتصلة بالكاف فإنّ إثبات الألف فيها واجب نحو "ها ذاك" كما يجب الإثبات في "ها" المتصلة "بتا" و "تي" نحو "هاتا" و "هاتي" و "هاتان" .

و إنما قلنا : إنّ المذكور من هاء التنبيه و لكن لا يرد علينا في شان خاصية الجلالة ، لكون الهاء حرفًا . و كلامنا في الأسماء . وكذا "لكن" .

وكذا لا يرد ما صرحوا بأنّ الهمزة تنقص من لفظ "ابن" إذا وقع بين علَمين أوّلهما موصوف

به . لأنها لا تحذف مطلقًا ، و ألف "الله" تحذف مطلقا . و لأنّ همزة "ابن" وصلية و ليس كلامنا فيها . و لأن كلامنا في الألف دون الهمزة . هذا . والله أعلم و علمه أتم .

فصل
في وجوه حذف ألف الجلالة خطًّا

إن قلت : ما وجه وجوب حذف ألف الجلالة خطًّا ؟

قلت : له وجوه كثيرة لطيفة . ولابد من ذكر مقدمة لبيان الربط بين الرسم و المرسوم . فأقول و بالله التوفيق :

يلوح من فحوى الأحاديث النبويّة و أقوال الأئمة أن بين المرسوم و المعنى ربطًا قويًّا ، و بين رسم الاسم و مسماه علاقة شديدة و رابطة مشيدة ، و أن تحسينه تحسينه و تبجيله تبجيله ، و أن تزيين الرسم و الخط من جملة تفخيم المعنى و تكريمه ، و أن تنقيص الخطّ و الرسم حطّ لشان المعنى من وجه .

ولذا كرهوا النحت الرسمي في الصلاة على رسول الله ﷺ بالاكتفاء على كتابة "ص" أو "صلعم" كما هو دأب بعض الكتّاب .

روى الطبراني في الأوسط و أبوالشيخ في الثواب و غيرهما بسند فيه ضعف : أن رسول الله ﷺ قال : من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب . و في لفظ لبعضهم : من كتب في كتابه "ﷺ" لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام في كتابه .

و مثل هذا مما يغتنم . ولا يمنع منه الضعف لكونه من أحاديث الفضائل . والفضائل يقبل فيها الحديث الضعيف . ولم يضعف بالوضع . كذا في شرح التحرير .

و نقل السخاوي عن ابن القيم أنه قال : الأشبه أنه كلام جعفر بن محمد لا مرفوعًا . و لفظه : من صلى على رسول الله ﷺ في كتاب صلت عليه الملائكة غدوةً و رواحًا ما دام اسم رسول الله ﷺ في ذلك الكتاب . انتهى .

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح ج٧ ص٤٠٦ باب عمرة القضاء و كتابة ما صولح عليه : وردت آثار تدل على معرفة النبي ﷺ حروف الخط و حسن تصويرها كقوله لكاتبه : ضع القلم على أذنك فإنه أذكر لك . و قوله لمعاوية : الق الدواة و حرّف القلم و أقم الباء و فرّق السين و لا تعوّر الميم . و قوله : لا تمدّ بسم الله . انتهى .

و بعد تمهيد هذه المقدمة أقول : حذفت الألف من الجلالة خطًّا لوجوه :

الوجه الأوّل : حذف الألف ههنا من خصائص اسم "الله" . و لاسم "الله" خواص كثيرة . منها حذف الألف خطًّا وجوبًا مطلقًا . و في الهمع : و تحذف الألف من اسم "الله" و كان القياس إثباتها كما في اللام . لكنه قد تصرف فيه بأنواع من التصرفات التي لا تجوز إلّا فيه . و لأنه لا يلتبس ، إذ لا مشارك في هذا الاسم . انتهى .

الوجه الثاني : حذفت لكثرة الاستعمال المقتضية للتخفيف .

الوجه الثالث : ما في نهاية المفيد في علم التجويد ص١٠٠ ، حيث قال : إن قيل : لِمَ حذفوا الألف الأخيرة خطًّا من اسم "الله" ؟ قلت : لكي لا تلتبس باللاه الذي هو اسم فاعل من "لها يلهو" و قيل : تخفيفًا . انتهى .

الوجه الرابع : هذا من قبيل إشارات أرباب الإشارات ، و هو أن حذفها إشارة إلى وحدة الذات البحت ، و أن لا كثرة هناك بوجه من الوجوه .

و توضيحه أن الألف لو كتبت لكتبت منفصلة ، و لانفصل ما قبلها عما بعدها ، هكذا "اللاه". و لما كان للمرسوم ربط قوي بالمعنى حذفت الألف فاتحد اسم "الله" خطًّا ، و صحت الإشارة إلى الوحدة الذاتية له سبحانه .

فإن قيل : فعلى هذا ينبغي حذف همزة الوصل في أوّله .

قلت : نعم . وقع بالهمزة الوصلية و كتابتها على حدة فصل في المرسوم ، إلّا أنه فصلٌ في الحواشي التوابع و في الأطراف الزائدة لا في حاق اسم الجلالة و أصلها ، فلا يضر .

و أيضًا لم تحذف خطًّا همزة "الله" الوصلية في أوّله لئلا يقع الاشتباه بين "الله" و "لله" رسمًا و خطًّا .

و أيضًا لئلا يقع إجحاف في الجلالة . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أجلّ و أعلى و أوسع و أكمل .



الباب الرابع و السبعون

من بدائع خصائص الجلالة نقص الهمزة و حذفها خطًّا من اللفظ المضاف إلى الجلالة ، و هو لفظ "اسم" . فيكتب هكذا "بسم الله" بدون الهمزة .

إن قلت : ما تفصيل حذف همزة الجلالة خطًّا و ما توضيح حكم حذفها ؟

قلت : تفصيل المرام أنّ هذا الحكم أي حذف همزة "اسم" عند الجمهور و منهم ابن الحاجب والرضي رحمهما الله تعالى خاصّ بالبسملة التامة ، أي إذا أضيف لفظ "اسم" إلى الجلالة مع ذكر "الرحمن الرحيم" . و إلاّ فتثبت الهمزة فتكتب "باسم الله" بالألف . ولذا كتب قوله تعالى "اقرأ باسم ربك" بالألف .

و عند الفراء تحذف هذه الهمزة بدون "الرحمن الرحيم" أيضًا إذا حذفا منويّين . و عند البعض أو غير منويّين أيضًا . و عند الفراء جاز حذفها من "بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا" أيضًا .

و عند الكسائي و الأخفش جاز نقص الهمزة و حذفها خطًّا من "باسم الرحمن والقاهر" أيضًا . و قولهما مردود عند جمهور المحققين .

اعلم : أن أصل كل كلمة في الكتابة أن ينظر إليها مفردة مستقلة عما قبلها وعما بعدها . فلا جرم تكتب بصورتها مبتدأ بها و موقوفًا عليها . فكتب "من ابنك" بهمزة الوصل . لأنك لو ابتدأت بها فلابد من همزة الوصل . و كتب "ره زيدًا" و "قه زيدًا" بالهاء . لأنك إذا وقفت على "ر" فلابد من الهاء . كذا قال الرضي .

و يستثنى من هذا القانون أسماء حروف الهجاء . إذ يجب الاقتصار في كتابتها على أوّل الكلمة نحو "ق ، ن ، ص ، ج" فخالفت الكتابة فيها النطق . و كذلك كتبت الحروف المفتتح بها السور .

و إنما فعلوا ذلك ، لأنهم أرادوا أن يضعوا أشكالاً لهذه الحروف تتميز بها . فهي أسماء مدلولاتها أشكال خطّيّة . فلفظ "قاف" يدلّ على هذا الشكل الذي صورته هكذا "ق" . و لو لم يضعوا هذه الأشكال الخطّيّة لم يكن للخط دلالة على المنطوق به . و لو اقتصروا على كتبها على حسب النطق ولم يضعوا لها أشكالاً مفردة تتميز بها لم يمكن ذلك . لأن الكتابة بحسب النطق متوقفة على معرفة شكل كل حرف حرف . و شكل كل حرف حرف غير موضوع . فاستحال كتبها على حسب النطق . كذا قال السيوطي في الهمع ج٢ ص٢٣٢ .

و بعد تمهيد هذه المقدمة أقول : قد عرفت أن الأصل في البسملة أن تكتب هكذا "باسم الله" إلخ ، بإثبات ألف لفظ "اسم" خطًّا . و إنما حذفت خطًّا لاختصاص الجلالة بخواص لا توجد في غيرها . ثم إنّ لخصائص الجلالة مظاهر و مواضع . إمّا نفس الجلالة و إمّا ما قبلها . و مظهر خاصيتها هذه ما قبلها و هو الاسم المضاف إليها .

قال ابن الحاجب رحمه الله في الشافية : و نقصوا الألف من "بسم الله الرحمن الرحيم" لكثرته . بخلاف "باسم الله" و "باسم ربك" و نحوه فإنها ليست كثيرة الاستعمال . انتهى بتغيير .

وكلام ابن الحاجب هذا صريح في أن نقص الألف من "بسم الله" مشروط بأن يكون مع "الرحمن الرحيم" .

و في الكشاف : فإن قلت : فلم حذفت الألف في الخط و أثبتت في قوله "بِٱسْمِ رَبِّكَ" ؟

قلت : قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال . و قالوا : طوّلت الباء تعويضًا من طرح الألف . انتهى .

قال السيد رحمه الله في حواشيه على الكشاف : قوله "فلم حذفت إلخ" أراد أن وضع الخط على حكم الابتداء دون الدرج . إذ الأصل في كل كلمة أن تكتب على صورة لفظها بتقدير الابتداء و الوقف عليها . فكان يجب أن تكتب الهمزة ههنا لثبوتها في الابتداء كما كتبت في "بِٱسْمِ رَبِّكَ" و عبر عنها

بالألف . إذ هي هنا على صورتها في الخط .

فإن قلت : الجواب ليس إلّا أنّ حذف الألف في الخط لكثرة الاستعمال . فباقي الكلام مستدرك .

قلت : بين في الجواب أنّ وضع الخط على الابتداء دون الدرج تصريحًا بالمقدمة التي طواها في السوال . و لابد منها ليتضح تفريعه بالفاء على ما قبله . و ذكر حديث التعويض و تأييده "بأعدل بني مروان" أي عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى إشارة إلى أن الأصل أيضًا مرعي بقدر الإمكان . جمعًا بين قاعدة الخط و الاستعمال . انتهى كلامه .

قال العلامة سليمان بن عمر الشافعي الشهير بالجمل رحمه الله تعالى في شرح الجلالين : "بسم الله" تكتب بلا ألف استغناء عنها بباء الإلصاق في اللفظ و الخط لكثرة الاستعمال . بخلاف قوله "ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ" فإنها لم تحذف لقلة الاستعمال . واختلفوا أيضًا في حذفها مع "الرحمن" و "القاهر" فقال الكسائي و سعيد الأخفش : تحذف الألف . و قال يحي بن وثاب : لا تحذف إلّا مع "بسم الله" فقط . لأن الاستعمال إنما كثر فيه . انتهى .

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في التفسير ج١ ص٥٨ : حذفوا ألف "اسم" من قوله "بسم" و أثبتوها في قوله "ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ" . و الفرق من وجهين :

الأوّل : أن كلمة "بسم الله" مذكورة في أكثر الأوقات عند أكثر الأفعال . فلأجل التخفيف حذفوا الألف . بخلاف سائر المواضع فإن ذكرها قليل .

الثاني : قال الخليل : إنما حذفت الألف في "بسم الله" لأنها إنما دخلت لأن الابتداء بالسين الساكنة غيرممكنة . فلما دخلت الباء على الاسم نابت عن الألف ، فسقطت في الخط .

و إنما لم تسقط من قوله "ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ" لأن الباء لا تنوب عن الألف في هذا الموضع كما في "بسم الله" لأنه يمكن حذف الباء من "ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ" مع بقاء المعنى صحيحًا . فإنك لو قلت "اقرأ اسم ربك" صح المعنى . أمّا لوحذفت الباء من "بسم الله" لم يصح المعنى . فظهر الفرق . انتهى .

قال السيوطي رحمه الله تعالى في الهمع شرح الجمع ج٢ ص٢٣٦ : الرابع من مواضع حذف الألف أنه

تحذف من أوّل "بسم الله الرحمن الرحيم" و كان القياس أن يكتب "باسم" بالألف كما يكتب "بابن" بالألف ، لكن حذفوها لكثرة الاستعمال . ولا تحذف في غير البسملة من أنواع التسمية نحو "باسم الله" بدون "الرحمن الرحيم" و "بِٱسۡمِ رَبِّكَ" .

و زعم بعضهم أنها لم تحذف في البسملة أيضًا . و إنما كتبت على لغة من يقول : سِم . والأصل "بسم الله" بتحريك السين بالكسر . ثم خفف على حد قولهم في "إبل إبل" بتسكين الباء . و التزم التخفيف . قال أبوحيان : و الأحسن جعل اللفظ على اللغة الفصيحة . إذ لو كان حذف الألف لتلك اللغة لجاز إسقاط الألف في جميع المواضع . و ليس كذلك .

و زعم الأخفش أن سبب حذفها كون الباء لا يوقف عليها . فكأنها و الاسم شيء واحد . و جوّز الفراء حذفها من "بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ" و "باسم الله" بدون "الرحمن الرحيم" لأنهما كانا معها . فحذفا للاستعمال .

و جوّز بعضهم حذفها من "بسم الله" و إن لم ينو معها "الرحمن الرحيم" بشرط أن تكون الإضافة إلى "الله" ، و أن لا يكون للباء ما تتعلق به في اللفظ ، و أن لا يكون قبلها كلام . فإن فقد شرط مما ذكر لم يجز الحذف نحو "باسم ربك" "تبركت باسم الله" "أبدأ باسم الله" .

و جوّز الكسائي حذفها و لو أضيف "الاسم" إلى "الرحمن" أو "القاهر" . و قال الفراء : هذا باطل لا يجوز أن يحذف إلّا مع "الله" لأنها كثرت معه . فإذا عدوت ذلك أثبتَّ الألف . و هو الصواب . انتهى .

و في روح المعاني ج١ ص٥١ : و لم تكتب همزة الوصل في "بسم الله" مع أن الأصل في كل كلمة أن ترسم باعتبار ما يتلفظ بها في الوقف و في الابتداء . بل حذفت تبعًا لحذفها في التلفظ للكثرة . و قال الخليل : لأنها دخلت للابتداء بالسين الساكنة . فلما نابت الباء عنها سقطت في الخط . بخلاف "ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ" إذ الباء لاتنوب منابها فيه . إذ يمكن حذفها مع بقاء المعنى فيقال : اقرأ اسم ربك .

و ظاهر كلامه أن الذي منع من الإسقاط في الآية إمكان حذف الباء فقط . و هو مخالف لما ذكره الدماميني من أنه لابد للحذف من أمرين : عدم ذكر المتعلق ، و إضافة لفظ "اسم" للجلالة .

وكلاهما منتف في الآية أي آية "ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ".

و هل يشترط تمام البسملة فيه ؟ فيه تردّد . وظاهر كلام التسهيل اشتراطه . وقيل : لا حذف فيه . و الباء داخلة على "سم" أحد اللغات السابقة في "اسم" ثم سكنت السين هربًا من توالي كسرتين أو انتقاله من كسر لضمة . و هو مع غرابته بعيد .

و عندي أن هذا رسم عثماني . وهو مما لا يكاد يعرف السرّ فيه أرباب الرسوم . و الكثير من عللهم غير مطردة . و بذلك اعتذر العلامة الشهاب عن عدم حذف ألف "الله" مع كثرة استعماله ، و استغنى به عن الجواب بشدة الامتزاج و بأنها عوض . و بأنه يلزم الإجحاف لو حذفت أو الالتباس بقولنا "لله " مجرورًا . فالرأي إبداء سرّ ذوقي لذلك . و قد حرر الشيخ الأكبر قدس سره في الفتوحات بما لامزيد عليه . ولست ممن يفهمه . انتهى كلام الآلوسي في روح المعاني .

قلت : و سيأتي ذكر ما حرر الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى و سطره . هذا . والله أعلم بالصواب .

فصل

في بيان المذاهب الثمانية في حذف ألف لفظ "اسم" خطًّا

تفصيل الكلام بحيث ينحلّ به المرام و ينكشف الغبار عن الأوهام أن في حذف همزة لفظ "اسم" خطًّا و نسخًا مذاهب متعدّدة للعلماء الكبار .

المذهب الأوّل : هو مذهب الجمهور واختاره الرضي و ابن الحاجب . و بيانه أنها إنما تحذف في البسملة التامة فقط ، أي في الاسم المضاف إلى الجلالة مع ذكر الرحمن الرحيم . فتثبت في "باسم الله" و "بِٱسۡمِ رَبِّكَ" . و هذا مقتضى ظاهر كلام التسهيل .

المذهب الثاني : أنها تحذف من "بسم الله" أيضًا بدون ذكر "الرحمن الرحيم" بشرط كونهما منويّين . و هذا قول الفراء كما يعلم من فحوى كلامه السابق .

المذهب الثالث : أنها تحذف سواء نوي "الرحمن الرحيم" أو لا بشرط الإضافة إلى الجلالة

و بشرط عدم ذكر المتعلق . كما نقله الآلوسي عن الدماميني .

المذهب الرابع : هو كالثالث . إلاّ أن فيه شرطًا ثالثا مع الشرطين المذكورين و هو أن لا يكون قبل الباء كلام . كما في الهمع .

المذهب الخامس : تحذف في كل موضع تنوب عنها الباء . و الباء إنما تنوب عن الهمزة في موضع يفسد المعنى بعد حذفها . و هذا ما يفهم من فحوى تمسك الخليل على ما حكاه الآلوسي و الرازي و غيرهما عن الخليل .

المذهب السادس : قول الفراء إنها تحذف جوازًا من "بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ" أيضًا كما في الهمع .

المذهب السابع : جوّز الكسائي و سعيد الأخفش حذفها ولو أضيف إلى "الرحمن" أو "القاهر" كما في تفسير العلامة الجمل . و ردّه الفراء كما في الهمع .

المذهب الثامن : لا حذف في البسملة . و عدم الهمزة ههنا مبنيّ على لغة من لغات "اسم" فإن في "اسم" لغات كثيرة . منها "سم" بكسر السين و ضمها . و أوصل بعض العلماء لغات "اسم" إلى ثماني عشرة لغةً و نظمها فقال :

للاسم عشر لغات مع ثمانية بنقل جدّي شيخ الناس أكملها
سم سمات سما و اسم و زد سمة كذا سماء بتثليث لأوّلها

و الباء إنما دخلت على "سم" فصار "بسم" بكسر السين أو ضمها . ثم سكنت السين تخفيفًا . و ردّه أبوحيان فقال : الأحسن الحمل على اللغة الفصيحة . و إلاّ لجاز حذفها في "ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ" . هذا . والله أعلم .

فصل
في ذكر الوجوه لحذف ألف "اسم" خطًّا في البسملة

إن قلت : ما وجه حذف ألف لفظ "اسم" خطًّا في البسملة ، و ما تفصيل أسرار ذلك و قد ذكرتَ أن حذفها غيض من فيض خصائص الجلالة ؟

قلت : في ذلك نكات متعددة لطيفة و أسرار عديدة شريفة ، بعضها من باب الإشارات لأهل القلوب الصافية و السادات أصحاب الإشارات السامية ، وبعضها من باب وجوه فضلاء الرسوم و علماء العربية .

فدونك أسرارًا نفيسة حاليةً دقيقةً ، و وجوهًا بديعة سامية أنيقة ، وحقائق هي ضالة مطلوبة لكبار المفلّقين ، وحكمة منشودة لفحول المحقّقين ، كأنها روضة علوم و حديقة نجوم أنهارها سائحة و أزهارها فائحة و شقائقها محمرّة و حدائقها مخضرّة . فعضّ عليها بالنواجذ . فإنك لن تراها مجموعة في غير هذا الكتاب البديع و السِّفر الرفيع .

السرّ الأوّل : ذلك من خصائص اسم "الله" التي قد تبدو في الجلالة نفسها و قد تبدو فيما حولها من الأسماء . و هذه الخاصية من قبيل الثاني .

السرّ الثاني : ما اختاره العلامة الشهاب و الآلوسي رحمهما الله تعالى و غيرهما و هو أن هـذا رسم عثماني . وهو مما لا يكاد يعرف السرّ فيه أرباب الرسوم . و قالوا : خطّان لا يقاسان : خطّ القرآن و خطّ العروض .

السرّ الثالث : قال الخليل : لما نابت الباء عن الألف سقطت خطًّا . بخلاف "ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ" إذ الباء لا تنوب منابها فيه . إذ يمكن حذفها مع بقاء المعنى الصحيح فيقال : اقرأ اسم ربك .

السرّ الرابع : إنما حذفت الألف لكثرة الاستعمال المقتضية للتخفيف .

السرّ الخامس : أن تطويل الباء قام مقام حذفها و عوّض عنه . و إنما طوّلت الباء للتفخيم . و التفخيم أمر مطلوب . فلا جرم حذفت الألف حذرًا عن اجتماع العوض و المعوض عنه .

السرّ السادس : ما ذكره الإمام الأخفش . وهو أن سبب حذفها كون الباء لا يوقف عليها . فكأنها و الاسم شيء واحد . كذا في الهمع .

السرّ السابع : قيل : لاحذف هنا . والباء داخلة على "سم" أحد اللغات في اسم . ثم سكنت السين هربًا من توالي الكسرتين أو انتقاله من كسر لضمة .

السرّ الثامن : ما قيل : إن حذفها من باب الإتباع . فلما حذفت ألف الجلالة التي هي قبل الهاء حذفت من "اسم" إتباعًا . و الإتباع باب أوسع من خطّ الاستواء . عقد له السيوطي بابًا في الأشباه النحوية ج١ ص٨ .

فمنه : الإتباع في الحركة كقراءة "الحمد لله" بكسر الدال إتباعا لكسرة اللام ، و قراءة "الحمد لله" بضم اللام إتباعًا لضم الدال . و منه : إتباع راء "امرئ" و نون "ابنم" في الحركات للهمزة و الميم .

و يلغز أيّ كلمة يجري الإعراب في وسطها . قال ابن أبان في شرح الفصول : اعلم : أن العرب قد أكثرت من الإتباع حتى صار ذلك كأنه أصل يقاس عليه . انتهى .

السرّ التاسع : حذفت ألف "اسم" إيماءً من أوّل الوهلة إلى أن رسم القرآن غير منقاس . و هذا من بدائع براعة استهلال القرآن براعةً خطّيّةً .

و البراعة كما تكون بذكر كلمات في مبدأ الكتاب تبحث عن معانيها في الكتاب سواء كانت دالة على تلك المعاني أو على معان و مفهومات غير ما تبحث عنه في الكتاب ، وهي براعة معنوية ، كذلك تكون بخط في المستهل يخط به كلمات الكتاب . و هذه البراعة رسمية لا تجري إلاّ في كتاب الله حيث خص بخط غير منقاس . و هذه نكتة خلت عنها التفاسير . خصني الله بها . فسبحان من ملهم لا ينقطع أسرار كتابه بمرّ الأعوام و كرّ الأيّام .

السرّ العاشر : حذفت الألف رسمًا لتتصل الباء باسم "الله" خطًّا . فيحصل الإشارة إلى مقصد نزول القرآن . و هو أن يتصل العبد بالله سبحانه برفض ما يفضي إلى الانقطاع بينهما .

و إيضاحه أن الباء لإفضاء ما قبل إلى ما بعد ، و إيصال هذا إلى هذا . و ما قبل الباء العبد

المدلول للمتعلق المحذوف ، و ما بعدها الله ﷻ .

فلما تضمّنت الباء جملة مقاصد القرآن معنًى وهو وصول العبد إلى جناب الله تعالى كتبت متصلة بما بعدها ليحصل الرمز إلى هذا المقصد خطًّا .

و هذه براعة للاستهلال بديعة رسمية و معنوية معًا لا توجد في غير كتاب الله تعالى . وهي من لطائف أسرار القرآن ، فذقها أنت و تشكر .

و الذي قلت "إن الباء في البسملة تتضمن جملة مضامين القرآن" صرح به الرازي و السيوطي و غيرهما . و قد ذكرته في هذا الكتاب في موضع آخر مفصلاً .

فائدة شريفة

قد سنح لك إجمالاً مما سطرنا بعض أنواع براعة الاستهلال . و إن شئتَ التفصيل فاستمع لما يلقٰى عليك و أنت شهيد ، أن براعة الاستهلال أنواع :

الأوّل : لفظي معنوي . و هو أن يذكر في مستهلّ الكتاب و خطبته لفظ يبحث عن معناه و مفهومه في الكتاب ، كإيراد لفظ الفقه في مبادي كتب الفقه مقصودا به الفقه الاصطلاحي .

الثاني : لفظي فقط . و هو أن يذكر في مبدأ الكتاب كلمة و يراد بها معنى غير معناها الذي يبحث عنه في الكتاب ، كذكر لفظ الفقه في خطبات كتب الفقه مرادًا به مطلق الفهم .

الثالث : خطّي فقط ، كعدم كتابة الألف في البسملة في القرآن إشارةً إلى أن خط القرآن لاينقاس .

الرابع : خطّي معنوي ، كاتصال الباء بما بعدها بحذف ألف "اسم" في البسملة إشارةً إلى معناها الذي هو اتصال ما قبلها بما بعدها . أي اتصال العباد و ارتباطهم بالله تعالى . و هذا المعنى هو مقصد جميع سور القرآن . و هذان النوعان مختصان بالفرقان العظيم . فاعرف هذا و لا تكن من القاصرين فإنه من خصائص كتابنا هذا .

السرّ الحادي عشر : هو من قبيل أسرار أرباب الإشارات . و هو أن حذف الألف و إخفاءها من " اسم اللّٰه " إشارة إلى كون ذاته تعالى مخفية . فإن الألفاظ قوالب المعاني ، والأسماء دلائل المسمَّيات .

و قد صرح أرباب الخط و الرسم كابن الحاجب و غيره بأن المكتوب و المرسوم هو الملفوظ . فأخفيت الألف منه في الرسم عن أعين المبصرين كي تبصر و تعلم باختفاء مدلوله و استتار مسماه .

السرّ الثاني عشر : هذا أيضا من باب الأسرار لأرباب القلوب الصافية و الإشارات الدقيقة . و هو أن في حذف الألف من أوّل "اسم اللّٰه" و إخفائها إيماءً لطيفًا إلى اختفاء حقيقة الجلالة عن أبصار العقول و أعين أفكار الفحول .

فكما تاهت العقول في ذاته تعالى و اعترفت بالعجز عن إدراكها ، قال الصديق رضي الله عنه : العجز عن إدراك الذات إدراك .

كذلك تاهت في الجلالة أي في اسمه "اللّٰه" فلم يدروا إلى الآن ما أصل هذا الاسم الجليل ، هل هو عربيّ أو عجميّ ، علَم أو لا ، مشتقّ ومِمّ اشتقاقه أو غير مشتقّ . فلأمرٍ مّا جعل الله تعالى كُنه هذا الاسم المبارك في غُمّة و ظلمة ، و التباس و سُحمة ، و حيرة و فحمة . فطريق كنهه بعدُ مبهم ، و حاله إلى الآن أصمّ ، و سبيل الوصول إلى أصل هذا الاسم الجليل مظلم ، و بابه كليلٍ أيهم ، و دليله صامتٌ بل أبكم . لا تعرف موارده و لا تبين مصادره . و كتابنا هذا أدلّ دليل على ذلك . و ما أحسن ما قلتُ :

سبحان مَنْ تَاه الورٰى في ذاته   بل دون كُنه الذات في أسمائه

فكأن أشعّة من ذاته تعالى انعكست على الجلالة . فبهرت أعين المبصرين و قهرت أبصار عقول المتفكرين و حجبت بصائر أفكار المتدبّرين .

و ذا أيوان الاستعلاء عالٍ   فإيّاكم و طمعًا في الوصال

السرّ الثالث عشر : ما هو من باب رموز السادة أهل الذكر و الإشارة لاسيما الطائفة النقشبندية . و هو أن في حذف الألف و إخفائها إشارةً إلى قوله تعالى : ٱدۡعُوا۟ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً .

توضيح الكلام أن ذكر اسم "الله" عندهم سيد الأذكار . فالعبد لما أراد ذكر اسم "الله" و الابتداء به عند أفعاله و أعماله و أموره و قال : بسم الله الرحمن الرحيم . أو كتبها أخفيت الألف في أوّلها خطًّا إشارةً إلى أن الأفضل هو الذكر الخفي . فادعوا الله تضرعًا و خفية .

لأن الخط يطابق الملفوظ . فكما يدل الخط على اللفظ لا يبعد أن يشار به إلى طريق من طرق اللفظ و النطق . فحذفت الألف خطًّا لتحصيل هذه الإشارة .

السرّ الرابع عشر : هو أيضا من باب أسرار أصحاب القلوب الصافية و أرباب الإشارات . وهو أن الألف إنما أضمرت في البسملة التي هي مبدأ أفعال ذوات بال إشارةً إلى ما يقتضيه القرآن من العبد و يدعوه إليه و إلى ما يجب عليه . وهو أن يكون الله تعالى دائمًا في باله ، مضمرًا في قلبه ، متلالأ بدر ذكره على سماء فؤاده .

إيضاح ذلك أن الألف رمز إلى الله ، والباء إشارة إلى العبد . إذ الله تعالى هو الأوّل مطلقا ، و الألف أوّل حروف الهجاء ، و الباء ثانيها كما أن العبد ثاني الأشياء . فلا يبعد إشارة هذا إلى هذا و رمز ذاك إلى ذاك .

و أيضًا الألف أوّل حرف لأعظم أسمائه تعالى و هو اسم "الله" و "الله" أوّل الأشياء . و الباء ثاني حرف لأفضل ألقاب العباد و هو "العبد" ، لأن قيمة الإنسان بقدر عبديته لله تعالى ليست إلاّ .

ولذا سمى الله سبحانه أفضل عباده عند أفضل مقاماته بالعبد لا غير ، فقال : **سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ** . ولو كان هنا له لقب آخر أفضل منه لسمّاه به . و العبد ثاني الأشياء . فلِلّه هـذه الإشارة ما أحسنها و ما ألطفها و ما أربطها بالمرام وما أعلقها بالمقام .

و بعد هذا التمهيد أقول : أضمرت ألف "اسم" في البسملة و أخفيت عند الباء خطًّا إشارة إلى أنه يجب على العبد أن يدوم على ذكر الله تعالى و يضمره في قلبه و ينقشه على لوح باله . فلا يغفل عنه قدر لمح البصر ، ولا يلتفت إلى ما سواه طرفة عين و لفتة نظر . فالله تعالى يسرّه أن يكون له مقام في سويداء القلوب و في الحديث القدسيّ : لايسعني سماء ولا أرض و يسعني قلب المؤمن و أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي .

و ذكر الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره أن الله يقول : يا عبدي ! جنتي بستانك و قلبك بستاني . فإن لم تبخل عليّ بقلبك لا أبخل بجنتي .

السرّ الخامس عشر : من الأسرار اللطيفة البديعة ما ملخّصه كما أن الباء لمّا كثر استعمالها في البسملة مع الجلالة و طالت صحبتها معها وصلت بها خطًّا و ارتفعت الفاصلة بينهما ، و تلك الفاصلة هي الألف .

كذلك العبد إذا داوم ذكر اسم "الله" و ينقشه على لوح قلبه و يلازم صحبته ارتفع الحجاب بينه و بين ذات الله تعالى . فيرى الله تعالى عيانًا و يشاهد عجائب ملكوته وغرائب جبروته . كما قال تعالى : وَ كَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ . و هو المقام الأعلى من الإحسان كما ورد في الحديث المرفوع : هو أن تعبد الله كأنّك تراه . فسبحان الذي جعل لكل مجلس وصحبة تاثيرًا إن خيرًا فخير و إن شرًّا فشرّ .

السرّ السادس عشر : ما ذكره الشيخ ابن عربي رحمه الله أن همزة "اسم" في البسملة إنما حذفت في الخط ليكون اتصال السين بالباء المشير إلى ما تقدم أتم ، و تَلقّي الفيض أقوى . و من يطع الرسول فقد أطاع الله . و لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة .

و فيه إشارة من أوّل الأمر إلى عموم الرحمة و شمول البعثة . لأن السين لما كان ساكنا وتوصل إلى النطق به بالألف أشبه حال المعدوم الذي ظهر بالله . و حيث كان ذلك عامًّا . إذ ما من معدوم يطلب الظهور إلّا يكون ظهوره بالله سبحانه . أعطي ذلك الحكم لمّا قام مقامه و اتصل اتصاله و أدّى في اللفظ مؤداه .

فإن كان عبارة عن صفات الجمال ظهر عموم الرحمة "وَ رَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ" و إن كان عبارة عن الحقيقة المحمدية ظهر شمول البعثة "لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا" بل و الرحمة أيضًا "وَ مَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ" . و تناسبت أجزاء البسملة إشارةً و عبارةً . و إنما طوّلت الباء للإشارة إلى أن الظهور تام . انتهى بحاصله .

السرّ السابع عشر : ألهمني ربي في أثناء بيان هذه الأسرار إلهامًا ، حاصله أن حروف التسمية تسعة عشر . ولله تعالى أسرار تحيّر الناس في عدد ١٩ . ولم تظهر هذه الأسرار بأتمّ وجه في القرون

الخالية . و حق أن عجائبات القرآن لا تنفد إلى يوم القيامة . وحق ما قيل : كم ترك الأوّل للآخر . فحذفت الألف خطًّا ليتأتّى عدد ١٩ .

فمن تلك الأسرار أن عدد ١٩ دالّ على أن القرآن معجز ، وأنه ليس بكلام البشر ، و أنه محفوظ من تحريف الزائغين المحرفين . فالتسمية باعتبار أن عدد حروفها تسعة عشر متضمنة لهذا السر الرباني و المعجزة الصمدانية . و إنما كتبت في أوّل كل سورة إشارة إلى أنها بالنظر إلى هذا العدد حافظة للقرآن من التبديل و برهان على كل سورة أنها من الله تعالى ، و لم يتبدل منها حرف . و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا .

فعدد ١٩ سارٍ و جارٍ في كتاب الله تعالى بطريق لطيف . ألا ترى أن هذا العدد مركب من الواحد الذي هو أسّ الأعداد و أول وتر ، و أن الله تعالى وتر يحب الوتر ، و من التسعة التي هي آخر وتر من الأعداد الأصلية المفردة . فعدد ١٩ غير قابل للتقسيم . وقد اندمجت فيه حقائق عالية و أسرار سامية كانت مستورة قبل هذا الزمان .

إن قلت : بيّن لنا شيئًا من أسرار هذا العدد .

قلت : من أسرار عدد ١٩ أن لفظ "اسم" ثبت في القرآن المجيد ١٩ مرة . فلو كان القرآن كلام البشر كانت رعاية هذا العدد في سائر الكتاب أمرًا متعسرًا . إذ ليس في وسع البشر رعاية هذا العدد في كتابه كله . سيما الذي هو أمّي لم يباشر التصنيف و التاليف و لم يدرس الكتب .

و منها : أن الاسم "الرحمن" ذكر في القرآن ٥٧ مرة . و هذا العدد ينقسم على ١٩ . ١٩ × ٣ = ٥٧ . أترى أن البشر يقدر أن يراعي في كتاب كبير هذه الرعاية بأن ينقسم عدد مكررات كل حرف من الجملة التي هي مبدأ كتابه في كتابه على عدد ١٩ . كلا ثم كلا . لا يقدر ولا يمكن .

و منها : أن لفظ "بسم" ذكر في القرآن العزيز في ثلاثة مواضع . و لفظ "اسم" في تسعة عشر موضعًا . و إذا ضرب ٣ في ١٩ حصل ٥٧ . و هذا عدد مكررات الاسم "الرحمن" في القرآن .

و منها : أن الاسم "الرحيم" ذكر في القرآن ١١٤ مرة . و هذا ينقسم على ١٩ . ١٩ × ٦ = ١١٤ .

و منها : أن لفظ "الله" الذي هو من الأسماء المذكورة في البسملة قد ذكر في الكتاب العزيز ٢٦٩٨ مرة . و هذا العدد أيضًا ينقسم على ١٩ سويًّا . ٢٦٩٨ ÷ ١٩ = ١٤٢ .

و منها : أن عدد سور القرآن ١١٤ . و هو ينقسم على ١٩ . ١٩ × ٦ = ١١٤ .

و هذا الانطباق على ١٩ ليس من الأمور الاتفاقية . إذ الاتفاق يكون مرة أو مرتين ليس غير . و عدد ١٩ سارٍ في القرآن جارٍ في جميع سوره غير ما مرة . فعلم أن هذا من قصد المتكلم المؤلف . ولا يقدر مؤلف من البشر على هذا .

فهذا برهان قاطع على أن القرآن كلام خالق البشر ، و أنه محفوظ من التحريف و لو تحريف حرف . و إلاّ لم يسرِ و لم يجرِ فيه عدد ١٩ هذا السريان و هذا الجريان . و المتضمن لهذا العدد التسمية . فهي خاتم رباني على صدق القرآن و حقيته .

و منها : أن البسملة نفسها مذكورة في القرآن ١١٤ مرة . و هي عدد سور القرآن . و لم تذكر في أوّل سورة واحدة و هي البراءة . لكن جبر هذا النقص بذكرها في النمل . فتم عدد ١١٤ . و هو ينقسم على ١٩ يقينًا . ١٩ × ٦ = ١١٤ .

و منها : أن حروف المقطعات ١٤ . وتسمى حروفا نورانية . و ذكرت في أوائل ٢٩ سورة . و ما سوى هذه الحروف تسمى حروفًا ظلمانية ، كما صرح به البعض ، و هي أيضًا أربعة عشر حرفًا . فإذا جمعت هذه الحروف مع ٢٩ حصل ٥٧ . هكذا ٢٩ + ١٤ + ١٤ = ٥٧ . و لا يخفى أن ٥٧ تنقسم على ١٩ . ١٩ × ٣ = ٥٧ .

و منها : أن عدد مكرّرات كل حرف نوراني في سورته ينقسم على ١٩ . و هذا من عجائب المعجزات . و الحامل لهذه المعجزة هي البسملة . ألا ترى أن عدد مكررات حرف "ق" في سورة "ق" ٥٧ ، و ٥٧ ينقسم على ١٩ . ١٩ × ٣ = ٥٧ .

و أيضًا "القاف" ذكرت في أوّل سورة شورى أيضًا في قوله "حم عسق" و قد ذكرت في شورى ٥٧ مرة .

هذا . وقد استقصيت هذا البحث في باب آخر من الأبواب الآتية . و بَيّنت هناك أن الحامل

لهذا السرّ اللطيف و المتضمن لهذه المعجزة معجزة عدد ١٩ إنما هو الجلالة ، أي قولنا "يا الله" الذي هو اسم الله الأعظم عند كثير من الأئمة لا البسملة كما ظنّ . هذا . والله أعلم بالصواب .

فصل
في ذكر نظيرٍ للفظ "اسم" في حذف الهمزة

اعلم : أن للفظة "اسم" نظيرًا في حذف الهمزة الوصليـة خطًّا و هو "ابن" فتحذف همزة "ابن" من الخطّ في موضع تحذف فيه تنوين العَلَم الموصوف بالابن . و هو الموضع الذي وقع فيه لفظ "ابن" بين علَمين وصفًا .

قال الرضي : و ذلك لكثرة الاستعمال نحو : جاءني زيد بن عمرو . و كذلك في قولك : هذا فلان ابن فلان . لأنه كناية عن العلَم . و كذا "طامر بن طامر" و "هيّ بن بيّ" و "ضلّ بن ضلّ" لأنه يعبر به عمن لا يعرف على إجرائه مجرى العلَم . يقال للرجل "طامر بن طامر" إذا لم يدر من هو . و كذا "ضلّ بن ضلّ" و "الضلال بن الضلال" .

قال السيوطي رحمه الله في الهمع ج٢ ص٢٣٦ : و الخامس من مواضع حذف الألف خطا "ابن" الواقع بين علَمين صفةً مفردًا . سواء كانا اسمين أم كنيتين أم لقبين أم مختلفين . نحو "هذا زيد بن عمرو" و "هذا أبوبكر بن أبي عبد الله" . و يتصور في المختلفين ستة أمثلة .

و حكى أبوالفتح عن متأخّري الكتاب أنهم لا يحذفون مع الكنية تقدمت أو تأخرت . قال : وهو مردود عند العلماء على قياس مذهبهم . لأن حذف التنوين مع المكني كحذفه مع الأسماء . و إنما هو لجعل الاسمين اسمًا واحدًا . فحذفت الألف لأنه توسيط الكلمة . انتهى .

و قال أبوحيان : الألف تحذف من الخط في كل موضع يحذف منه التنوين . وهو يحذف مع المكني مثل ما يحذف مع الأسماء الأعلام . قال : و شرط ابن عصفور أن يكون "ابن" مذكّرا . و هو خلاف ما جزم به ابن مالك من إلحاقهم فلانة بنة فلانة بفلان بن فلان . و لو لم يكن "ابن" صفة بل كان بدلاً أو خبرًا لم تحذف ألفه . انتهى .

قال نجم الأئمّة الشيخ الرضي : و حكم "ابنة" حكم "ابن" . انتهى .

و **قال** في باب النداء حسبما يؤخذ من فحوى كلامه : إن لحذف الألف خطًّا من "ابن" و "ابنة" شروطًا :

منها : أن يكون العلَم موصوفًا به .

و **منها** : أن يكون "ابن" متصلاً بموصوفه احترازًا عن نحو "أ زيد الظريف ابن عمرو" حيث تكتب الألف . إذ مثله غير كثير الاستعمال .

و **منها** : أن يكون بين علَمين . و عند بعض البصريين تحذف من "الابن" بين متفقي اللفظ نحو "يا عالم بن عالم" . و يحذف عند البعض من "ابن" أضيف إلى مضاف إلى علَم نحو "قال زيد بن أخي عمرو" .

و **منها** : حذف التنوين من موصوفه . فإن حذف التنوين للضرورة بغير وجود شرائط الحذف حذفت الألف أيضًا .

و **منها** : كون "ابن" مفردًا .

و **منها** : كونه مكبّرًا . فلا يحذف من مثناه و جمعه و مصغّره . لأنها لا تكثر استعمالاً .

و **منها** : كون العلَم الموصوف مفردًا . لأن المثنى و المجموع ليسا علَمين . و أيضًا لا يكثر استعمالهما . انتهى كلام الرضي .

الشروط المذكورة لحذف ألف "ابن" معروفة فيما بين جمهور العلماء . وهنا شرائط أخرى ذكرها غير واحد من العلماء الكبار :

فمنها : أن لا يكون أحد العلَمين كنية ، كما حكاه أبوالفتح عن بعض متأخري الكتاب و ردّه .

و **منها** : أن لا يكون العلَم الأوّل مضافًا . قال الشيخ الصبان : و جزم الراعي بوجوب التنوين و ثبوت الألف إذا كان العلَم الأوّل مضافًا كجاء أبومحمد ابن زيد . و اختاره الصفدي بعد نقله الخلاف فيه . و كذا اختاره في إضافة الثاني كجاء زيد ابن عبد الله . انتهى .

و منها : كون البنوة حقيقية . حكاه الخضري عن شرح مسلم للنووي .

قال العبد الضعيف الروحاني : لكن إن اشتهر رجل ببنوّة غير حقيقيّة مثل الاشتهار بالبنوة الحقيقية تحذف ألف "ابن" ، و من ثم يقول المحدثون في المقداد الصحابي رضي الله عنه : مقداد بن الأسود . بغير تنوين مقداد . و لا يرسمون الألف مع أن المقداد ليس ابنًا للأسود حقيقةً بل متبنّاه . و قالوا : يحذف الألف في كل موضع يحذف فيه التنوين .

قال في فتح الملهم ج١ ص٢٥٩ : و قد وقع هنالك في رواية المقداد بن الأسود ، و في رواية المقداد بن عمرو ابن الأسود الكندي ، المقداد هو ابن عمرو بن ثعلبة . هذا نسبه الحقيقي . و كان الأسود ابن عبديغوث قد تبنّاه في الجاهلية فنسب إليه و صار به أشهر و أعرف . انتهى .

و منها : أن يكون العلَم الثاني مذكَّرا . لأنهم لا ينسبون الرجل إلى أمه . فلا تحذف من زيد ابن علية . و هذا الشرط ذكره البعض كما في الهمع . و هو مردود عند الجمهور . و اختار الطبلاوي اشتراطه في نظم له .

و منها : تكبير العَلَمين . اشترطه البعض كما في الهمع . قال أبوحيان : و هو باطل . إنما ذلك أي اشتراط التكبير في "ابن" .

و منها : أن لا يقع أوّل سطر .

و منها : أن لا تقطع همزته للشعر ، و إلاّ ثبتت .

و منها : أن يضاف لاسم أبيه حقيقة لا لجده أو لضميره أو لعلَمه .

قال الدينوري في كتاب الرسم : أو للقب غلب على أبيه أو صناعة اشتهر بها ، كجاء زيد ابن الأمير ، أو القاضي . هذا . والله أعلم بما هو حقّ و صواب و علمه أجلّ و أوسع و أعلى .



الباب الخامس و السبعون

من خصائص هذا الاسم الشريف ما في حروفه الستة التي سادسها الواو رموز مقفلة لا يفتحها إلّا العارف ذوالقلب الصافي ، و إشارات مجملة لا يحلّها إلّا الرجل الكامل الذوق صاحب النور الكافي و الذكر الشافي . فمن لم يكن صاحب هذا الذوق المنصوص فليدعها لصاحب الذوق المخصوص .

ملخّص الكلام بحيث ينحلّ به المرام أن لامَي هذا الاسم الجليل للنفي ظاهرًا و باطنًا . و اللام الثانية لزمت الهاء . و بينهما ألف تسمى ألف العلمية . و اللام الثانية رمز إلى ظل الله الذي هو العرش .

و أيضا في هذه الحروف إيماء يعرفه صاحب الإشارات إلى مقام الاتصال ، و إلى أن النهاية ترجع على البداية ، و إلى مقام الاضمحلال ، و إلى عالم الملك و عالم الملكوت و عالم الجبروت . هذا . والله أعلم . و فوق كل ذي علم عليم .

قال الشيخ الحاتمي رحمه الله : يقول العبد "الله" فيثبت أوّلاً وآخرًا وينفي باللامين باطنًا وظاهرًا . لزمت اللام الثانية الهاء بوساطة الألف العلمية . ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم . الثلاثة اللام ، ولا خمسة إلّا هو سادسهم . فالألف سادس في حق الهاء رابع في حق اللام . ألم تر إلى ربك كيف مد الظل . العرش ظل الله . العرش اللام الثانية . وما حواه اللام الأولى بطريق الملك . و اللامان هما الظاهر و الباطن من باب الأسماء ظهرتا بين ألف الأوّل و ألف الآخر .

و هو مقام الاتصال . لأن النهاية تتعطف على البداية ، و تتصل بها اتصال اتحاد . ثم خرجت الهاء بواوها الباطنة مخرج الانفصال . و الجزء المتصل بين اللام و الهاء هو السر الذي به تقع المشاهدة بين العبد والسيد . و ذلك مركز الألف العلمية ، و هو مقام الاضمحلال .

ثم جعل الله تعالى في الخـط المتصل جزءً بين اللامين للاتصال بين اللام الأولى التي هي عالم الملك و بين اللام الثانية التي هي عالم الملكوت ، و هو مركز العـالم الأوسط عالم الجبروت مقام النفس . و لابد من خطوط فارغة بين كل حرفين . فتلك مقامات فناء رسوم السالكين من حضرة إلى حضرة . كذا في الفتوحات ج١ ص١٠٤ . هذا . والله أعلم بالرموز المقفلة و الإشارات المجملة و الحقائق المكتومة و الدقائق المستورة المعصومة . فهو عالم الغيب و الشهادة و بيده السيادة و السعادة . و علمه أتم و أكمل و أدقّ و أحقّ .



الباب السادس و السبعون

من خواص الجلالة كينونة حروفها حاملةً للأسرار التي لايمكن أن تندمج في غيرها و أن تتحقّق فيما سواها ، حيث أشير في هذا الاسم الجليل إلى أن النهاية رجوع إلى البداية .

قالوا : الأصل في قولنا "الله" "الإله" . و هي ستة حروف . و هي "ا ، ل ، ء ، ل ، ا ، ه" . فلمّا أبدلوه بقولهم "الله" بقيت أربعة حروف في الخط : همزة و لامان و هاء .

فالهمزة من أقصى الحلق ، و اللام من طرف اللسان ، و الهاء من أقصى الحلق . و هو إشارة إلى حالة عجيبة . فإن أقصى الحلق مبدأ التلفظ بالحروف . ثم لايزال يترقّى قليلاً قليلاً إلى أن يصل إلى طرف اللسان . ثم يعود إلى الهاء الذي هو في داخل الحلق و محل الروح .

فكذلك العبد يبتدئ من أوّل حالته التي هي حالة النكرة والجهالة ، و يترقّى قليلاً قليلاً في حالة العبودية . حتى إذا وصل إلى آخر مراتب الوسع و الطاقة و دخل في عالم المكاشفات والأنوار أخذ يرجع قليلاً قليلاً حتى ينتهي إلى الفناء في بحر التوحيد .

فهو إشارة إلى ما قيل : النهاية رجوع إلى البداية . كذا قال الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره ج١ ص٥٩ . هذا . والله أعلم بالصواب و بالإشارات الصائبة و بالدقائق و الأمور الغائبة و علمه أتم و أوسع و أجلّ و أدقّ .



الباب السابع و السبعون
و هو مشتمل على خمس خصائص

من نفائس خصائص الاسم "الله" أن ذكره أفضل الأذكار كما صرح به غير واحد من السالكين الكبار و العارفين ذوي الأنوار .

و أن هذا الاسم الكريم أوّل صيغ الذكر عند كثير من الأكابر .

و أن ذكر هذا الاسم الجليل سبب للخروج من اليقظة في الذكر إلى وجوه الحضور مع المذكور . و أمّا ذكر "لا إله إلّا الله" فدوامه سبب لليقظة من الغفلة . و أمّا ذكر "هو" فهو سبب للخروج عما سوى المذكور . كذا في شرح الجامع الصغير للشيخ عبد الرؤف المناوي رحمه الله تعالى .

و أيضًا من خصائص هذا الاسم الجليل كينونة ذكره ذكرًا لأصحاب منازل الجذبة . و أمّا ذكر منزل الفناء فالنفي والإثبات . و أما ذكر منزل القبضة فهو "هو ، هو" . صرح به العارف أحمد الغزالي رحمه الله تعالى .

و أيضًا من خصائص هذا الاسم الجليل كينونة ذكره ذكر جلال . ولذا لا يطيق كل أحد الدوام على ذكر هذا الاسم الجليل أي الاسم "الله" .

قال في جامع الأصول ص٢١ : و اعلم : أن أوّل صيغ الذكر لفظة "الله" عند النقشبندية مع ملاحظة المعنى . و قول "لا إله إلّا الله" عند الشاذلية . و هما و الاستغفار و الصلاة عند سائر الطرق بحضور تام و أدب كامل . و في الحديث القدسي قال الله تعالى : أنا جليس من ذكرني و أنا مع عبدي

إذا ذكرني و تحركت بي شفتاه . و معنى مجالسة الله تعالى تقريب رحمته و عنايته و مدده و فيضه وفتحه و نور أسمائه و صفاته من عبده . بحيث إذا صدق في ذكره عمر قلبه بتلك الأسرار و ملأه بهذه الأنوار .

و معنى لفظة "الله" أي الله مقصودي ، أو مطلوبي ، أو محبوبي ، أو يا الله أنت مقصودي ، أو الله لا شريك له ، أو الله هو مقصودي ، أو هو موجود ، أو معبود ، أو أنت الله لا غيره ، أو لا غيرك .

و الأصح عند النقشبندية أنه لا تركيب له ، بل يقول "الله" و يلاحظ بحت الذات بلا تركيب . ولا معناه . لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ . انتهى .

و في رسالة الخادمي : و للسادات النقشبندية في ذكر الله طريقان : الأوّل ذكر اسم الذات . و الثاني ذكر النفي و الإثبات . و الأوّل هو الأقرب و الأسهل في حصول المقصود ، بأن يلتصق اللسان بسقف الحلق و الفم و الأسنان بالأسنان والشفة بالشفة ، و ينطلق النفس على حاله ، ويتخيل في القلب تحت الثدي اليسار لفظة الجلالة بمعناها ، أي الذات الإلهية . و هي مسمى ذلك الاسم الشريف على ما آمن به أهل السنة بلا كيف ولا مثال .

لكن يلاحظه بغير واسطة عبارة عربية أو عبرانية أو فارسية ، حافظًا له في خياله و قلبه ، متوجها بجميع قواه و مداركه إليه تعالى و سبحانه ، مستديما و مستغرقا بلا فتور لديه في تطهير قلبه عن خطور ما سواه به ولو من جنس سائر الذكر الصفاتي ، فضلاً عن سائر الأمور . ولو ذهل و خطر به الغير استغفر الله عن فوره ، و يتضرع إليه تعالى في الخلاص عما سواه ، و يداوم على هذه الحالة ، ويتكلف في هذا التخيل حتى تذهب الكلفة من البين ، و يصير هذا الأمر ملكة راسخة على وجه لو تكلّف بإخطار الغير به لم يقدر ولم يخطر . فلو تكلم عند الحاجة باللسان لا ينقطع خياله عنه .

فعند كينونة ظاهره مع الخلق يكون باطنه مع الحق . فحينئذ يظهر فيه ما قالوا :

١ - الخلوة في الجلوة . و هي كناية عن اختلاط الباطن مع الحق من حيث المؤانسة مع كون الظاهر بين الخلق من حيث المعاملة .

٢ - والعزلة في الخلطة . وهي كناية عن اعتزال الباطن عن الخلق إلى الحق مع اختلاط الظاهر بالخلق .

٣ - والصوفي كائن بائن . أي كائن مع الخلق من حيث الظاهر و بائن عنهم من حيث الباطن .

٤ - والصوفي غريب قريب . أي غريب بين أهله و أصحابه من حيث توحش باطنه عنهم ، و قريب منهم من حيث تألف ظاهره معهم .

٥ - والصوفي عرشي فرشي . أي عرشي من حيث الباطن ، لأن المؤمن عرش الله ، لأنه قال تعالى : ما وسعني أرضي و لا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن . وفرشي من حيث الظاهر والقالب كما قال تعالى : ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ . فلم يبق في مطالعته ومشاهدته غير ذاته تعالى . فيضمحلّ الغير في جنبه عند الحضور و يفنى الغير و يبقى اسمه تعالى . انتهى .

هذا غيض من فيض هذا الذكر الكريم ، ولا نريد الاستقصاء ، إذ لذكر الاسم "الله" ثمرات كثيرة لا تحصى . منها : الرغبة فيما عند الله تعالى و الزهد في الدنيا و ما يفنى . و منها : الموت قبل الموت كما جاء في الأثر : موتوا قبل أن تموتوا . و منها : التخلّق بمكارم الأخلاق . و منها : الاستغراق و الفناء عما سوى الله تعالى . و منها : تحبّب العبادة والطاعات إلى قلبه . و منها : مشاهدة الأنوار الغيبية .

و في رسالة الشيخ تاج الدين رحمه الله و هو من أكابر النقشبندية : أن عسر على الذاكر تحصيل المعنى المقصود أي تخيل لفظة الجلالة بمعناها بلا كيف ولا مثال في الابتداء فليتخيل نورًا بسيطًا وحدانيًّا غير متعلق بشيء و غير منقسم لأقسام و غير مكيف بكيفية أصلاً و غير ملوّن بلون من الألوان قطعا محيطا بجميع الموجودات من الروحانية و الجسمانية . و ليجعل ذلك في مقابلة البصيرة . و مع ذلك يتوجه إلى القلب بجميع القوٰى إلى أن تتقوى البصيرة و تذهب الصورة . و يترتب على ذلك المعنى المقصود . انتهى كلامه .

فصل
في حكم الذكر المفرد

قد عرفت مما قدّمنا أن "الله ، الله ، الله" ذكر مفرد . و هو عند النقشبندية أوّل الأذكار و أساسها . و من هنا بان أنه لا بأس في الذكر المفرد عند الجمهور خلافًا لبعض العلماء .

ولا يخفى أنّ المنتمين إلى النقشبندية ، بل الأولياء فيهم لا يحصون و هم قائلون بجواز الذكر المفرد ، بل بفضله و أوّليته ، بل أصحاب سائر طرق السُّلوك و السير إلى الله تعالى ارتأوا الذكر المفرد و جوّزوه و قالوا بفضله و كثرة فوائده . و ما رآه المسلمون حسنًا فهو حسن . فينبغي أن لا يرتاب أحد في جواز الذكر المفرد و فضله .

و يؤيّد جواز ذلك و استحسانه ظهور أثرات هذا الذكر في الذاكر و مشاهدة أنواره عليه . و الثمرة تنبئ عن حال الشجرة .

و صرح كثير من كبار العلماء بجواز الذكر المفرد و فضله و ظهور ثمراته الطيبة و فوائده النيّرة .

قال القاضي عياض رحمه الله في الشفا في وصف أولياء الله تعالى : لهجين بصادق قوله تعالى : قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ .

قال الشارح الخفاجي رحمه الله : يعني أن هؤلاء المخلصين لله المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم و باطنهم بمحبته تعالى و وِردهم دائما ذكر الله تعالى و الإعراض عما سواه .

ثم قال الخفاجي : و ههنا بحث و هو أنه قيل : إن ذكر الله بتكرير لفظ الجلالة بدعة لا ثواب فيها . قال الخطاب في شرح مختصر الشيخ خليل : سئل العزّ بن عبد السلام رحمه الله عمن يقول "الله ، الله" مقتصرًا على ذلك . هل هو مثل "سبحان الله" و نحوه ؟ فأجاب بأنه بدعة لم ينقل مثله عن أحد من السلف . و الذكر المشروع لابد فيه من أن يكون جملة مفيدة . و الاتّباع خير من الابتداع . و نحوه ما أفتاه البلقيني في قوم لا يزالون يقولون "محمد ، محمد" كثيرًا ثم يقولون : مكرم معظم . فأجاب بأنه ترك أدب و بدعة لم تنقل .

قال الخفاجي رحمه الله : أقول : ما ذكره في اسم النبي صلى الله عليه وسلم من كونه بدعة ظاهر . لأنه مع كونه لم يتعبد بمثله داخل فيما نهي عنه لقوله تعالى : لَا تَجۡعَلُوٓاْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا .

و أمّا ذكر الله فقد ورد الأمر به و وعد ذاكره الثواب في آيات و أحاديث لا تحصى كقوله تعالى : وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ . و في الحديث القدسي : من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما

أعطي السائلين . إلى غير ذلك . و لم يقيد بقيد .

على أن الذاكر قصده التعظيم و التوحيد . فهو إذا قال "الله" ملاحظًا لمعناه فكأنه قال : معبودي واجب الوجود مستحق لجميع المحامد . و لم يزل العلماء و الصلحاء يفعلونه من غير نكير . و كان الأستاذ البكري يفعله و يقول بعده : أستغفر الله مما سوى الله و كل شيء يقول : الله . و في مجلسه أجلّة العلماء و المشايخ . و هذا هو الحق .

و قد صُنّف في ردّ مقالة ابن عبد السلام هذه عدة رسائل رأيناها . و ممن صنف فيها القطب القسطلاني والعارف بالله الشيخ المرصفي والشيخ عبد الكريم الخلوتي رحمهم الله . وبه أفتى من عاصرناه . اللّهم احشرنا في زمرة الذاكرين . انتهى ما أردنا ذكره من كلام المحقّق الخفاجي .

فالحق أن إفتاء العز بن عبد السلام رحمه الله بأن الذكر المفرد بدعة ، ليس بصواب . و جواز الذكر المفرد و استحسانه هو الحق . بل قد حكي عن العزّ بن عبدالسلام خلاف ذلك . فإن الشيخ عبدالوهاب الشعراني رحمه الله ذكر أن العز بن عبدالسلام سئل أيما أفضل أو أولى للذاكر ، الاشتغال بذكر الجلالة أو بذكر لا إله إلاّ الله ؟ فأجاب : بأن لا إله إلاّ الله أفضل للمبتدي و الجلالة أفضل للمنتهي . انتهى كلام ابن عبدالسلام .

على أنا لا نسلّم أن قول السالك"الله ، الله" مفرد . و إنما هو جملة فعلية . لأنه منادى و ياء النداء المحذوفة نائبة مناب الفعل . فلاشبهة عليك إن كنت جاهلاً . وإن كنت عاقلاً فاكتف بكلام واحد من هؤلاء الأئمة . فاسمع أسمعك الربّ قول الله من داخل القلب و لا جعلك ممن يتعصب . فيحجب قول بعض المتوجهين إلى الله تعالى بلغه ربه ما يتمنّاه . انتهى كلام الشعراني .

قال الشيخ حسين الدوسري رحمه الله في كتاب الرحمة الهابطة في تحقيق الرابطة ج١ ص٢١٥ : اعلم : أيها الأخ شغلني الله و إياك بذكر اسمه الأعظم . قال الله : وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ . و اسمه الجامع "الله" وهو عَلَم الذات الواجب الوجود لذاته . قال الإمام ثعلب : هو اسم مفرد ، فيه توحيد مجرد . قال تعالى : قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ .

فإن قيل : هـذا لا دلالة فيه . لأنه نزل ردًّا على من قال : مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ . فلمّا

ألزم بكتاب موسى فلم يجب . قيل له : قل هذا الجواب إن لم يقله .

فيقال : لايلزم من كونه ردًّا أنه غير متعبد به . فإن قولنا "لا إله إلّا الله" أيضًا ردّ على من جعل مع الله إلـهًا آخر . فهما سيّان . و في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى لايقال في الأرض : الله ، الله . و في رواية : لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله ، الله .

فهذا الحديث مصرح بأن "الله ، الله" من الأقوال التي تقال . و أنه إذا انصرم الزمان لم يبق أحد يذكر الله بهـذا القول . و حينئذ تقوم الساعة . فكلام الله سبحانه و كلام رسوله صلى الله عليه وسلم فهما الهداية للموفق العامل بهذا الذكر ، و الكفاية و الهداية للمشكك المنصف ، و النكاية للمتعصب المتصلف .

اعلم : أن للبحث على الذكر المفرد طريقَين : الأوّل طريق علماء الشريعة و فضلاء العلم الظاهر من الفقهاء و المحدّثين و أصحاب الفنون المعروفة . و الثاني طريق علماء الطريقة و أصفياء العلم الباطن الذين غلب عليهم شغل ذكر الله و العبادة . و هذه أقاويل علماء الطائفتين و تحقيقاتهم نذكرها و نفصّلها ، فاستمع لما يلقٰى إليك .

الطريق الأوّل : أمّا كلام علماء الشريعة المحققين الجامعين بين الفقه وغيره من العلوم الشرعية فهو طويل . و نذكر في هذا المقام عدّةً من أقوالهم الجامعة ، فأقول و الله المستعان :

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في الإحياء في كتاب رياضة النفس عند ذكر فوائد الخلوة : و عند ذلك يلقّنه أي الشيخ يلقّن المريد ذكرًا من الأذكار حتى يشتغل به لسانه و قلبه فيجلس مثلاً و يقول "الله ، الله ،الله" أو "سبحان الله" أو ما يراه الشيخ من الكلمات . انتهى .

و قال النووي رحمه الله في حزبه المشهور : الله ، الله ، الله ربّي لا أشرك به شيئًا . الله الله الله ربّي لا إله إلّا الله . انتهى . و الكلام على كونه مفردا أو جملة يأتي إن شاء الله تعالى .

قال الإمام الفخر الرازي رحمه الله في كتابه أسرار التنزيل : و أمّا الذين اكتفوا في النهايات بكلمة "الله" فلهم فيه وجوه و حجج :

الحجة الأولى : أن نفي العيب عمن يستحيل عليه العيب عيب .

الحجة الثانية : أن من قال "لا إله إلّا الله" فلعله حين ذكر كلمة النفي لا يجد من المهلة ما

يصل منه إلى الإثبات . و حينئذ يبقى في النفي غير منتقل إلى الإثبات ، و في الجحود غير منتقل إلى الإقرار .

الحجة الثالثة : أن المواصلة على هذه الكلمة متشعبة بتعظيم الحق و الاشتغال بنفي الأغيار يرجع في الحقيقة إلى شغل القلب بالأغيار . و ذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد . فمن قال "لا إله إلاّ الله" فهو مشتغل بغير الحق . و من قال "الله" فهو مشتغل بالحق . فأين أحد المقامين من الآخر .

الحجة الرابعة : أن نفي الشيء إنما يحتاج إليه عند خطران ذلك بالبال . و خطور شريك الله بالبال لا يكون إلاّ لنقصان في الحال . فأمّا الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك امتنع أن نكلفهم بنفي الشريك . بل هؤلاء لا يخطر ببالهم و لا في خيالهم إلاّ ذكر الله . فلا جرم يكفيهم أن يقولوا "الله" .

الحجة الخامسة : قال الله تعالى : قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ . فأمره بذكره ومنعه من الخوض معهم في أباطيلهم ولعبهم . والقول بالشريك من الأباطيل . ففيه خوض في ذلك الكلام . وكان الأولى الاقتصار على قولنا "الله" . انتهى .

قال الشهاب ابن حجر رحمه الله في الفتاوى الصغرى : و ذكر "لا إله إلاّ الله" أفضل من ذكر الجلالة مطلقا . هذا بلسان أئمة الظاهر .

و أمّا عند أهل الباطن فالحال يختلف بأحوال السالك . فمن هو في ابتداء أمره و مقاماته لشهود الأغيار و عدم انفكاكه عن التعلق بها و عن إرادته و شهواته و بقائه مع نفسه يحتاج إلى إدمان الإثبات بعد النفي . حتى يستولي عليه سلطان الذكر و جواذب الحق المترتبة على ذلك .

فإذا استولت عليه تلك الجواذب حتى أخرجته من شهواته و إراداته و حظوظه و جميع أغراض نفسه صار بعيدًا عن شهود الأغيار . و استولى عليه مراقبة الحق و شهوده . فحينئذ يكون مستغرقًا في حقائق الجمع الأحدي و الشهود السرمدي الفردي . فالأنسب لحاله الإعراض عما يذكر بالأغيار و استغراقه فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة فقط .

لأن ذلك فيه تمام لذّاته و تمام مسرّته و نعمته و منتهى أربه و محبته . بل لو أراد قهر نفسه إلى

الرجوع إلى شهود غيره حتى ينفيه أو تعلق به خاطره لم تطاوعه نفسه المطمئنة ، لما شاهدت من الحقائق الوهبية و المعارف الذوقية و العوارف اللدنية . و قد فتحنا لك بابًا تستدل بما ذكرناه في فتحه على ما وراءه . فافهم مقاصد القوم السالمين من كل محذور و لوم ، و سلّم لهم تسلم . و لا تنتقد حقيقة من حقائقهم تندم . بل قل فيما لم يظهر لك : والله أعلم . انتهى .

قال العلامة الشيخ عبد الرؤف المناوي رحمه الله في شرحه الكبير على الجامع الصغير في شرح قوله ﷺ "اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب" قال : اذكر الله بالقلب بأن تقول "لا إله إلّا الله" مع إخلاص . و الذكر ثلاث : نفي و إثبات ، و إثبات بغير نفي ، و إشارة بغير تعرض لنفي و لا إثبات .

فالأوّل قول "لا إله إلّا الله " والذكر به قوام كل جسد و موافق لمزاج كل أحد .

و الثاني : اسمه الشريف الجامع و هو "الله" اسم جلال محرق ليس كل أحد يطيق الذكر به .

و الثالث : ذكر الإشارة و هو "هو" فدوام ذكر "لا إله إلّا الله" سبب لليقظة من الغفلة . و ذكر "الله" سبب للخروج عن اليقظة في الذكر إلى وجوه الحضور مع المذكور . و ذكر "هو ، هو" سبب للخروج عن ما سوى المذكور .

و قال أيضا في شرح قوله ﷺ "من سرّه أن يحب الله و رسوله فليقرأ القرآن" : أي نظرًا في المصحف . ثم قال بعد كلام : كان بعض المشايخ الصوفية إذا سلك مريدًا أشغله بذكر الجلالة وكتبها له في كفه و أمره بالنظر إليه حال الذكر . قالوا : هذا أوّل شيء يرفع كما قاله عبادة بن الصامت رضي الله عنه . و يبقى بعده على اللسان حجة . فيتهاون الناس فيه حتى يذهب بذهاب جملته . ثم تقوم الساعة على شرار الناس ، ليس فيهم من يقول : الله الله .

هذا . و نكتفي في شرح الطريق الأوّل في إثبات الذكر المفرد بهذا القدر من البيان .

الطريق الثاني : نسرد في شرح الطريق الثاني لإثبات الذكر المفرد أقاويل المحققين من أهل الطريقة الجامعين بين العلم الظاهر و الباطن ، فأقول و بالله التوفيق :

قال الشيخ العارف أحمد الغزالي أخو حجة الإسلام الغزالي رحمهما الله في رسالته التجريد في كلمة التوحيد : اعلم : أن السالك له ثلاث منازل : فالمنزل الأوّل عالم الفناء . والمنزل الثاني عالم الجذبة . والمنزل

الثالث عالم القبضة . فاجعل ذكرك في عالم الفناء "لا إله إلاّ الله" ، و في الجذبة "الله ، الله" ، و في عالم القبضة "هو ، هو" . انتهى باختصار .

و **قال** الشيخ عفيف الدين التلمساني رحمه الله تعالى في كتابه الكبريت الأحمر : العارفون على أن أفضل العبادات حفظ الأنفاس مع الله تعالى . و يكون دخولها و خروجها بذكر الجلالة . وهو قولك : الله الله لا إله إلاّ الله . وهو الذكر الخفي الذي لا تتحرك به الشفتان . انتهى .

قال الشيخ عبد السلام بن مشيش رحمه الله تعالى في آخر الصلاة المشهورة : الله الله إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد . انتهى .

و **قال** ابن عطاء الله الشاذلي رحمه الله تعالى في كتابه مفتاح الفلاح : الذكر الرابع "الله" و يسمى المفرد . لأن ذاكره مشاهد لجلال الله تعالى و عظمته . قال الله تعالى : قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ .

و **أيضًا** قال في باب ذكر الخلوة منه : و ليكن ذكرك الاسم الجامع و هو "الله" و احذر أن يفوه به لسانك ، و ليكن القلب هو القائل و الأذن مصغية لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق في سرك . فإذا أحسست بظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حالتك التي كنت عليها . انتهى .

و **قال** الإمام العارف الشيخ عبدالوهاب الشعراني رحمه الله تعالى في العهود الصغرى : أخذ علينا العهد أن لا يمضي علينا يوم ولا ليلة حتى نذكر الله عزوجل بتكرير الجلالة أربعًا و عشرين ألف مرة عدد الأنفاس الواقعة في الثلاث مائة و ستين درجة . انتهى .

و **قال** العارف الشيخ يوسف الكوراني رحمه الله تعالى في قوله عليه الصلاة والسلام "موتوا قبل أن تموتوا" : و ظاهر صفات الميت أن يرى ولا يتكلم ولا يتحرك ، ولا يعجز أحد أن يغمض عينيه ، و يسكن و يسكت مقدار ثلاثة أنفاس أو مقدار استطاعته .

فقد قال صلى الله عليه وسلم : إذا أمرتكم فأتوا منه ما استطعتم . فإذا فعل ذلك فقد مات و أتى باستطاعته في ظاهره . فإذا أضاف عليه الله الله بالقلب دون اللسان ، فقد شارك الخاص بالقدم . و إن جعل ذلك مرجعه في كل ما وجد فراغه صار من السالكين الخواص على قدر أنسه بالله الله ، و على قدر ثباته فيه يكون من الفائزين الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون .

و قصّة الشيخ الشبلي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ المشهورة لا تخفى على من له مطالعة في سير الصالحين . ذكرها غير واحد منهم الفخر الرازي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في أسرار التنزيل ، و منهم ابن عطاء الله رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في مفتاح الفلاح : أن رجلاً سأل الشبلي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ : لم تقول "الله" ولا تقول "لا إله إلّا الله" ؟

فقال : إن أبابكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أعطى ماله فلم يبق معه شيء . فتخلل بالكساء بين يدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وما خليت لعيالك ؟ فقال : الله . فكذا أنا أقول : الله .

فقال السائل : أريد أعلى من هذا .

فقال الشبلي : أستحيي من ذكر كلمة النفي في حضرته و الكل نوره .

فقال السائل : أريد أعلى من هذا .

فقال الشبلي : أخاف أن أموت على الإنكار فلا أصل إلى الإقرار .

فقال السائل : أريد أعلى من هذا .

فقال الشبلي : قال الله لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ .

فقام السائل فزعق زعقة . فقال الشبلي : " الله " . فزعق السائل ثانيًا . فقال الشبلي : "الله" . فزعق ثالثًا و مات .

فاجتمع أقارب الفتى و تعلّقوا بالشبلي و ادّعوا عليه الدم و حملوه إلى الخليفة . فأذن لهم فدخلوا عليه و ادّعوا الدم .

فقال الخليفة للشبلي ما جوابك ؟ فقال : روح حنت فرنت و سمت فصاحت و دعيت فسمعت فعلمت فأجابت . فما ذنبي ؟ فصاح الخليفة : خلوا سبيله .

و نظير هـذا ما ذكره الشيخ الأكبر في الفتوحات أنه سأل أحد شيوخه : لم تقولون "الله" ولاتقولون "لا إله إلّا الله" ؟ فقال : ما سمعت ولا رأيت أحدًا يقول "أنا الله" غير الله . فأنا أقول كما يقول الله . انتهى . هذا . والله أعلم بما في قلوب الخلق و بما يقولون من الباطل و الحق . و قوله حقّ ، و صراطه مستقيم و حق ، و علمه أعلى و أكمل و أدقّ .

الباب الثامن و السبعون
و فيه ثلاث خصائص

من خصائص اسم " الله " اختصاصه بالذكر غالبًا عند التعجب و استعظام أمر و تفخيمه سواء كان ذلك الأمر خيرًا أو شرًّا .

و ذلك في مواضع ثلاثة من مواضع التعجّب . فهي ثلاث خصائص للجلالة . إذ كل موضع نوع مستقلّ كلّيّ تحته أفراد لا تحصى . فكل موضع من هذه المواضع الثلاثة أنواع ثلاثة كلّيّات من أنواع خصائص الجلالة .

الموضع الأوّل عند إضافة لفظة "سبحان" إليه نحو قولهم في مقام التعجّب "سبحان الله" .

الموضع الثاني عند دخول اللام الجارة على الجلالة نحو "لله فلان" أو "لله درّ فلان" .

الموضع الثالث عند إضافة اسم أريد استعظام حال مسماه و تفخيمه إلى الجلالة نحو "بيت الله" و "كعبة الله" و "خليل الله" و "نار الله" و "حزب الله" و "ناقة الله" . و من عادة العرب نسبة الأشياء إلى الله تعالى تعظيمًا لها و تفخيمًا و تهويلاً .

و الشائع عند قصد هذه النسبة الاسم "الله" لاغيره من الأسماء الحسنى كما لايخفى على المتفحص . و هكذا العادة الربانية في القرآن العظيم و عادة النبي ﷺ في الأحاديث .

قال أبومنصور الثعالبي رحمه الله في سرّ العربية ص٣٣٩ : **العرب تضيف بعض الأشياء إلى الله** عز ذكره و إن كانت كلها له فتقول : بيت الله ، و ظل الله ، و ناقة الله . قال الجاحظ : كل شيء أضافه

الله تعالى إلى نفسه فقد عظم شانه و فخم أمره . وقد فعل ذلك بالنار فقال : نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ .

و يروى أن النبي ﷺ قال لعتيبة بن أبي لهب : أكلك كلب الله . فأكله الأسد . ففي هذا الخبر فائدتان : إحداهما : أنه ثبت بذلك أن الأسد كلب . و الثانية : أن الله تعالى لا يضاف إليه إلّا العظيم من الأشياء في الخير و الشر . أمّا الخير فكقولهم : أرض الله ، و خليل الله ، و زوّار الله . و أمّا الشرّ فكقولهم : دعه في لعنة الله و سخطه و أليم عذابه و إلى نار الله و حر سقره . انتهى .

و من هذا القبيل قول العرب "لله درّه" أي ما أعجب فعله . و قاتله الله من شاعر .

قال الرضي في شرح الكافية ج١ ص١٩٥ : و أمّا معنى قولهم "لله درك" فالدرّ في الأصل ما يدرّ ، أي ينزل من الضرع من اللبن و من الغيم من المطر . وهو ههنا كناية عن فعل الممدوح الصادر عنه . و إنما نسب فعله إليه تعالى قصدًا للتعجب منه . لأنه منشئ العجائب . فكل شيء عظيم يريدون التعجب منه ينسبونه إليه تعالى و يضيفونه إليه نحو قولهم "لله أنت" و "لله أبوك" فمعنى "لله درّه" ما أعجب فعلُه . انتهى . قال الشاعر :

* ولله عينا حَبترٍ أيما فتى *

و صرح الرضي في بحث أفعال التعجب من شرح الكافية لابن الحاجب رحمه الله تعالى : أن قولهم "قاتله الله من شاعر" فعل تعجب .

و في حديث عائشة رضي الله عنها : سألت امرأةٌ النبيّ ﷺ كيف تغتسل من حيضتها . فذكرت أنه علّمها كيف تغتسل . ثم قال : تأخذ فرصة من مسك فتتطهّري بها . قالت : كيف أتطهر بها . قال : تطهّري بها و سبحان الله و استتر الحديث . أخرجه مسلم .

قال النووي في شرح الصحيح ج١ ص١٠٥ : قوله ﷺ : تطهري بها و سبحان الله . أن "سبحان الله" في هذا الموضع و أمثاله يراد بها التعجب . و كذا لا إله إلّا الله . انتهى كلامه .

و في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا و فيه : فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله إن المؤمن لا ينجس .

و في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه فيه بيان رؤيا لرسول الله ﷺ قصها على أصحابه . قال فيه : أتاني الليلة آتيان . و إني انطلقت معهما . و إنّا أتينا على رجل مضطجع و إذا آخر قائم عليه بصخرة . و إذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ بها رأسه . فيتدهده الحجر ههنا فيتبع الحجر يأخذه . فما يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان . ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى . قال : قلت : سبحان الله ، ما هذان ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق . الحديث . أخرجه أحمد في مسنده ج٥ ص٨ .

و في حديث عائشة رضي الله عنها فيه قصة شربه عليه الصلاة والسلام العسل عند حفصة و احتيال عائشة وسودة وصفية و قول كل واحدة له عليه الصلاة والسلام : أكلت مغافر و جرست نخله العرفط . إلى أن قالت : فلما دخل على حفصة قالت : يا رسول الله ! ألا أسقيك منه . قال : لاحاجة لي به . قال : تقول سودة : سبحان الله . والله لقد حرمناه . قالت : قلت لها : اسكتي . أخرجه أحمد في المسند ج٦ ص٥٩ .

و عن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال : كنا جلوسًا بفناء المسجد و رسول الله ﷺ جالس بين ظهرينا . فرفع رسول الله ﷺ بصره قبل السماء فنظر . ثم طأطأ بصره و وضع يده على جبهته ثم قال : سبحان الله سبحان الله . ما ذا نزل من التشديد . أخرجه أحمد في المسند ج٥ ص٢٨٩ .

و عن قيس بن عباد رضي الله عنه : كنت في المسجد فجاء رجل . فقال القوم : هذا رجل من أهل الجنة . و هذا الرجل عبد الله بن سلام رضي الله عنه . و فيه : أنه أخبره إلى أن قال : قال عبد الله بن سلام : سبحان الله . ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم . الحديث . أخرجه أحمد في المسند ج٥ ص٤٥٢ .

و في حديث أخرجه مسلم : سبحان الله بئس ما جزتها .

و في حديث أخرجه أبوداود في الأضاحي : سبحان الله تجوز عنك ولا تجوز عنّي .

و في حديث فيه ذكر كلام الذئب أخرجه البخاري و فيه : فقالوا : سبحان الله . ذئب يتكلم . فلفظ " سبحان الله " في هذه الأحاديث كلها للتعجب . هذا . و الله أعلم و علمه أكمل و أعلى و أوسع .



الباب التاسع و السبعون
وفيه نحو ست و أربعين مزيّةً وخاصّةً

من خصائص الاسم "الله" أن المواظبة على ذكره من أقوى الأسباب لانزعاج القلب لروعة الانتباه و اليقظة من سنة الغفلة و النهوض عن ورطة الفترة و استنارة القلوب بالحياة لرؤية نور التنبيه و مطالعة الجناية و الإساءة و الوقوف على الخطر فيها و التشمير لتداركها و التخلص من رقّها و طلب النجاة بتمحيصها و صفاء الباطن وحصول مقامات الجذب و الشوق إلى الله تعالى وسبحانه . ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

ثم طرق السالكين و إن كانت متحدة نظرًا إلى المقصد و هو الوصول إلى معرفة الله تعالى و الفوز برضاء الله و الفلاح في الآخرة لكنها في بادي النظر متعددة من قبيل تعدد الطرق الواصلة إلى منزل واحد ، و من قبيل تكثر الأسباب الموصلة إلى مقصود واحد .

فمنها الطريقة القادرية . و منها الطريقة الجشتية . و منها الطريقة النقشبندية . و منها الطريقة السهروردية . و منها الطريقة الغزالية . و منها الطريقة الشطّاريّة و غير ذلك .

و في كل طريقة للسالكين وجوه كثيرة لذكر اسم "الله" مفردًا و مركبًا من النفي و الإثبات و غير ذلك . و المشايخ يلقّنون أصحابهم ذكر اسم "الله" مفردًا و ذكر النفي و الإثبات و غير ذلك مما هو مسطور في الكتب .

و كل وجه يورث فوائد نورانية و عوائد روحانية و مقاصد أبديّة و ثمرات سرمديّة . ولو

تفكّرتَ فيما أوردنا في هذا الباب من مباحث هذه الطرق و حقّقتَ و دقّقتَ النظر و فحصتَ فحصًا بالغًا لعرفتَ أن ضوابط ذكر الله النوعيّة و وجوهه الكليّة المندمجة في طيّ هذه العبارات و تضاعيف هذه الإشارات تنتهي إلى ستة و أربعين وجهًا . و كل وجه منها مزية مستقلة و خاصة برأسها . فاستبان أنّ خصائص اسم "الله" في هذا الباب ستّ و أربعون خاصّةً .

فصل

في الطريقة القادرية و وجوه أذكارها

فمن تلك الوجوه في القادرية ماقالوا : إن لذكر هذا الاسم مفردًا باعتبار الضربات أربع طرق :

الطريق الأوّل : ذكر الاسم بضربة واحدة بأن يجلس الذاكر على ركبتيه جلسة الصلاة فيحبس نفسه تحت سرّته . و يخرج و يذكر الاسم "الله" جهرًا . و يخرجه من سرّته و يضربه على قلبه .

و **الطريق الثاني :** الذكر بضربتين . و هو أن يفعل مثل ما تقدم . ثم يضرب اسم الذات أوّلًا على ركبته اليمنى ، و ثانيًا على قلبه . و يستمرّ على هذا العمل بقدر ما استطاع .

و **الطريق الثالث :** الذكر بثلاث ضربات بأن يجلس الذاكر على ركبتيه أو متربعًا ، فيضرب ضربتين مثل ما ذكرنا ، و ضربة ثالثة على ركبته اليسرى . و هكذا يفعل مستمرًّا بقدر نشاطه .

و **الطريق الرابع :** الذكر بأربع ضربات بأن يجلس متربعًا فيضرب ثلاثًا مثل ما قدمنا ذكره ، و ضربة رابعة أمامه على الأرض . كل ذلك بالجهر .

و فائدة الذكر جهرًا أن الذاكر لا يسمع صوت غيره المشوش للذهن و التوجه . فيتوجه قلبه بشراشره إلى الله تعالى وسبحانه . و أيضًا يُحدِث بالذكر جهرًا في القلب الحرارة و الشوق . و هما مقصودان عند السالكين لطي المنازل و للترقي في درجات العرفان . كذا في المقالات السبحانية للشيخ محمد سليمان ص٤ .

قال المحدث الكبير شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى في بيان أشغال المشايخ الجيلانية : أصحاب

إمام الطريقة الشيخ أبي محمد محي الدين عبدالقادر الجيلاني رحمه الله أوّل ما يلقنونه الجهر بذكر الله تعالى . و المراد بهذا الجهر هو غير المفرط . فلا منافاة بينه و بين ما نهى رسول الله ﷺ حيث قال : إربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا . الحديث .

فمنه ذكر اسم الذات . إمّا بضربة واحدة . و صفته أن يقول "الله" بالشدّ و المدّ و الجهر بقوة القلب و الحلق جميعًا . ثم يلبث حتى يعود إليه نفسه . ثم يفعل هكذا و هكذا .

و إمّا بضربتين . و صفته أن يجلس جلسة الصلاة . و يضرب الجلالة مرة في الركبة اليمنى و مرة في القلب يكرر ذلك بلا فصل . و ينبغي أن يكون الضرب لاسيما القلبي بقوة و شدة ليتأثر القلب و يجتمع الخاطر .

و إمّا بثلاث ضربات . وصفته أن يجلس متربعًا فيضرب مرة في الركبة اليمنى و مرة في الركبة اليسرى و مرة في القلب . و لكن الثالث أشدّ و أجهر .

و إمّا بأربع ضربات . و صفته أن يجلس متربعًا و يضرب مرة في الركبة اليمنى و مرة في الركبة اليسرى و مرة في القلب و مرة أمامه . لكن الرابع أشدّ و أجهر . انتهى .

و منها : مافي المقالات السبحانية أن مشايخ القادرية يلقنون ذكر النفي والإثبات بعد ذكر اسم الذات المفرد ، أي ذكر اسم "الله" .

و طريقه أن يخرج الذاكر بعد حبس النفس لفظ "لا" من سرّته ، و يمدها إلى المنكب الأيمن إلى أن يصل إلى موضع خاتم النبوة خلف المنكب ، ليحصل به للذاكر السالك طي السافل . و الأمام و العقب على حسب اصطلاحهم .

ثم يمد من هذا لفظ "إله" إلى أمّ الدماغ كأنه يلقى ما سوى الله إلى ما فوق . و يتوجه إلى جانب اليمين . و يتخيل أنه نبذ العالم بقضه و قضيضه ظهريًا تذريه الرياح ، و أن كل ما هو غير الله فقد فنى ، ليحصل له طي اليمين و ما فوقه .

ثم يمد "إلا الله" من اليمين و يضربه في قلبه بالشدة و الجهر ، متخيلًا أن طي اليسار أيضًا قد

حصل ، و فنى كل شيء ولم يبق إلّا وجه الله تعالى . و لم يبق في الجهات سواه ، كما قال تعالى : فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ . و من ههنا يفوز السالك بمراقبة قوله تعالى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَّ يَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ .

قال شاه ولي الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القول الجميل : و منه أي من أشغال الجيلانية النفي والإثبات . وهو كلمة "لا إله إلّا الله" .

و صفته أن يجلس جلسة الصلاة مستقبل القبلة و يغمض عينيه و يقول "لا" كأنه يخرجها من سرّته . ثم يمدّها حتى يبلغ إلى المنكب الأيمن فيقول "إله" كأنه يخرجها من أم الدماغ . ثم يضرب "إلّا الله" بالشدة و القوة يلاحظ نفي المحبوبية والمقصودية أو الوجود من غير الله تعالى و إثباتها له تبارك و تعالى .

و قال أيضًا : لعلك تقول : ما الحكمة في اشتراط الضربات والتشديدات و مراعاة أماكنها ؟

فأقول : جبل الإنسان على التوجه إلى الجهات و الإصغاء إلى إيقاع النغمات و أن تدور في نفسه الأحاديث و الخطرات . فوضعوا هذا الوضع سدًّا للتوجه إلى غير نفسه و كبحًا عن خطور الأمور الخارجة ، ليتدرج منه إلى قصر التوجه على الله . انتهى .

قال الشيخ شاه عبد العزيز الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وضع أصحاب الطرق هذه الجلسات و الهيئات لأشكال الأذكار لمناسبة مخفية يعلمها العالم ذو الذهن الصافي . فبعضها يشير إلى كسر النفس . و بعضها دال على الخضوع و الخشوع . و بعضها أوفق بجمع الخاطر و دفع الوساوس . و بعضها أقرب إلى نشاط الطبع الباعث على الذكر . و لذا منع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن القيام مختصرًا . لأنه هيأة قيام أهل النار . و أيضًا تدل على الفتور والكسل . فلا تخالف هذه الأمور الشرع . و الاختلاف فيها من قبيل الاختلاف في الآلات و الوسائل دون المقاصد ، و من قبيل الاختلاف في طرق العلاج . و المقصود واحد ليس إلا . انتهى كلامه بتصرف و تعريب .

و من أشغال القادرية نوع آخر يذكر فيه اسم الذات مركبًا مع اسم آخر من الأسماء الحسنى نحو بصير و سميع و قدير و عليم . و طريق الشغل به أن يقول "الله سميع" مخرجًا له من السرة إلى الصدر .

ثم يقول "الله بصير" مادًّا له من الصدر إلى أم الدماغ . ثم يقول "الله قدير" مادًّا له من أم الدماغ إلى السماء . ثم يقول "الله عليم" مادًّا له من السماء إلى العرش و إلى ما فوق العرش حتى يقطع دائرة الإمكان و يصل إلى اللا مكان حسب اصطلاحات الصوفية .

ثم يقول "الله عليم" و يرجع نازلًا من اللا مكان إلى السماء . ثم يقول "الله قدير" نازلًا من السماء إلى الدماغ . ثم يقول " الله بصير" مادًّا له من الدماغ إلى الصدر . ثم يقول "الله سميع" مادًّا له من الصدر إلى السرة . كل ذلك بحبس النفس . و بعضهم يترك "الله قدير" اكتفاء بالثلاثة . و يمدّ "الله عليم" من الدماغ إلى اللا مكان و منه إلى الدماغ . و هكذا . كذا في المقالات السبحانية ص٥ .

قال المحدث الكبير شاه ولي الله رحمه الله : و إذا ظهر على الطالب أثر هذا الذكر الجلي و شوهد فيه نوره أمر بالذكر الخفي . و المراد من الأثر انبعاث الشوق و اطمئنان القلب باسم "الله" و انتفاء أحاديث النفس و إيثار الله تعالى على كل ما عداه .

ثم قال : و أما الذكر الخفي فمنه اسم الذات مع أمهات الصفات . و صفته أن يغمض عينيه و يضم شفتيه و يقول بلسان القلب "الله سميع" "الله بصير" "الله عليم" كأنه يخرجه من سرّته إلى صدره ومن صدره إلى دماغه إلى العرش . ثم يقول "الله عليم" "الله بصير" "الله سميع" هابطًا على تلك المنازل كما صعد عليها . فهذه دورة واحدة . ثم يفعل هكذا و هكذا . و من أهل هذا الشان من يزيد "الله قدير" .

نوع آخر : من أشغال القادرية المتعلقة بالذكر نوع يسمونه فاس أنفاس . قالوا : إن التكثير من ذكر الله تعالى مطلوب عظيم لقوله تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . و قوله تعالى : ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَ قُعُودًا وَ عَلَىٰ جُنُوبِهِمْ . الآية . فينبغي للطالب أن لا يغفل عن ذكر الله تعالى ساعة .

و الذكر جهرًا لا يمكن في كل وقت . نعم يمكن المواظبة في كل وقت على الذكر الخفي . و يسمّى هذا الذكر الخفي المستمر عندهم "فاس أنفاس" و هو معرّب "پاس أنفاس" . و مرادهم من "فاس أنفاس" رعاية السالك أنفاسه مطلعًا على أحوالها بأن لا يخلو نفس عن ذكر الله تعالى .

و **"فاس أنفاس"** عند مشايخ القادرية نوعان :

النوع الأول : ما يكون بالنفي و الإثبات بأن يكون متيقظًا مطلعًا على أنفاسه . فإذا خرج النفس بطبيعته من غير قصده و إرادته قال مع خروجه "لا إله" بلسان القلب . و إذا دخل قال مع دخوله "إلا الله" . و له أثر عظيم في نفي الخواطر و زوال حديث النفس .

و النوع الثاني : ما يكون بذكر الاسم "الله" فيضرب اسم "الله" في قلبه عند دخول النفس و عند خروجه يقول "هو" متخيلاً أنه أخرج مع "هو" جميع ما سوى الله من صدره و لم يبق في القلب إلّا الله سبحانه . كذا في المقالات السبحانية ص٦ .

نوع آخر : قد شاع نوع آخر من أشغال القادريّة و هو ذكر الإثبات المحض بأن يقول مكررًا "إلا الله " "إلا الله" . قالوا : يداوم على ذكر النفي و الإثبات سنة . ثم يشرع في الإثبات .

و طريقه أن يراعي الجلسة المعهودة و يشير برأسه إلى الركبة اليسرى أو إلى محل القلب و يديره إلى الكتف الأيمن فيضرب رأسه قائلاً "إلا الله" بسرعة و شدة على الركبة اليسرى أو على القلب . و يسمون ذكر الإثبات ذكرًا ملكوتيا .

نوع آخر : قد ذاع نوع آخر من أشغالهم وهو ذكر "هو" . قالوا : بعد تحصيل الملكة الراسخة في ذكر اسم الذات بأن يصير الذكر صفة لازمة له كالقوة الباصرة للبصر يشرع في ذكر "هو" .

و طريقه أن يجلس على الركبتين و يضع يديه عليهما و يجعل رأسه قريبًا من الركبتين و يبدأ من تحت السرة بذكر "هو" جهرًا غير مفرط حابسًا نفسه إلى أن يبلغ إلى أم الدماغ . و يمكث به هناك لمحة . ثم يعود و يفعل هكذا . و يسمى هذا الذكر عندهم لاهوتيا .

فصل

في الطريقة الجشتيّة و وجوه أذكارها

لمشايخ الطريقة الجشتية وجوه متعددة و أنواع كثيرة من الأذكار :

منها : النفي والإثبات بالجهر . فيجلس الطالب متربعًا و يأخذ العرق الذي يسمى كيماس بإبهام

قدمه اليمنى و التي تليها .

قال المحدث الكبير شاه ولي الله رحمه الله تعالى : سمعت سيدي الوالد قدس سره يقول : هو عرق في بطن الركبة يهبط من جانب الفخذ . و أخذه بهذه الكيفية يفيد نفي الخواطر و يجمع الهمة و يسخن القلب تسخينًا عجيبًا .

ثم يقول "لا إله إلّا الله" بالشد و المد و إخراج القوة من داخل القلب . و يخرج لفظة "لا" من السرة و يمدها إلى المنكب الأيمن و لفظة "إله" من أم الدماغ . يشير بذلك أنه أخرج حبّ ما سوى الله تعالى من باطنه و ألقاه خلفه . فيتنفّس نفسًا و يضرب "إلّا الله" في القلب بالشدّة و القوة . و يلاحظ المبتدي نفي المعبودية من غير الله تعالى ، و المتوسط نفي المقصودية ، و المنتهي نفي الوجود . كذا في القول الجميل .

و منها : ذكر "فاس أنفاس" . قال مشايخ الجشتية : إذا أراد أن يشتغل بحفظ الأنفاس و يسمونه بالفارسية "بپاس أنفاس" فليكن متيقظًا واقفًا على أنفاسه . فكلما خرج النفس يقول مع خروجه "لا إله" كأنه يخرج محبة كل شيء سوى الله تعالى وسبحانه من باطنه . و إذا دخل النفس يقول مع دخوله "إلّا الله" كأنه يدخل و يثبت محبة الله تعالى في قلبه . هذا .

و من أشغال هذه الطائفة المراقبة . و هي أقسام متعددة . منها ما فيه رعاية هذا الاسم أي اسم "الله" مركبًا مع لفظ آخر . قالوا : إذا تنور باطن المريد بنور الأذكار أمره الشيخ بالمراقبة . وهي مشتقة من الرقيب . سميت بذلك لأن السالك يراقب قلبه أو يراقب الله تعالى كما أن الله تعالى وسبحانه يراقبه . فيقول بلسانه أو يخيله بقلبه "الله حاضري" "الله ناظري" "الله شاهدي" "الله معي" .

فصل
في الطريقة النقشبنديّة و وجوه أذكارها

لمشايخ الطريقة النقشبندية أيضًا وجوه و أنواع كثيرة من الذكر :

فمنها : النفي و الإثبات وهو الماثور عن متقدميهم . وهو على وجهين :

الوجه الأوّل : أن ينتهز فرصة من التشويشات الخارجية مثل أحاديث الناس و الداخلية مثل الجوع المفرط و الغضب و الألم و الشبع المفرط . ثم يذكر الموت و البلى و يستغفر الله مما صدر منه من المعاصي . ثم يجعل لسانه متلصقًا بسقف الفم و يلصق الشفة بالشفة و الأسنان بالأسنان و يحبس نفسه في بطنه تحت سرته ويتوجه إلى القلب الصنوبري الشكل المتعلق للقلب الحقيقي . ثم يبتدئ بذكر "لا" من سرّته صاعدًا بها إلى الدماغ من غير تحريك اللسان و الرأس . ثم يميل بكلمة "إله" منه إلى الكتف الأيمن . و يضرب كلمة "إلا الله" منه على القلب .

فيصير نقش مجموع "لا" معكوسًا . ويجري الكلمات المذكورة من محل إلى محل بمجرد الخيال . حتى لا تكون لحركة الأعضاء و النفس فيها مجال . و يكون النفس محبوسًا تحت السرة . ولا يزال يشتغل بتكرارها ما دام النفس محبوسًا . و لابد من أن يكون عدد الذكر وترًا في كل نفس . و يسمى هذا الذكر وقوفًا عدديًا . ثم إذا ضاق يترك النفس ويقول : محمد رسول الله . ثم يحبس النفس و يذكر و يتدرج في الحبس .

قال الشيخ فقيرالله بن عبدالرحمن رحمه الله في قطب الإرشاد : وقد رأيت بعض السالكين يحبس النفس ويتدرج في الزيادة إلى أن يقول في نفس واحد ألف مرة . فالازدياد محمود . قالوا : للعدد الوتر خاصية عجيبة فيقول أوّلاً هذه الكلمة مرة في نفس واحد . ثم ثلاث مرات في نفس واحد . و هكذا يتدرج إلى إحدى و عشرين مرة مع مراعاة عدد الوتر .

قالوا : و من بلغ إلى إحدى و عشرين مرة و لم يفتح له باب من الجذب و لم يحصل له انصراف الباطن إلى الله سبحانه وجب الاشتغال باسمه سبحانه و النفرة عن الأشغال الأخرى . و ليعلم أن عمله لم يقبل . فليستأنف هذه الشروط من الثلاثة إلى إحدى و عشرين مرة .

الوجه الثاني : أن يراعي الآداب المذكورة فيقول بالقلب "لا" يخرجها من سرته إلى الطرف الأيمن و يمدها إلى منكبيه . ثم يحرك منكبيه إلى رأسه فيقول "إله" . ثم يضرب في قلبه بالشد "إلّا الله" .

و منها : الإثبات المجرد . وهذا الذكر لم يكن عند المتقدمين . و إنما استخرجه خواجه باقي بالله

قدس الله سرّه أو من يقرب منه في الزمان .

و صفته أن يخرج لفظة "الله" من سرّته بالشدّ التام و يمدها حتى يصل إلى أم الدماغ مع الحبس و التدريج في الزيادة حتى أن منهم من يقولها من نفس واحد ألف مرة .

قال شاه ولي الله رحمه الله تعالى : و قد رأيت امرأة من مخلصات سيدي الوالد تقولها ألف مرة في نفس واحد و أكثر من ذلك أيضًا . و سمعت سيدي الوالد قدس سره يحكي عن نفسه أنه كان في البداية يقول النفي و الإثبات في نفس واحد مائتي مرة .

فائدة مهمة نافعة

من الأشغال و الأذكار النافعة جدًّا في الطريقة النقشبنديّة أشغال و أذكار لسيّد النقشبندية و شمسهم الشيخ أحمد المجدد للألف الثانية رحمه الله تعالى فإنه قال : إن الله تعالى خلق في الإنسان ستّ لطائف هي حقائق مفرزة بحيالها ،كما هو ظاهر كلام الشيخ و أتباعه . و ذهب الشيخ ابن الغربي الأندلسي رحمه الله تعالى إلى أنها اعتبارات و جهات للنفس الناطقة .

قال شاه ولي الله رحمه الله تعالى : وهو الذي اختاره سيدي الوالد . و صوّر لي صورها فرسم دائرة و قال : هي القلب . ثم دائرة أخرى في هذه الدائرة فقال : هي الروح . إلى أن رسم الدائرة السادسة و قال : هي "أنا" . انتهى .

و قالوا : هذه اللطائف مواضع في البدن ، و هي مواضع الأنوار والفيوضات ، وهي : القلب ، و الروح ، و السرّ ، و الخفي ، و الأخفى ، و أنا . و عند بعض المشايخ : اللطائف خمس . و هي المذكورة غير الأخيرة .

و لكل لطيفة نور يظهر في عالم المثال عند صفائها . فنور القلب أحمر . و نور الروح أصفر . و نور السر أبيض . و نور الخفي أسود . و نور الأخفى أسود غاية السواد . و قيل : أخضر . و نور "أنا" أي "النفس" على لون رمادي .

فالقلب تحت الثدي الأيسر بأصبعين . و الروح تحت الثدي الأيمن بحذاء القلب . و السر

فوق الثدي الأيمن مائلاً إلى وسط الصدر . و الخفي فوق الثدي الأيسر مائلاً إلى الوسط . والأخفى فوق الخفي . والسرّ في الوسط . و النفس في البطن الأوّل من الدماغ .

و قال الخواجه محمد معصوم قدس سره : السرّ تحت القلب بأربعة أصابع . و الخفي تحت الروح بحذاء السر كذلك . و الأخفى فوق القلب . و الروح بثلاث أصابع في وسط الصدر .

قالوا : و يتعلق بكل لطيفة ذكر اسم "الله" و ذكر النفي و الإثبات .

فيتوجه أوّلاً إلى ذكر لطيفة القلب . و طريق ذكر اسم الذات فيه أن يلصق الطالب لسانه بالحنك الأعلى . و يتوجه بجمع الهمة إلى القلب الصنوبري . و هو متعلق القلب الحقيقي الذي هو من عالم الأمر . و يقال له : الحقيقة الجامعة . و يخطر بباله الاسم "الله" من غير أن يتصور صورة . ولا يحبس النفس . و قيل : يحبس ، لأنه يعين على التأثير بالسرعة .

و يريد باللفظ المبارك "الله" الذات البحت . ولا يلاحظ معه صفة من الصفات لئلا ينزل من ذروة الذات إلى حضيض الصفات . و يداوم على الذكر إلى أن يحصل للقلب ملكة راسخة من الذكر . و يصير صفة لازمة . ولا يزول الذكر من القلب و إن تكلف في إزالته . و تسمى هذه الحالة بالحضور . و هذا الذكر بلسان القلب من غير تحريك لسان .

ثم يتوجه إلى ذكر لطيفة الروح إلى أن تحصل الملكة . ثم بعد هذا يتوجه إلى لطيفة السر إلى حصول الملكة . ثم إلى الخفي . ثم إلى الأخفى . و هكذا إلى أن تصير هذه اللطائف الستّ ذاكرة لله تعالى بأنفسها .

ثم بعد تكميل السالك هذه المنازل المذكورة و طيّها يتوجه إلى نوع آخر من الذكر و هو ذكر النفي و الإثبات .

قال شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله : فالشيخ يأمر بمحافظة تلك الحركة وتخيلها ذكر اسم الذات . ثم يأمر بالنفي و الإثبات مادًّا للفظة "لا" على اللطائف كلها ، و ضاربًا للفظة "إلاّ الله" على القلب . انتهى .

و قيل : طريقه أن يتوجه إليه بادئا للفظة "لا" من السرة ذاهبًا بها على اللطائف كلها إلى

الدماغ نازلاً للفظ "إله" على الكتف الأيمن ضاربًا للفظة "إلّا الله" على القلب .

قالوا : بعد جري الذكر في هذه اللطائف ينبغي للشيخ أن يأمر المريد بشغل سلطان الأذكار . و سمي هذا الذكر بسلطان الأذكار لأن جميع البدن حتى الأشعار إذ ذاك يذكر الله و يقول : الله ، الله ، الله . بل يسمع من كل شيء حتى الحجر والشجر "الله ، الله" . وطريقه أن يلاحظ اسم "الله" و ذكره في جميع البدن إلى أن يغلب الذكر . و أحاط بالبدن كله حتى صار كل جزء من البدن ذاكرًا مثل القلب .

فصل

في الطريقة السهروردية و وجوه أذكارها

للطريقة السهروردية أيضًا أذكار كثيرة الأنواع و الوجوه . منها النفي و الإثبات . و طريق ذكره على أنواع :

النوع الأوّل : أن يجلس على الركبتين أو متربعًا . و يحفظ بصدق النية الروابط الثلاث بالمواجهة والتصور . منها رابطة نبينا ﷺ . ثم يذكر أذكارًا ذكروها . ثم يبدأ من القلب و يدير رأسه مارًّا على الركبة اليسرى و اليمنى إلى المنكب الأيمن . فيتم "لا إله" و منه يضرب على القلب بإمالةٍ مّا لظهره قائلا "إلّا الله" و يلاحظ في النفي نفي جميع الممكنات و في الإثبات إثبات واجب الوجود جلّ مجده .

النوع الثاني : أن يقول "لا إله إلّا الله" بالمد مبالغةً و يلاحظ في قلبه "لا معبود إلّا الله" ثم يقول بالمد من غير مبالغة و يلاحظ في قلبه "لا مطلوب إلّا الله" ثم يلاحظ في قلبه "لا إله" بمعنى "لا موجود" و يقول بلسانه : إلّا الله . و يسمون ذكر النفي و الإثبات ذكرًا ناسوتيا .

و منها : ذكر الإثبات المجرد . قالوا : إذا حصلت له الملكة في ذلك أي فيما سبق من أنواع الذكر يشتغل بالإثبات .

و طريقه بعد رعاية الجلسة أن يبدأ من القلب بدوران رأسه مارًّا على الركبتين إلى الكتف الأيمن راعيًا معنى "لا مقصود" أو "لا مطلوب" ، و منه يضرب على القلب قائلاً "إلّا الله" . و يسمون

الإثبات ذكرًا ملكوتيًا .

و منها : ذكر الاسم "الله" قالوا : بعد هذا يشتغل بذكر "الله" وهو اسم الذات . و طريقه أن يبدأ من القلب بدوران رأسه إلى الكتف الأيمن . فيضرب على القلب قائلاً "الله" و يتصفه بالصفات السبع الذاتية . و يسمون هذا الذكر جبروتيًا . و يتعلق بالروح .

و منها : ما قالوا : بعد الملكة فيما ذكر يشتغل بذكر "هو" .

و طريقه أن يجعل رأسه على الصدر و يبدأ من السرة أو من القلب بذكر "هو" يمده إلى الدماغ . و يفني في هوية الحق سبحانه . و يسمونه ذكرًا لاهوتيا . و يتعلق بالسر .

و منها : الذكر الخفي . قالوا : بعد الفراغ من تحصيل ملكة الذكر الجلي يشتغل بالذكر الخفي . و هو على نوعين :

النوع الأوّل : ذكر "فاس أنفاس" نفيًا و إثباتًا . فيراعي أنفاسه . و يقول بلسان قلبه من غير تحريك الرأس "لا إله" عند خروج النفس و "إلاّ الله" عند دخوله . ثم يقول عند خروجه و دخوله "إلاّ الله" . ثم عند دخوله صدر اسم الجلالة و عند خروجه تمامه . ثم يقول عند دخوله و خروجه "هو" يراعي المعاني المعهودة .

النوع الثاني : أن يغمض العين و يلصق اللسان بالحنك . و يتوجه إلى القلب . و يقول بلسان القلب و دوران الفكر الأذكار الأربعة المذكورة على الترتيب المعهود إلى حصول الملكة .

فصل
في الطريقة الشطارية و وجوه أذكارها

لمشايخ الطريقة الشطارية أنواع متعددة من الأذكار . و هم أصحاب الشيخ الكبير عبد الله الشطاري رحمه الله تعالى .

فمن أذكارهم النفي و الإثبات . و طريقه على أنواع :

النوع الأوّل : هو بضربة بأن يراعي جلسة الطريقة المعهودة للقادرية و يحطّ رأسه . فيبدأ قائلاً "لا إله" بالمدّ و الدور مارًّا على الركبة اليمنى إلى أن يصل الرأس إلى المنكب الأيمن . فيجعل الرأس مائلا إلى الظهر . و يضرب من هناك بكلمة "إلّا الله" على الذي بدأ منه . فيرفع رأسه إلى أن يكون مثل الهيئة الأولى و يتابع هكذا . و يفتح عينيه حالة النفي . و ينفي كل ما وقع عليه النظر . و يغمض حالة الإثبات و يثبت الحق .

و النوع الثاني : هو بضربتين مع دقّين .

و طريقه بعد رعاية الجلسة المعهودة و الدور المعهود أن يضرب على الفخذ الأيسر . ثم على المرفق الأيسر "إلّا الله" ثم يضرب بطريق الصولة دقّتين في نفسه بحبس النفس و كظم الفم . و طريق الدقّ أن يخرج رأسه من جميع البدن ثم يدخله مع جميع الجثة .

و النوع الثالث : هو بثلاث ضربات بثلاث دقّات . يراعي الجلسة المعهودة و الدور و يضرب "إلّا الله" على القلب . ثم على الركبة اليسرى . ثم على الصدر بين الثديين . ثم يرفع رأسه بطريق الصولة و يدقّ ثلاث دقات في نفسه بحبس النفس قائلاً "إلّا الله" ثم يبدأ هكذا إلى أن يحصل له الملكة .

و منها : الإثبات فقط . قالوا : إذا حصلت للسالك الملكة في النفي و الإثبات يرتقي إلى الإثبات فقط . و طريق ذكره أيضًا على أنواع :

النوع الأوّل : يضرب مجرّدًا عن الدقّ مع الفكر .

و طريقه بعد رعاية الجلسة المعهودة أن يضرب متواليًا "إلّا الله" على الفخذ اليسرى أو القلب أو الكتف الأيسر . و يكون ذكره في عين هذا الذكر على نقش الجلالة في القلب .

النوع الثاني : بضربة و دقّ .

و طريقه أن يضرب على الفخذ اليسرى أو القلب أو الكتف قائلاً "إلّا الله" و يرفع رأسه و يدق في نفسه قائلاً " إلّا الله" . كذلك يشتغل من غير تخلل الغفلة .

النوع الثالث : بضربتين و دقّين أن يوصل رأسه إلى المرفق الأيسر قريبًا من الأرض . ويضرب

قائلاً "إلّا الله" و يرفع رأسه منه و يدقّ في نفسه قائلاً "إلّا الله" ثم يوصل رأسه إلى المرفق اليمنى . و يفعل مثل ما ذكر . و هكذا متواليًا .

و منها : ذكر الاسم "الله" و هو على أنواع :

النوع الأوّل : بضرب مجرد بشدة .

طريقه بعد رعاية الجلسة المعهودة أن يرفع رأسه على الكتف الأيمن و يضرب "الله" على الجنب الأيسر مع الشدة بحيث يصل إمالة الجنب . و يفعل هكذا متواليا و يفتح عينيه في أثناء الذكر .

النوع الثاني : يضرب بحبس النفس .

و طريقه بعد رعاية الجلسة أن يضع يديه على فخذيه . و يجذب المعدة إلى الفوق بالشدة قائلا "الله" ثم يرفع رأسه مع الظهر و الوسط . و يضرب تحت السرة بالشدة قائلاً "الله" . هكذا يشتغل به إلى أن يذهب الذاكر عن نفسه و يغيب .

النوع الثالث : يضرب مع "هو" بلا مدّ .

و طريقه بعد حفظ الجلسة المعهودة أن يجذب المعدة إلى ما فوق قائلاً "الله" و يرفع الرأس و الوسط . و يضرب في نفسه قائلاً "هو" . يفعل هكذا متصلاً . قالوا : له نتائج عظيمة .

النوع الرابع : يضرب مع مدّ "هو" فبعد رعاية الجلسة يضرب على الكتف و الجنب الأيمن و الأيسر قائلاً "الله" و من هنا يرفع رأسه إلى الكتف الأيمن قائلاً "هو" بنفس رقيق . و يوالي بينهما بلا فصل .

و منها : الذكر الخفي . قالوا : إذا حصلت للسالك الملكة في الأذكار الجهرية يرتقي إلى الذكر الخفي . و هو على ضربين :

الضرب الأوّل : برعاية حفظ النفس . و يسمونه بفاس أنفاس .

و طريقه أن يقول بلسان القلب عند خروج النفس صدر الكلمة الطيبة أو صدر اسم الذات و عند دخوله آخرها أو آخر اسم الذات .

و قال المشايخ : إذا أراد أن يرتقي إلى مرتبة الجبروت و تضمحل صفاته فليكثر ذكر اسم الذات لتظهر له ثمرة "تخلّقوا بأخلاق الله" . و إذا أراد أن يرتفع إلى مرتبة الهوية المطلقة الصرفة و يرتفع الشعور الإجمالي و التفصيلي فليكن ذكره "هو" لتحصل له الاستقامة في مقام "كان الله و لم يكن معه شيء" .

و الضرب الثاني : ليس له جلسة معينة .

و طريقه أن يحبس نفسه و يجرّ معدته إلى الفوق متصوّرًا اسم الذات و يحرك القلب . ثم يضع المعدة بذلك التصور . يفعل ذلك متواليًا .

فصل
في الطريقة الغزالية و وجوه أذكارها

أمّا الطريقة الغزالية فأذكارها على ثلاثة أنواع :

النوع الأوّل : النفي و الإثبات .

و النوع الثاني : اسم الجلالة .

و النوع الثالث : "هو" . و ذلك بحسب منازل السالك و هي ثلاثة : عالم الفناء ، و عالم الجذبة ، و عالم القبضة .

فيواظب أوّلًا بذكر "لا إله إلّا الله" لأن المستولى عليه عالم الوجود العدلي . و صفاته مذمومة . وكلمة "لا إله إلّا الله" خاصيتها في النفي و المحو . فما دام في عالم الفناء فإلى النفي و المحو أحوج . لأن الغالب عليه صفاته المذمومة . فإذا واظب على النفي و الإثبات ينفي وجوده و يمحو صفاته المذمومة . إلّا أن نفسه تبقى فيه . و هذا الذكر كاشف للقلوب و قرة لها .

ثم يواظب على قول "الله ، الله" لأن المستولى عليه عالم وجوده الفضلي . و صفاته المحمودة . وكلمة "الله" خاصيتها في التقوية و التنزيه و هو مفتقر إليهما . و هذا ذكر كاشف للأرواح و قوة للأرواح . فإذا حصل له هذه النعمة يترقى إلى ذكر "هو ، هو" .

و قالوا : عالم وجودك الفضلي هو الوجود النوراني ، و عالم وجودك العدلي هو الوجود الظلماني . و الأوّل بمنزلة العالم العلوي ، و الثاني بمنزلة العالم السفلي . فوجودك المذموم عدلي ، و وجودك المحمود فضلي .

و عالم النفس و البشرية و الطبع مهاد و دركات لعالم العدل ، و عالم القلب و الروح و السر معارج و درجات لعالم الفضل . فعالم القلب معراج المريدين ، وعالم الروح معراج الصديقين ، وعالم السر معراج المرادين . هذا ما قالوا .

فائدة شريفة

قال سيد المفسرين الشيخ مولانا حسين علي رحمه الله في الفيوضات الحسينية : قول بعض الذاكرين "الله ، الله" بتكرار اسم الجلالة إنما هو بتحريك الهاء في الأوّل و تسكينها في الثاني و هكذا متواليًا . ثم قال : إن ضمة الهاء في الأوّل لكون اسم الجلالة منادًى حذف حرف النداء منه و سكونها في اسم الجلالة الثاني للوقف . انتهى .

قلت : ما رأيت هذا القول لغير هذا الشيخ و هو في الظاهر نظرًا إلى مذهب جمهور النحاة خطأ . إذ المسلم المعروف عند جمهور أهل العربية أن حذف حرف النداء من اسم الجلالة لا يجوز .

إلا أن يحمل قول هذا الشيخ على مسلك الكوفية . فإنهم جوزوا حذف حرف النداء من الاسم "الله" . و قد فصّلنا هذا البحث في غير هذا الباب من هذا الكتاب ، فراجعه . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أعلى و أوسع و أتمّ .



الباب الثمانون
و هو مشتمل على سبع خصائص

من بدائع خصائص اسم "الله" أن الحقيقة المحمدية صورته . فكما أن هذا الاسم أعظم الأسماء كلها و جامع لها كذلك الحقيقة المحمدية أعظم الحقائق كلها و جامعة لها . و كل حقيقة موجودة في العالم مربوطة بالحقيقة المحمدية وجودًا و فيضًا . فلولا وجود هذه الحقيقة الفخيمة الجامعة ما وجد في العالم شيء من الموجودات . فهي رحمة للعالمين .

و أيضًا من خصائصه أن الله تعالى تجلّى على نبينا ﷺ بهذا الاسم . و لذا كان نبيّنا ﷺ أفضل الأنبياء كما أن اسم "الله" أفضل الأسماء الحسنى .

و أيضًا من خصائصه ما ذكر بعض أهل الكشف أن عيسى عليه الصلاة والسلام مظهر الاسم "الله" . و لذا كان يصدر منه ما يختص بالله تعالى كإحياء الموتى و خلق الطير بإذن الله تعالى .

و قال بعضهم : إن مظهر هذا الاسم الجليل هو آدم عليه الصلاة والسلام . و إليه الإشارة في قوله عليه الصلاة والسلام : إن الله خلق آدم على صورته .

و قيل : إن مظهر الاسم "الله" الإنسان ، أي صورته . فهذه خمس مزايا و خصائص في نوع ذوي العقول .

و أمّا في غير نوع ذوي العقول فقالوا : إن الشمس مظهر الجلالة في النجوم .

و قيل : إن أرواح جميع الأنبياء مظاهر لاسم "الله" بالواسطة . ومجموع ذلك سبع خصائص .

قال العلامة الشهاب الخفاجي رَحِمَهُ اللهُ في شرح الشفا عند قول المصنف "و قال الأشعري رَحِمَهُ اللهُ : كل آية أوتيها نبي من الأنبياء فقد أوتي مثلها نبينا ﷺ" : قيل : الحقيقة المحمدية صورة الاسم الأعظم الجامع للأسماء . فله التصرف في العوالم . و منه تستفيد و تستمد ما فيها من جهة حقيقته لا من جهة بشريته . فهو ﷺ الخليفة حقيقة . و أيّ معجزة كانت لنبي فهي معجزة لنبيّنا ﷺ أوّلًا و بالذات ثم جاءت منه لغيره . و إلى هذا أشار في البردة بقوله :

وكلُّ آيٍ أتى الرسْل الكرام بِها فَإنّما اتَّصلَتْ من نُوره بهمِ

إن الله خلق روحه ﷺ قبل الأرواح و خلع عليها خلعة النبوة . انتهى كلامه .

قال بعض العارفين : اعلم : أن لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة في العلم مسماة بالماهية و العين الثابتة . و لكل اسم منها أيضًا صورة في الخارج مسماة بالمظاهر و الموجودات العينية . و تلك الأسماء أرباب تلك المظاهر .

فالحقيقة المحمدية صورة لاسم "الله" الجامع لجميع الأشياء الإلهية الذي منه الفيض على جميعها . فالحقيقة المحمدية التي هي تربّ صور العالم كلها بالرب الظاهر فيها الذي هو رب الأرباب .

فبظاهرها تربّ ظاهر العالم و بباطنها ترب باطن العالم . لأنه صاحب الاسم الأعظم . و له الربوبية المطلقة إنما هي له من جهة مرتبته ﷺ لا من جهة بشريته . فإنه من تلك الحقيقة عبد مربوب محتاج إلى ربه سبحانه و تعالى . انتهى بحروفه .

قلت : هذا الكلام مؤول . ولا ينبغي إرادة ظاهره . و على المرء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره رَحِمَهُمُ اللهُ اتباع الكتاب والسنة والإعراض عما يخالفهما . إذ الكتاب والسنة الشاهدان العادلان في كل أمر . فتفكر . والله الهادي .

ثم قال البعض المذكور : اعلم : أن الحق تعالى تجلّى لذاته بذاته ، و شاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته ، وأراد أن يشاهدها في حقيقة تكون كالمرآة . فأوجد الحقيقة المحمدية التي هي أصل نوع الإنسان في الحضرة العالمية ، فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها وجودًا إجماليًا . ثم أوجدهم فيها وجودًا تفصيليًا ، فصارت أعيانًا ثابتة .

فأعيان العالم في العلم و العين وكمالاتها إنما حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية صلى الله على صاحبها .

ثم قال هذا البعض في معنى قول الشيخ محي الدين في فصوص الحكم "حكمة فردية في كلمة محمدية" : إنما كانت حكمة فردية لانفراده ﷺ بمقام الجمعية الإلهية الذي ما فوقه إلّا مرتبة الذات الأحدية . لأنه ﷺ مظهر لاسم الله الأعظم الجامع للأسماء كلها . و لأن أوّل ما فاض بالفيض الأقدس من الأعيان عينه الذاتية . انتهى .

و في جامع الأصول في بيان الأولياء وأنواعهم للشيخ أحمد ضياءالدين الكمشخانلي المجددي رحمه الله تعالى ص١٦٦ : و اعلم : أن اسم الجلالة و العظمة و الهيبة و يقال اسم الذات هو لفظة "الله" . و هذا الاسم الشريف موضوع للذات الإلهية باعتبار اتصافها بجميع صفات الألوهية و الأسماء و الجلال و الجمال و الكمال . و عند بعض العارفين هو اسم موضوع للذات البحت من حيث هي . لا باعتبار الاتصاف بشيء لقوله تعالى : قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . وبهذا الوضع كان أعلى من اسم الأحد و من سائر الأسماء الإلهية من حيث الرتب .

ثم إن لكل نبي من الأنبياء اسما مخصوصًا تجلّى الله عليه . و لنبينا ﷺ هذا الاسم الشريف ، و به تجلى الله تعالى عليه . فلذا كانت رتبة نبينا ﷺ أعلى من جميع رتب الأنبياء عليهم السلام ، كما كانت رتبة هذا الاسم الشريف أعلى من رتب سائر الأسماء الإلهية . انتهى كلامه .

فصل
في بيان أنّ عيسى و أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مظاهر الاسم " الله "

قال بعض أهل الكشف من الأولياء : إن عيسى عليه الصلاة والسلام مظهر اسم "الله" . و لذا كان يظهر على يده معجزات فريدة . و لذا سمي روح الله . فعيسى عليه الصلاة والسلام روح كامل مظهر للاسم "الله" صادر من اسم ذاتي لا من الأسماء الفرعية .

و يعلم من كلام هذا البعض أن أرواح جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مظاهر للاسم "الله" بتوسط تجلّيات كثيرة من سائر الحضرات الأسمائية . و لكون عيسى عليه الصلاة والسلام مظهرًا للاسم الذاتي صدرت منه عليه الصلاة والسلام أفعال خاصة بالله تعالى مثل إحياء الموتى و خلق الطير و إبراء الأبرص بإذن الله تعالى . و صرح بعضهم بأن أرواح جميع الأنبياء مظاهر للجلالة بالواسطة .

قال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في الجواهر و الدرر من علوم الشيخ علي الخواص رحمه الله تعالى ص١٢٨ : سألت شيخنا رحمه الله تعالى عن سبب تخصيص عيسى عليه الصلاة والسلام و وصفه بأنه روح الله دون غيره من الخلق .

فقال رحمه الله تعالى : ذهب الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى إلى أن سبب تخصيصه بهذا الوصف أن النافخ له من حيث الصورة الجبريلية هو الحق تعالى لا غيره . فكان بذلك روحا كاملاً مظهرًا لاسم "الله" صادرًا من اسم ذاتي . و لم يكن صادرًا من الأسماء الفرعية كغيره . ولا كان بينه و بين الله تعالى وسائط كما هي أرواح الأنبياء غير عيسى عليه الصلاة والسلام .

فإن أرواحهم و إن كانت من حضرة اسم "الله" تعالى مسمّاه لكنها بتوسط تجليات كثيرة من سائر الحضرات الأسمائية . فما سمي عيسى عليه الصلاة والسلام روح الله وكلمته إلّا لكونه وجد من باطن أحدية جميع الحضرات الإلهية . و لذلك صدرت منه الأفعال الخاصة بالله تعالى من إحياء الموتى وخلق الطير و تاثيره في الجنس العالى من الصور الإنسانية بإحيائها من القبور و في الجنس الدون كخلقه الخفاش من الطين . وكانت دعوته عليه الصلاة والسلام إلى الباطن و العالم القدسي . فإن الكلمة إنما هي من باطن اسم "الله" و هويته الغيبية .

و لذلك طهّر الله تعالى جسمه من الأقذار الطبيعية ، لأنه روح متجسدة في بدن مثالي روحاني . فإن جبريل عليه الصلاة والسلام لما نقل كلمة الله لمريم مثل ما ينقل الرسول كلام الله تعالى لأمته سرت الشهوة في مريم . فخلق جسم عيسى من ماء محقق من مريم و من ماء متوهم من جبريل . و سرى ذلك في طوية نفخ جبريل . إذ النفخ من الجسم الحيواني رطب لما فيه من ركن الماء . فخرج عيسى عليه الصلاة والسلام على صورة البشر من أجل أمه و من أجل تمثل جبريل في صورة البشر . حتى لايقع التكوين في هذا النوع إلّا على الحكم المعتاد .

فقلت لشيخنا رحمه الله تعالى : فما سبب اتخاذ قوم عيسى عليه الصلاة والسلام الصور في كنائسهم ؟

قال : لأن وجود عيسى عندهم لم يكن عن ذكر بشري . و إنما كان عن تمثّل روح في صورة بشر . فلذلك غلب عليهم التصوير في كنائسهم دون سائر الأمم . و تعبدوا لها بالتوجه إليها . لأن أصل نبيهم كان عن تمثل . فسرت تلك الحقيقة في أمته إلى الآن . فهذا كان سبب اتخاذ خلف أصول قوم عيسى المثل قصدًا منهم لتوحيد التجريد من طريق المثال . و قد اتخذ المثل غيرهم و لكن لم يغلب ذلك عليهم مثل ما غلب على قوم عيسى عليه الصلاة والسلام .

قلت : فمن أيّ سبب خرج عيسى عليه الصلاة والسلام يحي الموتى ؟

فقال رحمه الله تعالى : ذهب الشيخ أبوالسعود بن الشبلي رحمه الله تعالى إلى أن عيسى عليه الصلاة والسلام إنما خرج عليه الصلاة والسلام يحيي الموتى لأنه روح الإله . و من خصائص الأرواح أنها لا تطأ شيئًا إلاّ حيي ذلك الشيء و سرت الحياة فيه . ولهذا لما نبذ السامري قبضة من أثر فرس جبريل في العجل صوّت و خوّر . وكان السامري عالما بهذا الأمر . فكان الإحياء لله تعالى و النفخ لعيسى عليه الصلاة والسلام ، كما كان النفخ لجبريل عليه الصلاة والسلام ، و الكلمة لله تعالى .

فقلت له : فما السبب في كون عيسى عليه الصلاة والسلام كان الغالب عليه التواضع ؟

فقال رحمه الله تعالى : ذكر الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى أن عيسى عليه الصلاة والسلام إنما غلب عليه التواضع من جهة أمه . إذ المرأة لها السفل ، فلها التواضع ، إذ هي تحت الرجل حسًّا ومعنًى . وسرى هذا التواضع في الخواص من أمته . و إذا نزل آخر الزمان يشرع لهم كما شرع قبل رفعه أن لا يطالب أحدهم بحق ولا قصاص ، و لا يرتفع على من ظلمه .

و أمّا ما كان له من الشدة و إحياء الموتى فهو من جهة نفخ جبريل في صورة البشر . و لذلك كان عيسى عليه الصلاة والسلام لا يحيي الموتى إلاّ حتى يتلبس بتلك الصورة و يظهر بها . و كذلك لو أتاه بصورته النورية الخارجة عن العناصر و الأركان لكان عيسى عليه الصلاة والسلام لا يحيي الموتى إلاّ حتى يظهر في تلك الصورة الطبيعية لا العنصرية مع الصورة البشرية من أجل أمه . فكان يقال فيه عند إحيائه الموتى : هو لا هو . و تقع الحيرة في النظر إليه .

و مثل ذلك هو الذي أوقع الخلاف بين الملل و أدّى بعضهم إلى اعتقاد الحلول فيه أو الاتحاد . فإن من نظر فيه من حيث صورته البشرية قال : هو ابن مريم . و من نظر فيه من حيث الصورة الممثلة البشرية قال : هو ابن جبريل . و من نظر فيه من حيث إحياء الموتى قال : هو روح الله و كلمته .

فقلت له : فما كان سبب استعاذة مريم من جبريل حين تمثل لها بشرًا سويًّا ؟

قال رحمه الله تعالى : لأنها تخيلت أنه يريد مواقعتها . فلذلك استعاذت بالله تعالى منه استعاذة كاملة بكلية وجودها و همتها ليخلصها الله تعالى منه ، لما كانت تعلم أن ذلك قبيح . فكان حضورها مع الله هو الروح المعنوي . لأنه نفس عنها الحرج الذي كان . كما قال صلى الله عليه وسلم : إن نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن . فكانت الأنصار .

ثم قال رحمه الله تعالى : لو أن النفخ في الصور فرج قميص مريم وقع من جبريل في هذه الحالة لخرج عيسى عليه الصلاة والسلام لا يطيقه أحد لشكاسة خلقه مشابهًا لأمه حال ضيقها وحرجها . فلما أمنها جبريل بقوله "إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا" انبسطت عن ذلك القبض ، و انشرح صدرها . فنفخ فيها ذلك الحين . فخرج عيسى عليه الصلاة والسلام في غاية التواضع . انتهى كلام الشعراني باختصار .

فصل
في توضيح كون صورة الإنسان مظهر الاسم "الله"

قال بعض أهل السلوك والكشف من الصالحين : إن صورة الإنسان بنوعه مَظهر الاسم "الله" الأعظم . و لذا قال تعالى : لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . كما أن اسم "الله" تعالى مسمّاه مجمع المحاسن الأسمائية كذلك صورة الإنسان مجمع محاسن الصور كلها . فجمعت كمال كل صورة يقتضيه طبع الصورة .

و بعض أهل الطريقة من العارفين خصص فقال : أوّل الإنسان أي آدم على نبينا و عليه الصلاة والسلام هو الذي جعله الله مَظهرًا للاسم "الله" . و إليه الإشارة في قوله عليه الصلاة والسلام : إن الله خلق آدم على صورته . و الضمير في "صورته" لله تعالى . و الإضافة للتشريف و التبجيل . مثلها في قولنا

"بيت الله" و "كعبة الله" و "شهر الله" .

فصورة الإنسان الكامل مجمع الكمالات . وهي العالم الأصغر و تتضمن جميع المعاني . فكل ما ظهر في العالم الأكبر ظهر في مختصره و في عالمه الأصغر كالمرآة ، فإنها على صغرها تجمع محاسن المرئي على كبره . كما قال :

أتحسب أنك جِرمٌ صغير و فيك انطوى العالم الأكبر

فهذه خمسة أقوال في مَظهر الاسم "الله" في ذوي العقول :

الأوّل : أنه محمد ﷺ و الحقيقة المحمدية .

و الثاني : عيسى عليه الصلاة والسلام .

و الثالث : صورة الإنسان بنوعه .

و الرابع : آدم عليه الصلاة والسلام .

و الخامس : أرواح جميع الأنبياء مظاهر للجلالة .

قال العبد الضعيف البازي : يمكن الجمع والتطبيق بين هذه الأقوال الخمسة بأن يقال : إن مظهر الاسم "الله" آدم عليه الصلاة والسلام وهو أبو النوع الإنساني ، و صورته صورته . فصح نسبة المظهرية إلى نوع الإنسان و صورته أيضًا .

ثم إنّ نبينا ﷺ أفضل أولاد آدم وأحسنهم خَلقًا و خُلقًا . بل خلقوا لأجل خلقه . و منح آدم عليه الصلاة والسلام وأولاده هذه الصورة الحسنة وصاروا مظاهر للاسم "الله" ببركة نبينا ﷺ . إذ لولا نبينا عليه الصلاة والسلام لما كان الإنسان ، ولا كانت هذه الأرض والسماوات كما روي في الخبر القدسي : لولاك لما خلقت الأفلاك . و هذا الخبر و إن كان منكرًا لفظًا لكن معناه صحيح ، كما صرّح به القاري وغيره من المحدّثين .

فمظهر الاسم "الله" في الحقيقة نبينا ﷺ و بواسطته نسبت المظهرية إلى آدم و نوع الإنسان .

ثم عيسى عليه الصلاة والسلام يشبه آدم عليه الصلاة والسلام . إذ خلق من غير أب ، كما أن آدم خلق من غير أب و أم . ولذا قال تعالى : **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ** . فصار عيسى عليه الصلاة والسلام أيضًا مظهرًا للجلالة

بسبب هذه المشابهة .

و لمّا كان نبينا ﷺ هو المظهر حقيقة عند بدء خلقه كان الله يتجلى بهذا الاسم الأعظم على نبيّنا ﷺ دون غيره من الأنبياء بعد خلقه في حياته و مماته .

ثم بواسطة روح نبينا ﷺ أصبحت أرواح جميع الأنبياء مظاهر للجلالة . لأن نبوتهم مستمدة من نبوة نبيّنا ﷺ و مستنيرة منها . و هذا البيان في جمع هذه الأقوال و التطبيق بينها حسن نفيس .

و يستأنس لما قلت ما حكى الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في طبقات الأولياء ج٢ ص١٥٢ عن شيخه و أستاذه الشيخ علي الخواص صاحب الكشف رحمه الله تعالى : أن المظاهر ثلاثة : محمد و آدم و عيسى عليهم الصلاة والسلام . و هذه عبارة الإمام الشعراني رحمه الله تعالى ، قال :

وسمعت شيخي رحمه الله تعالى يقول لأخي أفضل الدين رحمه الله تعالى : مظاهر العوالم ثلاثة : آدم و عيسى و محمد عليهم الصلاة والسلام . فآدم عليه الصلاة والسلام خصيص بالأسماء ، و عيسى عليه الصلاة والسلام خصيص بالصفات ، و محمد عليه الصلاة والسلام خصيص بالذات .

فآدم عليه الصلاة والسلام فاتق لرتق المسمّيات و المقيدات بصورة الأسماء ، و عيسى عليه الصلاة والسلام فاتق لرتق الصفات البرزخيات بصورة الصفات ، و محمد ﷺ فاتق لرتق الذات و راتق لسرّ الأسماء و الصفات .

إذ الخصيص بالمظهر الآدمي الآثار الكونية . ولذلك ظهرت عجائبه و تنوعت حقائقه و رقائقه . و الخصيص بالمظهر العيسوي المعارف الإلهية و الكشوفات البرزخية و التنوعات الملكية و النفثات الروحية . و الخصيص بالمظهر المحمدي سرّ الجمع و الوجود و الإطلاق في الصفات و الحدود لعدم انحصاره بحقيقة أو تلبسه بقيد . فإن سرّه جامع و مظهره لامع .

و قد ولج هؤلاء الأفراد الثلاثة كل واحد في عالمه المختص به في هيكله الذي هو عليه الآن . ولم يكن ذلك لغيرهم . فإن آدم عليه الصلاة والسلام تحقق ببرزخيته أوّلاً قبل نزوله إلى هذا العالم . وعيسى عليه الصلاة والسلام كذلك . و إلى الآن في المحل الذي ولجه آدم عليه الصلاة والسلام مع ما اختص به من الصفات و إحاطتها من عوالم الأسماء . و لذلك طال مكثه ضعفي ما مكثه آدم عليه الصلاة والسلام في جنته .

و أمّا محمد عليه الصلاة والسلام فقد ولج العوالم الثلاثة إذ هو مظهر سرّ الجمع و الوجود . حيث أسرى به

من عالم الأسماء الذي أوّله مركز الأرض و آخره السماء الدنيا . ثم ولج البرزخ باستفتاحه السماء الدنيا إلى انتهاء السابعة . ثم ولج ما فوقها باستفتاحه عالم العرش إلى ما لايمكن التعبير عن نهايته . و لذلك ادّخر ﷺ دعواته و معجزاته الخصيصة به لذلك اليوم المطلق الذي لا يسعه غيره . انتهى بلفظه .

ثم لنرجع إلى إيضاح كون آدم عليه الصلاة والسلام أو نوع الإنس مَظهر الجلالة .

قال الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام "خلق آدم على صورته": اعلم : أن كل ما يتصور المتصور فهو عينه ، أي من وجه الصورة العلمية . فإنه ليس بخارج عنه . لأن صورة المعلوم تقوم بالعالم . و لابد للعالم أن يكون متصورًا للحق على ما يظهر عينه . و الإنسان الذي هو آدم عبارة عن مجموع العالم . فإنه الإنسان الصغير و هو المختصر من العالم الكبير .

و العالم ما في قوة إنسانٍ حصره في الإدراك لكبره و عظمه . و الإنسان صغير الحجم يحيط به الإدراك من حيث صورته و تشريحه . و بما يحمله من القوى الروحانية . فرتب الله فيه جميع ما خرج عنه مما سوى الله تعالى . فارتبطت بكل جزء منه حقيقة الاسم الإلهي التي أبرزته وظهر عنها . فارتبطت به الأسماء الإلهية كلها لم يشذ عنه منها شيء .

فخرج آدم على صورة الاسم "الله" إذ كان هذا الاسم يتضمن جميع الأسماء الإلهية . كذلك الإنسان و إن صغر جرمه فإنه يتضمن جميع المعاني ، و لو كان أصغر مما هو . فإنه لايزول عنه اسم الإنسان . كما جوّزوا دخول الجمل في سم الخياط . وإن ذلك ليس من قبيل المحال . لأن الصغر والكبر العارضين في الشخص لا يبطلان حقيقته ولا يخرجانه عنها .

و القدرة صالحة أن تخلق جملاً يكون من الصغر بحيث لايضيق عنه سم الخياط . فكان في ذلك رجاء لهم أن يدخلوا جنة النعيم .

كذلك الإنسان و إن صغر جرمه عن جرم العالم فإنه يجمع جميع حقائق العالم الكبير . و لهذا يسمي العقلاء العالم إنسانا كبيرًا . ولم يبق في الإمكان معنى "شاء الله ظهوره" إلّا و قد ظهر في العالم . فقد ظهر في مختصره . و العلم تصوُّر المعلوم . و العلم من صفات العالم الذاتية . فعلمه صورته . و عليها خلق آدم . فآدم خلقه الله على صورته .

و هذا المعنى لا يبطل لو عاد الضمير على آدم . و تكون الصورة صورة آدم علمًا . و الصورة الآدمية حسًّا مطابقة للصورة . فاعتبر الله في هذه العبارة التخيل . و إذا أدخل سبحانه نفسه في التخيل . فما ظنك بمن سوى الحق من العالم . وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل عليه السلام : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه . فهذا تنزيل خيالي من أجل كاف التشبيه . و انظر من كان السائل و من كان المسئول و مرتبتهما من العلم بالله . ولم يكن بأيدينا إلّا الأخبار الواردة بالنزول و المعية و اليدين واليد و العين والأعين و الرجل و الضحك و غير ذلك مما ينسب الحق إلى نفسه .

و هذه صورة آدم قد فصلها في الأخبار و جمعها في قوله : خلق الله آدم على صورته . فالإنسان الكامل ينظر بعين الله و هو قوله : كنت بصره الذي يبصربه . الحديث . كذلك يتبشبش بتبشبش الله ، و يضحك بضحك الله ، و يفرح بفرح الله ، ويغضب بغضب الله ، و ينسى بنسيان الله . قال تعالى : نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ .

فهذا الوجه الذي يليق بجواب سؤال هذا السيد . فلو سأل مثل هذا السؤال فيلسوف إسلامي أجبناه بأن الضمير يعود على آدم . أي إنه لم ينتقل في أطوار الخلقة انتقال النطفة من ماء إلى إنسان خلقًا بعد خلق . بل خلقه الله كما ظهر . و لم ينتقل أيضًا من طفولة إلى صبى إلى شباب إلى كهولة . ولا انتقل من صغر جرم إلى كبره كما ينتقل الصغير من الذرية . بهذا يجاب مثل هذا السائل . فلكل سائل جواب يليق به . انتهى كلامه . فتوحات ج٢ ص١٢٤ .

و قال أيضًا في الباب الثامن والثمانين ومائتين منها ج٢ ص٢٤١ : ثم لتعلم أنك من جملة أسمائه تعالى بل من أكملها اسمًا . حتى أن بعض الشيوخ و هو أبويزيد البسطامي سأله بعض الناس عن اسم الله الأعظم . فقال : أروني الأصغر حتى أريكم الأعظم . أسماء الله كلها عظيمة . فاصدق و خذ أيَّ اسم إلهي شئت .

و لقيت الشيخ أبا أحمد بن سيدبون رحمه الله بمرسية . وسأله إنسان عن اسم الله الأعظم . فرماه بحصاة يشير إليه أنك اسم الله الأعظم . و ذلك أن أسماء الله وضعت للدلالة . فقد يمكن فيها الإشتراك . و أنت أدل دليل على الله تعالى و أكبره . فلك أن تسبحه بك .

فإن قلت : و هكذا في جميع الأكوان .

قلنا : نعم . إلّا أنك أكمل دليل عليه و أعظمه من جميع الأكوان ، لكونه سبحانه خلقك على صورته و جمع لك بين يديه .

فإن قلت : فقد وصف نفسه بالعظمة .

قلنا : و قد وصفك بالعظمة و ندبك إلى تعظيمك . فقال : وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ . و أنت أعظم الشعائر . فيتضمن قوله تعالى "فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ" أن تنزهه بوجودك و بالنظر في ذاتك فتطلع على ما أخفاه فيك من قرة أعين .

فأنت اسمه العظيم . ومن كونك على صورته ثبتت العلاقة بينك وبينه . فقال : يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ . والمحبة علاقة بين المحب والمحبوب . ولم يجعلها إلّا في المؤمنين من أصحابه .

فالإنسان محل الجمع لصورة الحضرة الإلهية و لصورة العالم الكبير ، لكونه مَظهرًا للاسم "الله" الأعظم . ثم إن الله تعالى لمّا خلق العقل الأوّل أعطاه من العلم ما حصل له به الشرف على من هو دونه . و مع هذا ما قال فيه : إنه مخلوق على الصورة . مع أنه مفعول إبداعي كما هي النفس مفعول انبعاثي .

فلما خلق الله الإنسان الكامل أعطاه مرتبة العقل الأوّل و علّمه ما لم يعلمه العقل من الحقيقة الصورية التي هي الوجه الخاص له من جانب الحق . و بها زاد على جميع المخلوقات . و بها كان المقصود من العالم . فلم تظهر صورة موجود إلّا بالإنسان . و العقل الأوّل على عظمه جزء من الصورة . و كل موجود ما عدا الإنسان إنما هو في البعضية .

و لهذا ما طغى أحد من الخلائق ما طغى الإنسان ، و علا في وجوده فادعى الربوبية . و أكبر العصاة إبليس و هو الذي يقول : إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ . عند ما يكفر الإنسان إذا وسوس في صدره بالكفر . و ما ادّعى إبليس قط الربوبية . و إنما تكبر إبليس على آدم لا على الله تعالى . فلولا كمال الصورة في الإنسان ما ادّعى الربوبية .

فطوبى لمن كان على صورة تقتضي له هذه المنزلة من العلو و لم تؤثر فيه ولا أخرجته من عبوديته .

فتلك العصمة التي حبانا الله بالحظّ الوافر منها في وقتنا هذا . فالله يبقيها علينا فيما بقي من عمرنا إلى أن نقبض عليه أنا و جميع إخواننا . و من هذا المنزل تعرف عقوبة من لم يعرف قدره و جاز حده و احتجب بالصورة عما أراد الحق منه في خلقه بما أخبر به في شريعته فقال : وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . انتهى كلام الشيخ باختصار .

فصل
في بيان مظهر الاسم "الله" في النجوم

الأقوال المتقدمة في بيان مَظهر الاسم "الله" الكريم إنما هي في أشرف الخلق الذي هو نوع الإنسان .

و أمّا في عالم الكواكب و النجوم فقال بعض أهل السلوك و الكشف : إن الشمس مظهر الاسم "الله" و لكون هذا الاسم الكريم أشرف الأسماء و أجمعها و أشهرها كانت الشمس أظهر النجوم و أشرفها و أضوأها و أشهرها و أكبرها . و كانت منبع الأنوار . فإن جميع السيّارات تستنير منها .

قال الشيخ عبدالكريم رحمه الله في الإنسان الكامل ج٢ ص٧٨ : الشمس مظهر اسمه "الله" لأنها المِمدّة بنورها جميع الكواكب ، كما أن الاسم "الله" تستمد جميع الأسماء حقائقها منه .

و القمر مظهر اسمه "الرحمن" لأنه أكمل كوكب يحمل نور الشمس ، كما أن الاسم "الرحمن" أعلى مرتبة في الاسم "الله" من جميع الأسماء كما سبق بيانه في بابه .

و المشتري مظهر اسمه "الربّ" لأنه أسعد كوكب في السماء ، كما أن اسم "الربّ" أخص مرتبة في المراتب لشموله كمال الكبرياء لاقتضائه المربوب .

و أمّا زحل فمظهر الواحدية ، لأن كل الأفلاك تحت حيطته ، كما أن الاسم الواحد تحته جميع الأسماء و الصفات .

و أمّا المريخ فمظهر القدرة ، لأنه النجم المختص بالأفعال القهارية .

و أمّا الزهرة فمظهر الإرادة ، لأنه سريع التقلب في نفسه . فكذلك الحق يريد في كل آن شيئًا .

و أمّا عطارد فمظهر العِلْم ، لأنه الكاتب في السماء .

و بقية الكواكب المعلومة مظاهر أسمائه الحسنى التي تدخل تحت الإحصاء . وما لا يعلم من الكواكب الباقية فإنها مظاهر أسمائه التي لا يبلغها الإحصاء . انتهى كلامه .

و قال في الباب الثاني و الستين منه : إن القمر مظهر اسمه تعالى "الحي" و عطارد مظهر اسمه "القدير" و الزهرة مظهر اسمه "العليم" و المريخ مظهر العظمة الإلهية و الانتقام . و المشتري مظهر القيومية و منظر الديمومية . هذا . والله أعلم بحقائق الأسماء الحسنى و بمظاهر صفاته العليا و بعجائب المكوَّنات و بدائع الموجودات و المخلوقات ، و علمه أجلّ و أدقّ و أعلى و أكمل .



الباب الحادي و الثمانون

من خصائص الجلالة أن كل شيء من جماد و نبات و غيرهما أو أكثر ذلك يذكرها دائمًا أو في أكثر الأوقات مفردًا و يقول : الله ، الله . أو مركبًا مع كلمة أخرى . و هذا أمر يعرفه ذوبصيرة صافية ، و يطلع عليه من منحه الله فتحًا و كشفًا .

فكل مخلوق و لو كان جمادًا أو نباتًا أو مائعًا و نحو ذلك ذاكر لله سبحانه عاقل يعقل خالقه و ما ينفعه و عالم بربّه و بعبادته و مطيع لأمره و نهيه .

و أمّا كون الجمادات و المائعات و النباتات و الحيوانات معدودة عند الناس في غير العقلاء ، و محسوبة عندهم فيما سوى ذوي العلم . فذلك إنما هو باعتبار الظاهر دون الحقيقة ، و بالنظر إلى حكم عُرف العوام لا بالنظر إلى الواقع و نفس الأمر ، و بالنسبة إلينا لا بالنسبة إلى الله عزّ و جلّ . إذ هذه الأشياء من الجمادات و النباتات و غيرها باعتبار الحقيقة و بالنظر إلى الواقع و نفس الأمر و بالنسبة إلى ربّها و خالقها من قبيل ذوي العلم و ذوي الألباب و من قبيل الذاكرين الله كثيرًا .

قال الشيخ العارف الكبير عبدالعزيز الدباغ رحمه الله تعالى : كم مرة أذهب لأقضي حاجتي في بيت الوضوء فأرجع من غير قضائها ، لما أسمع من ذكر الماء لاسم الجلالة . انتهى .

و أيضًا كان يقول الشيخ الدباغ رحمه الله تعالى : كل مخلوق يقول : الله ربّي . و هذا القول سارٍ في كل مخلوق غير خال عنه شيء من المخلوق .

قال تلميذه ابن المبارك رحمه الله تعالى نقلاً عنه رحمه الله تعالى : إن للأرض عِلمًا هي حاملة لهذا العلم و عارفة به كما يحمل أحدنا كتاب الله عزوجل و يعرفه . و كذا لكل مخلوق من الجمادات عِلم هو حامل له .

فقلت : فتكون عاقلة عالمة . كيف و هي جماد ؟

فقال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : إنما كانت جمادًا في أعيننا . و أمّا بالنسبة إلى خالقها سبحانه فهي به تعالى عارفة . قال : وما خلا مخلوق أيّ مخلوقٍ كان عن قوله "الله ربّي" فهي سارية في كل مخلوق . و كذا ما خلا مخلوق أيّ مخلوقٍ كان عن الخضوع لخالقه سبحانه و الخوف منه و الخشية له و الوجل من سطوته . و الناس يظنون حيث وجدوا أنفسهم جاهلين بما عليه الأرض و غيرها من الجمادات أنهم يمشون على جماد و يجيئون و يذهبون على موات . و ذلك هو الذي أخلاهم و أهلكهم .

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : ولو علم الناس ما عليه الأرض ما أمكن أحدًا أن يعصي الله تعالى عليها أبدًا .

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : و قد كنت قبل أن يفتح عليّ مع سيدي محمد اللهواج رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ، و كان مفتوحًا عليه ، فخرج معي إلى العين السخونة بناحية خولان نقطع البلح الذي في النخل الكائنة هناك المحبسة على ضريح سيدي عليّ بن حرزهم . قال : فمررنا على دار ابن عمر المعروفة خارج باب الفتوح أحد أبواب بلدة فاس حرسها الله ، و هناك عين تجري ، فأخذت السنارة و جعلت فيها خبزًا و أردت اصطياد الحوت لكثرته بتلك العين ، فأبى عليّ سيدي محمد .

فحلفت لأصطادنّه . فذهب معي إلى العين ، فرميت السنارة فيها . و بقرب عنصر الماء حجرة كبيرة ، فسمعتها تقول بالصياح "الله ، الله" فما فرغت العين حتى صاح كل حجر هناك ، ثم صاح كل حوت هناك ، إلاّ الذي أكل الطعام الذي في السنارة . و معنى ذلك الصياح "الله ، الله" : أما تتقي الله يا من اشتغل بالاصطياد .

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : فدخلني من الخوف و الرعب في تلك الساعة ما يختار الواحد عليه أن لو ربط في حبل . ثم رفع إلى أعلى مكان و جعل في خازوق على كلاب حتى يخرج منه .

فقلت : و بم حصل لكم هذا الأمر الشديد .

فقال : كما إذا كان شخص لم ير ثورًا قط و لا سمع به ثم مسح له على عينيه فوجد نفسه بين يدي ما لا يحصى من الثيران كيف يكون حاله ؟

فقلت : فكأنكم تقولون : إن الذي حصل لكم من الخوف إنما حصل من خرق العادة .

فقال : نعم . إنما حصل لنا ذلك من مشاهدة ذلك الخارق للعادة .

فقلت : و هل سمعتم قولها السابق الخارق للعادة بلغة العرب أم بلغة الجمادات ؟

فقال رحمه الله تعالى : بلغة الجمادات . و لها لغات و ألسن تليق بذواتها و جماداتها . و سماعنا لها يكون بالذات كلها لا بالأذن التي في الرأس فقط .

ثم قال : و هذا المشهد إنما يكون للولي في حال بدايته . و أمّا بعد ذلك فإنما يشاهد الفعل من الخالق سبحانه . فيشاهد الخالق سبحانه يخلق فيها كلامًا و تسبيحًا و غير ذلك مما يكون فيها . و يشاهدها ظروفًا خاوية و صورًا فارغة .

فقلت : و هذا لا يختص بها . بل يكون له هذا الشهود حتى في بني آدم و غيرهم من العقلاء .
فقال رحمه الله تعالى : نعم . لا فرق في شهوده بين الجميع .

قال رحمه الله تعالى : وما ذكرناه من حال الجمادات في معرفتها بخالقها سبحانه إنما يعرفه رجل خرج عن عالم السموات و الأرض و تباعد عنه حتى صار ينظره كالكرة بين يديه . ثم ينظر إليه بالنظر القوي الخارق الذي لا أعرف اليوم من ينظر به إلّا أن يكون ثلاثة من الناس . فإذا نظر بذلك النظر القوي رأى ما قلناه عيانًا ، و رأي كل مخلوق لله تعالى من هذه الجمادات إمّا ساجدًا له عزّوجلّ ، و إمّا قائمًا منكس الرأس من خشيته على هيئة الراكع . و أوّل ما يرى على هيئة الراكع الأرض بنفسها . والله تعالى أعلم .

و قال أيضًا : كنت ذات يوم خارج باب الفتوح بناحية ضريح سيدي أحمد اليمني رحمه الله تعالى جالسًا تحت زيتونة . فبينما أنا كذلك إذا بجميع الحجر صغيره و كبيره والأشجار والأغصان تسبح الله تبارك وتعالى بلغاتها . فكدت أهرب مما سمعت . قال : و جعلت أصغي إلى بعض الحجر فأسمع منه أصواتًا عديدة . فقلت : حجر واحد و له أصوات عديدة . فتأملته فإذا هو معجون اجتمعت فيه عدة أحجار . فلذلك تعددت الأصوات فيه . انتهى .

قال الشيخ المحقق أحمد بن المبارك رحمه الله تعالى : و حصل لشيخنا عبدالعزيز الدباغ رحمه الله تعالى هذا المقام أوائل فتحه . و قريب من هذا ما سمعته منه رحمه الله تعالى يذكر في شأن العجماوات من الحيوانات .

فسمعته رَحِمَهُ اللهُ يقول : إن الثور إذا رأى ثورًا آخر تكلّم معه فيما وقع له في سائر يومه . فيقول له : رعيت عشبة كذا وكذا . و شربت ماء كذا وكذا ، و بقي في خاطري كذا و كذا . فيجيبه الآخر بمثل ذلك . و يتحدثان بما شاء الله . و في كلامهما تقطيع و تقدير بمنزلة الحروف و المخارج في كلامنا . و لكن ذلك محجوب عنّا . و كذا كلام سائر الحيوانات و الأشجار و الأحجار ، كما أنه حجب عنها سماع كلامنا بمخارجه و حروفه المقطعة ، بل لا يسمعون منه إلّا صياحًا و أصواتًا .

و أمّا من فتح الله عليه فإنه يسمع كلامها و يفهم معناه ، و يعرف التقطيعات التي فيه . و فهمه له بالروح ، و الروح تعرف المقاصد و الأغراض قبل النطق بها . و ما دمت لم تر مفتوحًا عليه من العجم و مفتوحًا عليه من العرب و هما يتحدثان سائر يومهما يتكلم هذا بعجميته و يجيبه الآخر بعربيته فإنك لم تر شيئًا .

فائدة في بيان أنّ كل شيء يسبّح الله تعالى

اعلم : أنّه قد حصحص من البيان المتقدّم المبني على مكاشفة بعض أهل الله الصالحين أن الجمادات و النباتات و المائعات و الحيوانات كلها أو معظمها تذكر الله تعالى باسمه الأعظم ، وهو "الله" مفردًا أو مركبًا ، و أنها مشتغلة بهذا النوع من ذكر الله عزّ و جلّ .

و هذا القدر يكفينا في هذا الباب و هو الذي يهمّنا . إذ لأجل إثبات هذا النوع من ذكر الله عقدنا هذا الباب ههنا . كيف و نحن في هذا الكتاب بصدد خصائص الاسم "الله" .

و أمّا مطلق ذكر الله تعالى و تسبيحه عزّ و جلّ بأيّ اسم من الأسماء الحسنى كان و بأيّ طريق من طرق ذكر الله ثبت فإثباته للمخلوقات كلها أظهر و أبين من فلق الصبح و أوضح من فرق الصديع و مستيقن لا ينبغي أن يرتاب فيه أحد .

كيف وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة المرفوعة وفي كتاب الله تعالى أن كل شيء من مخلوقات الله من قبيل ذوي العِلم و العقل حسبما يناسبه . فهو يعقل ربّه و خالقه و يخافه و يذكره ويسبّحه مستمرًّا و يخشع له و يخاف عقابه و سخطه .

فالأشياء كلها بالنسبة إلى الله تعالى من نوع ذوي العِلم و أصحاب العقول و أهل النطق ، و إن كنّا نجهل حقيقة علمها و كنه عقلها و أصل نطقها و كيفية ذكرها لله تعالى .

و **الدليل** على ذلك قوله تعالى : تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا . الإسراء . والظاهر من هذه الآية أن كل شيء يسبح الله تعالى و يحمده حمدًا قاليًّا و تسبيحًا قاليًّا لا حاليًّا فقط .

و قد ورد في هذا الموضوع أحاديث كثيرة مرفوعة و موقوفة . فأخرج أبوالشيخ عن أنس رضي الله عنه قال : أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام ثريد فقال : إنّ هذا الطعام يسبح . فقالوا : يا رسول الله ! و تفقه تسبيحه ؟ قال : نعم . ثم قال لرجل : ادن هذه القصعة من هذا الرجل . فأدناها . فقال : نعم ، يا رسول الله ! هذا الطعام يسبح . فقال : ادنها من آخر . فأدناها منه فقال : يا رسول الله ! هذا الطعام يسبّح . ثم قال : ردّها . فقال رجل : يا رسول الله ! لو أمرت على القوم جميعًا . فقال : لا . أنها لو سكتت عند رجل لقالوا من ذنب . ردّها . فردَّها .

و أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كُنّا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نعدّ الآيات بركة ، و أنتم تعدّونها تخويفًا . بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معنا ماء . فقال لنا : اطلبوا من معه فضل ماء . فأتي بماء فوضعه في إناء . ثم وضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه . ثم قال : حيَّ على الطهور المبارك و البركة من الله تعالى . فشربنا منه . قال عبد الله : كنّا نسمع صوت الماء و تسبيحه وهو يشرب .

و أخرج أحمد و ابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن نوحًا عليه الصلاة والسلام لما حضرته الوفاة قال لابنيه : آمركما بسبحان الله و بحمده . فإنّها صلاة كل شيء و بها يرزق كل شيء .

و أخرج النسائي و أبوالشيخ و ابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع و قال : نقيقها تسبيح .

و أخرج ابن أبي الدنيا و ابن أبي حاتم و البيهقي في الشعب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ظن داود عليه الصلاة والسلام في نفسه أن أحدًا لم يمدح خالقه بما مدحه . و إنّ ملكا نزل و هو قاعد في المحراب و البركة إلى جانبه . فقال : يا داود ! افهم إلى ما تصوت به الضفدع . فأنصت داود . فإذا الضفدع

تمدحه بمدحة لم يمدحه بها . فقال له الملك : كيف ترى يا داود ! أفهمت ما قالت ؟ قال : نعم . قال : ماذا قالت ؟ قال : قالت : سبحانك و بحمدك منتهى علمك يا ربّ . قال داود : لا والذي جعلني نبيّه أني لم أمدحه بهذا .

و أخرج أحمد في الزهد و أبوالشيخ عن شهر بن حوشب من حديث طويل أن داود عليه الصلاة والسلام أتى البحر في ساعة فصلّى . فنادته ضفدعة : يا داود ! إنك حدّثت نفسك أنك قد سبّحت في ساعة ليس يذكر الله تعالى فيها غيرك . و إني في سبعين ألف ضفدع كلها قائمة على رِجل نسبّح الله و نقدّسه .

و أخرج أبونعيم في الحلية و ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما صِيد من صيد ولا وشج من وشج إلّا بتضييعه التسبيح .

و **نقل الشعراني** عن شيخه الخوّاص رحمهما الله أنه قال : كل جماد يفهم الخطاب و يتألّم كما يتألّم الحيوان .

و **قال** الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى : إن المسمّى بالجماد و النبات له عندنا أرواح بطنت عن إدراك غير الكشف إياها في العادة . فالكل عندنا حيّ ناطق غير أن هذا المزاج الخاص يسمّى إنسانًا لا غير بالصورة . و وقع التفاصل بين الخلائق في المزاج . و الكل يسبح الله تعالى كما نطقت الآية به . ولا يسبح إلّا حيّ عاقل عالم عارف بمسبَّحه . و قد ورد أن المؤذّن يشهد له مدى صوته من رطب و يابس .

و **في نفحات الأنس** للشيخ الجامي رحمه الله تعالى ص١٢٧ في ترجمة الشيخ محمد بن خالد الآجري رحمه الله تعالى : قال محمد بن خالد الآجري : كنت مشغولاً بعمل الآجرّ . فيومًا مشيت بين اللبِنات . قال : فسمعتُ لبنة تقول للبنة أخرى : السلام عليك . في هذه الليلة أدخل في النار . فمنعت الخدّام أن يُدخلوا شيئًا منه النار . و تركت بعد ذلك هذه الصنعة . انتهى كلامه .

و محمد بن خالد الآجري هذا كان من الصالحين و من كبار أهل الطريقة رحمهم الله تعالى . هـذا . والله أعلم بالصواب و إليه المتاب و علمه أجلّ و أعلى و أدقّ .

الباب الثاني و الثمانون

من خصائص الاسم " الله " أنه الحضرة المهيمنة على جميع الأسماء الحسنى ، و أنه حضرة الجمع ، و أن جميع الأسماء اجتمع لديه قبل خلق الممكنات طالبة منه إظهار مظاهرها لتظهر أحكام الأسماء الإلهية و مظاهرها الممكنات .

حاصل المرام أنهم صرحوا بأن الأكوان آثار أسماء الله الحسنى و مظاهرها . فالعالم بقضه و قضيضه أظلال للأسماء و لأحكامها . فالأسماء الإلهية طلبت الموجودات لتظهر فيها أحكامها و خواصها و حقائقها و معانيها ، و تتميز أعيان الأسماء بآثارها .

و الأدخل في إيجاد الأشياء الاسم "البارئ" و نحو ذلك ، ثم القادر ، ثم المريد ، ثم العالم . و لذا لجأت الأسماء الإلهية أوّلًا إلى الاسم "الباري" و طلبت منه خلق الخلق لتتميز به أعيان الأسماء الربانية الإلهية و تبدو آثارها .

فأخبرها الاسم "الباري" بأنه عاجز عن ذلك ، و دلّ "الباري" الأسماء الربانية على الاسم "القادر" فأتت إلى الاسم القادر و طلبت منه ذلك . فاعترف بالعجز ، و هداها إلى الاسم "المريد" فجاءت إليه و طلبت منه خلق الخلق . فأقرّ بالضعف عن القيام بهذا الأمر الكبير ، و أمرها بالمصير إلى الاسم "العالم" فلما صارت إليه الأسماء الإلهية نبأها أنه ضعيف عن تحمُّل هذا الأمر . و قال لها :

عليكم بالاسم "الله" الاسم الأعظم . فحضرت الأسماء بين يدي الاسم "الله" فقال لها : إني اسم جامع لحقائقكم و إني دليل على مسمّاي وهو الله تعالى . فدخل على الذات المقدسة وسألها خلق الممكنات و استأذن في ذلك . فأذن الله تعالى . ثم ظهر العالَم و ما فيه ، و بدت حقائق الأسماء و مظاهرها و قضى

كلٌّ حاجته .

هذه خلاصة ما ذكره بعض العارفين و أصحاب الطريقة . فتفكر فيه فإنه طور وراء طور العلم الظاهر . فعليك بالتجريد لتفهم .

قال الشيخ الحاتمي رحمه الله في الفتوحات ج١ ص٣٢٣ : ثم إنه لما علمنا من وجودنا و افتقارنا و إمكاننا أنه لابد لنا من مرجّح نستند إليه و أن ذلك المستند لابد أن يطلب وجودنا منه نسبًا مختلفة كنى الشارع عنها بالأسماء الحسنى . فسمي بها من كونه متكلمًا في مرتبة وجوبية وجوده الإلهي الذي لا يصح أن يشارك فيه . فإنه إله واحد لا إله غيره .

فأقول بعد هذا التقرير في ابتداء هذا الأمر و التأثير و الترجيح في العالم الممكن : إن الأسماء اجتمعت بحضرة المسمى و نظرت في حقائقها و معانيها فطلبت ظهور أحكامها حتى تتميز أعيانها بآثارها .

فإن الخالق الذي هو المقدر و العالم و المدبر و المفصل و الباري و المصور و الرزاق و المحيي و المميت و الوارث و الشكور و جميع الأسماء الإلهية نظروا في ذواتهم و لم يروا مخلوقا ولا مدبرا ولا مفصلا ولا مصورا ولا مرزوقا . فقالوا : كيف العمل حتى تظهر هذه الأعيان التي تظهر أحكامنا فيها فيظهر سلطاننا .

فلجأت الأسماء الإلهية التي تطلبها بعض حقائق العالم بعد ظهور عينه إلى الاسم "الباري" فقالوا له : عسى توجد هذه الأعيان لتظهر أحكامنا و يثبت سلطاننا . إذ الحضرة التي نحن فيها لا تقبل تأثيرنا . فقال الاسم "الباري" : ذلك راجع إلى الاسم "القادر" فإني تحت حيطته .

و كان أصل هذا أن الممكنات في حال عدمها سألت الأسماء الإلهية سؤال حال ذلة و افتقار . وقالت لها : إن العدم قد أعمانا عن إدراك بعضنا بعضًا و عن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا . فلو أنكم أظهرتم أعياننا وكسوتمونا حلة الوجود أنعمتم علينا بذلك . و قمنا بما ينبغي لكم من الإجلال و التعظيم .

و أنتم أيضا كانت السلطنة تصح لكم في ظهورنا بالفعل . و اليوم أنتم علينا سلاطين بالقوة و الصلاحية . فهذا الذي نطلبه منكم هو في حقكم أكثر منه في حقنا . فقالت الأسماء : إن هذا الذي ذكرته الممكنات صحيح . فتحركوا في طلب ذلك .

فلما لجؤوا إلى الاسم "القادر" قال القادر : أنا تحت حيطة "المريد" فلا أوجد عينا منكم إلاّ باختصاصه ، ولايمكّنني الممكن من نفسه إلاّ أن يأتيه أمر الآمر من ربّه . فإذا أمره بالتكوين وقال له "كن" مكّنني من نفسه وتعلّقت بإيجاده . فكوّنته من حينه . فالجؤوا إلى الاسم "المريد" عسى أنه يرجّح و يخصّص جانب الوجود على جانب العدم . فحينئذ نجتمع أنا و الآمر و المتكلم و نوجدكم .

فلجؤوا إلى الاسم "المريد" فقالوا له : إن الاسم "القادر" سألناه في إيجاد أعياننا فأوقف أمر ذلك عليك فما ترسم ؟ فقال المريد : صدق القادر ، و لكن ما عندي خبر ما حكم الاسم "العالم" فيكم هل سبق علمه بإيجادكم فنخصص أو لم يسبق ؟ فأنا تحت حيطة الاسم "العالم" (بكسر اللام) فسيروا إليه و اذكروا له قضيتكم .

فساروا إلى الاسم "العالم" و ذكروا ما قاله الاسم "المريد" فقال العالم : صدق المريد ، وقد سبق علمي بإيجادكم ولكن الأدب أولى . فإن لنا حضرة مهيمنة علينا . وهي الاسم "الله" فلابد من حضورنا عنده . فإنّها حضرة الجمع .

فاجتمعت الأسماء كلها في حضرة الاسم "الله" فقال الاسم "الله" : ما بالكم ؟ فذكروا له الخبر . فقال الاسم "الله" : أنا اسم جامع لحقائقكم و إنّي دليل على مسمًّى وهو ذات مقدسة له نعوت الكمال و التنزيه . فقفوا حتى أدخل على مدلولي .

فدخل على مدلوله . فقال الاسم "الله" للمسمّى ما قالته الممكنات و ما تحاورت فيه الأسماء . فقال المسمّى : اخرج وقل لكل واحد من الأسماء : يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات . فإنّي الواحد لنفسي من حيث نفسي . و الممكنات إنما تطلب مرتبتي و تطلبها مرتبتي . و الأسماء الإلهيّة كلها للمرتبة لا لي إلاّ الواحد خاصة . فهو اسم خصيص بي لا يشاركني في حقيقته من كل وجه أحد لا من الأسماء و لا من المراتب و لا من الممكنات .

فخرج الاسم "الله" و معه الاسم "المتكلم" يترجم عنه للممكنات و الأسماء . فذكر لهم ما ذكره المسمّى . فتعلق "العالم" و "المريد" و "القائل" و "القادر" فظهر الممكن الأوّل من الممكنات بتخصيص "المريد" وحكم "العالم" .

فلما ظهرت الأعيان والآثار في الأكوان و تسلط بعضها على بعض و قهر بعضها بعضًا بحسب ما تستند إليه من الأسماء . فأدّى إلى منازعة و خصام فقالوا : إنا نخاف علينا أن يفسد نظامنا ونلحق بالعدم الذي كنا فيه .

فنبهت الممكنات الأسماء بما ألقى إليها الاسم العليم و المدبّر . و قالوا : أنتم أيها الأسماء لو كان حكمكم على ميزان معلوم و حدّ مرسوم بإمام ترجعون إليه يحفظ علينا وجودنا و نحفظ عليكم تاثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكم . فالجؤوا إلى "الله" عسى يقدم من يحدّ لكم حدًّا تقفون عنده . و إلّا هلكنا و تعطلتم . فقالوا : هذا عين المصلحة و عين الرأي . ففعلوا ذلك .

فقالوا : إن الاسم "المدبر" هو ينهى أمركم . فانهوا إلى "المدبر" الأمر . فقال المدبّر : أنا لها . فدخل وخرج بأمر الحق إلى الاسم "الرب" . و قال له : افعل ما تقتضيه المصلحة في بقاء أعيان هذه الممكنات .

فاتخذ وزيرين يعينانه على ما أمر به : الوزير الواحد الاسم "المدبر" و الوزير الآخر "المفصل" قال تعالى : يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ . الذي هو الإمام . فانظر ما أحكم كلام الله تعالى حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذي ينبغي أن يكون الأمر عليه . فحدَّ الاسم "الربّ" لهم الحدودَ و وضع لهم المراسم لإصلاح المملكة و ليبلوهم أيهم أحسن عملاً . هذا بعض ما ذكره . و إن شئت التفصيل فراجع كلامه . هذا . والله أعلم بالصواب و علمه أتم و أعلى .



الباب الثالث و الثمانون

من خصائص الجلالة الشريفة ومزاياها المنيفة اختصاصها بكلمة الشهادة و التوحيد اختصاصًا لا يقوم غيرها من أسماء الله تعالى مقامها ولا يؤدي مؤداها . و هي قولنا : لا إله إلّا الله . وقولنا : أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمدًا عبده و رسوله .

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره ج١ ص٨٩ عند بيان خواص الاسم "الله" : الخاصية الثانية : إن كلمة الشهادة و هي الكلمة التي بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الإسلام لم يحصل فيها إلّا هذا الاسم . فلو أن الكافر قال : أشهد أن لا إله إلّا الرحمن وإلا الرحيم و إلا الملك و إلا القدوس لم يخرج من الكفر ولم يدخل في الإسلام .

أمّا إذا قال : أشهد أن لا إله إلّا الله . فإنه يخرج من الكفر و يدخل في الإسلام . و ذلك يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية الشريفة . و الله الهادي إلى الصواب . انتهى بلفظه .

قال العبد الضعيف البازي : كلام الإمام هذا يخالف كلام بعض المحققين منهم الحافظ ابن حجر و الإمام الحليمي في منهاجه و الحافظ العيني في شرح البخاري و غيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى .

قال العيني في شرح البخاري ج١ ص١٣٠ : و ذكر الحليمي في منهاجه ألفاظا تقوم مقام "لا إله إلّا الله" في بعضها نظر لانتفاء ترادفها حقيقة . فقال :

و يحصل الإسلام بقوله "لا إله غير الله" و "لا إله سوى الله أو ما عدا الله" و "لا إله إلّا الرحمن أو البارئ" أو "لا رحمن ولا بارئ إلّا الله" و "لا ملك أو لا رازق إلّا الله" . وكذا لو قال : لا إله إلّا العزيز أو العظيم أو الحكيم أو الكريم . و بالعكس .

قال : و لو قال : أحمد أبوالقاسم رسول الله ﷺ . فهوكقوله : محمد رسول الله ﷺ . انتهى .

يدلّ ظاهر هذا الكلام على أنّ ذكر "الرحمن" أو "البارئ" أو "العزيز" أو "العظيم" ونحو ذلك من الأسماء الحسنى في موضع الجلالة من كلمة التوحيد يؤدّي مؤدّى الجلالة . و يخرج به القائل من الكفر و يدخل في الإسلام .

قال الشيخ عبدالرحمن بن عبدالسلام الصفوري الشافعي رحمه الله في كتابه نزهة المجالس ج١ ص٢٢ : لو قال الكافر : لا رحمن إلاّ الله . أو قال : لا إله إلاّ الرحمن . أو لا إله إلاّ البارئ . أو لا بارئ إلاّ الله . أبو القاسم رسول الله ﷺ . أو أحمد رسول الله ﷺ . فذلك كقوله : لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ﷺ . يصير بذلك مؤمنًا . إلاّ أن يكون مشبها . فحتى يتبرأ من التشبيه و يعتقد أنه تعالى ليس كمثله شيء .

و يعلم من فحوى كلام المفسّر الآلوسي رحمه الله أن قولنا "لا إله إلاّ الرحمن" لا يفيد التوحيد . و هذا يؤيد ما ذكره الإمام الرازي .

حيث قال الآلوسي في روح المعاني ج١ ص٥٤ بعد ردّ كون الجلالة صفة في الأصل و بعد إثبات أنها علَم بالوضع : وقد انحلّ بهذا عصام قربة من قال : إنه لو كفى في التوحيد الاختصاص في الواقع فلا إله إلاّ الرحمن أيضًا توحيد و إن لم يكف . و اقتضى ما يعين بحيث لايجوز فيه الشركة لم يكن "لا إله إلاّ الله" كذلك . إذ لا تحضر ذاته تعالى لنا على وجه التشخص .

و وجه الانحلال أن الجلالة إذاكانت علَمًا فإن مدلولها حينئذ الذات المعينة و إن تعقل بوجه كلي . إذ كليته لا تستلزم كلية المعلوم . وقد اعترفوا بعموم الوضع و خصوص الموضوع له .

و قيل : إحضاره تعالى على وجه التشخص تكليف بما لا يطاق . فالمطلوب إنما هو إحضاره على وجه كلي منحصر في فرد . و عدم حصول التوحيد بالتوحيد بالرحمن لإطلاقه مضافًا على غيره كرحمن اليمامة . فتدبر . انتهى بتصرف .

و في كتاب الأسماء و الصفات للبيهقي رحمه الله ص٩٦ : عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله . فإذا قالوا لا إله إلاّ الله عصموا مني دماءهم

و أموالهم إلاّ بحقها و حسابهم على الله . ثم قرأ ﷺ : إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ . أخرجه مسلم .

قال أبوعبد الله الحليمي رحمه الله : في هذا بيان أن هذه الكلمة يكفي الانسلاخ بها من جميع أصناف الكفر بالله جل ثناؤه . و إذا تأمّلناها وجدناها بالحقيقة كذلك . لأن من قال "لا إله إلاّ الله" فقد أثبت الله تعالى و نفى غيره .

فخرج بإثبات ما أثبت من التعطيل و بما ضم إليه من نفي غيره عن التشريك . و أثبت بالاسم "الإله" الإبداع و التدبير معًا إذ كانت الإلهية لا تصير مثبتة له جل ثناؤه بإضافة الموجودات إليه على معنى أنه سبب لوجودها دون أن يكون فعلاً له و صنعًا و يكون لوجودها بإرادته و اختياره تعلق . ولا بإضافة فعل منه فيها سوى الإبداع إليه مثل التركيب و النظم و التاليف .

فإن الأبوين قد يكونان سببًا للولد على بعض الوجوه ثم لا يستحق واحد منهما اسم الإله . و النجار و الصائغ و من يجري مجراهما كل واحد منهم يركب و يهيّئ ولا يستحق اسم الإله .

فعلم بهذا أن اسم الإله لا يجب إلاّ لكل مبدع . و إذا وقع الاعتراف بالإبداع فقد وقع بالتدبير . لأن الإيجاد تدبير . و لأن تدبير الموجود إنما يكون بإتقانه أو بإحداث أعراض فيه أو إعدامه بعد إيجاده . وكل ذلك إذا كان فهو إبداع و إحداث . و في ذلك ما يبيّن أنه لا معنى لفصل التدبير عن الإبداع و تميزه عنه . و أن الاعتراف بالإبداع ينتظم جميع وجوهه و عامة ما يدخل في بابه .

هذا هو الأصل الجاري على سنن النظر ما لم يناقض قول مناقض . فيسلّم أمرًا و يجحد مثله أو يعطي أصلا و يمنع فرعه .

فأمّا التشبيه فإن هذه الكلمة أيضًا تأتي على نفيه . لأن اسم "الإله" إذا ثبت فكل وصف يعود عليه بالإبطال وجب أن يكون منفيا بثبوته ، والتشبيه من هذه الجملة . لأنه إذا كان له من خلقه شبيه وجب أن يجوز عليه من ذلك الوجه ما يجوز على شبيهه . و إذا جاز ذلك عليه لم يستحق اسم "الإله" كما لايستحقه خلقه الذي شبه به .

فتبين بهذا أن اسم الإله و التشبيه لا يجتمعان كما أن اسم "الإله" و نفي الإبداع عنه لا يأتلفان .

و بالله التوفيق . انتهى بلفظه .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح ج١٣ ص٣٠٧ باب قول الله تبارك و تعالى "قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ" : و استدل بهذه الآية على أن من حلف باسم من أسماء الله كالرحمن والرحيم مثلاً انعقدت يمينه ، و على أن الكافر إذا أقرّ بالوحدانية للرحمن مثلاً حكم بإسلامه .

و قد خص الحليمي رحمه الله من ذلك ما يقع به الاشتراك . كما لو قال الطبيعيّ "لا إله إلّا المحيي المميت" فإنه لا يكون مؤمنا كذلك . إلّا أن كان عاميًا لا يفقه معنى التجسيم فيكتفي منه بذلك . كما في قصة الجارية التي سألها النبي صلى الله عليه وسلم أنت مؤمنة ؟ قالت : نعم . قال : فأين الله ؟ قالت : في السماء . فقال : فأعتقها فإنها مؤمنة . و هو حديث صحيح أخرجه مسلم .

و أن من قال "لا إله إلّا الرحمن" حكم بإسلامه . إلّا أن عرف أنه قال ذلك عنادًا و سمّى غير الله رحمانًا ، كما وقع لأصحاب مسيلمة الكذاب . قال الحليمي : و لو قال اليهودي "لا إله إلّا الله" لم يكن مؤمنًا حتى يقر بأنه ليس كمثله شيء . ولو قال الوثني "لا إله إلّا الله" وكان يزعم أن الصنم يقربه إلى الله لم يكن مؤمنا حتى يتبرأ من عبادة الصنم . هذا ما ذكره ابن حجر رحمه الله .

وقد استبان منه أن قولنا "لا إله إلّا الرحمن" مثل قولنا "لا إله إلّا الله" . يصير به القائل مسلمًا و يخرج من الكفر .

فصل
في وجوه إعراب كلمة التوحيد

هذا بحث مهمّ بديع ألّف فيه كثير من المحققين رسائل مفردة . منهم العلامة الزمخشري و الملّا علي القاري و ابن هشام النحوي و غيرهم .

توضيح المقال بالإجمال قبل الخوض في تفصيل الأقوال على ما يخطر بالبال أن ما بعد كلمة "إلّا" في قولنا "لا إله إلّا الله" إمّا منصوب على الاستثناء و إمّا مرفوع .

ثم الرفع إمّا على البدلية من محلّ اسم "لا" أو من محلّ كلمة "لا" مع اسمها أو من الضمير المستتر في الخبر المحذوف .

أو مرفوع على أنه صفة لاسم "لا" باعتبار المحل . فكلمة "إلّا" حينئذ بمعنى غير . والخبر محذوف ، أي لا إله غير الله في الوجود .

أو مرفوع على أنه معمول "إله" فيكون "إله" بمعنى مألوه . فما بعد "إلّا" على تقدير كون "إله" بمعنى مألوه قائم مقام الفاعل و سادّ مسد الخبر .

أو مرفوع على أنه مبتدأ مؤخر و اسم "لا" خبر مقدم .

أو مرفوع على أنه خبر و "لا" مع اسمها في محل الرفع على الابتداء .

هذه وجوه ثمانية . الوجه الأوّل يدور على أن ما بعد كلمة "إلّا" منصوب . و ما سواه من الوجوه السبعة مبنية على أن ما بعد كلمة "إلّا" مرفوع .

ثم في الوجوه الخمسة الأولى الخبر المحذوف إمّا عام أو خاص . و العام إمّا نحو في الوجود أو في الإمكان . والخاص إمّا نحو "لنا" و "للخلق" أو نحو "مستحق للعبادة" . فهذه عشرون وجها بضرب الخمسة في الأربعة . و المجموع ثلاثة و عشرون بضم الثلاثة الباقية .

ثم إن بعض العلماء تكلم على أن المنفي إمّا المعبود بحق أو المعبود بباطل أو أعم . فانتهت الوجوه إلى تسعة وستين الحاصلة من ضرب الوجوه السابقة في الثلاثة .

و إن شئت فقل : إن ما بعد "إلّا" إمّا أن يكون مثبتًا على ما هو مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى و غيره من الأئمّة من أن الاستثناء من النفي إثبات و من الإثبات نفي . أو مسكوتًا عنه كما هو مسلك أبي حنيفة رحمه الله تعالى . فصارت الوجوه مائة و ثمانية و ثلاثين بضرب عدد ٦٩ في عدد ٢ .

تفصيل المرام أن قولنا "لا إله إلّا الله" من قبيل قولنا "لا سيف إلّا ذوالفقار" و "لا فتى إلّا عليّ" و "لا جوّاد إلّا حاتم" . و يسوغ في أمثال ذلك بعد "إلّا" الرفع و النصب .

قال في الهمع : إذا وقعت "إلّا" بعد "لا" جاز في المذكور بعدها الرفع و النصب نحو "لا

سيف إلّا ذوالفقار" و "ذا الفقار" و "لا إله إلّا الله". فالنصب على الاستثناء. و منعه الجرمي قال: لأنه لم يتم الكلام. فكأنك قلت: الله إله. و ردّ بأنه تم بالإضمار. و الرفع على البدل من محل الاسم. و قيل: من محل "لا" مع اسمها. و قيل: من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. و قيل: على خبر "لا" مع اسمها. لأنهما في محل رفع بالابتداء. انتهى بلفظه.

قال أبوالبقاء رحمه الله في إعراب القرآن: إن المستثنى في قولنا "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" في موضع الرفع بدلًا من موضع "لا إله" لأن موضع "لا" و ما عملت فيه رفع بالابتداء. ولو كان موضع المستثنى نصبًا لكان "إلّا إياه" بدل "إلّا هو". انتهى ما في إعراب القرآن ج١ ص٢٩٥.

قال العلامة الأزهري رحمه الله في التصريح ج١ ص٢٤٦: و حذف الخبر المعلوم لكلمة "لا" التي هي لنفي الجنس يلتزمه التميميون و الطائيون. هذا نقل عن ابن مالك رحمه الله. و نقل ابن خروف عن بني تميم أنهم لا يظهرون خبرًا مرفوعًا. و يظهرون المجرور و الظرف. و هو ظاهر كلام سيبويه.

و قال أبوحيان: و أكثر ما يحذفه الحجازيون إذا كان مع "إلّا" نحو "لا إله إلّا الله" أي لنا أو في الوجود أو نحو ذلك.

قال الزمخشري في جزء له لطيف على كلمة الشهادة: هكذا قالوا. و الصواب أنه كلام تام و لا حذف. و أن الأصل "الله إله" مبتدأ و خبر كما تقول: زيد منطلق. ثم جيء بأداة الحصر و قدّم الخبر على الاسم و ركب مع "لا" كما ركب المبتدأ معها في نحو "لا رجل في الدار" ويكون "الله" مبتدأ مؤخرا و "إله" خبرا مقدمًا. وعلى هذا تخريج نظائره نحو "لا سيف إلّا ذوالفقار" و "لا فتى إلّا علي". نقله الموضح عنه.

و قال بعده: و قد يرجح قوله بأن فيه سلامة من دعوى الحذف و دعوى إبدال ما لا يحل محل المبدل منه. و ذلك على قول الجمهور. و من الإخبار عن النكرة بالمعرفة و عن العام بالخاص. و ذلك على قول من يجعل المرفوع خبرًا. انتهى بلفظه.

و في حواشي التصريح: قوله: و ركب مع لا إلخ، أي ركب الخبر مع "لا". قال الشهاب القاسمي: لأنه لا عمل "للا" على هذا لكن المبتدأ المؤخر مرفوع. فلو عملت في الخبر نصب المحل لزم أن "لا" ترفع المبتدأ و تنصب. و هو غير معهود فيها. انتهى.

قال الدماميني رحمه الله تعالى كما في الجملة السادسة من الباب الخامس من حواشي المغني : ولا يخفى ضعف هذا القول يعني قول الزمخشري . و أنه يلزم منه أن الخبر يبنى مع "لا" و لايبنى معها إلّا المبتدأ . ثم لو كان كذلك لم يجز نصب الاسم العظيم و قد جوّزوه . انتهى . قوله : و دعوى إبدال ما لايحل إلخ . قال الزرقاني : أي لأن خبر "لا" لابد من كونه نكرة . و الاسم الكريم معرفة . فلا يحل محل المبدل منه . انتهى ما في حواشي التصريح .

قال الجامي رحمه الله تعالى في شرح الكافية ، ما حاصله : أن خبر "لا" يحذف كثيرًا نحو "لا إله إلّا الله" أي لا إله موجود إلّا الله .

قال العصام رحمه الله تعالى : جعل الزمخشري كلمة التوحيد جملة تامة مستغنية عن تقدير الخبر . وكتب فيه رسالة .

و محصول ما ذكره أن أصل التركيب "الله إله" فدخل "لا" و "إلّا" للحصر . فالمسند إليه هو "الله" و المسند هو "إله" و هذا مما يتحير في تعقله الأذكياء و يتعجبون من كلامه هذا .

و أنا أوضحه لك بكلام وجيز وهو أنه لو بدل "لا" و "إلّا" بكلمة "إنما" و قيل : إنما إله الله . لكان كلامًا تاما من غير تقدير . و لفظ "إنما" هو النفي وكلمة "إلّا" فعلم أن قول النحاة بالتقدير لداعٍ لفظي و هو أن "لا" تطلب خبرًا و لا يحتاج إليه المعنى . انتهى .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي بتوقيف الله و توفيقه : الأولى عندي أن يقال : إن كلمة التوحيد جملة تامة . لكن لا كما قال الزمخشري : إن أصلها "الله إله" بل أصلها عندنا "الإله الله" مبتدأ و خبر . و هذا الكلام لتعريف الطرفين يفيد الحصر مثل "المنطلق زيد" حيث أفاد قصر المسند إليه في المسند ، أي حصر الانطلاق مطلقا في زيد الذي هو خبر .

ولا حاجة في كلمة التوحيد إلى تقدير الخبر كما لا حاجة إليه في قولنا : المنطلق زيد . فمعنى كلمة التوحيد حصر الألوهية مطلقا أي بغير لحاظ وصف الحقية و البطلان في ذاته تعالى و جنابه الكريم . فإن هذا الوصف أمر زائد على الماهية لا يتوقف فهم الكلام على اعتباره و لحاظه .

مَثَل هذا مَثَل قوله تعالى "لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللّٰهُ" فإنه أفاد حصر

مطلق علم الغيب في الله تعالى من غير تقييد علم الغيب بأنه بالذات أو بالعرض .

و هذا الحصر لعلم الغيب في الله تعالى يكفي لردّ من زعم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء كلهم أو بعضهم يعلمون كل شيء من المغيبات كالفرقة المبتدعة في بلادنا المجوزين للسجود إلى القبور . فزعمت هذه الفرقة المبتدعة أن علم المغيبات الكلّيّ المحصور في الله تعالى إنما هو علم الغيب بالذات فقط . و أمّا الحاصل للأنبياء و الأولياء فليس إلاّ ما هو علم الغيب بالعرض أي بإعطاء الله إياهم ذلك .

فتبًّا لهم ثم تبًّا لهم . أما علموا أن المحصور في الآية المتقدمة إنما هو علم الغيب مطلقًا أي حصر ماهيته في الله تعالى . و حصر مطلق علم الغيب يكفي لردّ دعواهم و ينفي حصول علم الغيب لغيره تعالى بأيّ طريق كان .

إن قلت : قوله تعالى "لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ" يفيد التفصيل المضادّ للإطلاق والعموم و النافي له .

و مرادنا من التفصيل أنّ قوله تعالى "لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ" يفيد أمرَين : الأوّل إثبات علم الغيب بالذات له تعالى . و الثاني نفي علم الغيب بالعرض عن غيره تعالى . فالمثبت هو علم الغيب بالذات ، و المنفي هو علم الغيب بالعرض . و إن شئتَ فقل : ثبت من الآية المذكورة حصر علم الغيب بالذات في الله تعالى ، و نفي علم الغيب بالعرض عن غيره تعالى . و إنما قلنا : إنّ المنفي من غيره تعالى إنما هو علم الغيب بالعرض دون ما هو بالذات . لأنّ المبتدعين لم يثبتوا العلم الغيبي بالذات لغيره تعالى ، فلا حاجة إلى نفي ذلك .

و أيضًا أن الله تعالى يعلم الغيب بالذات لا بالعرض . فلا يصح إثبات ما هو بالعرض لله تعالى فضلًا عن حصره فيه . و بالجملة يحصل من هذا الكلام التفصيل و هو ينافي ما قلت من إرادة المطلق و العامّ و حصر المطلق في الله تعالى .

قلت : أصل وضع مثل هذا الكلام لإثبات المطلق ونفي المطلق كما لايخفى . وأمّا هذا التفصيل المذكور في كلام المعترض فحصوله إنما هو بطريق الاستلزام و في الدرجة الثانية . إذ بعد حصر المطلق و حصول ما هو الأصل إذا راعينا حال الواقعة و التفتنا إلى ما هو الأحرى في نفس الأمر و في المحكي

عنه ثبت لله تعالى علم الغيب بالذات . إذ هو الأليق بجنابه . و انتفى ما هو بالعرض عن غيره تعالى .

و انتفاء ما هو بالعرض عن غيره تعالى من غير اعتبار انتفاء ما هو بالذات يكفي لردّ الفرقة المبتدعة المذكورة . لأنّهم لايقولون إلّا بإثبات علم الغيب الكلّيّ بالعرض لغيره تعالى وسبحانه . وكلامنا إنما هو في المفهوم اللغوي للكلام من غير رعاية المحكي عنه و من غير النظر إلى الواقعة .

ألا ترى أن حدّ الكلام الخبري عندهم ما يحتمل الصدق و الكذب . و اعترض على حدّ الكلام هذا بقولنا "لا إله إلّا الله" فإنه صادق لا محالة أي شرعًا و لا يحتمل الكذب أي نظرًا إلى نفس الأمر . و أيضًا اعترض على حدّ الكلام بقولنا "السماء فوقنا" فإنه أيضًا لا يحتمل الكذب أي نظرًا إلى الواقع .

فأجابوا عن هـذا الاعتراض بما سطرنا في معنى الآية المذكورة الدالة على حصر علم الغيب في الله تعالى . و محصوله أن هذا الحدّ مبني على لحاظ نفس مفهوم الكلام الوضعي مع قطع النظر إلى أمور خارجة عن ذلك . و قالوا : إن كلمة التوحيد تحتمل الصدق و الكذب أي مع قطع النظر إلى الشرع و إلى ما هو خارج عن المفهوم الوضعي . ألا ترى أنّ مخالفي شرع الإسلام مع كونهم مهرة اللغـة العربيّة ينكرون عن صدق كلمة التوحيد .

و كذا قولنا : السماء فوقنا . ولا اعتبار للأمور الخارجة عن المفهوم الوضعي . فإنها تتعلق بالدرجة الثانية من مراد الكلام و مفهومه .

و الدليـل على كينونة هذا التفصيل في الدرجة الثانية و خارجًا عن المفهوم الأصلي اللغوي للكلام بطلان إرادة هذا التفصيل أوّلًا و في المفهوم الأصلي للكلام .

لأنك إن قلت في معنى الآية المتقدمة "لا يعلم الغيب بالعرض إلّا الله" فهو باطل بالبداهة .

و إن قلت : إن معناها "لا يعلم الغيب بالذات إلّا الله" فهو أيضًا غير صواب و تقييد في غير موقعه . إذ لايقع به الردّ على الفرقة الباطلة القائلة بأن غير الله تعالى يعلم الغيب بالعرض . أي بإعطائه تعالى و هبته .

و قس على هذا قولنا : لا إله إلّا الله . ومن هنا بدا لك خطأ من اعترض و قال : إن المنفي في

قولنا "لا إله إلّا الله" إمّا الإله الباطل ، وهو باطل كما لايخفى . و إمّا الإله الحق ، وهو أيضًا باطل . إذ على هذا لا يلزم نفي آلهة المشركين التي هي باطلة . مع أن المقصود من هذه الكلمة نفي هذه الآلهة الباطلة .

و وجه خطأ هذا القول أنّا لانريد هذا ولا ذاك . بل نريد نفي الألوهية مطلقًا عن غير الله و إثباتها لله تعالى . و هذا هو معنى الكلمة باعتبار المفهوم الوضعي المطابقي . نعم هذا المعنى استلزم و أنتج أي بعد لحاظ الواقع و نفس الأمر لحاظًا في المرتبة الثانية أن المراد من المنفي بعد كلمة "لا" الآلهة الباطلة و من المثبت بعد كلمة "إلّا" هو الإله الحق .

و هذا معنى قولنا : لا خالق إلّا الله . فهذا يكفي لإبطال قول المعتزلة بإثبات الخلق و الخالقية لغيره تعالى . وليس لهم أن يقولوا : إن المراد في أمثال هذا القول أي قول "لا خالق إلّا الله" حصر الخالقية الحقيقية في الله تعالى . و هذا لا ينافي إثبات الخالقية الفرعية لغيره تعالى .

و وجه إبطال قول المعتزلة أن المراد حصر مطلق الخالقية في جنابه تعالى و تقدس .

وهكذا قوله عليه الصلاة والسلام : لانبي بعدي . فالمنفي مطلق النبوة بعده عليه الصلاة والسلام . فبطل ما قال المتنبي الدجّال القادياني : إن المراد بهذا الحديث نفي النبوة الذاتية المستقلة فقط . و زعم أنه لا يلزم من الحديث المذكور إغلاق باب النبوة البروزية الظلية .

و كذَب هذا الدجال الملعون . فإن المراد بهذا الحديث نفي مطلق النبوة بعده عليه الصلاة والسلام المستلزم انغلاق باب النبوة مطلقا بعد نبينا عليه الصلاة والسلام .

و بالجملة "لا إله إلّا الله" عند هذا العبد الضعيف البازي جملة تامة من غير حاجة إلى تقدير شيء . و أصله "الإله الله" وهو مفيد للحصر مثل "إنما الإله الله" و "لا" و "إلّا" تفيدان مفاد كلمة "إنما" ثم بعد دخول كلمتي "لا" و "إلّا" على المبتدأ و الخبر نكّر اسم "لا" لعدم الحاجة إلى التعريف . و لاقتضاء كلمة "لا" تنكير اسمها . فصار "لا إله إلّا الله" مثل قولنا : لا منطلق إلّا زيد ، في قولنا : المنطلق زيد .

إن قلت : ما تفصيل ما ذكرت و اخترت ، و ما توضيح ما وجّهت و نبّهت ، و ما بسط ما حقّقت و دقّقت ؟

قلتُ و بالله التوفيق و بيده أزمّة التحقيق : توضيح الكلام بحيث ينحلّ به المرام **أوّلًا** أنّ قولنا

"لا إله إلّا الله" كلمة التوحيد . و تسمية هـذا القول بهذا الاسم معروفة عند جميع المسلمين و ثابتة في النصوص .

فاسم كلمة التوحيد يدلّ دلالةً واضحةً على أنّ المقصود بالذات من هذه الكلمة إثبات التوحيد بطريق الحصر . فمعنى قولنا "لا إله إلّا الله" لا إله غير الله ، أي لا إله غير إله واحد . وهو الله . و المراد نفي مطلق الإله سوى الله تعالى .

و ثانيًا هذا هو معنى أصـل هذه الكلمة المقدّر عندي . فأصلها عندي كما سلف "الإله الله" و هو مفيد للحصر المفيد للتوحيد . فإن تعريف المبتدأ و الخبر يفيد الحصر .

فالمعنى حصر جنس الألوهية ، أي حصر مطلق المعبودية في الإله الواحد . وهو الله . فإن اسم "الله" عَلَم لمسمًّى واحد و هو جزئي حقيقي بحيث لا يحتمل الكثرة بوجه من الوجوه .

و نظير هذا الأصل المقدّر قولنا : المنطلق زيد . حيث أريد به حصر مطلق الانطلاق في شخص واحد و هو زيد . فإن اسم "زيد" لكونه عَلَمًا لمسمى واحد هو جزئي يفيد التوحيد نظرًا إلى الوضع الواحد . و المراد من التوحيد ههنا إثبات أن الموصوف بالمنطلق ليس إلّا شخص واحد .

و يوافقه في الفحوى و المراد قولنا : لا منطلق إلّا زيد . كما أن قولنا "الإله الله" يوافق في المراد و الفحوى كلمة التوحيد ، أي قولنا : لا إله إلّا الله . فالمقصود من كلمة التوحيد توحيد الموصوف بمطلق الإله . و المطلق ينصرف إلى الكامل . و الكامل هو الإله الحق و المعبود الحق .

و من أدلّة ما ادّعينا آيات أخرى تفسّر ما ذكرته و ادّعيته من أن المقصود من كلمة التوحيد إثبات مصداق واحد و مسمًّى واحد للفظ الإله المطلق .

ألا ترى إلى قوله تعالى "وَ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ" و نحو ذلك من الآيات الكثيرة . فأوضح الله تعالى في هذه الآية بذكر لفظ "واحد" أن المقصود هو التوحيد . و مآل التوحيد ههنا أنّ المسمى الحقيقي للفظ "الإله" واحد . فقول القائلين بكثرة مسمى الإله و بكثرة محامل الإله باطل .

فليس للفظ "الإله" في نفس الأمر و في الواقع إلّا مسمى واحد و محمل واحد . وتسمية ما سواه بالإله تعنُّتٌ لا يلتفت إليه و لا يعوّل عليه ، مثل تسمية بعض العرب مسيلمة بالرحمن تعنُّتًا .

ثم بيّن الله تعالى ذلك المسمّى الواحد بما بعده و هو قوله "لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ" . فقوله تعالى "لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" يرادف قولنا "لا إله إلاّ الله". وقوله تعالى "وَ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ" يوافق قولنا "الإله الله" . و قد عرفت آنفا أنّ قولنا "الإله الله" هو أصل كلمة التوحيد و مرجعه الذي اخترته .

فاتضح من هذا البيان أن المقصود من هذه الكلمة إثبات التوحيد ليس إلاّ .

قال بعض المحققين : قوله تعالى "وَ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ" معناه أنه واحد في الإلهيّة . لأنّ ورود لفظ "الواحد" بعد لفظ "الإله" يدل على أن تلك الوحدة معتبرة في الإلهية ، لا في غيرها . فهو بمنزلة وصف الرجل بأنه سيّد واحد ، و بأنه عالم واحد .

و لمّا قال "وَ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ" أمكن أن يخطر ببال أحد أن يقول : هب . إنَّ إلهنا واحد . فلعلّ إله غيرنا مغاير لإلهنا . فلا جرم أزال هذا الوهم ببيان التوحيد المطلق فقال : لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ . و ذلك لأن قولنا "لا رجل" يقتضي نفي هذه الماهية . و متى انتفت الماهية انتفى جميع أفرادها . إذ لو حصل فرد من أفراد تلك الماهية فمتى حصل ذلك الفرد فقد حصلت الماهية . و ذلك يناقض ما دلّ اللفظ عليه من انتفاء الماهية . فثبت أن قولنا "لا رجل " يقتضي النفي العام الشامل . فإذا قيل بعد "إلاّ زيد" أفاد التوحيد التامّ المحقق . انتهى كلامه .

و للإشارة إلى هذا المقصود ذكر الله تعالى في هذه الآية لفظ "واحد" صريحًا فقال : وَ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ .

بل ذكر لفظ "واحد" لتأدية هذا المقصد في غير واحد من الآيات . فأمثال هذه الآيات كلها تؤيد الطريق الذي اخترتُه و تعضد البيان الذي سطرتُه في بيان مفاد كلمة التوحيد و أصلها . كقوله تعالى : فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْ . الحج . و قوله تعالى : وَ إِلَٰهُنَا وَ إِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَّ نَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ . العنكبوت . و لهذا قال الكفار "أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ" ص ، في ردّ ما قال لهم النبي عليه السلام "قولوا لا إله إلاّ الله" .

و يوضح ما ادّعيتُ بل يؤيّده قوله تعالى : إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا . طه . فأوضح الله تعالى في هذه الآية أنّ قولنا "إلهكم الله" وقولنا "لا إله إلاّ الله" أو "إلاّ هو"

متّحدان مغزًى و متوافقان معنًى و مترادفان مآلًا .

فقوله تعالى "لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" كلمة التوحيد . وقوله "إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ" أصل كلمة التوحيد المقدّر و مرجعها و مآلها على ما اختاره هذا العبد الضعيف . و لذا جمعهما الله تعالى في هذه الآية . و قدّم قوله "إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ" و أخّر قوله "لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" نظرًا إلى الأصل و الفرع . فالقول الأوّل أصل و الثاني فرع .

ولا يبعد أن يستأنس لما اخترتُ من التحقيق الدقيق والبيان الأنيق الذي هو بالقبول حقيق بما ذكره الإمام الرازي رحمه الله في لوامع البينات في شرح أسماء الله ص١٢٨ ، و في تفسيره ج٢ ص٥٥ تحت قوله تعالى "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" البقرة ، حيث قال : و في هذه الكلمة أبحاث :

أحدها أن جماعة من النحويين قالوا : الكلام فيه حذف و إضمار . والتقدير : لا إله لنا أو لا إله في الوجود إلّا الله .

و اعلم : أن هذا الكلام غير مطابق للتوحيد الحق . و ذلك لأنك لو قلت بتقدير "لنا" لكان هذا توحيدًا لإلهنا لا توحيدًا للإله المطلق . فحينئذ لا يبقى بين قوله "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ" و بين قوله "لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" فرق . فيكون ذلك تكرارًا محضًا و إنه غير جائز .

و أمّا لو قلنا : التقدير "لا إله في الوجود" فذلك الإشكال زائل . إلّا أنه يعود الإشكال من وجه آخر .

ذلك لأنك إذا قلت : لا إله في الوجود إلّا هو . كان ذلك نفيًا لوجود الإله الثاني . أمّا لو لم يضمر هذا الإضمار كان قولك هذا نفيًا لماهية الإله الثاني . و معلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود . فالإعراض عن هذا الإضمار أولى .

فإن قيل : نفي الماهية كيف يعقل . فإنك إذا قلت "السواد ليس بسواد" كان ذلك غير معقول . أمّا إذا قلت "السواد ليس بموجود" فهذا معقول منتظم مستقيم .

قلنا : القول بنفي الماهية أمر لابد منه . فإنك إذا قلت "السواد ليس بموجود" فقد نفيت الوجود . و الوجود من حيث هو وجود ماهية . فنفيه نفي الماهية المسماة بالوجود . فإذا عقل نفي هذه

الماهية من حيث هي ماهية . فلم لم يعقل نفي تلك أيضًا . فإذا عقل ذلك صح إجراء قولنا "لا إله إلاّ الله" على ظاهره من غير حاجة إلى الإضمار .

فإن قلت : إنا إذا قلنا "السواد ليس بموجود" فما نفيت الماهية وما نفيت الوجود و لكن نفيت موصوفية الماهية بالوجود .

قلت : فموصوفية الماهية بالوجود هل هي أمر منفصل عن الماهية و عن الوجود أم لا . فإن كانت منفصلة عنهما كان نفيهما نفيًا لتلك الماهية . فالماهية من حيث هي هي أمكن نفيها . و حينئذ يعود التقريب المذكور .

و إن لم تكن تلك الموصوفية أمرًا منفصلاً عنهما استحال توجيه النفي إليها إلاّ بتوجيه النفي إمّا إلى الماهية و إمّا إلى الوجود . و حينئذ يعود التقريب المذكور . فثبت أن قولنا "لا إله إلاّ هو" حق و صدق من غير حاجة إلى الإضمار ألبتة . انتهى كلامه بتغيير .

و في حاشية العلامة أبي الفضل الكازروني رحمه الله تعالى على البيضاوي ج١ ص١٧ تحت قوله "لا إله إلاّ الله كلمة توحيد" : ههنا سؤال مشهور .

و هو أنه إن قدر خبر "لا" الموجود مثلاً لم تفد الكلمة العليا نفي إمكان إله آخر . و إن جعل الممكن لم يلزم منه وجود المستثنى .

و الجواب : أنا نقدر الأوّل ولايلزم فهم نفي إمكان إله آخر منها . إذ هي ردٌّ على المشركين . بل نقول يمكن استنباط نفي الإمكان . لأن المراد بالإله المعبود بالحق . والكلمة إذا دلّت على نفي وجود معبود بالحق غيره تعالى نفي إمكان ذلك الغير . إذ لو كان معبود بالحق غيره تعالى ممكنًا كان موجودًا . لأنه من استحق أن يكون معبودًا يجب اتصافه بصفات الكمال . فلم يكن له نقص . فيكون واجبًا موجودًا . و هذا ظاهر لمن له حدس صائب .

و من هذا يعلم أنه لو قلنا : إن خبر "لا" ممكن فالمطلوب حاصل . لأنه لما كان المستثنى معبودًا بالحق وجب أن يكون موجودًا لما قلنا .

و في الحواشي : أن خبر "لا" موجود . إذ من الجائز أن يكتفى فيها على الدلالة بأن ليس في

الوجود إله إلّا الله تعالى . انتهى .

و قد اعترض صاحب المنتخب رحمه الله على النحويين في تقدير الخبر في "لا إله إلّا هو" فقالوا : تقديره "لا إله في الوجود إلّا الله" فقال صاحب المنتخب : يكون ذلك نفيًا لوجود الإله . و معلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود . فكان إجراء الكلام على ظاهره و الإعراض عن هذا الإضمار أولى .

و أجاب أبوعبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي رحمه الله في ريّ الظمآن كما في شرح العقيدة الطحاوية ص١١٢ فقال : هذا كلام من لا يعرف لسان العرب . فإن "إله" في موضع المبتدأ على قول سيبويه . و عند غيره اسم "لا" و على التقديرين فلابد من خبر المبتدأ . و إلّا فما قاله من الاستغناء عن الإضمار فاسد .

و أمّا قوله "إذا لم يضمر يكون نفيًا للماهية" فليس بشيء . لأن نفي الماهية هو نفي الوجود لاتتصور الماهية إلّا مع الوجود . فلا فرق بين "لا ماهية" و"لا موجود" . وهذا على مذهب أهل السنة . خلافًا للمعتزلة فإنهم يثبتون ماهية عارية عن الوجود . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : الذي قال صاحب المنتخب حق حقيق بالقبول .

أمّا أوّلًا : فلأن القول بعدم تقدير الخبر أيضا قول بعض النحاة . فليس فيه ردّ مذهب النحاة بل فيه ترجيح قول بعضهم على بعض . ولا وصمة فيه .

و أمّا ثانيًا : فلأن نفي الماهية أولى من نفي الوجود لاستلزامه نفي الوجود عند الفريقين أهل السنة و المعتزلة . ولا ينعكس . لأن المعتزلة قالوا بثبوت ماهية عارية عن الوجود .

بل كثير من مهرة المعقول والمتكلمين من أهل السنة قالوا بماهية عارية مجردة لاسيّما أصحاب الجعل البسيط و هم جمّ غفير من علماء الإسلام . و قد فصلنا هذه المباحث في كتب المنطق و الفلسفة . إن شئت التفصيل فراجعها .

و المحمل الذي به تكون الكلمة مفيدة للتوحيد عند جميع الفرق أولى من المحمل المخالف .

و أمّا ثالثًا : فلِما اخترتُ من قبل أن أصل "لا إله إلاّ الله" "الإله الله" مثل "المنطلق زيد" و هو كلام تامّ لا يحتاج إلى تقدير خبر بل لا يصح تقديره . فكذا فرعه .

كما أن قوله تعالى "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ" كلام تام و يؤدي مؤدّى "لا إله إلاّ الله" . و ذكرت هناك أن بعد دخول "لا" نكِّر المبتدأ لاقتضاء "لا" تنكير الاسم . و أن معناه حصر مطلق الألوهية في الله تعالى و تقدس ، كما في قوله "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ" .

و بيّنتُ أيضا هناك أن حصر الألوهية الحقة في الله و نفي الألوهية الحقة عن غير الله إنما هو مفاد كلمة التوحيد باعتبار الدرجة الثانية لمعنى الكلام ، أي بعد النظر إلى نفس الأمر و اعتبار ما هو خارج عن المفهوم الوضعي اللغوي . و الواجب على المرء بناء الكلام على المفهوم الوضعي . و مفهوم الكلمة المذكورة الوضعي حصر مطلق الإلاهية لا الإلاهية الحقة كما أريد حصر مطلق الألوهية في قوله "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ" .

و من هذا البيان اتضح لك أن تقدير نحو كلمة "حق" خبرًا ههنا غير حق و غير حقيق بالقبول و التسليم .

قال بعض من عاصرناه من محققي علماء الحرمين الشريفين وهو الشيخ الأجل عبدالعزيز بن باز في تعليق شرح العقيدة الطحاوية ص٥٩٨ عند ذكر كلام صاحب المنتخب و المرسي : ما قاله صاحب المنتخب ليس بجيد . و هكذا ما قاله النحاة و أيده الشيخ أبو عبد الله المرسي من تقدير الخبر بكلمة في الوجود ليس بصحيح .

لأن الآلهة المعبودة من دون الله كثيرة و موجودة . و تقدير الخبر بلفظ في الوجود لا يحصل به المقصود من بيان أحقية ألوهية الله سبحانه و بطلان ما سواها .

لأن لقائل أن يقول : كيف تقولون "لا إله في الوجود إلاّ الله" و قد أخبر الله سبحانه عن وجود آلهة كثيرة للمشركين ، كما في قوله سبحانه : وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ . و قوله سبحانه : فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ . الآية .

فلا سبيل إلى التخلص من هذا الاعتراض و بيان عظمة هذه الكلمة و أنها كلمة التوحيد المبطلة لآلهة المشركين و عبادتهم من دون الله إلّا بتقدير الخبر بغير ما ذكره النحاة و هو كلمة "حق" لأن كلمة "حق" هي التي توضح بطلان جميع الآلهة و تبين أن الإله الحق و المعبود بالحق هو الله وحده ، كما نبه على ذلك جمع من أهل العلم منهم أبوالعباس ابن تيمية و تلميذه العلامة ابن القيم و آخرون رحمهم الله .

و من أدلّة ذلك قوله سبحانه : **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ** . فأوضح سبحانه في هـذه الآية أنه هو الحق . و أن ما دعاه الناس من دونه هو الباطل . فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله من البشر و الملائكة و الجنّ و سائر المخلوقات . و اتضح بذلك أنه المعبود بالحق وحده .

و لهذا أنكر المشركون هذه الكلمة و امتنعوا من الإقرار بها لعلمهم بأنها تبطل آلهتهم . لأنهم فهموا أن المراد بها نفي الألوهية بحق عن غير الله سبحانه .

و لهذا قالوا جوابًا لنبينا محمد ﷺ لما قال لهم : قولوا " لا إله إلّا الله " : **أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** . و قالوا أيضًا : **أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ** . و ما في معنى ذلك من الآيات . و بهذا التقدير يزول جميع الإشكال و يتضح الحق المطلوب . انتهى .

قال العبد الضعيف : هذا كلام متين . لكن الذي اخترته و فصّلتُه من قبل أقوى و أمتن و أمس بالمعنى الموضوع له . فاختر ما شئت و ارجع النظر كرّتين يظهر لك الحق . و للناس مذاهب فيما يعشقون . و كل يرمي عن قوسه بنبله و يستسقي من وبله و طلّه .

ثم اعلم : أنّهم اختلفوا في أن المنفي في كلمة التوحيد هل هو المعبود بحق أو المعبود بباطل . قولان :

قال محمد الشيشيني : النفي إنما تسلط على الآلهة المعبودة بباطل تنزيلًا لها منزلة العدم . و قال عبد الله الهبطي : إنما تسلط على الآلهة المعبودة بحق . ولكل قول من القولين المذكورين قد انتصر بعض .

و ذكر الملوي رحمه الله أن الحق مع الثاني . لأن المعبود بباطل له وجود في الخارج ، و وجود في ذهن المؤمن بوصف كونه باطلًا ، و وجود في ذهن الكافر بوصف كونه حقا . فهو من حيث وجوده

في الخارج في نفسه لا ينفى . لأن الذات لا تنفى . وكذا من حيث كونه معبودًا بباطل لاينفى أيضًا . إذ كونه معبودًا بباطل أمر حق لا يصح نفيه ، و إلا كان كذبا . و إنما ينفى من حيث وجوده في ذهن الكافر بوصف كونه معبودًا بحق . فالمعبودات الباطلة لم تنف إلاّ من حيث كونها معبودة بحق . فلم ينف في هذه الكلمة إلاّ المعبود بحق غيره تعالى . فافهم .

و **لبعض المحقّقين** كلام في توضيح هذه الكلمة جامع أرقمه ههنا تتميمًا للمرام و تفصيلاً للكلام و تبصرة للخلاّن و تذكرة للإخوان .

قال : قوله تعالى "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" مبتدأ و خبر . و المراد : هو المستحق للعبودية لا غير .

قيل : و للناس في رفع الضمير المنفصل وكذا في الاسم الكريم إذا حلّ محله أقوال خمسة : قولان معتبران و ثلاثة لا معول عليها .

فالقولان المعتبران أحدهما : أن يكون رفعه على البدلية . و ثانيهما : أن يكون على الخبرية . و الأوّل هو الجاري على ألسنة المعربين . و هو رأي ابن مالك رحمه الله .

و عليه إمّا أن يقدّر "للا" خبر أو لا . و القائلون بالتقدير اختلفوا . فمن مقدِّر أمرًا عامًّا كالوجود و الإمكان . و من مقدِّر أمرًا خاصًّا نحو "لنا" و "للخلق" .

و **اعترض** على تقدير العام بأنه يلزم أحد المحذورين : إمّا عدم إثبات الوجود بالفعل لله تعالى . و إمّا عدم تنزهه سبحانه عن إمكان الشركة . و كذا تقدير الخاص يرد عليه أنه لا دليل عليه أو فيه خفاء .

و يمكن الجواب باختيار تقديره عامًّا ولا محذور . أمّا على تقدير الوجود . فلأنّ نفي الوجود يستلزم نفي الإمكان . إذ لو اتصف فرد آخر بوجود الوجود لوجد ضرورة . فحيث لم يوجد علم عدم اتصافه به . و ما لم يتصف بوجوب الوجود لم يمكن أن يتصف به لاستحالة الانقلاب .

و أمّا على تقدير الإمكان فلأنّا نقول : قد ظهر أن إمكان اتصاف شيء بوجوب الوجود يستلزم اتصافه بالفعل بالضرورة . فإذا استفيد إمكانه يستفاد وجوده أيضًا . إذ كل ما لم يوجد يستحيل أن يكون واجب الوجود .

على أنه قد ذكر غير واحد أن نفي وجود إله غيره تعالى يجوز أن يكون مرتبة من التوحيد يناط بها الإسلام . و يكتفي بها من أكثر العوام و إن لم يعلموا نفي إمكانه سيما مع الغفلة و عدم الشعور به . فلا يضر عدم دلالة الكلمة عليه .

بل قال بعضهم : إن إيجاب النفي جاء و الآلهة غير الله تعالى موجودة ، و قد قامت عبادتها على ساق ، و عكف عليها المشركون في سائر الآفاق ، فأمر الناس بنفي وجودها من حيث أنها آلهة حقة . ولو كان إذ ذاك قوم يقولون بإمكان وجود إله حق غيره تعالى لكنه غير موجود أصلا لأمروا بنفي ذلك الإمكان . و لا يخفى أن هذا ليس من المتانة بمكان .

و يمكن الجواب باختيار تقديره خاصًّا بأن يكون ذلك الخاص مستحقا للعبادة . و المقام قرينة واضحة عليه .

و اعترض على تقدير خاصّ هو "مستحق" بأنه لا يدل على نفي التعدد لا بالإمكان ولا بالفعل . لجواز وجود "إله" غيره سبحانه لا يستحق العبادة . و بأنه يمكن أن يقال : إن المراد إمّا نفي المستحق غيره تعالى بالفعل أو الإمكان . و الأوّل لا ينفي الإمكان . و الثاني لا يدل على استحقاقه تعالى بالفعل .

و أجيب بأن من المعلوم بأن وجوب الوجود مبدأ جميع الكمالات . فلا ريب أنه يوجب استحقاق التعظيم و التبجيل . ولا معنى لاستحقاق العبادة سواه . فإذا لم يستحق غيره تعالى للعبادة لم يوجد غيره تعالى . وإلا لاستحق العبادة قطعًا . وإذا لم يوجد لم يكن ممكنا أيضا على ما أشير إليه . فثبت أن نفي الاستحقاق يستلزم نفي التعدد مطلقا .

و القائلون بعدم تقدير الخبر ذهب الأكثر منهم إلى أن "لا" هذه لا خبر لها . و اعترض بأنه يلزم حينئذ انتفاء الحكم و العقد . و هو باطل قطعا ضرورة اقتضاء التوحيد ذلك .

و أجيب بأن القول بعدم الاحتياج لا يخرج المركب من "لا" و اسمها عن العقد . لأنه معناه انتفى هذا الجنس من غير هذا الفرد . و "إلا" عند هؤلاء بمعنى "غير" تابعة لمحل اسم "لا" و ظهر إعرابها فيما بعدها . و لا مجال لجعلها للاستثناء . إذ لو كانت له لما أفاد الكلام التوحيد . لأن حاصله حينئذ أن هذا الجنس على تقدير عدم دخول هذا الفرد فيه منتف . فيفهم منه عدم انتفاء أفراد غير خارج عنها

ذلك . وهو بمعزل عن التوحيد كما لا يخفى .

و استشكل الإبدال من جهتين : الأوّل أنه بدل بعض . ولا ضمير للمبدل منه . و هو شرط فيه .

الثاني أن بينهما مخالفة . فإن البدل موجب . و المبدل منه منفي .

و أجيب عن الأوّل بأن "إلّا" تغني عن الضمير لإفهامها البعضية .

و عن الثاني بأنه بدل من الأوّل في عمل العامل و تخالفهما في الإيجاب و النفي لا يمنع البدلية . على أنه لو قيل : إن البدل في الاستثناء على حدة لم يبعد .

و الثاني من القولين الأوّلين و هو القول بخبرية ما بعد "إلّا" ذهب إليه جماعة . و ضعِّف بأنه يلزم عمل "لا" في المعارف . و هي لا تعمل فيها . و بأن اسمها عام و ما بعد "إلّا" خاص فكيف يكون خبرًا . و قد قالوا بامتناع الحيوان إنسان .

و أجيب عن الأوّل بأن "لا" لا عمل لها في الخبر على رأي سيبويه . و أنه حين دخولها مرفوع بما كان مرفوعًا به قبل . فلم يلزم عملها في المعرفة و هو كما ترى .

و عن الثاني بأنا لا نسلم أن في التركيب قد أخبر بالخاص عن العام إذ العموم منفي و الكلام مسوق العموم و التخصيص بواحد من أفراد ما دل عليه العام . و فيه ما فيه .

و أمّا الأقوال الثلاثة التي لا يعول عليها فأوّلها : أنّ "إلّا" ليست أداة استثناء و إنما هي بمعنى "غير" و هي مع اسمه تعالى شأنه صفة لاسم "لا" باعتبار المحل . و التقدير : لا إله غير الله تعالى في الوجود .

و ثانيها : و قد نسب للزمخشري أن "لا إله" في موضع الخبر و "إلّا" و ما بعدها في موضع المبتدأ . و الأصل "هو" أو "الله إله" فلمّا أريد قصر الصفة على الموصوف قدّم الخبر و قرن المبتدأ "بإلّا" إذ المقصور عليه هو الذي يلي "إلّا" و المقصور هو الواقع في سياق النفي . و المبتدأ إذا اقترن "بإلّا" وجب تقديم الخبر عليه كما قرر في موضعه .

و ثالثها : أن ما بعد "إلّا" مرفوع "بإله" كما هو حال المبتدأ إذا كان وصفًا . لأن إلهًا بمعنى مألوه . فيكون قائمًا مقام الفاعل و سادًّا مسدّ الخبر كما في ما مضروب العمران .

و يرد على الأوّل أنّ فيه خللًا من جهة المعنى . لأن المقصود من الكلمة أمران : نفي الإلهية عن غيره تعالى و إثباتها له سبحانه . و هذا إنما يتم إذا كانت "إلّا" فيها للاستثناء . إذ يستفاد النفي والإثبات حينئذ بالمنطوق . و أمّا إذا كانت بمعنى "غير" فلا يفيد الكلام بمنطوقه إلّا نفي الإلهية عن غيره تعالى .

و أمّا إثباتها له عز اسمه فلا يستفاد من التركيب . و استفادته من المفهوم لا تكاد تقبل . لأنه إن كان مفهوم لقب فلا عبرة به و لو عند القائلين بالمفهوم . إذ لم يقل به إلّا الدقاق وبعض الحنابلة . و إن كان مفهوم صفة فمن البين أنه غير مجمع عليه .

و يرد على الثاني أنه مع ما فيه من التمحل يلزم منه أن يكون الخبر مبنيًّا مع "لا" وهي لا يبنى معها إلّا المبتدأ . و أيضًا لو كان الأمر كما ذكر لم يكن لنصب الاسم الواقع بعد "إلّا" في مثل هذا التركيب وجه . و قد جوّزه فيه جماعة .

و على الثالث أنا لانسلم أن "إلهًا" وصف و إلّا لوجب إعرابه وتنوينه ، ولا قائل به . هذا . والله أعلم بالصواب و بالحقائق البارعة و الدقائق الفارعة ، و المطالب السامية المكتومة ، و المقاصد العالية المختومة . و علمه أجلّ و أدقّ و أعلى .



الباب الرابع و الثمانون

من بدائع خصائص الاسم "الله" الشريف من بين أسماء الله الحسنى بل من بين مطلق الأسماء و الأعلام أنه أكثر استعمالاً في القرآن المجيد . فكثرت إضافة الأمور التكوينية و التشريعية إلى هذا الاسم . و بنيت عليه و نسبت إليه أكثر أحوال الدنيا و الآخرة و أحكامهما في كتاب الله و أحاديث رسوله ﷺ .

إن قلتَ : كم مرّة ذكر الاسم "الله" في القرآن الشريف ؟

قلتُ : في عدد مكرَّرات الاسم "الله" في القرآن الكريم أقوال أربعة :

القول الأوّل : قيل : ذكر هذا الاسم الكريم في كتاب الله تعالى في مواضع كثيرة تنيف على ٢٥٦٠ موضعًا .

قال المجد الفيروزآبادي رحمه الله في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج٢ ص٢١ : ولا شيء من الأسماء يتكرر في القرآن المجيد و في جميع الكتب أي الكتب السماوية تكرره أي تكرر الاسم "الله" . أمّا في نص القرآن فمذكور في ألفين و خمسمائة و بضع و ستين موضعًا . و أكثر الأسماء و الصفات و الأفعال الإلهية و أحوال الخلق مرتبطة به . انتهى .

القول الثاني : قال بعض العلماء : ذكر هذا الاسم الجليل في كتاب الله عزّوجلّ في ٢٣٦٠ موضعًا .

قال الشيخ أحمد بن نورالدين محمد ابن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي رحمه الله في السراج المنير شرح

الجامع الصغير : "الله" عَلَم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد . لم يتسمَّ به سواه . و هو عربي عند الأكثر . و قد ذكر في القرآن في ألفين و ثلاثمائة و ستين موضعًا . انتهى .

القول الثالث : قيل : ذكر هذا الاسم الشريف في القرآن العزيز ٢٦٩٧ مرّات .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : قد وقع الاختلاف للعلماء في عدد مكررات اسم "الله" . و الأقرب إلى الصواب و الأشبه بالحق ما في المعجم المفهرس للقرآن الكريم لبعض المعاصرين أن لفظ الجلالة ورد في القرآن العزيز مرفوعًا و منصوبًا و مجرورًا :

أمّا المرفوع فقد ورد في ٩٨٠ موضعًا .

و أمّا المنصوب فثبت في ٥٩٢ موضعًا .

و أمّا المجرور فجاء في ١١٢٥ موضعًا . و مجموع ذلك ٢٦٩٧ .

القول الرابع : قال العبد الضعيف الروحاني البازي : إن القول الثالث و إن كان أقرب من الحق بالنسبة إلى القولين الأوّلين ، لكنّه ليس بصواب . و الصواب أنّ عدد مكرّرات الاسم "الله" في القرآن العزيز ٢٦٩٨ بزيادة واحد عند الحنفيّة .

و وجه خطأ صاحب القول الثالث أنّ هذا المعاصر فاته موضع و هو البسملة . فإنه لم يعدّ لفظ الجلالة الوارد في البسملة . فيجب زيادة عدد واحد على المجموع المذكور عند الحنفيّة و بعض الأئمّة و القراء . فإنّ البسملة عند الحنفية و بعض القراء جزء من القرآن مطلقًا . نعم هي ليست جزء من كلّ سورة .

و إن سلمنا أنها جزء من كل سورة كما اختاره بعض الفقهاء و القراء منهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى و أتباعه فلابد من عدّ لفظ الجلالة على وفق عدد السور ما عدا البراءة جزءً من القرآن . و زيادة هذا العدد على العدد المذكور من قبل . هذا . و الله أعلم بالصواب و علمه أوسع و أعلى و أجلّ .



الباب الخامس و الثمانون

من نفائس خصائص الاسم "الله" أن الله تعالى وسبحانه لما اصطفى من كل نوع من الأشياء و المخلوقات فردًا فردًا اصطفى من الكلمات و الأسماء الاسم "الله".

و هذا كما اصطفى الله تعالى من نوع الإنسان محمدًا ﷺ، و من الأيام يوم الجمعة، و من الشهور شهر رمضان.

و هذا من الأبحاث النفيسة القدسيّة و الحقائق الشريفة المهمة. خاض في تفصيلها علماء الشريعة الظاهرة و فضلاء الطريقة الباطنة. و تكلّم كل فرقة على وفق ذوقها و علمها، و على طبق شوقها و فهمها. و كلّ عالم رمى عن قوسه بنبله، و استسقى من وبله و طلّه.

قال بعض علماء الطريقة الباطنة: إن الله سبحانه اختار في جميع الموجودات. فاختار من كل أمر في كل جنس أمرًا ما. وذلك الأمر هو الفرد الأكمل الأعلى في الجنس، كما اختار من الأسماء الحسنى كلمة "الله" أي الاسم "الله".

و اختار من الناس الرسل. واختار من العباد الملائكة. واختار من الأفلاك العرش. واختار من الأركان الماء. و اختار من الشهور رمضان. و اختار من العبادات الصوم. و اختار من القرون قرن النبي ﷺ. و اختار من أيام الأسبوع يوم الجمعة. و اختار من الليالي ليلة القدر.

و اختار من الأعمال الفرائض. و اختار من الأعداد التسعة و التسعين. و اختار من الديار الجنة. واختار من أحوال السعادة في الجنة الرؤية. واختار من الأحوال الرضا. و اختار من الأذكار لا إله إلّا الله. و اختار من الكلام القرآن. و اختار من سور القرآن سورة يٰسٓ. و اختار من آي القرآن

آية الكرسي . و اختار من قصار المفصل قل هو الله أحد .

و اختار من أدعية الأزمنة دعاء يوم عرفة . و اختار من المراكب البراق . و اختار من الملائكة الروح . واختار من الألوان البياض . و اختار من الأكوان الاجتماع . واختار من الإنسان القلب . و اختار من الأحجار الحجر الأسود . و اختار من البيوت البيت المعمور .

و اختار من الأشجار السدرة . واختار من النساء مريم وآسية . واختار من الرجال محمدًا ﷺ . و اختار من الكواكب الشمس . و اختار من الحركات الحركة المستقيمة . واختار من النواميس الشريعة المنزلة . و اختار من البراهين البراهين الوجودية .

و اختار من الصور الصور الآدمية ، لذلك أبرزها على الصورة الإلهية . و اختار من الأنوار ما يكون معه النظر . و اختار من النقيضين الإثبات ، و من الضدين الوجود .

و اختار الرحمة على الغضب . و اختار من أحوال أفعال الصلاة السجود ، و من أقوالها ذكر الله ، و من أصناف الإرادت النية ، فلها الحكم في قبول العمل و ردّه ، فإنه لكل امرئ ما نوى ، و يلحق غير العامل بالعامل في الأجر و زيادة .

ثم ذكر هذا البعض علة اختيار فرد فرد من بين أفراد جنسه . و بيّن وجوه ترجيح كل أمر اصطفاه من أمور نوعه بكلام مطنب . و هذا ملخّصه .

قال : أمّا اختيار ذكر الله في أقوال الصلاة فإنه أكبر ما فيها . هكذا قال الله تعالى : إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ . فإن الصلاة مناجاة ، و الذاكر جليسه الحق . وأما اختيار السجود فلما فيه من العصمة من الشيطان . فإنه لا يفارقه في شيء من أفعال الصلاة إلّا في السجود خاصة ، لأنه خطيئته ، و عند السجود يبكي و يتأسف .

و أمّا اختيار الرحمة على الغضب فلأنها وسعت كل شيء . و الغضب من الأشياء التي وسعته الرحمة . فما ثم غضب خالص غير مشوب برحمة . و الرحمة لا يشوبها غضب . و من يحلل عليه غضبي فقد هوٰى . فالغضب جعله يهوي . فإذا هوى ، و هو السقوط . وهو حكم الغضب لا غير فيسقط في الرحمة . فتسعه الرحمة وتتلقاه . فلا يسقط إلّا إليها . و بالرحمة التي في الغضب سقط . فهي التي جعلت

الغضب يهوي به لتستلمه الرحمة الخالصة ، كالرحمة التي في الدواء الكريه . فيشربه العليل على كراهة فيه رحمة خفية من أجلها استعمل الدواء الكريه لتسلمه إلى العافية . و هي الرحمة الخالصة .

و أمّا اختياره الصورة الآدميّة فلأنه خلق آدم على صورته . فأطلق عليه جميع أسمائه الحسنى . و بقوّتها حمل الأمانة المعروضة . و ما أعطته هذه الحقيقة أن يردّها كما أبت السموات و الأرض و الجبال حملها .

و أمّا اختيار الشريعة المنزلة فلما لها من عموم التعلق بالدار الآخرة و مصالح الدنيا . و ليست النواميس الحكمية التي وضعها الإنسان لمصالح الدنيا و لبقاء الخير في عالم الدنيا كافية للقرب الإلهي . فقبول الأعمال و رفع الدرجات و إثبات الجنات و دار الشقاء لا يستقلّ بذلك كله إلاّ الشرع المنزل من عند الله تعالى .

و أمّا اختياره الحركة المستقيمة فإنه تعالى على صراط مستقيم ، كما قال تعالى عن نفسه . واختصّ بها الإنسان الذي خلقه الله تعالى على صورة الحق . وفيها يحشر السعيد يوم القيامة . فهي للإنسان دنيًا وآخرةً . فإن المجرمين يحشرون منكوسين . و هي الحركة المنكوسة ، كما قال تعالى في حق المجرمين : وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ . و الحركة المعوّجة الأفقيّة في البهائم . فلم تصحّ الحركة المستقيمة إلاّ لمن خلقه الله على الصورة . و ذلك هو الإنسان الكامل الذي له هذه الصفة في الدنيا و الآخرة . و لهذا خصّ بها ذكر آدم . لأنه من أهل السعادة التي تبقي عليه هذه الحركة المستقيمة . و لهذا نعت بالخلافة .

و أمّا اختياره من الألوان البياض فلأن الملوّنات كلها تستحيل إليه ولا يستحيل إليها . بل بياضيّته كامنة فيه مستورة لحجاب اللون الذي يظهر في العين من سواد و حمرة و صفرة وغير ذلك . فمنه ما يكون لونا قائمًا بالمحلّ . ومنه ما يكون لونًا في ناظر العين . وليس كذلك في نفس المتلوّن كسواد الجبال البيض على البعد فإذا جئتها رأيتها بيضًا . وقد كنت تحكم عليها بالسواد . و أنت غالط في ذلك الحكم . وصحيح في ظهور السواد به . و الكيفيّة في ذلك مجهولة .

و بهذه المثابة زرقة السماء إنما هي لنظر العين و إن كانت في نفسها على لون يخالف الزرقة .

و أمّا اختياره قل هو الله أحد فلأنها مخصوصة به ليس فيها ذكر كون من الأكوان إلّا أحدية كل أحد أنها لا تشبه أحديّته تعالى خاصّة . و في إتيانها في هذه السورة علم غريب لمن فتح الله به عليه .

فإنه افتتح السورة بأحديته ، وختمها بأحدية المخلوقين . فاعلم : أن الكائنات مرتبطة به ارتباط الآخر بالأوّل لا ارتباط الأوّل بالآخر . فإن الآخر يطلب الأوّل ، والأوّل لا يطلب الآخر . فهو الغني عن العالمين من ذاته . و يطلب الآخر من مسمّى الله المنعوت بالأحديّة .

هذا . فقد نبّهتك على مآخذ هذا العلم الذي تحويه هذه السورة بالأحديّة المتأخّرة التي هي مع ارتباطها بالأوّل لا تماثلها لكونها تطلبه ولا يطلبها . أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ .

و أمّا اختياره الوجود من الضدين فلأنه صفته . فاختار للممكنات صفته .

و أمّا اختياره "يسٓ" فلأنها قلب القرآن . و من قرأها كان كمن قرأ القرآن عشر مرات . والقلب أشرف ما في الصورة .

و أمّا اختياره الرضا من الأحوال فإنه آخر ما يكون من الحق لأهل السعادة من البشرى . فلا بشرى بعدها فإنها بشرى تصحب الأبد .

و أمّا اختياره من الأعداد التسعة و التسعين فلأنها وتر الأسماء الجامع بين الآحاد و العقد . إن لله تسعة و تسعين اسما مائة إلّا واحدًا من أحصاها دخل الجنة . فإن الله وتر يحب الوتر .

و أمّا اختياره ليلة القدر فإن الأمور لا تتميز إلّا بأقدارها عند الحق . و الحق غيب . فاختص القدر بالليلة . لأن الليل ستر كما يستر الغيب .

و أمّا اختياره الصوم فإن النبي ﷺ قال لشخص سأله : عليك بالصوم فإنه لا مثل له . فنفي المثلية عن الصوم ، فأشبه "لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ" و قال : الصوم لي . و جعل جميع العبادات كلها للإنسان . إذ كان الصوم صفة تنزيه . ولا ينبغي التنزيه إلّا له تعالى .

و أمّا اختياره من الشهور شهر رمضان فلمشاركته في الاسم . فإن رمضان من الأسماء الإلٰهية . و جعله من الشهور القمرية حتى تعم بركته جميع شهور السنة . فيحصل لكل يوم من أيام السنة حظ

منه . فإن أفضل الشهور عندنا شهر رمضان ثم ربيع الأوّل ثم شهر رجب ثم شعبان ثم ذوالحجة ثم شوال ثم ذوالقعدة ثم المحرم .

و إلى هذا انتهى علمنا في فضيلة الشهور القمرية . وفيما بقي من الشهور ما عندنا علم بترتيب الفضيلة فيها أو هي متساوية في الفضل . وهو الغالب على ظني .

و أمّا اختياره من الأركان الماء لأنه من الماء جعل كل شيء حي حتى العرش لما خلقه ما كان إلّا على الماء فسرت الحياة فيه منه .

و اختار من الأسماء الاسم "الله" فأقامه في الكلمات مقامه . فهو الاسم الذي ينعت ولا ينعت به . فجميع الأسماء نعته وهو لا يكون نعتا . ولهـذا يتكلف فيه الاشتقاق . فهو اسم جامد علَم موضوع للذات في عالم الكلمات و الحروف لم يتسم به غيره جل و علا . فعصمه من الاشتراك كما دل أن لا يكون ثم إله غيره .

هذا ملخص كلام هذا العارف . و في بعض ما ذكره كلام و نظر فتفكر . هـذا . والله أعلم بما فيه رشد و هداية و خير كفاية ، و علمه أجلّ و أدقّ و أعلى .



الباب السادس و الثمانون
وهو محتوٍ على ثلاث خصائص

من غرائب خصائص الجلالة من بين الأسماء الحسنى ذكرها في كل آية من سورة المجادلة مرة فصاعدًا .

و وجه ذلك على ما يخطر بالبال و الله أعلم بحقائق الأحوال أن الاسم "الله" متضمن لعدد ١٩ ، كما سيأتي بعد بضع أبواب تفصيل ذلك . و أن لعدد ١٩ مدخلاً كبيرًا في حفظ إعجاز القرآن .

فهذا العدد من جملة الأمور التي يعلم بها عين اليقين أن القرآن العزيز كلام الخالق القدير و أنه ليس بكلام البشر و أنه محفوظ عن أيدي المحرفين الزائغين إلى هذا الزمان . وكذا يكون محفوظا إلى يوم القيامة ، كما سيأتي تفصيله في الباب الثاني و التسعين .

فعدد سور القرآن الحكيم ١١٤ . و هذا العدد ينقسم على ١٩ هكذا ١٩ × ٦ = ١١٤ . و سورة المجادلة منتصف سور القرآن . فإنها مبدأ النصف الثاني أي مبدأ الدورة الرابعة لعدد ١٩ إن عددت من أوّل القرآن و منتهى النصف الأخير أي الدورة الثالثة إن اعتبرت العدّ من آخر القرآن إلى سورة المجادلة .

فكثر ذكر الاسم "الله" في المجادلة إشارةً إلى أن الاسم "الله" باعتبار عدده سارٍ في سائر سور القرآن و حافظ لإعجازه . فكأنه المحور الأعلى . و هو الخاتم الرحماني المهيمن على حفظ القرآن . و هذه نكتة بديعة لم تقرع سمعك قبل هذا . فاحفظها .

و من العجائب و البدائع أن الاسم "الله" ذكر في هذه السورة أربعين مرة . و عدد ٤٠ هو الذي اعتبره الله تعالى في كثير من الأمور الشرعية و التكوينية ، و أجرى على هذا العدد غير واحد من مهمّات الأمور الدنيويّة و الأخرويّة . و حسبك بالعقد ما أحاط بالجيد .

و لذا جعله مدارًا لانتقالات الجنين من حالة إلى حالة و لتطورات نشأته في بطن أمه . و لم يؤت نبيّنا النبوّة إلّا بعد بلوغه أربعين سنة من عمره ﷺ . و قال الله تعالى : وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . و قال تعالى : فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . و قال تعالى : فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ .

و أيضًا هذا العدد مجموع ما ضرب فيه عدد ١٩ و الحاصل من الضرب . فإنك إذا ضربت ١٩ في ٢ حصل ٣٨ . فاجمع هذا الحاصل أي ٣٨ مع المضروب فيه وهو ٢ يحصل عدد ٤٠ .

و من عجائب أسرار الله تعالى في كتابه الحكيم التي لا يعلمها إلّا الله تعالى و سبحانه أن سورة السجدة مع طولها لم يذكر فيها الاسم "الله" إلّا مرة ، و كذا في "قٓ" .

ولم يذكر في سورة "يسٓ" إلّا ثلاث مرات . وكذا في "صٓ" و "الزخرف" و "الدخان" و "الذاريات" و "الطور" و "الملك" و "المدثر" .

و لم يذكر في سورة الحجر إلّا مرتين .

و لم يذكر في عدة سور مع طولها منها سورة الرحمن . نعم كثر في "الرحمن" ذكر الاسم "الربّ" . وكذا لم يذكر في سورة "القمر" و "الواقعة" و "القلم" و "القيامة" و "عبس" و "المطففين" و "الفجر" و "البلد" و "الليل" و "الضحى" و غير ذلك . كما يعلم من هذا الجدول .

دونك جدولًا نافعًا جدًّا قد بيّنتُ فيه عدد الاسم "الله" المرفوع و المنصوب و المجرور في كل سورة تكميلًا للإفادة .

جدول مكرّرات الاسم "الله" في سور القرآن

الرقم	السورة	عدد المرفوع	عدد المنصوب	عدد المجرور
١	الفاتحة			١
٢	البقرة	١٠٧	٧٦	٩٩
٣	آل عمران	٨٣	٤١	٨٥
٤	النساء	٨٧	٥١	٩١
٥	المائدة	٦٥	٤١	٤١
٦	الأنعام	٣٠	٦	٥١
٧	الأعراف	١٨	٨	٣٥
٨	الأنفال	٣٠	٣٦	٢٢
٩	التوبة	٧٢	٣٣	٦٤
١٠	يونس	٢٠	٨	٣٣
١١	هود	٥	٨	٢٥
١٢	يوسف	١٥	٣	٢٦
١٣	الرعد	١٤	٤	١٦
١٤	ابراهيم	١٠	٨	١٩
١٥	الحجر		١	١
١٦	النحل	٢٩	١٤	٤١
١٧	الإسراء	٣	٢	٥
١٨	الكهف	٨	١	٧
١٩	مريم	٢	١	٥

الرقم	السورة	عدد المرفوع	عدد المنصوب	عدد المجرور
٢٠	طه	٥		١
٢١	الأنبياء	١		٥
٢٢	الحج	١٥	٣٥	٢٥
٢٣	المؤمنون	٤	٢	٧
٢٤	النور	٣٧	١٧	٢٦
٢٥	الفرقان	٤		٤
٢٦	الشعراء		١٠	٣
٢٧	النمل	٧	٢	١٨
٢٨	القصص	٩	٦	١٢
٢٩	العنكبوت	١٣	٨	٢١
٣٠	الروم	٩	١	١٤
٣١	لقمان	٣	١٥	١٤
٣٢	السجدة	١		
٣٣	الأحزاب	٣٤	٢٦	٣٠
٣٤	سبإ	٢		٦
٣٥	فاطر	٧	١١	١٨
٣٦	يسٓ	٢		١
٣٧	الصافات	٤	١	١٠
٣٨	ص	١		٢
٣٩	الزمر	٢٤	١٢	٢٣
٤٠	المؤمن	١٨	٧	٢٨
٤١	فصلت	٢	٣	٦

الرقم	السورة	عدد المرفوع	عدد المنصوب	عدد المجرور
٤٢	الشورى	١٩	٢	١١
٤٣	الزخرف	١	٢	
٤٤	الدخان	١		٢
٤٥	الجاثية	٦		١٢
٤٦	الأحقاف	١	٤	١١
٤٧	محمد	١٥	٧	٥
٤٨	الفتح	٢١	٣	١٥
٤٩	الحجرات	٧	١٢	٨
٥٠	ق			١
٥١	الذاريات		١	٢
٥٢	الطور	١		٢
٥٣	النجم	٢		٤
٥٤	القمر			
٥٥	الرحمن			
٥٦	الواقعة			
٥٧	الحديد	٨	٧	١٧
٥٨	المجادلة	١٨	١١	١١
٥٩	الحشر	٩	١٢	٨
٦٠	الممتحنة	٩	٦	٦
٦١	الصف	٤	١	١٢
٦٢	الجمعة	٤	١	٧
٦٣	المنافقون	٦	١	٧

الرقم	السورة	عدد المرفوع	عدد المنصوب	عدد المجرور
٦٤	التغابن	٩	٤	٧
٦٥	الطلاق	٨	٩	٨
٦٦	التحريم	٨	٢	٣
٦٧	الملك	٢		١
٦٨	القلم			
٦٩	الحاقة			١
٧٠	المعارج			١
٧١	نوح	٣	١	٣
٧٢	الجن	١	٢	٧
٧٣	المزمل	١	٣	٣
٧٤	المدثر	٣		
٧٥	القيامة			
٧٦	الدهر	٢	١	٢
٧٧	المرسلات			
٧٨	النبإ			
٧٩	النازعات	١		
٨٠	عبس			
٨١	التكوير	١		
٨٢	الانفطار			١
٨٣	المطففين			
٨٤	الانشقاق	١		
٨٥	البروج	٢		١

الرقم	السورة	عدد المرفوع	عدد المنصوب	عدد المجرور
٨٦	الطارق			
٨٧	الأعلى	١		
٨٨	الغاشية	١		
٨٩	الفجر			
٩٠	البلد			
٩١	الشمس			٢
٩٢	الليل			
٩٣	الضحى			
٩٤	الانشراح			
٩٥	التين	١		
٩٦	العلق		١	
٩٧	القدر			
٩٨	البينة	١	١	١
٩٩	الزلزال			
١٠٠	العاديات			
١٠١	القارعة			
١٠٢	التكاثر			
١٠٣	العصر			
١٠٤	همزة			١
١٠٥	الفيل			
١٠٦	قريش			
١٠٧	الماعون			

الرقم	السورة	عدد المرفوع	عدد المنصوب	عدد المجرور
١٠٨	الكوثر			
١٠٩	الكافرون			
١١٠	النصر			٢
١١١	اللهب			
١١٢	الإخلاص	٢		
١١٣	الفلق			
١١٤	الناس			

هذا . والله أعلم بالصواب و بأسرار كتابه الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا تنفد غرائبه ، ولا تعدّ نفحاته ، ولا تحدّ بركاته ، ولا تسدّ سعاداته ، ولا تنتهي علومه ، و لا تحصى نجومه . و هو الموفِّق لفتح أقفال غوامض آياته ، وهو الميسِّر لفهم مشكلات إشاراته . نعم المولى و نعم النصير . وعلمه أعلى و أتمّ و أدقّ .



الباب السابع و الثمانون
وهو محتوٍ على ثلاث خصائص

من خصائص الاسم "الله" الكريم أن فاتحته حرف ألف . و هذا الحرف ذو إشارات خفيّة و أسرار بهيّة و رموز سنيّة و اعتبارات علية . هذه خاصة واحدة .

و المراد من الألف ههنا الهمزة أي همزة الاسم "الله" . و الهمزة و الألف كما صرّح أهل النحو و العربية أختان . و إطلاق الألف على الهمزة لاسيما على الهمزة المكتوبة بصورة الألف كما في الاسم "الله" شائع ذائع . و سيأتي في هذا الباب تصريح صاحب القاموس بهذا .

فمن تلك الأسرار : ما قال الإمام المجد الفيروزآبادي رحمه الله في كتابه بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج٢ ص٥ : و اشتقّت الألف من الألفة لأنها أصل الحروف . و جملة الكلمات و اللغات متألفة منها . و في الخبر : لما خلق الله القلم أمره بالسجود . فسجد على اللوح . فظهرت من سجدته نقطة . فصارت النقطة همزة . فنظرت إلى نفسها فتصاغرت و تحاقرت .

فلما رأى الله عز و جل تواضعها مدّها و طوّلها و صيّرها حرفًا مستويا مقدما على الحروف . و جعلها مفتتح اسمه "الله" . وبها انتظمت جميع اللغات . ثم جعل القلم يجري وينطق بحرف حرف إلى تمام تسعة وعشرين حرفًا . فتألفت منها الكلمات إلى يوم القيامة . انتهى كلامه .

و من تلك الأسرار : كون هذه الألف الكائنة في مفتتح "الله" ذات وجهين . فإنها قد تكون للوصل فتسقط في الوصل و هو ظاهر . وقد تكون قطعًا فلا تسقط في الوصل كما في الذكر المفرد مثل

"أَللهُ ، أَللهُ ، أَللهُ" حيث صرّحوا بقطع ألفه و عدم إسقاطها . و منعوا وصل هاء الأوّل بلام الثاني . و هكذا . و كما في الأذان و الإقامة حيث تقطع ألفه فيهما و منع سقوطها درجًا . و كما في "يا أَللهُ" . و هذا أمر لطيف لا نظير له في الأسماء . و هذه خاصة ثانية .

و من تلك الأسرار : أنها ألف واصل على اعتبار و هو اعتبار كونها مع اللام عوضًا من الهمزة المحذوفة كما هو مسلك البعض . و همزة وصل على اعتبار أن اللام فقط عوض بغير الهمزة كما هو مختار البعض . و استقصينا مباحثه في باب آخر من هذا الكتاب .

و من تلك الأسرار : أن فاتحته حرف حلق و هو الألف و خاتمته حرف حلق وهو الهاء . و في ذلك إشارات خفية بهية كما صرح به أهل الكشف . ولا نظير له في أسماء الله الحسنى . و هذه خاصة ثالثة مبنية على لحاظ حرف الحلق .

إن قلت : اسم "الله" يشاركه في هذه الخاصية أي في كون الألف فاتحة له من أسماء الله تعالى "الأحد" "الأوّل" "الآخر" إذ هـذه الأسماء الثلاثة مثل الاسم "الله" مصدّرة بالألف . فلا يصح عدّ الألف فاتحة خاصة للاسم "الله" .

قلت : فرق بين ألف "الله" و ألفات الأسماء الثلاثة أي "أحد" "أول" "آخر" فإن ألف الاسم "الله" حاملة لإشارات و اعتبارات لا تتأتّى في تلك الأسماء الثلاثة .

ألا ترى أن ألف كل واحد من هذه الأسماء الثلاثة ألف قطع ، ليست إلّا . بخلاف ألف "الله" فإنها قد تكون ألف قطع فلا تسقط في الوصل . و قد تكون ألف وصل فتسقط وصلاً . كما عرفت الآن في بيان السرّ الثاني و الثالث .

ثم اعلم بعد معرفة هذه الأسرار المذكورة : أنّ في الألف نفسها وفي كينونتها مفتتح الاسم "الله" نكات غريبة سامية ، و إشارات عجيبة نامية . فقد تزيّن هذا الاسم الجليل بزينة هذه النكات العظمى ، و تقمّص قميصًا من أنوار هذه الدقائق الطوبى ، و ارتدٰى رِداءً من جمال هذه الإشارات العليا ، و تحلّٰى حلية من هذه المحاسن الحسنى . وهذه النكات و الإشارات صعب الانقياد ، شديدة الارتياد ، بعيدة المرام ، أبيّة الزمام . نعم بفضل الله و توفيقه أطاعتني هذه الحقائق بأعنّتها ، و انقادت لي هذه الدقائق

بأزمّتها . و لله الحمد و المنة و هو الموفّق و المستعان .

فدونك نكات لن تراها مجموعة في غير هذا الكتاب :

النكتة الأولى : كثرة التصرف في الألف في لسان العرب . فتبدل من الياء و الواو و الهمزة و تبقى و تحذف و غير ذلك من التصرفات الكثيرة . و في ذلك إشارة إلى كثرة التصرفات في هذا الاسم الكريم و إلى كثرة تصرفات مسماه تعالى . فكل يوم هو في شأن .

النكتة الثانية : أن الألف مشتقة بالنظر إلى اسمها من الألفة . ففيها إشارة إلى وجوب الألفة مع ذكر الله و الأنس به . و لذا جعل العارفون ذكر الله أعظم مطلوب لا تقرّ عيونهم إلاّ به ولايثلج صدورهم إلاّ به . أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ .

النكتة الثالثة : أن صورة الألف الرسمية مستقيمة . و في ذلك إشارة إلى وصف قيومية الله تعالى وسبحانه . و لمناسبة حالة القيام لوصف الله باعتبار القيومية و إن كانت مناسبة اعتبارية أمر الله تعالى المصلِّي بقراءة القرآن في الصلاة في حالة القيام ، و نهاه عنها في الركوع و السجود لكون الركوع و السجود ضد القيام وضدّ الاستقامة الظاهريّة .

قال الشيخ ابن عربي في الفتوحات ج١ ص٤٢٦ عند البحث على منع قراءة القرآن في الركوع : فأقول في باب الأسرار : لما كان المصلي في وقوفه بين يدي ربه في الصلاة له نسبة إلى القيومية ، ثم انتقل إلى حالة الركوع الذي هو الخضوع ، و كذلك السجود لم تنبغ أن تكون هذه الصفة لله تعالى .

فشرع النبي ﷺ على ما فهم من كلام الله لما نزل عليه "فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ" قال رسول الله ﷺ : اجعلوها في ركوعكم . ثم نزل قوله تعالى "سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى" قال رسول الله ﷺ : اجعلوها في سجودكم . فاقترن بهما أمر الله بقوله "سَبِّح" و أمر رسول الله ﷺ لنا بمكانها من الصلاة يقول : نزّهوا عظمة ربكم عن الخضوع . فإن الخضوع إنما هو لله لا بالله . فإنه يستحيل أن تقوم به صفة الخضوع . انتهى كلامه .

النكتة الرابعة : أن الألف أكثر دورانًا في الكلام مطلقا وفي كلام الله تعالى . ولا يخفى على ذوي الألباب أنّ الحرف الأكثر استعمالاً أخف في اللسان و آنس إلى القريحة و أعلق بالقلب و أنسب

بفاتحة الاسم "الله" الذي هو أكثر دورانًا على الألسنة و وقوعًا في القرآن .

و لذا فتحت الألف فإن الفتحة أكثر استعمالاً في القرآن و في سائر الكلام من الكسرة والضمة .

فإن عدد الفتحات في القرآن ٥٣٢٤٣ ، و عدد الضمات فيه ٨٨٠٤ ، و عدد الكسرات فيه ٣٩٥٨٢ .

و أمّا عدد الألفات في القرآن فنحو ٤٨٨٧٢ ، و عدد النونات فيه ٢٦٥٦٠ ، و الميمات فيه ٢٦٥٣٥ ، و الواوات فيه ٢٥٥٣٦ ، و الياءات فيه ٢٥٩١٩ .

النكتة الخامسة : هي سهولة التكلم بهذا الاسم الكريم . فإن هذا الاسم الجليل أسهل الأسماء لفظًا حتى أنّه يسهل التلفظ به للأطفال أيضًا في أوّل وهلة و في بدء كلامهم . و كثرة جريان هذا الاسم على الألسنة لاسيما ألسنة الذاكرين تستدعي أن يكون مفتتحه حرفًا يخفّ . و إن كنت في ريب مما قلنا فوازن في التلفظ بالاسم "الله" و بما سواه من الأسماء الحسنى مثل غفور ، جبار ، قدير وغير ذلك تجد الفرق متّضحًا بين فاتحة الجلالة و فاتحة ما سواه .

النكتة السادسة : أن الألف أوّل حروف الهجاء . و الأوّل هو الأحق بأن يفتتح به الاسم الأعظم . و أيضًا فيه إشارة إلى نكتة وهي أن "الله" هو الأوّل ذاتًا و وجودًا كما أن الألف أوّل الحروف الهجائية .

النكتة السابعة : أن الألف مشتقة من الألفة و هي المودّة . و الألفة هي الرابطة القوية بين العبد و ربه تعالى و بها يصل العابد إلى الله سبحانه و يحصل له القرب من جنابه تعالى و تقدس . فالعبد يحب الله تعالى . و أعلى من ذلك مرتبةً أن يحبه الله عزّوجلّ .

قال العارف الجيلاني في "الكهف و الرقيم" ص١٣ : فحرف الألف في نفسه مشتق من الألفة بل على الحقيقة الألفة مشتقة من الألف . ألا ترى إلى اختلاف الصرفيين في المصدر هل اشتق من الفعل أم الفعل اشتق منه . انتهى .

النكتة الثامنة : أن الألف سارية في جميع الحروف صورةً و معنًى ، كما أن حياة الله سارية في جميع الموجودات . ففي الألف الأولى إيماء إلى اسم الله الحي ، و في الألف الثانية إشارة إلى القدرة

السارية في جميع الموجودات الكونية .

أمّا سريان الألف في الحروف صورةً و رسمًا فكما قال العارف الشيخ الجيلاني رحمه الله تعالى : إن مقام الألف التصور بصورة كل حرف . إذ الباء ألف مبسوطة ، و الجيم ألف معوج الطرفين ، و الذال و الراء ألف منحني الوسط ، و الشين أربع ألفات ، كل سنة منها ألف ، و التعريجة ألف منحنية مبسوطة . و على هذا قياس الباقي .

و أمّا في المعنى فلابد من وجود الألف في كل حرف لفظا إذا هجيته . يقال : باء و ألف . و الجيم إذا هجيته تقول "جيم" "ياء" "ميم" . فالياءالمثناة التحتية موجود فيها الألف .

فالألف موجودة في كل حرف صورة و معنى . لأنها تنزل إلى النقطة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة . فله كل ما للنقطة في عالم الشهادة . كذا في كتاب الكهف و الرقيم .

قال بعض العلماء من المتقدمين في بيان أسرار حرف الشين : و قوله عليه الصلاة والسلام في سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه : الذي اهتزّ العرش عند موته . فهذا يدل على ما يظهر من أحكام الملك الفرد في عرشه ليعلم أن العرش يظهر فيه آثار القدرة من القدير . فلذلك كانت الشين في آخر حروف العرش . و هي من توحيد العوالم المتعددة .

فالشين عرش الحروف . وذلك لعلو منصبها و ترتيبها . ولا يوجد في الحروف ما يكمل عروشها إلّا حرف الألف ، لأنه أصل شجرة الحروف . و الشين إليها انتهاء الحروف و عروجها . فلذلك الألف لايكون قبلها إلّا ما هو منها . و لمّا كان الشين كشكل الألف كانت المناسبة الشكلية مشتركة . و الألف منبسطة في ثلاثة أحرف ، هكذا "ا ، ل ، ف" والشين منبسطة من ثلاثة أحرف ، هكذا "ش ، ي ، ن" و كانت نسبته كنسبته .

ثم قال : و لذلك كانت الألف أخف الحروف و ألطفها لعدم التشبيه و إقامتها قطرًا قائما . ولا شبيه لها في الآحاد الحرفية ، ولا يعرف عليها من غيرها ، و لا يتقدمها غيرها في آخر الكلمة ، فهي تشير إلى الأوّلية و الآخرية . انتهى .

النكتة التاسعة : أن الألف حرف نوراني و هي أوّل حروف الهجاء . فناسبت الجلالة

فجعلت فاتحتها .

و أيضًا في الألف أسرار كثيرة سوى ما ذكرنا . قال الشيخ أحمد بن على : حرف الألف هو أوّل الحروف ، وهو حرف نوراني و أول العدد ، وهو أوّل مرتبة تنقسم الحروف على العناصر .

و أجمعوا على أن الألف حرف ناريّ . ولهذا الحرف بسط صغير و كبير . فبسطه الصغير هكذا "ألف" و بسطه الكبير هكذا "ألف لام فا" و بسطه العددي موافق لبسطه الحرفي . لأنه "ا ، ل ، ف" والعددي "ا ، ح ، د" وهذا الحرف لمّا كان أوّل الاختراع و أوّل العدد و أول عنصر النار جعلت له القوة الأزلية أن يكون له أوّل الأيام الأحد موافقة و مناسبة للطبع و الشرف .

و لهذا الحرف شكلان لا يختلفان و شكله العربي كشكله الهندي و هو مبدأ العقل . و السر في كون هذا الحرف ناريًّا هو أن القلم لما أمره الله تعالى أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وضع رأسه على اللوح فساح منه نقطة من النور . ثم ساح منها الألف . فلهذا السر كان هـذا الحرف ناريًّا . و أول عنصر النار و ابتداؤه الاسم الشريف الذي هو "الله" بالإجماع .

و من كتب حرف الألف على صحيفة من ذهب أو كاغذ بالزعفران يوم الأحد في شرف الشمس و ضمخه بالغالية و حمله معه أذهب الله عنه الحمّى و هابه كل من رآه . و كان محفوظا من كل مكروه موفقًا للخيرات . و هذه صفته ١١١ - ١١١ . و إذا نظرت إليها امرأة وقت الطلق وضعت .

و من وضع بسطه الأوّل مكسرًا في مثلث في إناء من نحاس و محاه بماء ورد وسقاه لمن به روع سكن . و من به خفقان يسقي على أيام متوالية يسكن خفقانه . و ينفع الطفل الذي يحصل له رجيف . و هو حجاب للجان و الهوام و غيرها . و المثلث هكذا أي تكتب في سطرة "ا ل ف" ثم تكتب تحت هذه السطرة "ل ف ا" في سطرة ثانية ، ثم تكتب تحت السطرة الثانية "ف ا ل" في سطرة ثالثة .

و من كان به برودة أو عارض في صلبه يمنعه من الحركة يكتب المثلث في كفه اليمنى بدهن غار يوم الأحد عند طلوع الشمس في يوم صحو ، يفعل ذلك على ثلاث حدود ، و يكتب شكل الألف المتقدم على حريرة حمراء بزعفران محلول بماء ورد ، و يشدّه على وسطه . فإن الله يسهل عليه الحركة و يذهب عنه البرودة . و من كتب بسطه الثاني ثلاث مرات بدائر الرأس الذي به الصداع البلغمي زال

لوقته . انتهى كلامه . و في بعض ما ذكر من كلامه نظر . والله أعلم .

النكتة العاشرة : أن الألف لها التقدم من بين سائر الحروف . إذ هي أوّل الحروف مطلقا و أول الأبجد .

و في كتاب غنية الطالبين : قال النبي ﷺ في حديث علي كرّم الله وجهه لمّا سأله عن معنى "أبجد ، هوز حطي" إلى آخرها : يا عليّ ! ألا تعرف تفسير "أبجد" ؟ الألف من اسم الله عزّ و جلّ الذي هو "الله" و الباء من اسم الله الذي هو "الباري" و الجيم من اسم الله الذي هو "الجليل" إلى آخرها . انتهى . هذا . والله أعلم بصحة هذا الحديث ، ولا أظنّه صحيحًا . و هذا الوجه قريب من الوجه المذكور من قبل مع فرق لطيف بينهما فتفكر .

النكتة الحادية عشرة : أن الألف تستعمل في القرآن و الحديث وكلام العرب لغير واحد من المعاني . و تفيد فوائد ومطالب كثيرة نحو أربعين مطلبًا . و هذا من عجائب حروف الهجاء و نفائسها و غرائب حروف المباني و عرائسها .

إن قلتَ : ما تفصيل مطالب الألف و ما توضيح غرائبها ؟

قلتُ : يترتّب على حرف الألف في القرآن و الحديث وكلام العرب العرباء مطالب عديدة و مقاصد كثيرة تنيف على أربعين مطلبًا . و ليس هذا محلّ استقصاء كل مطلب من هذه المطالب . و أمّا خلاصة هذه المطالب فلكونها لا تخلو عن فوائد مهمّة يجدر بنا أن ندرجها ههنا تذكرة للإخوان و تبصرة للخلاّن . فأقول و بالله التوفيق :

قال المجد الفيروز آبادي رحمه الله في البصائر ج٢ ص٥-١١ : و الألف في القرآن و لغة العرب ترد على نحو أربعين وجها :

الأوّل : حرف من حروف التهجي هوائي ، يظهر من الجوف ، مخرجه قريب من مخرج العين . و النسبة ألفي ، و يجمع ألفون على قياس صلفون ، و ألفات على قياس خلفات . و حرف الألف الحقيقي هو الألف الساكنة في مثل "لا" و "ما" .

فإذا تحركت صارت همزة . و يقال للهمزة ألف توسُّعًا لا تحقيقًا . و قيل : الألف حرف على

قياس سائر الحروف ، يكون متحركًا ويكون ساكنا . فالمتحرك يسمى همزة و الساكن ألفًا .

الثاني : الألف اسم للواحد في حساب الجمل ، كما أن الباء اسم للاثنين .

الثالث : ألف العجز والضرورة ، فإن بعض الناس يقول للعين : أين . و للعيب : أيب .

الرابع : الألف المكررة في مثل رأَّب ترئيبًا أي أصلح .

الخامس : الألف الأصلية ، نحو ألف أمر ، و قرأ ، و سأل .

السادس : ألف الوصل ، كالذي في "ابن" و "ابنة" من الأسماء ، وكالذي في "انصر" و "اقطع" من الأفعال .

السابع : ألف القطع ، نحو ألف "أب" و "أم" و "أكرم" و "أعلم" .

الثامن : ألف الفصل . تكون فاصلة بين واو الجماعة و واو العطف ، نحو آمنوا ، و كفروا .

التاسع : ألف الاستفهام .

العاشر : ألف الترنُّم ، نحو قول جرير " و قولي إن أصبت لقد أصابا " .

الحادي عشر : ألف نداء القريب . يا آدم ، يا إبراهيم ، يا ربّ .

الثاني عشر : ألف الندبة . ويكون في حال الوصل مفردا ، و في حال الوقف مقترنًا بهاء ، نحو "وا يداه" و "يا زيدا رحمك الله" .

الثالث عشر : ألف الإخبار عن نفس المتكلم ، نحو "أعوذ بالله" و "أعلم من الله" .

الرابع عشر : ألف الإشباع موافقةً لفواصل الآيات ، أو لقوافي الأبيات ، و الآية نحو "وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠" "فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠" .

و الشعر نحو "وبعد غد بما لا تعلمينا" ونحو "فنجهل فوق جهل الجاهلينا" .

الخامس عشر : ألف التأنيث . و يكون مقصورًا كحبلى و بشرى ، وممدودًا كحمراء و خضراء .

السادس عشر : ألف التثنية نحو الزيدان ، و يضربان .

السابع عشر : ألف الجمع "وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ" و نحو "مسلمات" و "قانتات".

الثامن عشر : ألف التعجب "فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ" "أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ".

التاسع عشر : ألف الفرق . وذلك في جماعة المؤنث المؤكدة بنون مشددة نحو : اضربنانِّ و اقطعنانِّ .

العشرون : الإشارة للحاضر ، نحو : هذا و هاتا و ذا ، و للغائب نحو : ذاك و ذلك .

الحادي و العشرون : ألف العوض في "ابن" و "اسم" فإن الأصل "بنو" و "سمو" فلمّا حذف الواو عوّض بالألف .

الثاني و العشرون : ألف البناء نحو "صباح" و "مصباح" في الأسماء و "صالح" في الأفعال .

الثالث و العشرون : الألف المبدلة من ياء أو واو نحو : قال وكال ، أو من نون خفيفة نحو "لنسفعا" في الوقف على لنسفعن ، أو من حرف يكون في مقدمته حرف من جنسه نحو "تقضّى" في تقضّض .

الرابع و العشرون : ألف الزائدة . و هي إمّا في أوّل الكلمة نحو أحمر و أكرم ، و إما في ثانيها نحو سالم و عالم ، و إما في ثالثها نحو كتاب و عتاب ، و إما في رابعها نحو "قِرضاب" وهو اللص ، و إما في خامسها نحو شَنْفَرى ، السيّئ الخلق ، و إما في سادسها نحو قبعثرى ، الجمل العظيم .

الخامس و العشرون : ألف التعريف نحو الرجل .

السادس و العشرون : ألف تقرير النعم "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا" "أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ".

السابع و العشرون : ألف التحقيق . ويكون مقترنًا بما في صدر الكلام ، نحو : أما إن فلانًا فعل كذا .

الثامن و العشرون : ألف التنبيه . و يكون مقترنًا بلا "أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ".

التاسع و العشرون : ألف التوبيخ "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ".

الثلاثون : ألف التعدية نحو : أجلسه و أقعده .

الحادي و الثلاثون : ألف التسوية "سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ" .

الثاني و الثلاثون : ألف الإعراب في الأسماء الستة حال النصب ، نحو : أخاك و أباك .

الثالث و الثلاثون : ألف الإيجاب "أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ" .

الرابع و الثلاثون : ألف الإفخام . نحو "كلكال" و "عقراب" في تفخيم الكلكل و العقرب . قال الراجز :

نعوذ بالله من العَقْراب الشائلات عقَد الأَذناب

الخامس و الثلاثون : الألف الكافية . و هي الألف التي يكتفي بها عن الكلمة نحو "الٓمٓ" .

السادس و الثلاثون : ألف الأداة نحو "إن" و "إنّ" و "أن" .

السابع و الثلاثون : الألف اللغوي . قال الخليل : الألف الرجُل الفرد . قال الشاعر :

هنالك أنت لا ألِف مَهِينٌ كأنَّك في الوغى أَسَدٌ زَئِيرٌ

و قال صاحب العباب : الألف الرجل العزب .

الثامن و الثلاثون : الألف المجهولة . و هو كل ألف لإشباع الفتحة في الاسم و الفعل .

التاسع و الثلاثون : ألف التفضيل و التقصير كهو أكرم منك و أجهل منه .

الأربعون : ألف التعايِي بأن يقول : إن عمر . ثم يرتج عليه فيقف قائلاً : إن عمرا . فيمدها منتظرا لما ينفتح له من الكلام .

و أصول الألفات ثلاثة ويتبعها الباقيات : أصلية كألف "أخذ" وقطعية "كأحمد" و "أحسن" و وصلية "كاستخرج" و "استوفى" . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب ، و علمه أجلّ و أكمل و أعلى .



الباب الثامن و الثمانون
و فيه خاصّتان

من خصائص الجلالة من بين الأسماء الحسنى أنه لم يسمَّ به غير الله تعالى فيما غبر من الزمان . و لم يطلق على ما سواه تعالى في دين من الأديان و لا في جاهلية من جاهلية الأقوام لا عند المؤمنين بالله تعالى ولا عند الكفرة و الفجرة . لا حقيقة ولا مجازًا ولا باعتبار آخر من الاعتبارات اللسانية .

هذا شان الجلالة في نفس الأمر عند أولي الألباب عن آخرهم . و هذا يؤيّد أنّها اسم عَلَم ليس له مأخذ أخذت هي عنه و اشتقت منه .

إذ لوكان الاسم "الله" مشتقًا عن أصل عامّ لكان عامًّا شاملاً لكل ما دخل في مفهومه الاشتقاقي و مستعملاً فيه ولو في وقت أو في ملّة حقيقةً أو مجازًا في اللسان العربي أو في غيره من مآت ألسنة الأقوام . و إذ لا فلا .

و لذا أثبت هذا الاسم في كلمة الشهادة و هي "لا إله إلّا الله" وليست ألفاظ هذه الكلمة مختصة بالملّة المحمدية بل هي كلمة التوحيد في كل ملّة إلهيّة سماويّة خلت ، لقوله عليه الصلاة والسلام : أفضل ما قلته أنا و النبيُّون من قبلي لا إله إلّا الله . و هو حديث صحيح . و هذه خاصة واحدة .

و أيضًا من خصائص الجلالة أنها تنعت و لا ينعت بها . و هذه خاصة ثانية .

قال الشيخ أحمد بن نورالدين الشهير بالعزيزي رحمه الله تعالى في سراج المنير شرح الجامع الصغير : الله علَم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد لم يتسمَّ به سواه . تُسمِّي به قبل أن يسمّى . و أنزله

على آدم عليه الصلاة والسلام في جملة الأسماء . قال تعالى : هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا . انتهى .

و بالجملة اتفق الخواص و العوام من أهالي كل ملّة على منع التسمية بالله مطلقًا . و كبح الله تعالى عقول الناس قبل الإسلام و بعده عن أن تركن إلى تسمية شيء أو شخص بهذا الاسم الكريم .

و رأيت أنا في هذا الزمان كتابًا لبعض الناس من العرب سمّى كتابه "الله" . و لمّا سمعت هذا اقشعرّ جلدي و أدهشت من جرأة هذا المؤلف . و ما هذا إلّا فسق و فجور . أعاذنا الله منه .

و في الدر المنثور في شرح أسماء الله للشيخ عبدالعزيز يحي رحمه الله تعالى ص٥ : أنّ بعض النساء سمّت ابنها "الله" فنزلت نار من السماء فأحرقته . انتهى .

قال في اليواقيت ج١ ص٧٨ : اعلم : أن الاسم "الله" إنما مسمّاه بالوضع ذات الحق تعالى عينه الذي بيده ملكوت كل شيء . و أن كل اسم إلهي يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق .

و لكن لما كان ما عدا الاسم "الله" من الأسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفي أو إثبات من حيث الاشتقاق لم تقو أحدية الدلالة على الذات قوةَ هذا الاسم كالاسم الرحمن وغيره من الأسماء الحسنى . وقد عصم الله هذا الاسم العلَم أن يتسمّى به أحد غير ذات الحق . ولهذا قال تعالى في معرض الحجة على من نسب الألوهيّة لغير الله تعالى : قُلْ سَمُّوهُمْ . فلو سمّوهم ما سمّوهم إلّا بغير الاسم "الله" . لأنهم قالوا : مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ . فقد علمت أن الاسم "الله" يدل على الذات بحكم المطابقة كالأسماء الأعلام على مسمَّياتها . انتهى .

و لهذا اختار بعض العارفين من السلف ذكر الاسم "الله" على ذكر النفي و الإثبات و يقول : ما سمعت أحدًا يقول "أنا الله" حتى أنفيه .

قال الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى في الفتوحات ج١ ص٣٢٩ : دخلت على شيخنا أبي العباس العريبي من أهل العليا و كان مستهترًا بذكر الاسم "الله" لا يزيد عليه شيئًا . فقلت له : يا سيدي ! لم لا تقول "لا إله إلّا الله" ؟ فقال لي : يا ولدي ! الأنفاس بيد الله ما هي بيدي . فأخاف أن يقبض الله روحي عند ما أقول "لا إله" فأقبض في وحشة النفي .

و **سألت** شيخا آخر عن ذلك . فقال : ما رأت عيني ولا سمعت أذني من يقول : أنا الله غير الله . فلم أجد من أنفي . فأقول كما سمعته يقول : الله ، الله .

و إنما تعبدنا بهذا الاسم في التوحيد لأنه الاسم الجامع المنعوت بجميع الأسماء الإلهيّة . وما نقل أنه وقعت من أحد من المعبودين فيه مشاركة . بخلاف غيره من الأسماء مثل "إله" و غيره . انتهى .

و **قال** أيضًا في الفتوحات ج٢ ص١٧٤ متكلّمًا على الاسم "الله" : فهو الاسم الذي ينعت ولاينعت به . فجميع الأسماء نعته وهو لا يكون نعتا . و لهذا يتكلف فيه الاشتقاق . فهو اسم جامد علَم موضوع للذات في عالم الكلمات و الحروف لم يتسم به غيره جلّ و علا . فعصمه من الاشتراك كما دل أن لا يكون ثم إله غيره . انتهى .

و لشهرة اختصاص الله تبارك وتعالى بهذا الاسم لم يتعجب المشركون لما دعاهم النبي ﷺ إلى الله الواحد . و إنما أنكروا عن نسبة التوحيد إليه تعالى و عن كون الآلهة إلهًا واحدًا . فإن كينونة الله تعالى واحدًا كان مسلَّمًا عندهم .

قال الشيخ الحاتمي في الفتوحات ج١ ص٣٢٨ : و لهذا تعجب من تعجب من المشركين لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله الواحد . فأخبرنا الله عنه أنهم قالوا : أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . فسموها آلهة . انتهى .

و **قال** أيضًا فيها ج٣ ص١٧٨ : و الله غني عن العالمين . فلا يدخله تنكير . والإله يدخله التنكير . فيقال : إله . فاجعل بالك لما نبهتك عليه لتعلم الفرقان بين قولك "الله" و بين قولك "إله" فكثرت الآلهة في العالم لقبولها التنكير . و الله واحد معروف لايجهل أقرّت بذلك عبدة الأصنام فقالت : مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ . و ما قالت : إلى إله كبير هو أكبر منها . و لهذا أنكروا ما جاء به ﷺ في القرآن و السنة من أنه إله واحد من إطلاق الإله عليه . و ما أنكروا الله . و لو أنكروه ما كانوا مشركين بل دهريين . فبمن يشركون إذا أنكروه . فما أشركوا إلّا بإله لا بالله . فافهم .

لأن الاسم "الله" لم يطلقوه إلّا على الله تعالى عزوجل فقالوا : أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . و ما قالوا : أجعل الآلهة الله . فإنّ "الله" ليس هو عند المشركين بالجعل . و عصم

الله تعالى هذا اللفظ لفظ "الله" أن يطلق على أحد . وما عصم إطلاق "إله" .

و لقد رأيت بعض أهل الكفر في كتاب سماه المدينة الفاضلة رأيته بيد شخص بمرشانة الزيتون . و لم أكن رأيته قبل ذلك . فأخذته من يده وفتحته لأرى ما فيه . فأوّل شيء وقعت عيني عليه قوله : و أناأريد في هذا الفصل أن ننظر كيف نضع إلهًا في العالم . ولم يقل "الله" فتعجبت من ذلك . و رميت بالكتاب إلى صاحبه . و إلى هذا الوقت ما وقفت على ذلك الكتاب .

فمن كان ذا بصيرة و تنبه فليتفطن لما ذكرناه . و من هذا الباب قول السامري "هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ" في العجل . و لم يقل : هذا الله الذي يدعوكم إليه موسى . و قول فرعون : لَعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ . و لم يقل : إلى الله الذي يدعو إليه موسى (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) . و قال : مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي . و لم يقل : من الله غيري .

فما أحسن هذا التحري لتعلم أن فرعون كان عنده علم بالله لكن الرياسة و حبها غلب عليه في دنياه فإنه قال : مَا عَلِمۡتُ لَكُم . ولم يقل : ما علمت للعالم . لما علم أن قومه يعتقدون فيه أنه إله لهم . فأخبر ما هو عليه الأمر و صدق في إخباره بذلك فإنه علم أنه ليس في علمهم أنّ لهم إلهًا غير فرعون . انتهى .

و في مفتاح الفلاح : وهو أي الاسم "الله" اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلٰهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقي . و لم يرد عن العرب قبل النبي ﷺ ولا بعده أنه استعمل لفظ هذا الاسم على صيغته فضلاً عن وضعه صفة لغيره .

و قد وردت الآثار أنهم كانوا يكتبون في صحفهم في الجاهلية "باسمك اللّٰهم" و قال تعالى : هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا .

و لهذا قال الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : ما عرف الله إلاّ الله . و أعطى لخلقه الأسماء فحجبهم بها . فقال : فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ .

فوالله ما عرف الله إلاّ الله في النشأتين والدارين و اليومين . و قبض الله تعالى بسط العقول و الأرواح و القلوب في ميدان هذا الاسم ، كما بسطهم في ميدان الأسماء . ولذلك لم يقع التجاسر . ولا صح

للأفكار التسمية به مع وجود الجاحدين و الفراعنة الطاعنين و شدة كفرهم . انتهى . هـذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب ، و علمه أعلى و أتم و أوسع .

الله أكبر

الباب التاسع و الثمانون
و فيه نحو تسع خصائص

من خصائص هذا الاسم الشريف من بين أسماء الله الحسنى أن أسماء الله الحسنى تصلح للتعلُّق و التخلُّق إلاّ هذا الاسم فإنه لا يصلح إلاّ للتعلّق . وأمّا التخلق به فلا يمكن بل يمتنع . و من ادّعى التخلُّق و الاتصاف بالألوهية فقد كفر كما قال فرعون : أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ . قال الله تعالى : وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي .

و نفى الله تعالى وسبحانه اتصاف الغير بالألوهية فقال : لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا . و قال تعالى : شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَ أُولُوا ٱلْعِلْمِ . و قال تعالى : ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ . فالاسم "الله" للتعلق فقط .

و معنى التعلق التقرّب إلى مسماه بالطاعات و الحسنات و طلب رضاه .

ثم هنا خاصَّة أخرى : و هي أن السالكين صرحوا أن كمال التعلق بهذا الاسم لا يتحقق إلاّ بعد التخلُّق بجميع الأسماء .

و خاصة أخرى : و هي ما حكي عن الشبلي رحمه الله أنه قال : ما قال أحد على الحقيقة "ألله" إلاّ الله . و من قاله إنما قاله لحظةً .

و خاصة أخرى : وهي أن من أكثر ذكر هذا الاسم و قوي تعلُّقه مع الله تعالى كان بحيث لايرى غير الله تعالى . و يحرس الله تعالى عليه أحواله و يملأ صدره من أسراره .

و خاصة أخرىٰ : و هي أنه إذا ازداد هذا التعلق قوّةً استخدم الله تعالى له الأكوان . فإن شاء ركب الآساد ركوبه الحمير . و إن أقسم على الله أبرّه .

و خاصة أخرىٰ : و هي أنه بعد غلبة ذكر الله عليه و قوّة تعلقه بالله يسمع كل عضو منه يقول : أللّٰه ، أللّٰه ، أللّٰه .

و خاصة أخرىٰ : و هي أنه لو سقط دمه على الأرض لقال : أللّٰه ، أللّٰه .

و خاصة أخرىٰ : و هي أنه لو سقط دمه على الأرض لكتب أللّٰه ، أللّٰه ، أللّٰه . و على هذا القياس .

قال الشيخ الجريري رحمه الله تعالى : كان من أصحابنا رجل يكثر أن يقول : أللّٰه ، أللّٰه . فوقع يومًا على رأسه جذع فشجّ و سقط الدم فاكتتب على الأرض أللّٰه ، أللّٰه . انتهى .

و خاصة أخرىٰ : وهي ما في لطائف المنن لتاج الدين في أحوال الشيخ أبي الحسن و الشيخ الشاذلي رحمهما الله تعالى ص٢١٥ : قال أبوالعباس رحمه الله تعالى لبعض أصحابه : ليكن ذكرك "أللّٰه" فإن هذا الاسم سلطان الأسماء ، و له بساط و ثمرة ، و بساطه العلم و ثمرته النور ، ثم النور ليس مقصودًا لنفسه و إنما يقع به الكشف و العيان . انتهى .

قال في مفتاح الفلاح ص٢٠٩ : "اللّٰه" مشتق من "أله الرجل" إذا فزع إليه غيره من أمر نزل فآلهه إذا أجاره . ويسمّى إلهًا كما سمّي من أمّ بالناس إماما . ثم قال : كل اسم من أسمائه تعالى يصلح للتخلق إلّا هذا الاسم فإنه للتعلق . فينبغي أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التألُّه . و أعني به أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى لا يرى غيره تعالى ولا يلتفت إلى سواه ولا يرجو ولا يخاف إلّا إياه . ولا يصح التعلق بهذا الاسم إلّا بعد التخلق بمجموع الأسماء أقوالًا و أفعالًا و أحوالًا و ظاهرًا و باطنًا . انتهى .

فمعنى كينونة هذا الاسم للتعلق أن يكثر ذكر "أللّٰه ، أللّٰه ، أللّٰه" . حتى يغلب على قلبه و فكره . و لا يلتفت إلى سواه تعالى و جل . و يفني هو في حبّ الله تعالى . و يعبد الله كأنه يرى الله سبحانه و إن لم يكن يراه فإنه تعالى يراه . و هذا مقام الفناء و الاستغراق . فلايرى شيئا إلّا و يرى الله قبله وبعده ، أي يشاهد آثار قدرته ودلائل توحيده .

قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره ج١ ص٥٦ : سمعت الشيخ الوالد ضياءالدين عمر رحمه الله تعالى يقول : سمعت الشيخ أبا القاسم الأنصاري رحمه الله تعالى يقول : حضر الشيخ أبوسعيد بن أبي الخير الميهني رحمه الله تعالى مع الأستاذ الإمام القشيري رحمه الله تعالى فقال الأستاذ القشيري : المحققون قالوا : ما رأينا شيئا إلّا و رأينا الله بعده . فقال الشيخ أبوسعيد بن أبي الخير : ذاك مقام المريدين . أمّا المحققون فإنهم ما رأوا شيئًا إلّا وكانوا قد رأوا الله تعالى قبله .

قال الإمام رحمه الله تعالى : و تحقيق الكلام أن الانتقال من المخلوق إلى الخالق إشارة إلى برهان الإنّ و النزول من الخالق إلى المخلوق برهان اللمّ . و معلوم أنّ برهان اللمّ أشرف . انتهى كلامه .

و معنى التخلق بأسماء الله تعالى أنه تعالى كريم و حليم و عليم مثلاً . فينبغي للمؤمن أن تصبغ نفسه بصبغة الله فيتخلق بالكرم والعلم و الحلم ، كما ورد في الحديث : أنه تعالى عليم يحب كل عليم . فهو حليم وكريم يحب كل حليم و كريم . و جواد و سخي يحب كل سخي و يبغض البخيل . و رحيم يحب كل رحيم . و في الخبر : ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء . و في حديث آخر : تخلّقوا بأخلاق الله .

و في طبقات الصوفية للشعراني ج١ ص١٧ : وكان الشيخ الإمام أحمد أبوالعباس المرسي رحمه الله تعالى يقول : جميع أسماء الله تعالى جاءت للتخلُّق إلّا الاسم "الله" فإنه للتعلق فقط . إذ مضمونه الإلهيّة . و الإلهيّة لا يتخلق بها أصلاً . انتهى .

قال الشيخ تاج الدين رحمه الله تعالى في لطائف المنن في أحوال أبي العباس و الشيخ الشاذلي رحمهما الله تعالى ص٢١٥ : وقال أبوالعباس رحمه الله تعالى : جميع أسماء الله تعالى للتخلق إلّا اسمه "الله" فإنه للتعلق .

و معنى كلام الشيخ هذا أنك إذا ناديته "يا حليم" خاطبك من اسمه الحليم : أنا الحليم فكن عبدًا حليما . و إذا ناديته من اسمه "الكريم" ناداك من اسمه الكريم : أنا الكريم فكن عبدًا كريمًا . وكذلك في سائر أسمائه تعالى . إلّا اسم "الله" فإنه للتعلق فحسب . إذ مضمونه الإلهيّة ، و الإلهيّة لا يتخلق بها العبد أصلاً . انتهى .

و في مفتاح الفلاح : من أراد التقرب بهذا الاسم أي اسم "الله" فعليه بسبعة أصول : استحقاق ما سوى الله حالاً . و التعظيم لأوامر الله كشفًا . و سقوط الأكوان شهودًا . والفناء في الجمع

استغراقًا . و تعلُّق الهمة بالله دأبًا . و مراقبة الأنفاس سرًّا . و ذكر الاسم الأعظم ظاهرًا و باطنًا إلى أن يتألّه في الوله ، يعني يسترقّ سره في وجوده في حقيقة شهوده . لا يرى غيره ولا يحس من سواه . فيحرس الله عليه أحواله و يحفظ من الأغيار أسراره .

و عن الشبلي رحمه الله تعالى : ما قال أحد على الحقيقة "الله" إلاّ الله . و من قاله إنما قاله لحظةً . قال أبوسعيد الخراز رحمه الله تعالى : من جاوز حدّ نسيان نفسه وقع في نسيان حظه من الله تعالى و نسيان حاجته إلى الله تعالى .

فلو تكلمت جوارحه لقالت : أَللّٰه ، أَللّٰه . فهٰؤلاء الذين ولهت أسرارهم بالله و انمحت آثارهم طمسًا في عين التوحيد . فاستخدم الله لهم الأكوان و سخرلهم الأسرار .

فمن اتخذ الخلوة بهذا الذكر إلى أن يتوله به في الاستغراق ، و حقيقة التوله أن يستغرق ولايحس أذاكر أم صامت أو موجود أو معدوم إلى أن يغلب عليه فيسمع كل عضو منه يقول "أَللّٰه ، أَللّٰه" بلسان يسمعه . فلو سقط دمه لكتب "أَللّٰه ، أَللّٰه" و هكذا . انتهى .

قال الشيخ الفاسي محمد المهدي بن أحمد رحمه الله تعالى في مطالع المسرات شرح دلائل الخيرات ص٤ : "الله" اسم جامع لمعاني الأسماء الحسنى كلها . و ما سواه خاص بمعنى . فلهذا يضاف إليه جميع الأسماء ولا يضاف هو إلى شيء . و كل أسمائه تعالى للتخلُّق إلاّ هذا الاسم فإنه للتعلُّق فحسب . وحظُّ العبد منه التولُّه . و هو استغراق القلب والهمة به تعالى . فلا يرى غيره و لا يلتفت لسواه . انتهى .

و قال الشيخ الحاتمي رحمه الله تعالى : فأحسن ما جمعه الإنسان في حياته العلم بالله و التخلُّق بأسمائه والوقوف عند ما تقتضيه عبوديته و أن يوفّي ما تستحقه مرتبة سيده من امتثال أوامره . انتهى . فتوحات ج٢ ص٦٤٠ .

و قال أيضًا في بيان مقام التصوف : من شرط المنعوت بالتصوف أن يكون حكيمًا ذا حكمة . و إن لم يكن فلا حظَّ له في هذا اللقب . ثم قال : إن الحكمة سارية في الموجودات . لأن الموجودات وضع الله تعالى .

ثم خلق الإنسان و حمله الأمانة بأن جعل له النظر في الموجودات و التصرف فيها بالأمانة

ليؤدي إلى كل ذي حق حقه ، كما أن الله أعطى كل شيء خلقه . فجعل الإنسان خليفة في الأرض دون غيره من المخلوقين . فهو أمين على خلق الله فلا يعدل بهم عن سنة الله . فالموجودات بيد الإنسان أمانة عرضت عليه فحملها . فإن أدّاها فهو الصوفي ، و إن لم يؤدّها فهو الظلوم الجهول . و الحكمة تناقض الجهل والظلم . فالتخلق بأخلاق الله هو التصوف . و قد بين العلماء التخلق بأسماء الله الحسنى ، و بينوا مواضعها . انتهى .

فالتخلق بأسماء الله تعالى هو الاتصاف بأخلاق الله تعالى و أوصافه التي تقبل اتّصاف العبد بها . و إنما جعل الإنسان خليفة لله تعالى في الأرض ليفرغ وسعه في ذلك الاتصاف . فيجب عليه أن يعدل ولا يظلم ولا يخون ولا يفسق . و يجب عليه أن يرحم عباد الله و يحلم و يعلم و يعفو و نحو ذلك . إذ كل ذلك أوصاف الله تعالى و أخلاقه و مدلولات أسمائه .

و من العجائب والبدائع ما حكي أن بعض المريدين قال لشيخه : يا سيدي ! دلّني على شيء يريحني مع الله عز و جل . فقال له الشيخ : إن أردت ذلك فكن شبيها له في شيء من أوصافه عزوجل . فإنك إن اتصفتَ بشيء منها فإنه يسكنك يوم القيامة مع أوليائه في دارنعيمه ، ولا يسكنك مع أعدائه في دار جحيمه .

فقال المريد : و كيف لي بذلك يا سيدي ! و أوصافه تعالى لا تنحصر ؟

فقال الشيخ : كن شبيها في بعضها . فقال : و ما هو يا سيدي ؟ فقال : كن من الذين يقولون الحق . فإن من أوصافه تعالى قول الحق . فإن كنت من الذين يقولون الحق فإن الله سيرحمك . فعاهد المريدُ الشيخَ على أنه يقول الحق . و افترقا .

و كانت بجوار المريد بنتٌ . فدخل الشيطان بينهما حتى فجر بها وافتضّها . فلم تقدر البنت على الصبر مع أنها هي التي طلبت منه الفعل . لأنها كانت تعلم أن الافتضاض لا يخفى بعد ذلك . فأعلمت أباها . فرفعه إلى الحاكم و قال : إنّ هذا فعل ببنتي كذا وكذا . فقال الحاكم للمريد : أتسمع ما يقول ؟ فقال : صدق ، قد فعلتُ ذلك .

و كان المريد مستحضرًا للعهد الذي فارق الشيخ عليه فلم يقدر على الجحود و النكران . فلمّا سمع

منه الحاكم ما سمع قال : هذا أحمق ، اذهبوا به إلى المارستان فإن العاقل لا يقرّ على نفسه بما يعود عليه بالضرر . فدخل المارستان . ثم جاء من رغّب الحاكم و شفع فيه فسرّحوه .

فعلم من هذه الواقعة الغريبة أن عاقبة قول الحق و كذا كل خلق إلهي لا تكون إلّا محمودة طيّبة .

فصل
في التخلُّق بالقيّوميّة

قال الشيخ الشعراني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في اليواقيت ج١ ص٧٩ : فإن قلت : فهل يصح لأحد من الخلق التخلق بالقيومية التي هي السهر الدائم ليلاً و نهارًا ؟

فالجواب كما قاله الشيخ : أنه يصح التخلّق بالاسم القيوم كباقي الأسماء الإلٰهية التي يصح التخلق بها لأحد من الخلق بلا فرق . و ليس ذلك من خصائص الحق كما قال به شيخنا أبو عبد الله بن جنيد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ . قال : و الحق ما قلناه من وقوع التخلق به . انتهى .

قلت : قال الشيخ الأكبر في الفتوحات ج٢ ص١٨١ في الباب الثامن و التسعين في معرفة السهر :

من لا تنام له عين وليس له ... قلب ينام فذاك الواحد الأحد
مقامه الحفظ و الأعيان تعبده ... ولا يقيده طبع ولا جسد
هو الإمام و ما تسري إمامته ... في العالمين فلم يظفر به أحد
كرسيه تخزن الأكوان فيه ولا ... يَئُوده حفظ شيء ضمّه عدد

هذا المقام يسمى مقام القيومية . و اختلف أصحابنا هل يتخلّق به الإنسان أم لا .

و لقيت أبا عبد الله بن جنيد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ من شيوخ الطائفة من أهل قبرفيق من أعمال رندة و كان معتزلي المذهب . فرأيته يمنع من التخلق بالقيومية . فرددتُّه عن ذلك من مذهبه . فإنه كان يقول بخلق

الأفعال للعباد . وأبنتُ له معنى قوله تعالى : ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ . فقد أثبت لهم درجة القيومية . وكان قد أتى إلى زيارتنا . فلمّا رجع إلى بلده مشيت إلى زيارته في بلده . فرددته و جميع أصحابه عن مذهبه في خلق الأفعال . فشكر الله تعالى على ذلك . رحمه الله .

فيتخيل من لا معرفة له بالحقائق أنها من خصائص الحق . ولا فرق عندنا بينها و بين سائر الأسماء الإلهية كلها في التخلق بها على ما تعطيه حقيقة الخلق ، كما هي لله بحسب ما تعطيه ذاته تعالى و تقدس .

و السهر من أحد الأركان التي قام عليها بيت الأبدال . و هي السهر و الجوع و الصمت و العزلة . و قد أفردنا لمعرفة هذه الأربعة جزءً عملناه بالطائف سميناه حلية الأبدال . و نظمناها في أبيات لسوال صاحبي عبد الله بدر الخادم و محمد بن خالد الصدفي . و هي هذه :

يا من أراد منازل الأبدال — من غير قصد منه للأعمال
لاتطمعن بها فلست من أهلها — إن لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه — ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت و اعتزال دائم — و الجوع والسهر النزيه العالي

فجعلوا السهر ركنًا من أركان المقام الذي يكون من صفات الأبدال . وآيتهم من كتاب الله تعالى سيدة آي القرآن : ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . الآية . فانظر ما أعجب هذه الآية .

و لهذه الصفة عنت الوجوه منا . و المراد بالوجوه حقائقنا . إذ وجه الشيء حقيقته . فقال تعالى : وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ . و قال : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ . فإذا لم يحفظ العبد بسهر قلبه ذاته الباطنة كما يحفظ بسهر عينه ذاته الظاهرة و إن كان نائمًا فيكون ممن ينام عينه ولا ينام قلبه . ويحفظ غيره بحفظه . فما سهر من ليست هذه صفته . هذا . والله أعلم .

فائدة

ذكر بعض العلماء عدة أسماء أخر من الأسماء الحسنى لا يصح التخلُّق بها . قال في اليواقيت ج١ ص٨٠ :

فإن قلت : فهل يصح لأحد التخلق باسم الهوية أو الأحد أو الغني عن العالمين ؟

فالجواب كما قال الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى : لا يصح التخلق بذلك لأحد . لأن هذه الأمور من خصائص الحق تعالى . فلا يصح أن يتخلق بها مخلوق لا عيانًا و لا نظرًا عقليًّا .

و قد قال أيضًا في باب الأسرار : اعلم : أن التخلق بالأسماء على الإطلاق من أصعب الأخلاق لما فيها من الخلاف و الوفاق .

فإيّاك يا أخي أن يظهر مثل هذا عنك قبل وصولك على مشهد من قال : أعوذبك منك فيمن استعاذ و إلى من لاذ . فتأمل . انتهى .

و زاد البعض اسم الباقي والواحد فقال : ليس للسالك فيهما تخلُّق . هذا . والله أعلم بما هو صواب في الأرض والسماء و بما هو حق من تخلّق العباد بالأسماء ،و علمه أجلّ و أعلى و أكمل .



الباب التسعون
وفيه ست خصائص

من خصائص هذا الاسم الكريم من بين الأسماء الحسنى كونه سريانيًا أو عبريًا غير عربي باعتبار الأصل عند أبي زيد رحمه الله تعالى . وكان أصله عند أبي زيد "لاها" . هذه خاصة واحدة .

و هي خاصّة عجيبة إذ الجلالة أعرق الألفاظ و الأعلام في اللغة العربية ظاهرًا حتى صارت أعرف المعارف و أكثر الأعلام استعمالاً . لكنها مع هذه الأعرفية في الأصل غير عربية . ولا يشاركها في هذه الخاصة من بين الأسماء الحسنى إلاّ الاسم "الرحمن" عند البعض .

ثم أدخل على هذا الاسم المبارك " أل " إدخالها على اللفظ العربي الأصل . و استعماله استعمال ذلك بحيث لم يبق شيء من أ ثرات العجمة فيه . و هذه خاصة ثانية .

ثم أعرب هذا الاسم الكريم إعراب الكلمات العربية غير المعرّبة . و هذه خاصة ثالثة .

ثم قالوا : إنّ لامه تفخّم إذا انفتح ما قبله أو انضم . و هي خاصة رابعة . إذ لا يفخم لام اسم معرَّب آخر سوى الاسم "الله" .

و يمكن أن يقال في تقوية القول بأنه سرياني أوّلاً : إن هذا الاسم أفضل الأسماء و أشرفها . و السريانية أفضل الألسنة عند المحققين من العلماء بعد اللغة العربية .

و ثانيًا : إن السريانية أوّل لسان نوع الإنس . إذ كانت هي لسان آدم عليه الصلاة والسلام في الجنة ، وكذا بعد الخروج من الجنّة أيضًا كما صرح به بعض أهل الكشف . و إنّ واضع اسم الجلالة إنما هو آدم

عليه الصلاة والسلام كما قال بعض الكاملين العارفين .

و الظاهر أن آدم عليه الصلاة والسلام وضع الجلالة في لغته التي كان يتكلم بها وهي السريانية .

و ثالثًا : إن السريانية أوّل الألسنة . والاسم "الله" أجمع الأسماء الحسنى و أفضلها . فالحريّ بهذا الاسم الجليل أن يكون أقدمها جاريًا على ألسنة الأنبياء و الرسل كلهم عليهم الصلاة والسلام عند دعائهم و عند ذكرهم لله سبحانه حتى يكون ذكرهم و دعاؤهم بأجمع الأسماء و أكرمها و أسناها . و لم يكن لسانهم عربيًّا بل سريانيًّا أو عبريًّا . و هذا يستلزم أن يكون اسم "الله" أيضًا سريانيًّا أو عبريًّا .

ثم أقول : إن صح هذا البيان . و الظاهر صحته . و ثبت كونه جاريًا على ألسنة جميع الأنبياء عليهم أزكى الصلوات و التسليمات . و الحق أنه ثابت . كان هذا خاصة خامسة بديعة .

ولا يبعد أن يجعل ما قررنا في الخاصة الخامسة دليلاً لما ادّعى بعض العلماء أن اسم "الله" مستعمل في جميع الألسنة . فكما أن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يستعملون هذا الاسم الكريم و يذكرون الله تعالى و سبحانه بالاسم "الله" كذلك كل أمة خلت كانت تستعمل هذا الاسم الكريم ، و تنادي ربّهم الخالق الباري بالجلالة .

قال الشيخ أحمد ضياءالدين الكمشخانلي النقشبندي رحمه الله تعالى في جامع الأصول ص١٦٦ : اعلم : أن اسم الجلالة و العظمة و الهيبة و يقال اسم الذات هو لفظة "الله" و هذا الاسم الشريف قيل : مشتق . وقيل : لا . وقيل : عربي . وقيل : لا . وقيل : موضوع لمعين . وقيل : لا . وقيل : مستعمل بجميع الألسنة . و قيل : لا . انتهى بحذف .

فاستعمال هذا الاسم الجليل في جميع الألسنة حسبما ادّعاه بعض العلماء خاصة سادسة وهي خاصّة عجيبة لطيفة .

قال أبوحيان رحمه الله تعالى في البحر المحيط ج١ ص١٥ : قال أبوزيد البلخي : هو أي اسم "الله" أعجمي . فإن اليهود و النصارى يقولون : لاها . و أخذت العرب هذه اللفظة و غيّروها فقالوا : الله . انتهى كلامه .

و قال المحقق البيضاوي رحمه الله تعالى : وقيل : أصله "لاها" بالسريانية فعرّب بحذف الألف الأخيرة

و إدخال اللام عليه . وتفخيم لامه إذا انفتح ما قبله أو انضم سنة . انتهى .

قال الشهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في عناية القاضي ج١ ص٦٣ : قوله أصله "لاها" فهي على هذا غير عربية بل سريانية كما ذكره المصنف وغيره ، أو عبرانية كما ذكره الإمام . و العبري و العبراني بكسر العين لغة بني إسرائيل من اليهود ، و السريانية لغة آدم عَلَيْهِ السَّلَام .

و قال ابن حبيب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : كان اللسان الذي نزل به آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الجنة عربيًّا . ثم حرّف و صار سريانيًّا . وهو منسوب إلى أرض سريانة . وهي جزيرة كان بها نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ و قومه قبل الغرق . و هو يشاكل اللسان العربي إلّا أنه محرّف . وكان لسان جميع من في الأرض إلّا رجلًا واحدًا يقال له "حر" فلسانه عربي . كذا في الزاهر لابن الأنباري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

و هم يلحقون ألفًا في أواخر الكلم فيقولون "لاها" "رحمانا" كما في الفارسية . و معناه ذوالقدرة . و يحتمل أنه من توافق اللغات كما ذكره الإمام رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى . ثم قولهم "تأله و أله" يأبى كونه أعجميًّا . قيل : و التصرف فيه يدل على أنه لم يكن علمًا في غير العربية . ألا تراهم اشترطوا في منع صرف العجمة كون الأعجمي علمًا في العجمية . انتهى بتصرف قليل .

فصل
في بيان أفضل اللغات

اعلم : أن أفضل الألسنة كما قالوا هي اللغة العربية ، ثم اللغة السريانية ، ثم اللغة الفارسية .

و في السعاية ج٢ ص١٥٤ : صرح جمع من المحققين أن أفضل الألسنة العربي ، ثم السرياني والعبراني ، و بعدهما اللغة الفارسية ، وهي أولى من التركية والهندية . انتهى .

و السريانية أخصر الألسنة كلها . و هي لسان الأرواح فيما بينها ، و هي لسان الملائكة و لسان أهل الجنة .

قال الشيخ عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى صاحب الكشف الصحيح : إن اللغة السريانية هي لغة الأرواح .

وبها يتخاطب الأرواح من أهل الديوان فيما بينهم ، لاختصارها و حملها المعاني الكثيرة التي لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها في لغة أخرى .

و هل تبلغها في ذلك لغة العرب ؟ فقال رَحِمَهُ اللهُ : لا يبلغها في ذلك إلّا ما في القرآن العزيز . فإن لغة العرب إذا جمعت المعاني التي في السريانية و كانت بلفظ العرب كانت أعذب و أحسن من السريانية .

و كان يقول : إن اللغات كلها مطنبة بالنسبة للسريانية . لأن الكلام في كل لغة غير السريانية يتركب من الكلمات لا من الحروف الهجائية . و في السريانية يتركب من الحروف الهجائية . فكل حرف هجائي في السريانية يدل على معنى مفيد . فإذا جمع حرف إلى حرف آخر حصلت منهما فائدة الكلام .

و كان يقول : إن اللغة السريانية سارية في جميع اللغات سريان الماء في العود . لأن حروف الهجاء في كل كلمة من كل لغة قد فسرت في السريانية و وضعت فيها لمعانيها الخاصة التي سبقت إليها الإشارة .

مثاله "أحمد" يدل في لغة العرب إذا كان علمًا على الذات المسماة به . و في لغة السريانية تدل الهمزة المفتوحة التي في أوله على معنى ، و الحاء المسكَّنة على معنى ، و الميم المفتوحة على معنى . و هكذا .

و كان يقول : إن سيدنا آدم على نبينا و عليه الصلاة و السلام لما نزل إلى الأرض كان يتكلم بالسريانية مع زوجته و أولاده لقربهم بالعهد . وإنما كان آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتكلم بالسريانية بعد نزوله من الجنة . لأنها كلام أهل الجنة . فكان يتكلم بها في الجنة . هذا . و الله أعلم بالصّواب و الرشاد و بالحق و السداد ، و علمه أجلّ و أعلى و أتمّ .



الباب الحادي و التسعون

من خصائص الاسم "الله" أن الله تعالى جعله مرآة للإنسان العارف بالله تعالى حقَّ معرفةٍ بعد ما كان الإنسان مظهرًا لهذا الاسم .

فالسالك إذا اتصف بهذه المرآة كان صاحب منزلة ما ورد في الحديث المرفوع : ربّ أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه . مصداق ما جاء في الحديث القدسي : كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به . الحديث . فيغضب الله تعالى لغضبه و يرضى لرضاه .

قال سيدي العارف عبد الكريم رحمه الله في الإنسان الكامل : و اعلم : أن الحق سبحانه و تعالى جعل هذا الاسم مرآة للإنسان . فإذا نظر بوجهه فيها علم حقيقة كان الله ولا شيء معه . وكشف له حينئذ أن سمعه سمع الله و بصره بصر الله و كلامه كلام الله تعالى و حياته حياة الله و علمه علم الله و إرادته إرادة الله و قدرته قدرة الله تعالى . و يعلم حينئذ أن جميع ذلك إنما كان منسوبًا إليه بطريق العارية و المجاز . و هي لله بطريق الملك و التحقيق و الإصالة . قال الله تعالى : وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ . و قال في موضع آخر : إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا .

و الناظر وجهه في مرآة هذا الاسم يكتسب هذا العلم ذوقًا . و يكون عنده من علوم التوحيد علم الواحدية .

و من حصل له هذا المشهد كان مجيبًا لمن دعاه الله . فهو إذًا مظهر لاسمه "الله" . ثم إذا ترقّى و صفا من كدر العدم إلى العلم بوجود الواجب و زكّاه الله تعالى بظهور القدم من خبث الحدث صار مرآة لاسمه "الله" . فهو حينئذ مع الاسم كمرآتين متقابلتين توجد كل منهما في الأخرى .

و من حصل له هذا المشهد كان الله مجيبًا لمن دعاه . يغضب الله لغضبه و يرضى لرضاه . و يوجد عنده من علوم التوحيد علم الأحدية فما دونها .

و بين هذا المشهد و التجلي الذاتي لطيفة . و هي أن صاحب هذا المشهد يتلو الفرقان وحده و الذاتي يتلو جميع الكتب المنزلة . فافهم . هـذا . و الله أعلم بالصواب و بيده الخير ، نعم المولى ونعم النصير ، و علمه أعلى و أوسع و أكمل .



الباب الثاني و التسعون
و فيه نحو أربعين خاصّةً و مزيّةً

من بدائع غرائب خصائص "يا اللّٰه" أي عند النداء أن حروفه تسعة عشر حرفًا بعد بسطها . هكذا "يا" حرفان ، ثم "ألف" ثلاثة أحرف ، ثم "ألف" ثلاثة أحرف ، ثم "لام" ثلاثة أحرف ، ثم "لام" ثلاثة أحرف ، ثم "ألف" ثلاثة أحرف ، ثم "ها" حرفان . و الكل ١٩ حرفًا .

و في بسط حرف "ي" طريقان لأهل الأوفاق و الحساب يعملون بكل واحد منهما :

الأوّل أنها بعد البسط حرفان و هو الأشهر . هكذا "يا" بالقصر .

و الثاني أنها بعد البسط ثلاثة أحرف . هكذا "ياء" بالمد . وكذا بسط "ب ،ت ، ه ، ث ، ر ، ز "كما لا يخفى على المتفحص . ونحن أخذنا ههنا بالطريق الأوّل . فحسبنا كل واحد من "ي ، و ، ه" حرفين . و بهذا الطريق كانت حروف "يا اللّٰه" ١٩ حرفًا .

و في عدد ١٩ سرّ لطيف و إيماء منيف يتحير منه ذووالألباب حيث يتضمن هذا العدد معجزة كبيرة كانت مخفية من قبل هذا الزمان . و هي معجزة كبيرة تدل على أن القرآن كتاب اللّٰه ، و أن ناظم كلماته و مؤلّف ألفاظه و نجومه و المتصرف فيها ذات عظيمة ذات قوة فوق قوى البشر ، و أنه مصون عن تصرف الأيدي إلى الآن .

و من هنا حصحص علوّ مكانة قولنا "يا ألله" المشتمل على هـذه النكتة الرفيعة و المعجزة البديعة . و فيه تصديق من قال : إن "يا ألله" المنادى هو اسم اللّٰه الأعظم . كيف لا و أحرى الأسماء

الحسنى بهذه المعجزة هو الاسم الأعظم .

و كيف لايكون هو أعظم الأسماء وهو لتضمُّنه عدد ١٩ بالطريق المذكور ضامن قويّ لحفظ القرآن وشاهد صدق على كونه حقًا و وحيًا من الله تعالى و برهان قاطع على كينونته معجزًا هاديا للناس إلى التي هي أقوم إلى يوم القيامة .

ثم اعلم : أن هنا طريقًا آخر لاستخراج عدد ١٩ من الجلالة . و هو أن حروف اسم "الله" مع قطع النظر عن كونه منادًى أيضًا تسعة عشر . فإن حروفه سبعة وهي "ا ، ل ، ا ، ل ، ا ، ه ، و" . و هذه الحروف السبعة بعد البسط تؤول إلى تسعة عشر حرفًا على قول من يقول : بأن اسم "و" ثنائي مثل اسم حرف "ه" كما سيأتي في بيان مقدمة تلي .

مقدمة نافعة

لابد ههنا من معرفة مقدمة و هي أن في حروف الجلالة اعتبارات :

الاعتبار الأوّل : أن حروف الجلالة ثلاثة بإسقاط المكرر و هي "ا ، ل ، ه" و بعد بسطها تسعة هكذا "ألف" "لام" "هاء" .

والاعتبار الثاني : أن حروفها رقمًا أربعة وهي "ا ، ل ، ل ، ه" و بعد البسط أحد عشر على قولٍ أو اثنا عشر على قول آخر .

والاعتبار الثالث : أن حروفها الملفوظة خمسة "ا ، ل ، ل ، ا ، ه" و بعد البسط أربعة عشر أو خمسة عشر ، هكذا "ألف" "لام" "لام" "ألف" "ها" أو "هاء" .

والاعتبار الرابع : أن حروفها باعتبار الأصل و هو "إله " ستة أي بعد دخول "أل" عليه "ا ، ل ، ا ، ل ، ا ، ه" و بعد البسط سبعة عشر أو ثمانية عشر .

والاعتبار الخامس : أن أصل الهاء في آخر الجلالة هو ضمير الغائب . ثم أسقطت الواو كما مرّ غير مرة . فعلى هذا حروف الجلالة سبعة "ا ، ل ، ا ، ل ، ا ، ه ، و" و بعد البسط عشرون أو أحد و عشرون .

ثم للقرّاء في التلفظ باسم "و" طريقان : أحدهما : التلفظ بالاسم الثلاثي هكذا "واو" . و ثانيهما : التلفظ بالاسم الثنائي هكذا "وا" . و هذا كما قدّمنا أن في التلفظ باسم "ه" طريقان : ثلاثي و ثنائي .

ففي الاعتبار الخامس حروف الجلالة السبعة بعد البسط تسعة عشر . هكذا "ألف" ثلاثة أحرف ، ثم "لام" ثم "ألف" ثم "لام" ثم "ألف" و كل ذلك ثلاثي ،ثم "ها" حرفان ، و كذا "وا" حرفان . و مجموع ذلك ١٩ حرفًا .

و بعد هذه المقدمة أقول والله المستعان : إن الاسم الأعظم و هو "الله" بغير لحاظ كونه منادًى كما هو مذهب الجمهور أو "يا ألله" أي مع لحاظ كونه منادًى كما هو مختار البعض باعتبار عدد حروفه التسعة عشر محيط بالقرآن و مهيمن على غير واحد من أسرار تحدّيه المكتومة الخفيّة و على وجوه إعجازه المكنونة القويّة .

و في القرآن تبيان كل شيء . وقد قال الله تعالى : وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا . و قال : وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا . فأضاف الإحاطة إلى الجلالة و لم يقل : إن ربك . و كان ربك . أو نحو ذلك .

محصول الكلام أنّ في تخصيص هذه الإضافة بالجلالة دون غيرها من الأسماء الحسنى إشارة إلى أن هذا الاسم الأعظم محيط بالقرآن و بكل شيء .

و إيماء إلى أنه خلاصة علوم القرآن و جامع أسراره و حافظ وجوه إعجازه .

و رمز إلى أنه دليل على أنّ القرآن ليس كلام البشر بل هو كلام خالق القوى و البشر .

و تلميح إلى أنه برهان قاطع على أن القرآن الآن كما كان لم يقع فيه نقص حرف ولا زيادة حرف .

و إشعار بأنه بسبب سريان عدد ١٩ في غير واحد من حروفه و كلماته و اندماجه فيها مثل سَرَيان الرائحة الطيّبة في المسك و اندماج الضوء في النجم و الروح في البدن قرينة باهرة بديعة على صدق قوله تعالى : قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ

بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا .

إن قلت : كيف أحاط "يا ألله" و اسم الجلالة و عدد ١٩ المندمج فيهما بأسرار إعجاز القرآن و وجوهه ، و كيف سريان عدد ١٩ في القرآن ؟

قلتُ : هذا بحث بديع و موضوع رفيع . اشتدّت عراه . و تأكّدت قُواه . و استحكمت وثائقه . و توثّقت علائقه . و أحمد الله تعالى على أن وفّقني لتوضيح هذا الموضوع و تفصيله بفضله و منّه . فقوّمتُ برهانه . و سوّيتُ بيانه . و شيدت أركانه . و شدّدت بنيانه . و وطّدت جدرانه . فرسا أصله . و نمى فرعه . و توطّد أساسه . و توفّد رأسه . و رسخت في الثرٰى أركانه . و تصعّد إلى الثريّا بنيانه . و ساخ في الأرض آسانه . و علا في الجوّ جُدرانه .

خليليّ ما هـذا بهـزلٍ و إنّما   عجيب الأحاديث غريب البدائع

و لإيضاح هذا الموضوع البديع وجوه كثيرة و طرق متعدّدة تدهش العقول و تحيّر الفحول . نذكر ههنا نبذة منها . و هذه الوجوه كلهنّ لم يطمثهنّ إنس ولا جانّ من الأمّة قبل هذا القرن . فألق سمعك و أنت شهيد .

الوجه الأوّل و الثاني و الثالث : هذه الوجوه الثلاثة جمعناها شرحًا و بيانًا و تقريرًا لشدة ارتباط كل واحد منها بالآخر و لقوّة التعانق بينها شرحًا و تفصيلاً .

أمّا الوجه الأوّل فإيضاحه أن الاسم "الله" ذكر في القرآن الشريف ٢٦٩٨ مرة . المضموم منها ذكر ٩٨٠ مرة . و المفتوح منها ذكر ٥٩٢ مرّة . و المكسور منها ذكر ١١٢٦ مرة . و مجموع ذلك ٢٦٩٨ .

وعدد ٢٦٩٨ و عدد ١٩ متداخلان . و معنى التداخل أنّ الأقلّ منهما يُفني الأكثر بعد إسقاط الأقلّ مرارًا أي بعد إسقاطه ١٤٢ مرة . و إن شئت فقل : إنّ العدد الأكثر و هو ٢٦٩٨ ينقسم على ١٩ مستقيمًا هكذا ٢٦٩٨ ÷ ١٩ = ١٤٢ .

و يعلم هذه النتيجة عينها من طريق الضرب أيضًا . فإنّ الضرب يهدي دائمًا إلى تقسيم عدد على عدد آخر مستقيمًا أو غير مستقيم .

و لذا اقتصرنا في شرح غير واحد من الوجوه المذكورة القادمة في هذا الباب عند إثبات تقسيم الأعداد على ١٩ مستقيمًا على ذكر طريق الضرب فقط رومًا للاختصار .

فإن أردت ههنا معرفة التقسيم من طريق الضرب فاضرب ١٩ في ١٤٢ كان الحاصل ٢٦٩٨ . هكذا ١٩ × ١٤٢ = ٢٦٩٨ .

و أمّا الوجه الثاني فملخصه أن الحاصل أي ١٤٢ ضعف ٧١ . و ٧١ من أعداد الجلالة كما يجيء إيضاحه في باب بيان الأعداد المتحابّة بعد عدة أبواب .

و أمّا الوجه الثالث فخلاصته أن عدد ١٤٢ ينقسم على ١٩ غير مستقيم كما يعلم من طريق ضرب ١٩ في ٧ هكذا ١٩ × ٧ = ١٣٣ . ثم يجمع عدد ٩ عدد حروف الجلالة بعد البسط كما تقدم في المقدمة مع ١٣٣ يحصل ١٤٢ و هو المطلوب . و ٧ عدد حروف الجلالة كما بينّا في المقدمة المذكورة من قبل في هذا الفصل . فلم يخرج بنا الكلام إلى غير الجلالة .

ثم اعلم : أن مؤلّف كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ذكر فيه أن اسم "الله" ذكر في القرآن ٢٦٩٧ مرة . و ذكر أن المجرور منها ١١٢٥ مرة . و أنت تعلم انتفاء التداخل بين ١٩ و ٢٦٩٧ . لكن هذا المؤلّف أخطأ حيث فاته موضع واحد من المجرورات و هو "الله" المذكور في البسملة قبل الفاتحة .

و وجه الخطأ أنه ابتدأ من لفظ "الله" المجرور المذكور في قوله تعالى : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ . و حق ما قيل : لكل جواد كبوة ، ولكل صارم نبوة . فالصواب أن عدد المجرور ١١٢٦ لا ١١٢٥ . والمجموع ٢٦٩٨ . و هذا ينقسم على ١٩ .

و هذه النكات النفيسة المترتبة على هذه الوجوه الثلاثة تدل على أن القرآن معجز و على أنه وحي من الله تعالى و إلاّ لم تتساقط مقدرة بلغاء قحطان و فصحاء عدنان دون معارضته كما تدلّ على أنه لم يقع في القرآن نقص حرف ولا زيادة حرف .

فسبحان الله ما أعظم شانه ، و ما أدقّ علمه ، و ما أجلّ حكمته ، و ما أبلغ قرآنه ، و ما أحكم وجوه إعجازه . تفكر ثم تفكر هل يقدر البشر على أن يذكر اسما واحدًا في كتاب كبير مثل القرآن الشريف ذكرًا منضبطًا هذا الانضباط و داخلاً تحت ضابطة مدهشة .

الوجه الرابع : أن سور القرآن المجيد ١١٤ . و هـذا العدد أيضًا ينقسم على ١٩ . و يُفنيه عدد ١٩ بعد الإسقاط ست مرات هكذا ١١٤ ÷ ١٩ = ٦ . و إن شئت معرفة تقسيم عدد ١١٤ على ١٩ مستقيما بطريق الضرب فاضرب ١٩ في ٦ كان الحاصل ١١٤ هكذا ١٩ × ٦ = ١١٤ .

الوجه الخامس : قد تكرر "بسم الله الرحمن الرحيم" في القرآن ١١٤ مرة . و هذا عدد سوره . و قد خلت سورة و هي البراءة من البسملة . لكن جبر هذا النقص بما ثبت في النمل . و عدد ١١٤ ينقسم على ١٩ كما تقدم .

الوجه السادس : حروف "بسم الله الرحمن الرحيم" رقمًا ١٩ حرفا . والبسملة فاتحة القرآن . و فيه إشارة لطيفة إلى إحاطة هذا العدد بأسرار القرآن المجيد .

الوجه السابع : إيضاحه أن البسملة مكتوبة في أوّل كل سورة سوٰى البراءة . و ذلك إمّا لأجل كون البسملة جزءً من كل سورة ، كما هو مذهب بعض الأئمة . و إمّا لأجل محض التبرّك و الفصل بين السور من غير كونها جزءً لكل سورة ، كما هو مسلك الجمهور و منهم أبوحنيفة رحمهم الله تعالى .

ففي جعل البسملة بداية كل سورة إيماء لطيف إلى أنّ البسملة بالنظر إلى تضمّنها عدد ١٩ محيطة بغير واحد من أسرار كل سورة و مهيمنة على عدّة وجوه الإعجاز في السور كلها .

الوجه الثامن و التاسع : أمّا بيان الوجه الثامن فنقول : كرر الاسم "الرحمن" في القرآن ٥٧ مرة . و هذا العدد أيضًا ينقسم على ١٩ هكذا ٥٧ ÷ ١٩ = ٣ .

و أمّا الوجه التاسع فمبني على اعتبار العدد الحاصل من التقسيم و هو ٣ . و بيانه أنك قد علمت في الوجه الثامن أن حاصل تقسيم ٥٧ على ١٩ هو ٣ .

و لك أن تقول : إن عدد ٥٧ يُفنيه العدد الأقلّ و هو ١٩ بالإسقاط ثلاث مرّات . و إن شئت معرفة هذا المطلوب و استخراج عدد ٣ من طريق الضرب فاعمل هكذا ١٩ × ٣ = ٥٧ . و بالجملة يظهر عدد الثلاثة ههنا من طرق متعددة . و في عدد الثلاثة نكتة جزيلة تتعلق بالجلالة . وهي أنّ الثلاثة عدد حروف الجلالة بعد إسقاط المكرر ، كما تقدم في المقدمة .

الوجه العاشر : ثبت لفظ "الرحيم" في القرآن في ١١٤ موضعًا على وفق عدد سور القرآن . و هذا العدد ينقسم على ١٩ هكذا ١١٤ ÷ ١٩ = ٦ . و أمّا معرفة هذا المطلوب بطريق الضرب فهكذا ١٩ × ٦ = ١١٤ .

الوجه الحادي عشر : ذكر لفظ "الربّ " في القرآن ٩٦٩ مرةً . و بين هذا العدد و عدد ١٩ أيضًا تداخل حيث ينقسم عليه هكذا ٩٦٩ ÷ ١٩ = ٥١ . و أمّا معرفة هذا المطلوب بطريق الضرب فهكذا ١٩ × ٥١ = ٩٦٩ .

الوجه الثاني عشر والثالث عشر : حروف المقطعات أي الحروف النورانية أربعة عشر : و هي "ا ، ح ، ر ، س ، ص ، ط ، ع ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، ه ، ي" و البقية أيضًا أربعة عشر . و جاءت حروف المقطعات هذه في أوائل تسع و عشرين سورة . فإذا جمعت ذلك حصل عدد ٥٧ هكذا ٢٩ + ١٤ + ١٤ = ٥٧ . و عدد ٥٧ أيضًا ينقسم على ١٩ هكذا ٥٧ ÷ ١٩ = ٣ . و أمّا طريق الضرب فهكذا ١٩ × ٣ = ٥٧ . هذا بيان الوجه الثاني عشر .

و أقول في بسط الوجه الثالث عشر : إن في حاصل التقسيم و هو عدد ٣ نكتة شريفة . إذ قد عرفت من المقدمة المسطورة في هذا الفصل قبل ذكر الوجوه أن عدد حروف الجلالة ثلاثة بعد إسقاط المكرر منها .

الوجه الرابع عشر و الخامس عشر : أوّل وحي جاء به جبرئيل عليه الصلاة والسلام هو قوله "ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ" إلخ . و هذه السورة تاسعة عشر إذا عددت من آخر القرآن . و أيضًا هي مشتملة على تسع عشرة آية .

فتفكر في هذا السرّ الذي لم يخطر على بال أهالي القرون الأولى و لم يقرع سمعك قبل هذا الزمان . هل جاء و هل دخل عدد ١٩ هذا المدخل بمحض الاتفاق من غير إرادة . كلاّ ثم كلاّ . بل الحق أن ذلك بقصد المتكلم صاحب الكتاب وهو الله تعالى . إذ الأمور الاتفاقية لا تتحقق إلاّ في موضع أو موضعين . و أمّا في مواضع كثيرة فلا .

ولا يقدر على رعاية هذا في سائر الكتاب إلاّ الله تعالى . ففي هذا البيان مقنع لدفع ريب من

ارتاب في كون القرآن كلام الله تعالى . أو توهم وقوع النقص و الزيادة في القرآن . إذ لو وقع ذلك أي النقص و الزيادة في القرآن لما كان هذا العدد محيطا بوجوه الإعجاز البديعة و الأسرار الرفيعة المتعلقة بسورة العلق و غيرها من سور القرآن و لما كان ساريًا فيها هذا السريان .

فاسم "الله" باعتبار عدد ١٩ مصدِّق لنزول وحي الله تعالى على النبي ﷺ حافظ لكون القرآن وحيًا من الله و مهيمن على كونه معجزًا مفحِمًا لمن تصدّى لمعارضته من البلغاء والفصحاء الشعراء و الخطباء من العرب العرباء .

و لهذا وردت البسملة وكتبت في بدء كل سورة . ففي البسملة إيماء إلى أن الله تعالى لأجل كونه رحمانا رحيما بنا صان صونًا كتابه العظيم لنا باسم "الله" .

فاسم "الله" باعتبار هذا العدد كأنه قنديل إلهي وخاتم صمداني و مقياس ربّاني و قسطاس رحماني يعرف به إلى يوم القيامة أن هذا الكتاب المنزل حق ، و أن كل واحدة من هذه السور محفوظة من كل تحريف و مصونة من كل تغيير ، بالغة في الحفظ غايته و في الصون نهايته ، لم يتبدّل منها شيء .

و يثلج بهذا القسطاس المستقيم صدورنا و يطمئن به قلوبنا . فينبغي لنا أن نبدأ القرآن و كل سورة بهذا المعيار الروحاني و النبراس الرباني و المهيمن الصمداني و الخاتم الرحماني أي بسم الله الرحمن الرحيم . و لهذا السرّ زاد لفظ الاسم فقال : بسم الله إلخ . و لم يقل "بالله" على ما هو المتبادر . لأن المتضمن لهذه النكتة والمشتمل على هذه المعجزة إنما هو الاسم "الله" ليس إلاّ .

و من هنا حصحص لك خطأ من قال بزيادة لفظ الاسم و بخلوّه عن الفائدة المهمّة في البسملة .

إن قلت : هذه الأسرار البديعة المذكورة في هذا المقام المتعلقة بعدد ١٩ هل هي من خصائص البسملة أو من خصائص الاسم "الله" ؟

قلت : الحق عندي أنها من خصائص الاسم "الله" .

و ربما يظن أن هذه الأسرار المبنية على عدد ١٩ من خصائص البسملة لا من خصائص الاسم "الله" . فإن عدد حروف البسملة ١٩ . و هذا الظنّ و إن أمكن أن يوجّه و يعدّ صحيحًا و صوابًا من وجه لكنّه خلاف التحقيق و خلاف النظر الدقيق .

إذ الأولى بالتحقيق و الأحرى بالنظر العميق و الأحقّ بالقبول و الأعلق بقلوب الفحول ما قلت : إن هذه الأسرار من خصائص الجلالة و مزاياها . و إنّ سريان عدد ١٩ في البسملة إحدى خصائص اسم "الله" المترتبة على عدد ١٩ كما عرفت و سمعت في بيان هذه الوجوه المذكورة و ستعلم تفصيل هذا المطلوب بطريق أبسط من هذا البيان في الوجوه القادمة . و للناس مذاهب فيما يعشقون . و لكل وِجهة هو مولّيها . و كل إنسان يرمي عن قوسه ما عنده من نبله ، و يستسقي مما في فكره من طلّه و وبله . هذا ما ألهمني ربّي . ولله الحمد و المنة .

الوجه السادس عشر : نص الله عزّ و جلّ على هذا العدد في القرآن المجيد ، و أشار إلى أنه عدد ذوشان عظيم و ذو منزلة في الأعداد كبيرة . و ما بعد بيان الله بيان . و إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل .

ذكر الله تعالى في سورة المدثر كافرًا من الكفرة قائلاً إن القرآن سحر يؤثر ، و إنه كلام البشر . قال : فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝

ثم هدّده الله و أوعده بسقر . و ذكر هـذا العدد أي عدد ١٩ . فقال : سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝

و النظر الظاهـر يقتضي أن التهديد بسقر يكفي لردع الكافر و تهديده . و أن عدد ١٩ و كون زبانيتها تسعة عشر ليس له مدخل في تشديد الترهيب و الوعيد . لكنّ فحوٰى كتاب الله و سياق المقام يدل على أن الله لم يذكر هذا العدد ههنا إلّا لتشديد الوعيد و المبالغة في التخويف . و هذا لا يفهمه السامعون في بادي النظر .

فلابد من تدقيق النظر مرّة بعد مرّة لنعرف مغزٰى كلام الله و ندرك وجه مدخل هذا العدد و سرّه في تشديد الوعيد و في مبالغة التهديد . و بعد تدقيق النظر نعلم عين اليقين بل نتيقّن حق اليقين حسب ما بيّنا من أسرار هذا العدد أن هذا العدد ذو هيبة كبيرة و ذوشان عظيم و ذو أسرار بديعة .

فهو عدد حروف اسم الجلالة . و هو عدد سارٍ في القرآن . و هو عدد ختم ملكوتي و قسطاس جبروتي يعرف به صدق كتاب الله و حفظه و عدم تبدّله . وهو عدد ناطق بأن القرآن كلام الله و وحيه .

و رادع دامغ لأمثال هذا المنكر الكافر الذي قال : إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ .

فكما أن هذا العدد من الزبانية خزنة جهنّم راعون جهنم و أهلها و آخذون لأهل النار بقوة و شدّة و كفى بهم أخذًا كذلك هذا العدد مهيمن . و إن شئت فقل : كذلك اسم الجلالة باعتبار انطوائه على هذا العدد مهيمن روحانيّ على صدق القرآن و حقّيّته و على دمغ أوهام الزائغين و شرّ انتحال المبطلين ، و رقيب ربّاني على صون السور القرآنية من كل تحريف و تغيير ، و برهان قاطع لدفع شبهات الكفرة المشركين والفجرة الملحدين ، وحافظ قويّ لأسرار القرآن السرمديّة ، و أمين ضابط لغير واحد من عجائبه الأبديّة . وكفى بالاسم "الله" مهيمنًا و حافظًا و رقيبًا و برهانًا و أمينًا .

فكأنّ الله تبارك و تعالى أشار في سورة المدثر بذكر هذا العدد بعد ذكر سقر أن هذا الكافر الزاعم أن القرآن كلام البشر لو تفكر في سر هذا العدد و أنه عدد حروف اسم الجلالة و أنه سارٍ في كتاب الله سريانًا فوق طاقة البشر لاستيقن أنه كلام الله تعالى . لكن لغموض هذه الأسرار و دقّة معرفة سريان هذا العدد في القرآن و في كلماته المباركة لم يبد شانها في القرون الماضية و الدهور الخالية .

و ها نحن قد أظهرنا لك هذه الأسرار المنسحبة على هذا العدد الغريب سافر المحيّا و أبدينا للعلماء والفضلاء والأتقياء و الأصفياء في هذا الباب قطرات و رشحات من غزير وابله و فوحات و نفحات من غرير فضائله أبين من فلق الصبح المبين و أوضح من نور الصديع المعين و أنفع مثل نفع علم اليقين بل عين اليقين . فذق أنت و اشكر وكلّ ذلك بتوفيق الله و كرمه ومنّه .

و قد أشار الله تبارك و تعالى إلى غموض هذا السر في عدد ١٩ بقوله بعد ذلك : وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَ يَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِيمَٰنًا وَّلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَّ الْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا .

الوجه السابع عشر و الثامن عشر : عدد ١٩ ذكره الله تعالى في سورة المدثر كما بان لك . و عدد آيات هذه السورة ٥٧ آيةً . و ذلك بضمّ البسملة كما هو مسلك الإمام الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمّة أنها جزء و آية من كل سورة . و عدد ٥٧ ينقسم على ١٩ هكذا ٥٧ ÷ ١٩ = ٣ . و طريق الضرب هكذا ١٩ × ٣ = ٥٧ . و بعبارة أخرى أنّ عدد ٥٧ يُفنيه ١٩ بالإسقاط ثلاث مرات . هذا بيان الوجه

السابع عشر .

و ههنا وجه آخر و هو الثامن عشر . وهو أن حاصل تقسيم ٥٧ على ١٩ ثلاث . و من اللطائف اللطيفة و البدائع البديعة أن اسم "الله" مذكور في هذه السورة ثلاث مرّات أي في ثلاثة مواضع .

الوجه التاسع عشر : قد تبين لك أن عدد سور القرآن ١١٤ ، وأنّ عدد ١٩ يُفنيه بعد الإسقاط ستّ مرات .

فاعلم : أن سورة المجادلة وسط السور . فإذا ابتدأتَ العدّ من آخر القرآن يتمّ عدد ١٩ أوّلاً على سورة "العلق" و يتمّ عدد ١٩ ثانيا على سورة "المرسلت" و يتمّ ثالثًا على سورة " المجادلة " . فسورة المجادلة منتهى الدورة الثالثة من هذا الجانب أي جانب الخاتمة القرآنية ، و مبدأ الدورة الرابعة من أوّل القرآن . و بالجملة سورة المجادلة وسط السور يتمّ بها دورة عدد ١٩ باعتبار و تبتدئ منها باعتبار آخر . و عدد ١٩ عدد الجلالة كما عرفت .

و هذا يقتضي الرابطة القويّة و الوصلة الشديدة الخاصة بين هذه السورة و اسم "الله" . و للدلالة على هذه الرابطة الواصلة و التنبيه على هذه الوصلة الرابطة احتوت هذه السورة أي سورة المجادلة على سرّ لطيف رباني و نور منيف صمداني لا يشاركه فيه سورة أخرى .

و هو أنّ كل آية منها مشتملة على ذكر اسم "الله" . فسبحان الذي جعل القرآن معجزًا لا تنتهي لطائفه ولا تنفد عجائبه . راجع الباب السادس و الثمانين من هذا الكتاب تجد هناك تفصيل هذا الموضوع .

الوجه العشرون : قد ذكرنا من قبل أن حروف المقطعات المسماة بالحروف النورانية ذكرت في أوائل تسع و عشرين سورة . و من بدائع معجزات القرآن التي لم يدركها أحد من قبلُ أنّ عدد مكرّرات كل حرف نوراني في السورة التي هو مبدؤها تحت حيطة عدد ١٩ . حيث ينقسم عدد تكرار مجموع كل حرف منها على ١٩ .

و هذا أدلّ دليل على أنّ القرآن الآن كما كان و كما نزل على النبي ﷺ محفوظ عن تحريف الملحدين و مَصُون عن أيدي المتصرفين الزائغين . وكذا يكون إلى يوم القيامة .

فمن ذلك سورة "ق" فذكر وكرّر فيها حرف "ق" ٥٧ مرة . وهو ينقسم على ١٩ هكذا ٥٧ ÷ ١٩ = ٣ . و إن أردتَّ طريق الضّرب فهكذا ١٩ × ٣ = ٥٧ .

و من ذلك سورة "شورى" فذكر في أوّلها "ق" في قوله : حمٓ عٓسٓقٓ . و ذكر فيها و كرّر حرف "ق" ٥٧ مرة ، و هو ينقسم على ١٩ .

و من ذلك أن مجموع عدد ذكر حرف "ق" و تكرُّره في هاتين السورتين ١١٤ . و أنت تعلم أن عدد ١١٤ و عدد ١٩ متداخلان ، فيُفنيه ١٩ بالإسقاط ست مرات . و يعرف هذا من طريق الضرب هكذا ١٩ × ٦ = ١١٤ .

الوجه الحادي و العشرون : و من ذلك أن حرف "ص" ذكر في أوائل ثلاث سور : الأعراف و مريم و ص . و مجموع عدد تكرُّر هذا الحرف في هذه السور الثلاث ينقسم على عدد ١٩ .

فإنه ذكر في الأعراف ٩٨ مرة ، و في مريم ٢٦ مرة ، و في ص ٢٨ مرة . و مجموع هذه ١٥٢ . هكذا ٩٨ + ٢٦ + ٢٨ = ١٥٢ . و عدد ١٥٢ و عدد ١٩ متداخلان حيث يُفنيه عدد ١٩ بعد الإسقاط ثماني مرات هكذا ١٥٢ ÷ ١٩ = ٨ . و إن أردت معرفة ذلك من طريق الضرب فهكذا ١٩ × ٨ = ١٥٢ .

الوجه الثاني و العشرون : ذكر في أوّل الأعراف "الٓمٓصٓ" و هذه أربعة أحرف : ألف ، لام ، ميم ، صاد . و مجموع أعداد مكررات هذه الأحرف الأربعة في الأعراف ينقسم على ١٩ .

فعدد الألف فيها ٢٥٧٢ . وعدد اللام فيها ١٥٢٣ . وعدد الميم فيها ١١٦٥ . وعدد الصاد فيها ٩٨ . و مجموع الكل ٥٣٥٨ و هو ينقسم على عدد ١٩ هكذا ٥٣٥٨ ÷ ١٩ = ٢٨٢ . و إن شئت معرفة ذلك بطريق الضرب فهو هكذا ١٩ × ٢٨٢ = ٥٣٥٨ .

الوجه الثالث و العشرون : ذكرتْ "الٓمٓ" في أوّل سورة آل عمران و في أوّل سورة البقرة . و هي ثلاثة حروف : ألف ، لام ، ميم . و عدد مجموع مكررات هذه الحروف الثلاثة في البقرة ٩٩٩١ . إذ كرّرت الألف فيها ٤٥٩٢ مرة ، و اللام ٣٢٠٤ مرة ، و الميم ٢١٩٥ مرة .

و عدد مجموع مكررات هذه الأحرف الثلاثة في آل عمران ٥٧١٤ . إذ ذكرت فيها الألف ٢٥٧٨ مرة ، و اللام ١٨٨٥ مرة ، و الميم ١٢٥١ مرة . و مجموع ذلك ٥٧١٤ . ثم اجمع المجموعين يحصل

١٥٧٠٥ . فاحفظ هذا العدد .

و أيضًا ذكرت "الٓمٓ" في مبدإ الأعراف في قوله تعالى "الٓمٓصٓ" و عدد مكررات هذه الأحرف الثلاثة في الأعراف ٥٢٦٠ . إذ ذكرت فيها الألف ٢٥٧٢ مرة ، و اللام ١٥٢٣ مرة ، والميم ١١٦٥ مرة . و مجموع ذلك ٥٢٦٠ . و بعد جمع هذا المجموع مع ما تقدم حصل عدد ٢٠٩٦٥ . فا حفظ هذا العدد .

و أيضًا ذكرت "الٓمٓ" في أوّل سورة الرعد في قوله "الٓمٓر" و عدد حروف "الٓمٓ" الثلاثة في سورة الرعد ١٣٦٤ . فذكرت فيها الألف ٦٢٥ مرة ، و اللام ٤٧٩ مرة ، و الميم ٢٦٠ مرة . و المجموع ١٣٦٤ . فاجمع هذا العدد مع المجموع المتقدم يحصل ٢٢٣٢٩ . فاحفظ هذا المجموع من العدد .

و أيضًا ذكرت "الٓمٓ" في أوّل سورة العنكبوت و الروم و لقمان و السجدة . و عدد مجموع مكررات هذه الأحرف الثلاثة في هذه السور الأربع ٤٣٤٧ .

حيث كررت الألف في العنكبوت ٧٨٤ مرة ، و في الروم ٥٤٥ ، و في لقمان ٣٤٨ ، و في السجدة ٢٦٨ . و مجموع ذلك ١٩٤٥ .

و كررت اللام في العنكبوت ٥٥٤ مرة ، و في الروم ٣٩٦ ، و في لقمان ٢٩٨ ، و في السجدة ١٥٤ . و مجموع ذلك ١٤٠٢ .

و ذكرت الميم في العنكبوت ٣٤٧ مرة ، و في الروم ٣١٨ مرة ، و في لقمان ١٧٧ مرة ، و في السجدة ١٥٨ مرة . و مجموع ذلك ١٠٠٠ .

ثم إذا جمعت هذه المجموعات الثلاث للأحرف الثلاثة في هذه السور الأربع كان الناتج ٤٣٤٧ .

فإذا جمعت هذا الحاصل مع المجموع المتقدم و هو ٢٢٣٢٩ كان الناتج ٢٦٦٧٦ .

فهذا عدد مكررات "الٓمٓ" في السور الثمان المتقدّمة . و هي السور التي ذكر في أوائلها "الٓمٓ" . و لا يخفى أن هذا العدد ينقسم على عدد ١٩ عدد اسم الجلالة هكذا ٢٦٦٧٦ ÷ ١٩ = ١٤٠٤ . و إن شئت معرفة هذا من طريق الضرب فهكذا ١٩ × ١٤٠٤ = ٢٦٦٧٦ .

و **هذه معجزة كبيرة** غريبة للقرآن . والمتضمن لهذه المعجزة إنما هو قولنا "الله" أو "يا ألله"

الذي هو اسم الله الأعظم الدال على ربط العبد نفسه مع الله واتصاله به . و هذا الربط والاتصال خلاصة شرائع الأنبياء كلهم . و لتحصيل هذا الربط نزل القرآن و أرسل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام و كلف الثقلان بالعبادات المتنوعة .

الوجه الرابع و العشرون : من المقطعات "ط ، س" و عدد مكرراتهما في سور ذكرتا في مباديهنّ ٤٩٤ . و هذا العدد ينقسم على ١٩ مستقيمًا هكذا ٤٩٤ ÷ ١٩ = ٢٦ . تأمّل في طريقة الضرب هذه كي تعرف حال التقسيم ١٩ × ٢٦ = ٤٩٤ .

فذكرت الطاء في سورة طه ٢٨ مرة ، و في سورة الشعراء المذكور في أوّلها "طسٓمٓ" ٣٣ مرة ، و في سورة النمل المذكور في مفتتحها "طسٓ" ٢٧ مرة ، و في سورة القصص المذكور في أوّلها "طسٓمٓ" ١٩ مرة . و مجموع ذلك ١٠٧ .

و تكررت السين في الشعراء ٩٣ مرة ، و في النمل ٩٣ مرة ، و في القصص ١٠٠ مرة ، و في يٰسٓ ٤٨ مرة ، و في الشورٰى ٥٣ مرة . و مجموع ذلك ٣٨٧ . و بعد جمع المجموعين حصل ٤٩٤ . و قد عرفت آنفًا أنّ عدد ٤٩٤ منقسم مستقيمًا على عدد ١٩ .

الوجه الخامس و العشرون : ذكرت "ن" في أوّل سورة القلم . قال الله تعالى : نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُوْنَ . و كررت حرف "ن" فيها ١٣٣ مرة . و هذا العدد أيضًا من مكررات عدد ١٩ أي عدد ١٩ عادّ لعدد ١٣٣ و مفنٍ له بعد إسقاطه سبع مرّات .

و إن شئت فقل : إن عدد ١٣٣ ينقسم على ١٩ هكذا ١٣٣ ÷ ١٩ = ٧ . و يعرف صحة ذلك من طريق الضرب هكذا ١٩ × ٧ = ١٣٣ .

الوجه السادس و العشرون : ذكرت "ي ، س" في سورة يٰسٓ ٢٨٥ مرة . و هذا العدد من مكررات ١٩ ، و مما ينقسم على ١٩ . تأمل في طريقة الضرب هذه كي تعرف ما قلنا ١٩ × ١٥ = ٢٨٥ .

الوجه السابع و العشرون : ذكر حرف "ط" و حرف "ه" في طه ٣٤٢ مرة . و هو من مكررات ١٩ ، و ينقسم على ١٩ . و يسهل لك معرفة ذلك بالضرب هكذا ١٩ × ١٨ = ٣٤٢ .

الوجه الثامن و العشرون : أوّل سورة الرعد "الٓمٓر" وعدد مكررات هذه الأحرف الأربعة في الرعد ١٥٠١ . و عدد ١٥٠١ ينقسم على ١٩ مستقيمًا هكذا ١٥٠١ ÷ ١٩ = ٧٩ . و معرفة هـذا بطريق الضرب هكذا ١٩ × ٧٩ = ١٥٠١ .

الوجه التاسع و العشرون : كررت "ط" في أوائل أربع سور : في طه ، و في الشعراء في "طسٓمٓ" ، و في النمل في "طسٓ" ، و في القصص في "طسٓمٓ" . و عدد مكررات الطاء في طه ٢٨ ، و في الشعراء ٣٣ ، و في النمل ٢٧ ، و في القصص ١٩ . و مجموع الكل ١٠٧ .

ثم الحرف الثاني من "طه" أعني الهاء ذكر في بدء سورتين : طه و كهيعص . و عدد مكررات هذا الحرف في طه ٣١٤ . و في كهيعص ١٦٨ . و مجموع الكل ٤٨٢ . و بجمعه مع عدد الطاء كان الناتج ٥٨٩ . و عدد ٥٨٩ ينقسم على عدد ١٩ هكذا ٥٨٩ ÷ ١٩ = ٣١ . و طريق معرفة ذلك بالضرب هكذا ١٩ × ٣١ = ٥٨٩ .

الوجه الثلاثون : هذا الوجه يتعلّق بحرفين وهما الياء والسين من "يٓسٓ" فذكرت الياء في أوّل يس ، و في أوّل مريم في كهيعص . و عددالياء في السورة الأولى ٢٣٧ ، و في السورة الثانية ٣٤٥ . و المجموع ٥٨٢ .

و ذكرت السين في أوائل خمس سور : الشعراء في "طسٓمٓ" ، و النمل في "طسٓ" ، و القصص في "طسٓمٓ" ، و في يس ، و في الشورى في "حمٓ عٓسٓقٓ" .

و عدد مكررات السين في السورة الأولى ٩٣ ، و في الثانية ٩٣ ، و في الثالثة ١٠٠ ، و في الرابعة ٤٨ ، وفي الخامسة ٥٣ . المجموع ٣٨٧ . وبجمع المجموعين نتج عدد ٩٦٩ . هذا العدد وعدد ١٩ متداخلان حيث يفنيه بالإسقاط ٥١ مرة . أي ينقسم عدد ٩٦٩ على عدد ١٩ هكذا ٩٦٩ ÷ ١٩ = ٥١ . و يصدّقه طريق الضرب و هو هكذا ١٩ × ٥١ = ٩٦٩ .

الوجه الحادي و الثلاثون : و من عجيب نظم حروف المقطعات تحت حيطة عدد ١٩ وهيمنته أن حرف "ص" ذكر في أوائل ثلاث سور ، منها "الٓمٓصٓ" في أوّل الأعراف .

ثم نحن نرى أن كلمة "بصطة" في الأعراف في آية ٦٩ كتبت بالصاد مع أن الرائج الأشهر كتابتها

بالسين هكذا "بسطة" .

و ذلك لسرّ عظيم و هو أن يتحقق من مجموع مكررات الصاد في السور الثلاث المتقدمة عدد ينقسم سويًّا على ١٩ . و هو عدد ١٥٢ المنقسم على ١٩ هكذا ١٥٢ ÷ ١٩ = ٨ . كما يعلم من طريق الضرب وهو هكذا ١٩ × ٨ = ١٥٢ .

فلو كتبت كلمة "بصطة" بالسين كان عدد مكررات الصاد في هذه السور الثلاث ١٥١ ، و عدد ١٥١ لا ينقسم على ١٩ كما لا يخفى .

و هذا برهان عظيم قاطع على أن القرآن معجز ، وعلى أنه محفوظ من أن يحرف منه الملحدون ولو حرفًا ، و على أن خط القرآن توقيفي كما هو المسلك المختار ، و على أن النبي ﷺ كان يأمر كاتبي الوحي بطريق الكتابة أيضًا بإذن الله و وحيه ، و على أنه عليه الصلاة والسلام أمر الكاتب هنا أن يكتب كلمة "بصطة" بالصاد . و هذه المعجزة بين أيدي أهل كل زمان إلى يوم القيامة يتحدّى بها الإنس و الجن . و حسبك من القلادة ما أحاط بالجيد . و لم تعرف هذه المعجزة النادرة العظيمة إلّا في هذا الزمان . و لله الحمد .

الوجه الثاني و الثلاثون : قد ذكرنا أن "ق" ذكرت في أوّل سورتين "ق" و "الشورى" في قوله "حمٓ عٓسٓقٓ" ، وأن عدد مكررات "ق" في كل واحدة منهما ٥٧ . وهو ينقسم على عدد ١٩ كما تقدم . و مجموعهما ١١٤ وهو أيضًا ينقسم على ١٩ .

و ههنا سرّ آخر مكنون لم يمسه فكر أحد قبل هذا الزمان من القرون الخالية وهو أن الله تعالى قال في آية ١٣ من سورة "ق" : وَعَادٌ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٍ . ولم يقل : و قوم لوط . مع أن ذكر قوم لوط ثبت في نحو اثني عشر موضعا من القرآن . و في كل موضع قال : قوم لوط . إلّا في "ق" فإنه قال ههنا : وَإِخۡوَٰنُ لُوطٍ .

و السر المكنون في ذلك أنه لو قال هنا في "ق" أيضًا قوم لوط كما قال في سائر المواضع لكان عدد مكررات القاف في سورة ق ٥٨ لا ٥٧ . و أنت تعلم أن عدد ٥٨ لا ينقسم على عدد ١٩ . والانقسام على هذا العدد كان مطلوبًا لتتحقق المعجزةُ العظيمةُ النادرة المحيّرة . فلهذا قال الله تعالى في القاف : وَإِخۡوَٰنُ لُوطٍ . ليتم عدد ٥٧ من غير نقص ولا زيادة .

ثم في اختيار لفظ "إخوان" المركب من "ا ، خ ، و ، ا ، ن" بالذكر ههنا دون لفظ آخر يؤدي مؤداه تكون رموز بديعة و حقائق عليّة و أسرار سنيّة لا نعرفها نحن الآن . و لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا .

الوجه الثالث و الثلاثون : ذكرت "حم" في أوائل سبع سور . وعدد مكرّرات "حم" أي مكرّرات "ح" و "م" في السور السبع ٢١٦٦ . وهو ينقسم على ١٩ هكذا ٢١٦٦ ÷ ١٩ = ١١٤ . و إن شئت تصديق ذلك بطريق الضرب فاعمل هكذا ١٩ × ١١٤ = ٢١٦٦ . حيث ذكر "ح" و "م" في المؤمن ٤٥٣ مرةً ، و في فصلت ٣٣٤ مرةً ، وفي الشورى ٣٦١ مرةً ، و في الزخرف ٣٦٢ مرةً ، و في الدخان ١٦١ مرةً ، و في الجاثية ٢٣١ مرةً ، و في الأحقاف ٢٦٤ مرةً . و مجموع ذلك ٢١٦٦ .

الوجه الرابع و الثلاثون : أوّل سورة مريم "كٓهيعٓصٓ" خمسة أحرف . و عدد مكررات هذه الحروف الخمسة في هذه السورة ٧٩٨ . و هذا العدد ينقسم على ١٩ كما يعلم من طريق الضرب هكذا ١٩ × ٤٢ = ٧٩٨ . فذكرت فيها الكاف ١٣٧ مرة ، و الهاء ١٦٨ مرة ، و الياء ٣٤٥ مرة ، و العين ١٢٢ مرة ، و الصاد ٢٦ مرة ، و مجموع ذلك ٧٩٨ .

الوجه الخامس و الثلاثون : ذكرت "آلر" الحروف الثلاثة في أوائل خمس سور : يونس و هود و يوسف و إبراهيم و الحجر . و مجموع ذلك ٩٥٧٢ .

فإن الألف كررت في يونس ١٣٥٣ مرة ، و في هود ١٤٠٢ مرة ، و في يوسف ١٣٣٥ مرة ، و في إبراهيم ٥٩٤ مرة ، و في الحجر ٥٠٣ مرة .

و ذكرت اللام في الأولى ٩١٢ مرة ، و في الثانية ٧٨٨ مرة ، و في الثالثة ٨١٢ مرة ، و في الرابعة ٤٥٢ مرة ، و في الخامسة ٣٢٣ مرة .

و تكررت الراء في الأولى ٢٥٧ مرة ، و في الثانية ٣٢٤ مرة ، و في الثالثة ٢٥٨ مرة ، و في الرابعة ١٦٠ مرة ، و في الخامسة ٩٩ مرة . و مجموع ذلك ٩٥٧٢ .

ثم الراء مختصّة بحكم من بين هذه الأحرف الثلاثة . و وجه الاختصاص أنّ الراء ذكرت في أوّل سورة الرعد أيضًا في قوله تعالى "آلمٓر" . و عدد مكررات الراء في الرعد ١٣٧ . فاجمع هذا العدد أي ١٣٧

مع المجموع السابق أي ٩٥٧٢ كان الحاصل ٩٧٠٩ . و هو ينقسم على عدد ١٩ هكذا ٩٧٠٩ ÷ ١٩ = ٥١١ . و إن شئت معرفة ذلك بطريق الضرب فهكذا ١٩ × ٥١١ = ٩٧٠٩ .

الوجه السادس و الثلاثون : ذكرت في أوّل سورة الشورى "عسق" في قوله تعالى : حمٓ عٓسٓقٓ . و تقدم البيان المتعلق "بحم" في الوجه الثالث و الثلاثين . و بقي الكلام على "عسق" .

فأقول و بالله التوفيق : عدد مكررات هذه الأحرف الثلاثة أي ع ، س ، ق في الشورى ٢٠٩ . و عدد ٢٠٩ ينقسم على عدد ١٩ هكذا ٢٠٩ ÷ ١٩ = ١١ . و إن شئت معرفة ذلك بطريق الضرب فهكذا ١٩ × ١١ = ٢٠٩ . فتكررت فيها العين ٩٩ مرة ، و السين ٥٣ مرة ، والقاف ٥٧ مرة . و مجموع ذلك ٢٠٩ .

الوجه السابع و الثلاثون : من المقطعات "ط ، س ، م" ثلاثة أحرف . و عدد مجموع مكرّرات هذه الأحرف الثلاثة في سورها ١٤٤٤ . و هو ينقسم على عدد ١٩ هكذا ١٤٤٤ ÷ ١٩ = ١٧٦ . إن شئت الضرب فهكذا ١٩ × ٧٦ = ١٤٤٤ .

إذ قد قدّمنا في الوجه الرابع و العشرين أن عدد الطاء ١٠٧ ، و عدد السين ٣٨٧ . و أمّا عدد مكررات الميم في سورها التي ذكرت الميم في مباديها فهو ٨٦٨٣ . و مجموع ذلك ٩١٧٧ . وهو ينقسم على ١٩ هكذا ٩١٧٧ ÷ ١٩ = ٤٨٣ . و إن شئت تصديق ذلك بطريق الضرب فهكذا ١٩ × ٤٨٣ = ٩١٧٧ .

الوجه الثامن و الثلاثون : قد ذكرنا أن الحروف المقطعات أربعة عشر حرفًا ، و أن السور التي ثبتت الحروف المقطعة في مباديها تسع و عشرون سورة .

فنقول : عدد مكررات كل حرف من هذه المقطّعات في السور التي ذكر هو في أولها ينقسم على عدد ١٩ . و هذا من بدائع المعجزات و غرائب الخارقات .

فمنها أن الألف ذكرت في ثلاث عشرة سورة : البقرة "الٓمٓ" آل عمران "الٓمٓ" الأعراف "الٓمٓصٓ" يونس "الٓر" هود "الٓر" يوسف "الٓر" الرعد "الٓمٓر" ابراهيم "الٓر" الحجر "الٓر" العنكبوت "الٓمٓ" الروم "الٓمٓ" لقمان "الٓمٓ" السجدة "الٓمٓ" .

و مجموع ألفات هذه السور ١٧٤٩٩ . و هو ينقسم على عدد ١٩ هكذا ١٧٤٩٩ ÷ ١٩ = ٩٢١ . و إن

شئت التصديق من طريق الضرب فهكذا ١٩ × ٩٢١ = ١٧٤٩٩ .

جدول مجموع عدد الألفات المكرّرة في هذه السور على الترتيب في كل سورة

البقرة	٤٥٩٢	الرعد	٦٢٥
آل عمران	٢٥٧٨	إبراهيم	٥٩٤
الأعراف	٢٥٧٢	الحجر	٥٠٣
يونس	١٣٥٣	العنكبوت	٧٨٤
هود	١٤٠٢	الروم	٥٤٥
يوسف	١٣٣٥	لقمان	٣٤٨
السجدة	٢٦٨		

الوجه التاسع و الثلاثون : و من المقطّعات "اللام" . فذكرت اللام في أوائل السور المذكورة الثلاث عشرة . وعدد مجموع اللامات في هذه السور الثلاث عشرة ١١٧٨٠ . وهو ينقسم على ١٩ هكذا ١١٧٨٠ ÷ ١٩ = ٦٢٠ . و إن أردت معرفة ذلك من طريق الضرب فهو هكذا ١٩ × ٦٢٠ = ١١٧٨٠ .

و هذا جدول مجموع عدد اللامات المتكرّرة في السور الثلاث عشرة

البقرة	٣٢٠٤	الرعد	٤٧٩
آل عمران	١٨٨٥	إبراهيم	٤٥٢
الأعراف	١٥٢٣	الحجر	٣٢٣

يونس	٩١٢	العنكبوت	٥٥٤
هود	٧٨٨	الروم	٣٩٦
يوسف	٨١٢	لقمان	٢٩٨
السجدة	١٥٤		

الوجه الأربعون : و من المقطّعات "الراء" ثبتت الراء في أوائل ست سور : يونس و عدد مكرّرات الراء فيها ٢٥٧ . و هود و عدد مكرّراتها فيها ٣٢٤ . و يوسف و عدد مكرّراتها فيها ٢٥٨ . و الرعد و عدد مكرّراتها فيها ١٣٧ . و إبراهيم و عدد مكرّراتها فيها ١٦٠ . و الحجر و عدد مكرّراتها فيها ٩٩ . و مجموع ذلك ١٢٣٥ . و هو ينقسم على ١٩ هكذا ١٢٣٥ ÷ ١٩ = ٦٥ . و أمّا طريق الضرب فهو هكذا ١٩ × ٦٥ = ١٢٣٥ .

الوجه الحادي و الأربعون : و من المقطّعات "الميم" جاءت الميم في أوائل سبع عشرة سورة . و عدد مكررات الميم في هذه السور كلها ٨٦٨٣ . و هو ينقسم على ١٩ هكذا ٨٦٨٣ ÷ ١٩ = ٤٥٧ . و إن أردت تصديق ذلك بطريق الضرب فهكذا ١٩ × ٤٥٧ = ٨٦٨٣ .

جدول عدد الميات المكرّرة في هذه السور السبع عشرة

البقرة	٢١٩٥	لقمان	١٧٧
آل عمران	١٢٥١	السجدة	١٥٨
الأعراف	١١٦٥	المؤمن	٣٨٩
الرعد	٢٦٠	فصّلت	٢٧٦

الشعراء	٤٨٩	الشورٰی	۳۰۸
القصص	٤٦١	الزخرف	۳۱۷
العنكبوت	۳٤٧	الدخان	١٤٥
الروم	۳۱۸	الجاثية	۲۰۰
الأحقاف	۲۲۷		

فاحفظ هذه الأسرار البديعة و المعجزات الرفيعة و الغرائب النفيسة و عجائب كتاب الله المخفية و المعارف المكنونة . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أجلّ و أوسع و أتم .



الباب الثالث و التسعون

من خصائص اسم "الله" الكريم انعقاد اليمين به مع إسقاط آخره و هو الهاء . فلو قال "والله" بغير هاء فهو يمين . بخلاف نحو "والرحيم" "والقدير" بغير ميم و راء حيث لايكون يمينًا . كذا في كتب الفقه . و وجه ذلك كون اسم "الله" أعرق في القسم .

و في المجتبى : لو قال "و الله" بغير هاء كعادة الشطار فيمينٌ . قلت : فعلى ما يستعمله الأتراك "بالله" بغير هاء فيمين أيضا . انتهى . كذا في البحر شرح الكنز ج٤ ص٣٠٥ .

و في أمالي ابن الشجري ج٢ ص١٦ : أن هذا الاسم لكثرة دوره كثرت فيه اللغات . فمن العرب من يقول : و الله أفعل . و منهم من يقول : لاه أفعل . انتهى .

فائدة و تنبيه

اعلم : أن القَسَم موضع خفّة لكثرة الاستعمال . و اسم "الله" أعرق في القسم . فيتحمّل فيه ما لا يتحمّل في غيره . و يتصرف فيه ما لا يتصرف فيما سواه . و يحسن فيه ما يقضى منه العجب كما لا يخفى على ناظر كتابنا هذا .

و قد ذكرتُ في باب "أيمن الله" كثيرا من تصرفات تتأتّى في فعل القسم و سائر متعلقاته ، من شاء التفصيل فليرجع إليه .

و أسطر ههنا بعض ما بقي وما لا ينبغي رفضه لكونه من لطائف ما نحن بصدده و هو بيان لطائف الجلالة أو ما له تعلق بالجلالة تعلق التوكيد و التاييد . فأقول و إياه أستعين :

من التصرّفات العجيبة في باب القسم حذف كلمة "لا" في جواب القسم . قال ابن هشام رحمه الله تعالى في المغني ج٢ ص١٥٤ : إن قوله :

* آليتُ حُبَّ العراق الدهر أطعمه *

بتقدير "لا أطعمه" . انتهى . حذفت كلمة "لا" ههنا في جواب القسم و هو "أطعمه" أي لا أطعمه .

و في المزهر ج١ ص٣٣١ : قال ابن فارس : و من سنن العرب التي لاتوجد في غير لغتهم الحذف و الاختصار . يقولون : و الله أفعل ذاك . تريد لا أفعل . و أتانا عند مغيب الشمس ، أي حين أرادت أو كادت تغرب . انتهى .

قال ابن الشجري في أماليه ج١ في المجلس الرابع و الأربعون ص٣٦٩ : فمما حذف من حروف المعاني "لا" إذا وقعت جوابا للقسم كقول امرئ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدًا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي لا أبرح . و مثله :

تالله يبقي على الأيام ذوحيد بمشمخرّ به الظيان و الآس

و المعنى : تالله لا يبقي بحذف "لا" . الظيان الياسمين . و قد جاء حذف "لا" من هذا القبيل في التنزيل في قوله تعالى : قَالُوا تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُا تَذۡكُرُ يُوسُفَ . أراد لا تفتأ لا تزال . انتهى .

و في المغني ج٢ ص ١٧١ : حذف "لا" النافية وغيرها يطرد ذلك في جواب القسم إذا كان المنفي مضارعًا نحو : تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُا تَذۡكُرُ يُوسُفَ . و قوله :

* فقلت يمين الله أبرح قاعدًا *

و يقلّ حذف "لا" مع الماضي كقوله :

فإن شئت آليت بين المقا م والركن والحجر الأسود

نسيتك ما دام عقلي معي أمدّ به أمد السرمد

أي لا نسيتك . و يسهّله تقدم "لا" على القسم كقوله :

* فلا والله نادى الحي قومي *

و سمع حذف "لا" بدون القسم كقوله :

وقولي إذا ما أطلقوا عن بعيرهم يلاقونه حتى يؤوب المنخل

و قد قيل به في قوله تعالى : يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا . أي لئلاّ تضلّوا . و قيل : المحذوف مضاف . أي كراهة أن تضلوا .

و أمّا حذف "ما" النافية فذكر ابن معطي ذلك في جواب القسم فقال في ألفيته :

و إن أتى الجواب منفيًّا بلا أو ما كقولي و السما ما فعلا

فإنّه يجوز حذف الحرف إن أمن الإلباس حال الحذف

قال ابن الخباز : وما رأيت في كتب النحو إلّا حذف "لا" . و قال لي شيخنا : لا يجوز حذف "ما" لأن التصرف في "لا" أكثر من التصرف في "ما" . انتهى .

و أنشد ابن مالك رحمه الله تعالى :

فوالله ما نلتم وما نيل منكم بمعتدل وفق و لا متقارب

و قال : أصله ما ما نلتم . ثم في بعض كتبه قدر المحذوف بما النافية . وفي بعضها "ما" الموصولة . انتهى .

و من التصرفات العجيبة في باب القسم ما هو على عكس ما تقدم و هو زيادة "لا" في القسم .

قال في المغني : اختلفوا في "لا" في مواضع من التنزيل . أحدها قوله تعالى : لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ . فقيل : هي نافية . و قيل : زائدة جيئت بها توطئةً و تمهيدًا لنفي الجواب . و التقدير : لا أقسم بيوم القيمة لا يُترَكون سُدًى . و مثله : فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ .

و قيل : زيدت لمجرد التوكيد و تقوية الكلام كما في "لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ" .

و رُدّ بأنها لا تزاد لذلك صدرًا بل حشوًا كما أن زيادة "ما" و "كان" كذلك نحو : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ . أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ . ونحو : زيد كان فاضل . و ذلك لأن زيادة الشيء تفيد اطراحه . وكونه أوّل الكلام يفيد الاعتناء به . قالوا : و لهذا تقول بزيادتها في نحو : فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ . فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ . لوقوعها بين الفاء و معطوفها ، بخلاف هذه .

و أجاب أبوعلي من أن القرآن كالسورة الواحدة . انتهى بحاصله .

قال أبوعلي في قول الله "لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ" : من قال : إن "لا" صلة كانت كالتي في قوله "لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ" .

فإن قلت : إن "لا" و "ما" و الحروف التي تكون زوائد إنما تكون بين كلامين كقوله "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ" و "مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ" و "فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ" ولا تكاد تزاد أوّلًا .

فالجواب أنهم قد قالوا : إن مجاز القرآن مجاز الكلام الواحد و السورة الواحدة . قالوا : و الذي يدل على ذلك أنه قد يذكر الشيء في سورة فيجيء جوابه في سورة أخرى كقوله : وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ . جاء جوابه في سورة أخرى : مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . انتهى .

والتفصيل في أمالي ابن الشجري ج٢ ص٢٢٠ المجلس السابع و السبعون ، و المغني ج١ بحث "لا" النافية .

و من التصرّفات العجيبة في باب القسم الاقتصار على واحد من اللام و النون المؤكدة في جوابه و حذفهما معًا .

قال الفقيه ابن عابدين الشامي رحمه الله في حواشي البحر ج٤ ص٣١٣ : قال الرملي : لابد من اللام والنون في جواب القسم المثبت عند البصريين . و قال الكوفيون و الفارسي : يجوز الاقتصار على أحدهما . ذكره الأسنائي في كتابه الكوكب الدري .

و اختلف الفقهاء في انعقاد اليمين و وجوب الكفارة في ذلك . ففي البحر : أنه لا يضمر في

المقسم عليه حرف التاكيد ، و هو اللام و النون ، بل لابد من ذكرهما لما في المحيط .

و الحلف في العربية أن تقول في الإثبات "والله لأفعلنّ كذا" و "والله لقد فعلت كذا". مقرونا بكلمة التوكيد . و في النفي تقول "والله لا أفعل كذا" . حتى لو قال "والله أفعل كذا اليوم" فلم يفعل لا تلزمه الكفارة . و يكون بمعنى قوله "لا أفعل كذا" . فتكون كلمة "لا" مضمرة فيه . لأن الحلف في الإثبات يكون باللام والنون . و إضمار الكلمة في الكلام استعملته العرب . كقوله تعالى : وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ . أي أهلها . فأما إضمار بعض الكلمة في البعض فما استعملته العرب . انتهى .

ثم قال الشيخ الفقيه ابن عابدين رحمه الله تعالى : ينبغي أن يكون يمينا و إن خلا من اللام و النون . و يدل عليه قوله في الولوالجية : سبحان الله أفعل كذا . ليس بيمين إلّا أن ينويه . انتهى . هذا . و الله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب و علمه أجلّ و أعلى و أتمّ .

الله اكبر

الباب الرابع و التسعون
وفيه نحوخمس عشرة مزية

أسطر بتوفيق الله تعالى في هذا الباب من خصائص الاسم "الله" ومزاياه المهمّة أمورًا متفرقة من بدائع الأفكار و لطائف الأسرار و نفائس الأبكار التي ذكرها فضلاء أصحاب الطريقة الصافية و علماء الشريعة الظاهرة الشافية . و الله الموفّق و هو المستعان .

فمن تلك اللطائف أن تصور هذا الاسم الشريف مكتوبًا على لوح القلب منقوشًا على صفحة الفؤاد مفيد جدًّا للسالكين إلى الله تعالى . كما أن المواظبة على ذكر هذا الاسم و تصور نوره و فيضه في القلب مفيد جدًّا و طاعة مقربة إلى غاية .

فإذا تصوّره السالك مسطورًا في قلبه و تعقّله منقوشًا على فؤاده و واظب على هذا الخيال بهمّة و دامت مراقبته بهذا الطريق ترقّى ترقّيا و وصل إلى مقام عالٍ وهو مقام المكاشفة . فيرى هذا الاسم العظيم مكتوبًا على القلب بقلم نوراني في نفس الأمر منوّرًا لصدره و قلبه في الواقع .

قال الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله : و من المشايخ من يأمر المريد السالك إلى الله تعالى بتخيل القلب مكتوبًا عليه اسم "الله" بالذهب . انتهى .

و من تلك اللطائف أن كتابة هذا الاسم الكريم في ورقة أو إناء مكرّرًا عددًا معلومًا أو غير معلوم يفيد كل مريض تعليقا أو سقيًا . و هـذا مجرّب قد جرّبه المشايخ . لاسيما لأمراض عجز عنها الأطباء . و أنا أيضًا جرّبته فحصل به الشفاء بإذن الله تعالى . و من ذا الذي يستنكر فوائد الجلالة

و مزاياها .

و رأيت أنا عالمًا كبيرًا هو مرجع العوام و الخواص يأتيه مرضى و أصحاب حاجات لأخذ الحجاب والتعويذ . وكان هذا العالم يكتب لهم على ورقة بالسرعة "الله ، الله ، الله ، الله" و هكذا عددًا غير معلوم . ثم يعطي صاحب الحاجات تلك الورقة للسقي و نحوذلك ، فيحصل الشفاء . و هكذا كان ديدنه . وكان مشهورًا في هذا الأمر . وكل ذلك ببركة الجلالة .

و من تلك اللطائف أن كثرة كتابة الجلالة على ورقة من غير إحصاء العدد و المواظبة على ذلك إلى زمان مفيد في إصلاح القلب و تصفية الباطن و تحصيل التيقظ و التوجه التام إلى الله تعالى في بدء السلوك إلى الله تعالى .

وكان بعض المشايخ الكبار يروض بذلك أصحابه السالكين إلى عدة أيام أو عدة أشهر لترتاض نفوسهم لذكر الله قلبًا و لسانًا . فإنّ الظاهر يؤثر في الباطن و ينقاد له . إن خيرًا فخير و إن شرًّا فشرّ .

قال المحدث الكبير شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى : سمعت الوالد أي الشيخ شاه عبدالرحيم رحمه الله تعالى يقول : أمرني خواجه هاشم البخاري رحمه الله تعالى بكتابة اسم الذات أي اسم "الله" و أنا ابن عشر سنين . فأكثرت منها و أخذ الاسم الأعظم بمجامع قلبي . حتى أني كنت يومًا مشغولاً بكتابة كتاب غير اسم "الله" فكتبت اسم الذات على نحو من أربعة أوراق و ما شعرت . وكان هذا الكتاب الذي كان مشغولاً بكتبه هو كتاب شرح العلامة عبدالحكيم اللاهوري رحمه الله تعالى لحاشية العلامة الخيالي على شرح العقائد النسفية .

قال : و سمعته يقول : رأيت خواجه خرد يعني خواجه محمد باقي رحمه الله تعالى يكتب بإبهامه على أصابعه الأربع شيئًا في مجلسه وكلامه و شانه كله . فسألته عن ذلك فقال : كتبت اسم الذات في بداية أمري . و صارت ديدنًا لي لا أستطيع الانقلاع عنها . انتهى .

و من تلك اللطائف ما قال بعض الأكابر : اعلم أن السرّ المصون و العلم المكنون في الذكر بالأسماء هو أن تأخذ عدد حروف الأسماء بحساب الجمل و عدد صورهما الرقمية و تذكر بذلك القدر يحصل المطلوب .

مثال ذلك أن اسم "الله" أربعة أحرف و هي "ا ، ل ، ل ، ه" . و المراد عدد الحروف المكتوبة لا الملفوظة . و عدد مجموع هذه الأحرف الأربعة بحساب الجمل ٦٦ . و إذا جمعتَ ٦٦ مع ٤ كان مجموع ذلك ٧٠ . فتستغيث به ٧٠ مرة ، و تسأل حاجتك ، ثم تذكر بقدر حاجتك في موضع خال بجمع همة و حضور قلب ، فإنه يستجاب لك . انتهى .

و من تلك اللطائف ما قال الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانلي النقشبندي رحمه الله تعالى : اعلم : أن مقدار الورد من اسم الجلالة أقله خمسة آلاف و لا حصر لأكثره . و أقلّه للسالكين خمسة و عشرون ألفًا في مدة يوم و ليلة . إمّا بجلسة واحدة و هو الأحسن أو بثلاث جلسات أو بحسب الإمكان .

و بعد ذلك يلقّن المريد بالنفي و الإثبات . وقيل : بعد الاستغراق و الاستهلاك . وقيل : بعد قطع الخواطر دوامًا . و قيل : بعد ظهور الحضور التام . و قيل : بعد الاطمينان . و النزاع لفظي . انتهى . كذا في جامع الأصول ص٢٣ .

و من تلك اللطائف ما قال أصحاب الطريقة والسلوك إنّ من مزايا الاسم "الله" و خصائصه ذكره بأنواع عديدة اختارها جمع من المشايخ . و دونك تفصيل تلك الأنواع :

فمن تلك الأنواع لذكر اسم "الله" ما اختاره مشايخ السلسلة الجيلانية لفتح الأمور المغلقة . قالوا : يذكر الله سبحانه بعد التهجد بأربع ضربات ألف مرة : يضرب على الطرف الأيمن قائلاً "يا حي" و على الطرف الأيسر قائلاً "يا قيوم" و على الفوق إلى السماء قائلاً "يا وهاب" و على القلب "يا الله" .

و من تلك الأنواع لذكر اسم "الله" ما اختاروه أيضًا لانشراح الصدر و دفع البلايا . فيحبس الطالب نفسه و يضرب اسم "الله" في القلب . و يشتغل بذكر "لا إله إلّا هو" نفيًا و إثباتًا بأن يُخرج "لا إله" من سرّته و يمدّه إلى ما خلفه و يتركه في أمّ الدماغ . ثم يضرب باسم "هو" في القلب بعد مدّ "إلّا" إلى اليمين . ثم يضرب "الحي" في الطرف الأيمن و "القيوم" في الأيسر على القلب . كذا في المقالات السبحانية و قطب الإرشاد .

و من تلك الأنواع لذكر اسم "الله" ما قال مشايخ الطريقة الجشتية لحصول الحاجات وحلّ المشكلات أن يختار السالك شغل اسم الذات أي الاسم "الله" مع اسم من الأسماء موافق لحاجته . مثلاً

طالب المغفرة يقول : يا الله الغفور ، و طالب الشفاء يقول : يا الله الشافي أنت الشافي ، و المظلوم يقول : يا الله المذل . و على هذا القياس .

و طريقه كما في قطب الإرشاد أن يضرب في الأيمن اسم الذات مع ذلك الاسم الموافق لحاجته ، و كذلك في الأيسر ، وكذلك في القلب ، تحصل تلك الحاجة سريعًا بعون الله تعالى و قوته .

و من تلك الأنواع لذكر اسم "الله" ما قالوا : إنّ رعاية العدد في الذكر مروي عن المشايخ العظام كالشيخ جنيد البغدادي و السري السقطي و المعروف الكرخي رحمهم الله . وهو عند البعض في يوم و ليلة اثنا عشر ألفًا ، و عند البعض أربع و عشرون ألفًا بعدد الأنفاس كل يوم و ليلة . كذا في قطب الإرشاد .

قال شاه ولي الله رحمه الله في القول الجميل عند بيان أشغال الجيلانية : و من واظب على ذكر اسم الذات في كل يوم و ليلة أربع آلاف مرة مع تقديم الشروط التي أسلفناها و استمر على ذلك شهرين أو نحوًا من ذلك فإنه يشاهد في نفسه و قلبه الأثر لا محالة سواء كان غبيًّا أو ذكيًّا .

و من تلك اللطائف بل و من بدائع فضائل ذكر اسم "الله" ما حكي أن بعض الملوك و قيل هو الخليفة أمير المؤمنين الموفق بالله حجَّ . وكان قد حضر عنده جماعة من المنجِّمين . فأضمر لهم ذكر "الله" و قال لهم : أنتم تقولون : إن الإنسان يضمر في قلبه و أنتم تخبرونه بما أضمر ؟ قال له أحدهم : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : قد أضمرت . فهل من يكشف ذلك ؟

فتكلم كل واحد منهم فلم يصب . فقام أعظمهم و هو أبومعشر الفلكي المشهور كما قيل ، فقال : أضمرتَ ذكر "الله" . فقال له : صدقت . أخبرني كيف اطّلعت على هذا ؟

فقال أبومعشر : لأنك لما أضمرت أخذت أنا ارتفاع الوقت فوجدت نقطة الرأس في وسط السماء . و نقطة الرأس شيء لا تُرٰى ذاته و يُرٰى أثره و خيره . و وسط السماء أرفع موضع في الفلك . فعلمت أنك أضمرت ذكر موجود لا ترى ذاته بل يرى أثر خيره و رحمته . وذلك الموجود هو أرفع الموجودات . و ليس هذا الموجود إلّا الله تعالى . انتهى . كذا في رسالة النصيحة .

و من تلك اللطائف أن كل آية في كتاب الله تعالى غاية ما يذكر فيها اسم "الله" ست مرات .

و آية الكرسي ذكر فيها اسم "الله" سبع عشرة مرة ظاهرًا و مضمرًا و معلنًا . و سائر الأقسام مرادة لها و هي مرادة لنفسها لا لغيرها . فهي المتبوعة و ما عداها تابعة .

قال السيد محمد حقي النازلي رحمه الله في خزينة الأسرار وجليلة الأذكار ص١١٨ : و في آية الكرسي اسم الله الأعظم . و فيها سبع عشرة جلالةً ظاهرة و مضمرة .

و قال ابن المنير : آية الكرسي مشتملة على ما لم تشمل عليه آية أخرى من أسماء الله تعالى . و ذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم "الله" تعالى مسمّاه ظاهرًا في بعضها و مستكنا في بعضها .

وهي "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ" و ضمير "لَا تَأۡخُذُهُۥ" و "لَهُۥ" و "عِندَهُۥ" و "بِإِذۡنِهِۦ" و "يَعۡلَمُ" و "عِلۡمِهِۦ" و "كُرۡسِيُّهُ" و "يَـُٔودُهُۥ" و ضمير "حِفۡظُهُمَا" المستتر الذي هو فاعل المصدر وضمير "وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ" .

و إن عددت الضمائر المحتملة في "ٱلۡحَيِّ" "ٱلۡقَيُّوم" "ٱلۡعَلِيّ" "ٱلۡعَظِيم" و الضمير المقدر قبل "ٱلۡحَيّ" على أحد الأعاريب صارت اثنين وعشرين . كذا في الإتقان . انتهى .

و من تلك اللطائف أن الله عزّ و جلّ له الأسماء الحسنى . و الاسم له معنى و صورة . فيدعى "الله" بمعنى الاسم ، و يدعى "الرحمن" بصورته . لأن الرحمن هو المنعوت بالنفس . و ظهرت بالنفس صور العالم و صور الكلمات الإلهية . فلذا لا ندعو " الرحمن " إلّا بصورة الاسم .

ثم له صورتان : صورة عندنا من أنفاسنا و تركيب حروفنا . و هي التي ندعو بها و هي أسماء الأسماء الإلهية . لأن الأسماء الحسنى في الحقيقة حقائق و معان و نعوت اتصف الله بها . و ما نتكلم به من الأسماء المركبة من الحروف هي أسماء تلك المعاني و النعوت التي هي أسماء حقيقة . وله صورة أخرى من نفس "الرحمن" من حيث كونه قائلا و منعوتا بالكلام .

قال الشيخ الحاتمي رحمه الله : اعلم : أن الله تعالى لمّا قال : قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ . فجعل الأسماء الحسنى لله كما هي للرحمن .

غير أن هنا دقيقة و هي أن الاسم له معنى و له صورة . فيدعى الله بمعنى الاسم ، و يدعى الرحمن بصورته . لأن الرحمن هو المنعوت بالنفس . و بالنفس ظهرت الكلمات الإلهية في مراتب الخلاء الذي

ظهر فيه العالم .

فلا ندعوه إلّا بصورة الاسم . و له صورتان : صورة عندنا من أنفاسنا و تركيب حروفنا . وهي التي ندعوه بها . و هي أسماء الأسماء الإلهية . وهي كالخلع عليها . و نحن بصورة هذه الأسماء التي من أنفاسنا مترجمون عن الأسماء الإلهية .

و الأسماء الإلهية لها صور من نفس "الرحمن" من كونه قائلاً و منعوتا بالكلام . و خلف تلك الصور المعاني التي هي لتلك الصور كالأرواح . فصور الأسماء الالهية التي يذكر الحق بها نفسه بكلامه وجودها من نفس الرحمن . فله الأسماء الحسنى . و أرواح تلك الصور هي التي للاسم "الله" خارجة عن حكم النفس لا تنعت بالكيفية . و هي لصور الأسماء النفسية الرحمانية كالمعاني للحروف .

و لما علمنا هذا و أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى . و خيّرنا بين الله و الرحمن . فإن شئنا دعوناه بصورة الأسماء النفسية الرحمانية و هي الهمم الكونية التي في أرواحنا . و إن شئنا دعوناه بالأسماء التي من أنفاسنا بحكم الترجمة . و هي الأسماء التي يتلفظ بها في عالم الشهادة .

فإذا تلفظنا بها أحضرنا في نفوسنا أمّا "الله" فننظر المعنى . و أمّا "الرحمن" فننظر صورة الاسم الإلهي النفسي الرحماني . كيفما شئنا فعلنا . فإن دلالة الصورتين منّا و من الرحمن على المعنى واحد سواء علمنا ذلك أو لم نعلمه . انتهى . فتوحات ج١ ص٣٩٦ .

و من تلك اللطائف أن كينونة الاسم "الله" اسمًا لله ربّ العالمين كان معروفًا عند المشركين . بخلاف الاسم "الرحمن" حيث لم يكن معروفًا عندهم في الله رب العالمين . و لذا أنكروه و لم ينكروا اسم "الله" .

قال بعض العارفين : مِن نفس الرحمن وهو قوله "وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ" أخبر أنهم يكفرون بالرحمن . لأنهم جهلوا هـذا الاسم . إذ لم يكن عندهم و لا سمعوا به قبل هذا . فلما قيـل لهم : ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ . فزادهم هذا الاسم نفورًا . فإنهم لا يعرفون إلّا الله الذين يعبدون الشركاء ليقربوهم إلى الله زلفى . ولمّا قيل لهم : ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ . لم يقولوا : و ما الله . و إنما أنكروا توحيده .

و قد نقل أنهم كانوا يعرفونه مركبًا "الرحمن الرحيم" اسم واحد كبعلبك و رامهرمز. فلما أفرده بغير نسب و قال "الرحمن" أنكروه. فإنه يقال في النسب "بعلي" في بعلبك. فقال لهم الداعي : الرحمن هو ربي. ولم يقل : هو الله. و هم لاينكرون الربّ. انتهى. فتوحات ج٢ ص٤١١.

و من تلك اللطائف أن الاسم "الله" الشريف مشتمل بطريق مخفي على عدد الأسماء الحسنى وهي ٩٩. فإن هذا الاسم المقدس أربعة أحرف رسمًا و هي " ا ، ل ، ل ، ه "، و خمسة أحرف لفظًا و هي " ا ، ل ، ل ، ا ، ه ". فإذا أسقطتَّ المكرر منها بقي ثلاثة أحرف و هي "ا ، ل ، ه".

ثم إن عدد الاسم "الله" بحساب الجمل ٦٦. و ذلك باعتبار الحروف الأربعة المرسومة. فإذا ضرب عدد ٦٦ في ٣ حصل ١٩٨. و هذا العدد ضعف ٩٩ عدد الأسماء الحسنى.

ثم إنّ الاسم "الله" بالنظر إلى الأحرف المرسومة الأربعة منقسم إلى قسمين من الأحرف :

القسم الأول : الحروف الزائدة للتعريف و هي "أل".

و القسم الثاني : الحرفان الباقيان من أصل مادة الاسم "الله" بعد إسقاط "أل" و هما اللام و الهاء.

و كل قسم منهما مشتمل على حرفين اثنين. فإذا قسمت ١٩٨ على القسمين حصل لكل قسم ٩٩. و هذا عدد أسماء الله الحسنى. فكل قسم منهما مختص بعدد ٩٩. و هذا أمر غريب بديع. و حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

و من تلك اللطائف أن جميع الأسماء الحسنى دلائل على الاسم "الله". و كذا للاسم الله الأسماء الحسنى دون غيره من الأسماء الحسنى. و عند بعض العارفين يشاركه في هاتين الخاصتين الاسم "الرحمن".

قال الشيخ الحاتمي في الفتوحات ج٣ ص٤٩٦ عند بيان رحمة الله تعالى : و بهذا كان "الله" و "الرحمن" دون غير الرحمن من الأسماء له الأسماء الحسنى. فجميع الأسماء دلائل على الاسم "الرحمن" و على الاسم "الله" و لكن أكثر الناس لا يشعرون. انتهى.

هذا . والله أعلم بما هو صواب من الأسرار و بما هو حق من الأفكار و بما هو خير من الأنوار ، و علمه أعلى و أوسع و أجلّ .

الله جلّ جلاله

الباب الخامس و التسعون

من بدائع خصائص الجلالة ما ذكره بعض المحققين زيادة "الاسم" معها في البسملة حيث قال : إن لفظة "اسم" في قوله تعالى "بسم الله الرحمن الرحيم" مقحمة . و الأصل "بالله" .

قلت : القول بأنّ إقحام لفظة "اسم" في البسملة خاصة الجلالة إنما يستقيم على مذهب البصريين حيث لا يجوّزون إقحام الاسم و زيادته إلّا في الشعر .

و أمّا على مسلك الكوفيين الذين جوّزوا زيادة الاسم و إقحامه مطلقًا فيقال في وجه هذه الخاصية : إن اطّراد زيادة الاسم مع الجلالة من خصائص الجلالة . فإن أهل الكوفة و إن قالوا بجواز زيادة الاسم و إقحامه نثرًا و نظمًا لكنّهم لا يقولون بجواز عموم زيادته و اطّراده . حيث صرّحوا بأنّ إقحامه أمر نادر قليل جدًّا في الكلام .

و البسملة كثيرة الاستعمال . فإن البسملة تجري على لسان كل عبد من العباد المؤمنين مآت مرات في يوم و ليلة . و لفظة "اسم" فيها مقحمة . فثبت إقحام لفظة "اسم" ههنا مطّردًا . واطّراد هذا الإقحام في البسملة من خصائص الجلالة على المذهب الكوفي .

اعلم : أنه لا مندوحة من تنقيح هذه المسألة بحيث ينكشف الغبار من البين و ينجلي الصبح لذي عينين . فأقول و بالله التوفيق و بيده أزمّة التحقيق :

قال العلامة أبوالبقاء العكبري رحمه الله تعالى في إعراب القرآن ج١ ص٦ : فإن قيل : كيف أضيف الاسم إلى "الله" في التسمية و "الله" هو الاسم ؟

قيل : في ذلك ثلاثة وجوه : أحدها : أن الاسم هنا بمعنى التسمية . و التسمية غير الاسم . لأن الاسم هو اللازم للمسمى . و التسمية هو التلفظ بالاسم .

و الثاني : أن في الكلام حذف مضاف . تقديره باسم مسمّى الله .

و الثالث : أن "اسم" زيادة . و من ذلك قوله :

* إلى الحول ثم اسم السّلام عليكما *

و قول الآخر :

* داعٍ يناديه باسم الماء *

أي السلام عليكما . و يناديه بالماء . انتهى كلام العكبري .

قال الرازي رحمه الله في تفسيره ج١ ص٦٥ : قال أبوعبيد : ذكر الاسم في قوله "بسم الله" صلة زائدة . و التقدير "بالله" . قال : و إنما ذكر لفظة الاسم إمّا للتبرك و إمّا ليكون فرقًا بينه و بين القسم .

و أقول : المراد من قوله "بسم الله" قوله : ابدأوا بسم الله . وكلام أبي عبيد ضعيف . لأنا لمّا أمرنا بالابتداء فهذا الأمر إنما يتناول فعلاً من أفعالنا . و ذلك الفعل هو لفظنا وقولنا . فوجب أن يكون المراد أبدأ بذكر الله . و المراد أبدأ ببسم الله .

و أيضًا فالفائدة فيه أنه كما أن ذات الله تعالى أشرف الذوات فكذلك ذكره أشرف الأذكار واسمه أشرف الأسماء . فكما أنه في الوجود سابق على كل ما سواه وجب أن يكون ذكره سابقًا على كل الأذكار ، وأن يكون اسمه سابقًا على كل الأسماء . و على هذا التقدير فقد حصل في لفظ "الاسم" هذه الفوائد الجليلة . انتهى .

و أيضًا قال الرازي رحمه الله في بحث التسمية : إن تصدير الفعل باسم "الله" إنما يكون بذكره . ويقع على وجهين : أحدهما : أن يذكر اسم خاص من أسمائه تعالى كلفظ "الله" مثلاً . و الثاني : أن يذكر لفظ دال على اسمه كما في التسمية . فإن لفظ "اسم" مضاف إلى الله تعالى يراد به اسمه تعالى . فقد ذكر هنا اسمه لا بخصوصه بل بلفظ دال عليه مطلقا . فيستفاد أن التبرك والاستعانة بجميع أسمائه . انتهى .

اعلم : أنّ للعلماء كلامًا مسهبًا و أبحاثًا مطنبة في إضافة لفظ "الاسم" إلى "الله" في هذا المقام مقام البسملة نكتفي منها ههنا بذكر بعض النقول لكبار العلماء . فأقول و بالله التوفيق :

قال العلامة الخالد الأزهري رحمه الله في التصريح شرح التوضيح لابن هشام ج١ ص٧ : و إضافة "اسم" إلى "الله" أي في "بسم الله الرحمن الرحيم" قيل : من إضافة العام إلى الخاص كخاتم حديد . و قيل : لفظ الاسم المضاف هنا مقحم جيء به لإرشاد حسن الأدباء . و قيل : الاسم هنا بمعنى التسمية . و قيل : في الكلام حذف مضاف . تقديره باسم مسمّى الله .

و منشأ ذلك أنهم اختلفوا في الاسم و المسمى هل هما متغايران أم لا . و الأوّل رأي المعتزلة . و الثاني قول الأشعري . و قيل : لا و لا . وهو مذهب أهل النقل و يعزى لمالك رحمه الله .

و التحقيق أن الخلاف لفظي . و ذلك أن الاسم إذا أريد به اللفظ فغير المسمى . و إن أريد به ذات الشيء فهو عينه . لكنه لم يشتهر بهذا المعنى . قال الإمام الرازي رحمه الله : إنا لم نجد شيئًا معتدًّا به في النزاع أن الاسم هل هو عين المسمى أو غيره . انتهى كلامه .

قال الأشموني رحمه الله في تركيب نحو قولهم "يا سعد سعد الأوس" و قولهم "يا تيم تيم عدي" : إن فتحتَ الأوّل من المكرر فثلاثة مذاهب : أحدها : وهو مذهب سيبويه أنه منادًى مضاف إلى ما بعد الثاني . و الثاني : مقحم بين المضاف و المضاف إليه . و على هذا قال بعضهم : يكون نصب الثاني على التوكيد . انتهى .

و قال الشيخ الصبان رحمه الله في شرحه ج٣ ص١١٨ : قوله : والثاني مقحم . أي زائد بناء على جواز إقحام الأسماء . و أكثرهم يأباه . و على جوازه ففيه فصل بين المتضايفين . و هما كالشيء الواحد . انتهى .

و قال الرضي : إن سيبويه شبهه باللام المقحمة بين المضاف و المضاف إليه في "لا أبالك" لتاكيد اللام المقدرة . انتهى .

قال العبد الضعيف : سنح لك من كلام الأشموني و الرضي أن نسبة عدم جواز إقحام الأسماء إلى البصريّين مؤوّلة بعدم اطّراده أو باستثناء مواضع التاكيد . لأن سيبويه كبش زمرة البصرية

و إمامهم . وقد قال بإقحام لفظ "اسم" مثل اللام المقحمة . و لذا أطلق بعض العلماء القول بزيادة الاسم و لم يقيده .

قال ابن فارس : و من سنن العرب الزيادة إمّا للأسماء أو الأفعال أو الحروف نحو "وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ" أي ربك ، "لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ" "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ" أي عليه . انتهى . كذا في المزهر ج١ ص٣٣١ .

و في الصاحبي ص١٧٦ في بيان زيادة الكلمات : أمّا الأسماء فالاسم و الوجه و المثل . فالاسم في قولنا "بسم اللّٰه" إنما أردنا "باللّٰه" و أمّا الوجه ففي قوله تعالى "وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ" . وأمّا المثل ففي قوله جل ثناؤه "فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ" و بقول قائلهم "مثلي لا يخضع لمثلك" أي أنا لا أخضع لك . و قوله جل ثناؤه : وَشَهِدَ إلخ . انتهى .

قال ابن هشام رحمه الله في قول جابر رضي الله عنه "كان يكفي من هو أوفٰى منك شعرًا و خير منك" : الظاهر أن "خيرًا" مرفوع عطفا على "أوفٰى" المخبر به عن "هو" أي من هو أوفٰى و خير . ثم ذكر أنه خرج على سبعة أوجه إن نصبت خيرًا . ثم قال : الرابع : على إلغاء "من هو" فيكون "أوفى" مفعولاً و "خيرًا" عطف عليه . و الخامس : على إلغاء "من هو أوفى" إلى آخر الوجوه .

ثم قال عند البحث على تلك الوجوه السبعة : و أمّا إلغاء "من هو" أو إلغاء "من هو أوفى" فباطلان من وجهين : أحدهما : أن زيادة الأسماء لا تجوز عند البصريين وكذلك زيادة الجمل . ثم إن الكوفيين يجيزون ذلك . و إنما يجيزونه حيث يظهر أن المعنى مفتقر إلى دعوى الزيادة . كما في قول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

فإنهم قالوا : "اسم" زائد . لأنه إنما يقال : السلام على فلان . ولا يقال : اسم السلام على فلان . فادّعوا زيادة ذلك لهذا المعنى . وهو مفقود فيما نحن بصدده . وله هنا بحث طويل . راجع الأشباه النحوية ج٤ ص٢٧ .

و في المغني لابن هشام ج٢ ص١٩ : أن كلمة "مَن" بفتح الميم ترد عند الكسائي زائدة للتوكيد كما . و ذلك سهل على قاعدة الكوفيين في أن الأسماء تزاد . و أنشد عليه شعر حسان رضي الله عنه :

فكفى بنا فضلاً على مَن غيرِنا حبُّ النبي محمّد إيّانا

فيمن خفض "غيرنا" و قوله :

يا شاة مَن قنص لمن حلّت له حرمت عليّ وليتها لم تحرم

فيمن رواه بمن دون ما هو خلاف المشهور . و قوله :

آل الزبير سنام المجد قد علمت ذاك القبائل والأثرون مَن عددا

قال ابن هشام : و لنا أنها في الأوليين نكرة موصوفة على قوم غيرنا و يا شاة إنسان قنص . و هذا من الوصف بالمصدر للمبالغة . و "عددًا" إمّا صفة "لمن" على أنه اسم وضع موضع المصدر و هو العدّ . أي و الأثرون قومًا ذوي عدّ أي قومًا معدودين . و إمّا معمول ليعد محذوفًا صلة أو صفة لمن بدل من "الأثرون" . انتهى .

و فيه أيضًا عند الكلام على قوله تعالى "مَنْ ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ" : و يجوز على قول الكوفيين في زيادة الأسماء كون "ذا" زائدة و "من" مفعولاً . انتهى .

قال ابن هشام في رسالته التي صنفه في تركيب قوله تعالى "إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ" : في هذه الآية الكريمة سؤال مشهور . الأدب في إيراده أن يقال : ما الحكمة في تذكير "قريب" مع أنه صفة مخبر بها عن المؤنث و هو الرحمة ؟ و قد أجاب العلماء بأوجه :

الأوّل : أن الرحمة في تقدير الزيادة . و قد يزاد المضاف . قال الله تعالى : سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى . أي سبح ربك . ألا ترى أنه لا يقال في التسبيح : سبحان اسم ربي . و التقدير : إنّ الله قريب . فالإخبار في الحقيقة إنما هو عن الاسم الأعظم .

قلت : و هذا لا يصح عند علماء البصرة . لأن الأسماء لا تزاد في رأيهم . إنما تزاد الحروف . و أما "سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى" فلا يدل على ما قالوه . لاحتمال أن يكون المعنى : نزّه أسماءه عما لا يليق بها . فلا تجر عليه اسمًا لا يليق بكماله ، أو لا تجر عليه اسمًا غير مأذون فيه شرعًا . و إذا أمكن الحمل على محمل صحيح لا زيادة فيه وجب الإذعان له . لأن الأصل عدم الزيادة . انتهى .

قال الفراء في قوله تعالى "مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا" : إن الجملة خبر . إلّا أنّ لفظة "المثل" بمعنى الشبه مقحمة و زائدة . و التقدير : الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهر . إلى آخره . و قد عهد إقحامه بهذا المعنى . و منه قوله تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ .

و تعقبه أبوحيان بأن إقحام الأسماء لايجوز . و ردّ بأنه في كلامهم كثير كقوله : ثم اسم السلام عليكما . و لا صدقة إلّا عن ظهر غنًى . إلى غير ذلك . انتهى .

فائدة جليلة

اعلم : أنّ المحققين من العلماء صرّحوا بأنّ كون الكلمة من القرآن أو الحديث أو غير ذلك من الكلام الفصيح زائدة لا يقصد به أنه لا فائدة لها أصلا . إذ هو عبث .

بل معنى زيادة الكلمة أنه لا يختلّ المعنى بحذفها . و فائدتها قد تكون معنوية وقد تكون لفظية و قد تجتمعان . و الفائدة المعنوية كالتاكيد ، و اللفظية كتزيين اللفظ و حفظ الوزن . هذا . والله أعلم بالصواب و الباطل و بما هو ثابت و زائل ، و علمه أجلّ و أعلى و أدقّ .



الباب السادس و التسعون

من بدائع خصائص الجلالة و نفائس مزاياها كثرة الأقوال في مأخذها و أصلها الذي أخذت و اشتقّت هي منه . هذا على تقدير كونها مشتقّة منقولة غير مرتجلة كما هو مختار غير واحد من المحققين .

ولا يخفى على العاقل أنّ كثرة الأقوال في أصل الكلمة و مأخذها تزيدها احتجابًا و استعجامًا ، و تمدّها استغلاقًا و استبهامًا . و في مثل ذلك ورد المثَل الصادع "اتّسع الخَرْقُ على الراقع" .

فأصل الجلالة أي اسم "الله" محجوب بالحجب القدسيّة الأزليّة الأبديّة . ومأخذها مستور في الأستار الفردوسيّة السرمديّة . و منشأها و مقرّها الاشتقاقي ملفوف بأنوار الجبروت و أسرار الملكوت . و معدنها البنائي و مدارها اللفظي مكفوف في خفايا حقائق اللاهوت و مزايا رقائق الناسوت . فسبحان الله ثم سبحان الله . ما أجلّ شان الجلالة . و ما أدراك ما الجلالة . ثم ما أدراك ما الجلالة .

إنّها قد استنارت بنور مسماها ذي الكبرياء . فتشعشعت منه عليها الأنوار . فاحتجبت بحجاب النور عن العقول و الأبصار . و أسبلت دون أذهان المتفكرين من الأستار . فلم يدروا أين منبعها و مرجعها اللفظي ، و ما معدنها و أصلها البنائي ، و ما مأواها و مثواها الاشتقاقي ، و ما منشأها و موطنها التركيبي ، و ما منامها و مقرّها المادّي .

هيهات هيهات أن يدرك الحيران في الساحل فسحة الداماء و يعرف قعر قاموس الماء . و أنّى له ذلك و من أين له ذلك . و هل يمكن لقانص أن يقتنص عنقاء مغرب ، أو هل يتمكّن ظالع أو مزمن من أن يسير إلى مشرق و مغرب .

هيهات عنقاء أن يصطاده أحد   فاترك عناك وكُن من ذاك في دَعةٍ

و قد قلت في ذلك :

سبحان مَن تاهَ الورٰى في ذاته بل دون كُنهِ الذات في أسمائه

مقدّمة مهمّة

اعلم : أنه لا مندوحة قبل الخوض في التفصيل عن ذكر مقدمة في بيان معاني الاشتقاق .
فأقول : للاشتقاق معنيان :

المعنى الأوّل ما هو المشهور في كتب التصريف . و يشترط فيه أن يكون المشتق منه مصدرًا .
و المشتق أحد أشياء سبعة : الفعل و اسم الفاعل و المفعول و الصفة المشبهة و اسم الظرف و الآلة و اسم التفضيل .

و باعتبار هذا القسم يشتق المزيد من المجرد لا بالعكس ، و ينقسم إلى صغير و كبير و أكبر .
و التفصيل في المزهر و غيره من الكتب .

هذا مذهب البصريّين القائلين بأن المصدر أصل يشتقّ منه الفعل . و قال الكوفية : إنّ الفعل أصل و المصدر فرع يشتق من الفعل . فالكوفيّون يعدّون المصدر من المشتقّات .

و المعنى الثاني للاشتقاق هو لفظ من لفظ آخر مع تحقّق المناسبة المعنوية بينهما مطلقًا . ولا يشترط فيه كل ذلك المذكور في المعنى الأوّل . فالاشتقاق بالمعنى الثاني هو أن تجد بين اللفظين ربطًا قويًّا مع إمكان أخذ أحدهما من الآخر فتقول : هذا مشتق من ذاك .

فعلى هذا يصح اشتقاق المصدر من الفعل و الجامد و بالعكس . و اشتقاق الثلاثي من المزيد و اشتقاق الجامد من الفعل و بالعكس . و هذا كما قالوا : اشتق الدكان من الدكدك و المنٰى من الإمناء و الخيل من الخيلاء .

قال ابن دريد : قال أبوعثمان : سمعت الأخفش يقول : اشتقاق "الدكان" من الدكدك . و هي أرض فيها غلظ و انبساط . و منه اشتقاق "ناقة دكّاء" إذا كانت مفترشة السنام في ظهرها أو مجبوبته .

و عن الإمام أبي حاتم رحمه الله قال : سألت الأصمعي رحمه الله : لم سميت منٰى منٰى ؟ قال : لا أدري .

فلقيت أباعبيدة فسألته . فقال : لم أكن مع آدم حين علّمه الله الأسماء فأسأله عن اشتقاق الأسماء . فأتيت أبازيد فسألته . فقال : سميت "منٰى" لما يمنٰى . أي يراق فيها من الدماء .

و في طبقات النحويين : سئل أبوعمرو بن العلاء رحمه الله عن اشتقاق الخيل . فلم يعرف . فمرّ أعرابي محرِم فأراد السائل سوال الأعرابي . فقال أبوعمرو : دعني فإنّي ألطف بسؤاله و أعرف . فسأله فقال الأعرابي : استفاد الاسم من فعل السير . فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابي . فسألوا أباعمرو عن ذلك . فقال : ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل و العجب . ألا تراها تمشي العرضنة خيلاء و تكبرًا . كذا في المزهر ج١ ص٣٥٣ .

قال العلامة السجاعي رحمه الله في شرح القطر لابن هشام رحمه الله ص٦ : ما حاصله أن قولنا "فائدة" مشتق من "الفؤاد" و المراد من الاشتقاق الأخذ لا الاشتقاق الاصطلاحي . إذ الفؤاد غير صالح للاشتقاق المذكور . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : مرادنا بالاشتقاق المبحوث عنه و عليه في هذا الباب هو الاشتقاق بالمعنى الثاني . ألا تراهم يقولون : إن الاسم "الله" مشتق من "إله" مع أن إلهًا ليس بمصدر . وكذا الاسم "الله" ليس من الأقسام السبعة للمشتق المذكورة من قبل . و يقولون : إنه مشتق من "أله" الماضي بمعنى عبد أو تحير و غير ذلك . و الاشتقاق عند الجمهور إنما يكون من المصدر لا من الماضي ولا من الجامد . فالاشتقاق ههنا بمعنى مطلق الأخذ . هذا بيان المقدمة ذكرناها تمهيدًا .

و بعد تمهيد هذه المقدّمة النافعة أقول و على الله التكلان و هو المستعان : اختلفوا فيما اشتق منه الاسم "الله" . و فذلكة ذلك باعتبار المادّة و اللفظ مع قطع النظر عن المعنى ترجع إلى خمس موادّ :

الأولى : "إله" مهموز الفاء .

و الثانية : "ولاه" معتلّ الفاء .

و الثالثة و الرابعة : "لاه" معتلّ العين بالواو و الياء .

و الخامس : "هو" الضمير للغائب .

و إيضاح ذلك بحيث ينحل به المرام ناصع الجبين أبينَ من الصبح المبين أن في أصل الاسم "الله" بلحاظ المادة أو المعنى عدّة أقوال :

القول الأوّل

أصل الاسم "الله" "إله" وهو قول سيبويه و الخليل رحمهما الله تعالى ، و اختاره غير واحد من النحاة و المحدّثين و المفسّرين و الفقهاء و غيرهم .

قال العلامة ابن الشجري رحمه الله تعالى : و هو قول يونس بن حبيب و أبي الحسن الأخفش و الكسائي و الفراء و قطرب رحمهم الله تعالى .

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في الأسماء و الصفات : اختلف الناس هل هو أي اسم "الله" مشتق أو هو اسم موضوع . فروي فيه عن الخليل روايتان . و روي عن سيبويه أنه اسم مشتق . فكان أصله "إله" مثل "فِعال" فأدخل الألف و اللام بدلاً من الهمزة . انتهى كلام البيهقي بتصرف .

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره ج١ ص٨٩ : و أمّا المنكرون لكون الاسم "الله" علَمًا فلهم قولان . قال الكوفيون : أصل هذه اللفظة "إلاه" فأدخلت الألف و اللام عليها للتعظيم فصار "الإلاه" فحذفت الهمزة استثقالاً لكثرة جريانها على الألسنة . فاجتمع لامان فأدغمت الأولى فقالوا "الله" . انتهى كلامه .

و "الإلاه" بمعنى المعبود على هذا التقدير . و اختلفوا في "الإلاه" فقيل : اسم بمعنى المألوه و هو المعبود كالكتاب و اللباس بمعنى المكتوب و الملبوس . و قيل : مصدر بمعنى المفعول . و قيل : صفة .

قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى : و كونه مصدرًا كما ذهب إليه المرزوقي و صاحب المدارك خلاف المشهور .

ثم اعلم : أنّ لعلماء اللغة و أئمة النحو في حذف همزة "الإلاه" قولين :

الأوّل : حذفها على خلاف القياس كما ينبئ عنه وجود الإدغام و تعويض الألف و اللام عنها . حيث لزماه و جرّدا عن معنى التعريف . و لذلك قيل "يا أَلله" بالقطع . فإن المحذوف القياسي في حكم

الثابت . فلا يحتاج إلى التدارك بما ذكر من الإدغام و التعويض . كذا قال العلامة أبوالسعود .

الثاني : الحذف على قياس تخفيف الهمزة أي نقل حركة الهمزة إلى ما قبلها . ثم حذفها كما في "يسل" أصله "يسأل" فيكون الإدغام و التعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسمّاه عما عداه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال .

و في اللسان ج١٣ ص٤٦٧ : روى المنذري عن أبي الهيثم أنه سأله عن اشتقاق اسم "اللّٰه" في اللغة . فقال : كان حقّه "إلاه" أدخلت عليه الألف و اللام تعريفًا . فقيل "الإلاه" ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لها .

فلما تركوا الهمزة حوّلوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف و ذهبت الهمزة أصلا . فقالوا : أَلِلَاه . فحرّكوا لام التعريف التي لا تكون إلّا ساكنةً . ثم التقى لامان متحرّكتان فأدغموا الأولى في الثانية . فقالوا "اللّٰه" كما قال الله تعالى : لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي . معناه لكن أنا . انتهى بلفظه .

قال المجد الفيروزآبادي رَحِمَهُ اللهُ في القاموس : "أله" من باب فتح ، إلاهةً و ألوهةً و ألوهيةً معناه عبد عبادةً . و منه لفظ الجلالة . و اختلف فيه على عشرين قولاً ذكرتها في المباسيط . و أصله "إلاه" كفعال بمعنى مألوه . وكل ما اتخذ معبودًا إله عند متخذه بين الإلاهة . انتهى .

و قال الإمام أبوالعباس الفيومي رَحِمَهُ اللهُ في المصباح : "أله" من باب تعب أي بكسر العين إلاهةً بمعنى عبد عبادة و تألّه تعبد . و "الإله" المعبود فعال بمعنى مفعول . ثم استعاره المشركون لما عبدوه من دون اللّٰه . و أمّا "اللّٰه" فقيل : غير مشتق من شيء . بل هو عَلَم لزمته الألف و اللام . و قال سيبويه : مشتق . و أصله "إلاه" فدخلت عليه الألف و اللام فبقي الإلاه . ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام و سقطت فأسكنت اللام الأولى و أدغمت و فخّمت تعظيمًا . انتهى كلامه .

قال العبد الضعيف البازي : أكثر أهل اللغة على أن "إله" من باب فتح . ولا يخفى أن كلام الفيومي المذكور يخالفهم . فلينظر . و أيضًا كلام الفيومي يدل على أن حذف الهمزة عند سيبويه قياسي . و هو قول أستاذه الخليل بن أحمد و الرضي و أبي البقاء . و سنذكر قول الخليل في أصله و هو أن أصله "وله" بمعنى تحيّر .

و يشير كلام ابن الشجري إلى ترجيح اشتقاقه من "أله" بمعنى عبد . حيث قال في أماليه ج٢ ص١٥ : فأمّا اشتقاق هذا الاسم تعالى مسماه فقد قيل فيه غير قول . فمن ذلك قول من قدمت ذكره من أهل العلم بالعربية إن أصله "إلاه" فعال بمعنى مفعول كأنه مألوه . أي مستحق للعبادة يعبده الخلق و يألفونه . و المصدر الألوهة . و التألُّه التعبّد . قال روبة :

* سبحان و استرجعن من تألُّهي *

أي تعبّدي . و معنى العبادة الخضوع و التذلل من قولهم : طريق معبَّد . إذا كان موطوءً مذللاً لكثرة السفر فيه . و منه اشتقاق العبد لخضوعه و ذلّته لمولاه . انتهى .

و كذا رجّح الحافظ السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النوع الثالث والعشرين من المزهر ج١ ص٣٤٩ مذهب من اشتقه من "أله" حيث قال : و إذا ترددت الكلمة بين أصلين في الاشتقاق طلب الترجيح . و له وجوه . ثم ذكر الوجوه التسعة . و ذكر من جملتها كون أحد الأصلين أشرف . لأنه أحق بالوضع له و النفوس أذكر له و أقبل كدوران كلمة "الله" فيمن اشتقّها بين الاشتقاق من "أله" أو "لوه" أو "وله" فيقال : من أله أشرف و أقرب . انتهى . هذا إذا كان قوله "أله" بفتح العين بمعنى عبد . فإن مدار القرب و الشرف إنما هو معنى العبادة .

قال الرضي في شرح منادى الكافية ج١ ص١٢٥ : وأصله "الإله" فعال بمعنى المفعول و "إلاهة" العبادة و "أله" بفتح العين أي عبد . فإلاه بمعنى مألوه أي معبود . فالله في الأصل من الأعلام الغالبة كالصعق . كأنه كان عامًّا في كل معبود . ثم اختص بالمعبود بالحق . لأنه أولى من يؤله أي يعبد . و صار مع لام العهد علمًا له .

فلكثرة استعمال هـذه اللفظة صار تخفيف همزتها أغلب من تركه . و صار الألف و اللام كالعوض من الهمزة لقلة اجتماعهما . ولا نقول : اجتماعهما يختص بحال الضرورة كما قلنا في الأناس . وذلك أنه قد يجيء "الإله" في السعة . أورد أبوالفرج الأصفهاني أن أمية بن خلف كان يسمى عبدالرحمن ابن عوف "عبدالإله" .

فلمّا خففت الهمزة نقلت حركتها إلى ما قبلها كما هو القياس و حذفت . ثم أسكنوا اللام الأولى

و أدغموها في الثانية . ولاتدغم لو خفف نحو "الإلاهة" بمعنى العبادة . لأن التخفيف مع عروضه غير غالب كما غلب في "الله" فكأن اللامين لم تلتقيا . انتهى كلام الشيخ الرضي .

قال العلامة الزبيدي رحمه الله في تاج العروس ج٩ ص٣٧٤ في شرح قول الفيروزآبادي : و أصل "الله" إلاه كفعال بمعنى مألوه . لأنه مألوه أي معبود . كقولنا إمام فِعال بمعنى مفعول . لأنّه مؤتمّ به . فلمّا أدخلت عليه الألف و اللام حذفت الهمزة تخفيفًا لكثرته في الكلام .

و لو كانتا عوضًا منها لما اجتمعتا مع المعوّض منه في قولهم "الإلاء" و قطعت الهمزة في النداء للزومها تفخيمًا لهذا الاسم . هذا نص الجوهري .

قال ابن بري : قول الجوهري "ولو كانتا عوضًا إلخ" هذا ردّ على أبي علي الفارسي . لأنه كان يجعل الألف و اللام في اسم الباري سبحانه عوضًا من الهمزة . ولا يلزمه ذكره الجوهري من قولهم "الإلاه" لأنّ اسم "الله" لا يجوز فيه "الإلاه" ولا يكون إلّا محذوف الهمزة .

تفرّد الله سبحانه بهذا الاسم لا يشركه فيه غيره . فإذا قيل "الإلاه" انطلق على الله سبحانه و على ما يعبد من الأصنام . و إذا قلت "الله" لم ينطلق إلّا عليه عزوجل . و لهذا جاز أن ينادى "الله" و فيه لام التعريف . و تقطع همزته فيقال "يا أللّه" و لا يجوز "يا الإلاه" على وجه من الوجوه مقطوعة همزته ولا موصولة . انتهى .

و قال الليث : "الله" ليس من الأسماء التي يجوز فيها اشتقاق كما يجوز في الرحمن و الرحيم .

و روى المنذري عن أبي الهيثم أنه سأله عن اشتقاق اسم "الله" في اللغة فقال : كان حقّه "إله" أدخلت الألف و اللام عليه تعريفًا . فقيل "الإلاه" ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لها . فلما تركوا الهمزة حوّلوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف . و ذهبت الهمزة أصلاً . فقالوا "أَلِلاه" فحرّكوا لام التعريف التي لا تكون إلّا ساكنة . ثم التقى لامان متحركتان ، و أدغموا الأولى في الثانية فقالوا "الله" . انتهى كلام الزبيدي .

و قال الإمام أبوالبقاء العكبري رحمه الله في إعراب القرآن : الأصل في "الله" الإلاه . فألقيت حركة الهمزة على لام المعرفة . ثم سكنت و أدغمت في اللام الثانية . وقال أبوعلي : همزة "إلاه" حذفت

حذفًا من غير إلقاء . وهمزة "إلاه" أصل من "أله يأله" إذا عبد . فالإلاه مصدر بمعنى المألوه . انتهى .

و قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره ج١ ص٨٦ : الذين قالوا : إنه اسم مشتق ذكروا فيه فروعًا : الأوّل : أن "الإله" هو المعبود سواء عبد بحق أو بباطل . ثم غلب في عُرف الشرع على المعبود بحق . و على هذا التفسير لا يكون إلاهًا في الأزل .

و اعلم : أنه تعالى هو المستحق للعبادة . لأنه هو المنعم بجميع النعم أصولها وفروعها . فغاية الإنعام صادرة من الله تعالى . و العبادة غاية التعظيم . فلا تليق غاية التعظيم إلّا لمن صدرت عنه غاية الإنعام . فثبت أن المستحق للعبودية ليس إلّا الله تعالى . انتهى بحاصله .

فصل
في ذكر خدشات و إيرادات

اعلم : أن في هذا القول خدشات قويّة و إيرادات معضلة و اعتراضات مشكلة ذكرها كبار العلماء و عظام الفضلاء و جمع من الأذكياء ندرج منها في هذا المقام ما هو أهمّ و أمسّ بالمرام مع ذكر الأجوبة عن بعضها .

الإيراد الأوّل : ما ذكره الرازي رحمه الله تعالى و هو أن "الإلاه" لو كان بمعنى المعبود ورد عليه أنّ الأوثان عبدت مع أنها ليست بآلهة .

الإيراد الثاني : ما ذكره الإمام الرازي أيضًا أنه تعالى إله الجمادات و البهائم مع أن صدور العبادة منها محال .

و الجواب عن الأوّل ظاهر . لأن عابدي الأوثان أطلقوا على الأوثان آلهة .

و عن الثاني : أنّا لا نسلم أن الجمادات والبهائم لا تعبد الله تعالى . بل كل شيء يعبد الله تعالى حسب ما يليق به .

قال الله تعالى : وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ . و قال عزّوجلّ :

وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ . وقال تعالى : وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ .

و على التسليم فالله معبود لمن تليق به العبادة ويمكن منه صدور العبادة . و هذا القدر يكفي لإطلاق الإلاه و المعبود على الله تعالى .

الإيراد الثالث : هو ما يدل عليه فحوى كلام الزمخشري في الكشاف . وحاصله أن قولهم "الإله" مشتق من "أله" بابه فتح إلاهة بمعنى عبد . لا يصح . بل الأمر بالعكس . فإنّ "الإلاه" اسم و الاسم لا يشتق من الفعل . بل الفعل يشتقّ من الاسم . فالحق أن يقال : إنّ هذا الاسم اشتق منه تألّهَ و ألَهَ و استألهَ اشتقاقَ الأفعال من اسم عين . كما قيل : استنوق الجمل . و استحجر الطين في الاشتقاق من الناقة و الحجر .

قال السيد السند رحمه الله تعالى في حواشي الكشاف : قد اشتهر أن الإله فعال بمعنى المألوه أي المعبود مشتق من الإلاهة بمعنى العبادة . و اختار المصنف أن الإلاهة و تصاريفها من نحو تأله أي تعبّد و أَلَه بفتح اللام أي عبد و استأله استعبد مشتقّة من الإلاه و إن كان اسم عين . فإن الاشتقاق قد يكون من الأعيان . وجعل الإله مشتقًّا من أَلِه بالكسر إذا تحيّر و دهش .

و اعترض عليه أوّلًا : أنّه تحكُّمٌ لجواز العكس .

و أجيب : بأن اللفظين إذا توافقا في التركيب وكان أحدهما أشهر في المعنى المشترك بينهما كان أولى بأن يكون مشتقًا منه . و لا شك أن الإله بمعنى العبادة أشهر من الإلاهة و متصرفاتها .

وقد يجاب : بأن المصنف أي الزمخشري ربما لاح له بنقل أو تتبّع أن "إلاهة" لم توجد في اللغة الأصلية و استعمالات الأقدمين بخلاف "الإله" فلم يجوّز اشتقاقه منها . و يدفعه قراءة ابن عباس : و يذرك و إلهتك .

و ثانيًا : بأن اشتقاق الفعل من الأعيان على خلاف القياس . سيما في الثلاثي المجرد فإنه نادر . كقولهم " أبل أبالةً " على وزن "شكس شكاسة" إذا تأنق في رعيه الإبل و أحسن القيام بمصالحها .

و ثالثًا : بأن معنى المشتق منه يجب أن يعتبر في المشتق . و ليس معنى "الإله" أي المعبود

موجودًا في "الإلاهة" أي العبادة. بل الأمر بالعكس.

و أجيب: بأن معنى العبادة خدمة "الإله" كما أن أبل بمعنى خدم الإبل.

و ربما يقال: لا يجب أن يوجد معنى المشتق منه بتمامه في المشتق و إلّا امتنع اشتقاق الاسم كضارب من الفعل كضرب.

و فيه بحث. لأن الظاهر في الاشتقاق الصغير أن يعتبر في المشتق معنى أصله بتمامه. و بذلك يرجح اشتقاق الفعل من المصدر على عكسه.

و معنى قولهم "ضارب مشتق من ضرب" أنه مشتق من مصدره. وإنما اختاروا صيغة الماضي على المصدر تنبيهًا على الحروف المعتبرة في الاشتقاق. إذ بعض المصادر كالخروج و القبول تشتمل على حروف لا تعتبر فيه. انتهى بحذف قليل كلام السيد رحمه الله تعالى.

الإيراد الرابع: ما ذكره الرازي رحمه الله تعالى وهو أنه تعالى إلاه المجانين و الأطفال. مع أنهم لا تصدر العبادة عنهم. و جوابه ظاهر مما ذكرنا.

الإيراد الخامس: أن المعبود ليس له بكونه معبودًا صفة. لأنه لا معنى لكونه معبودًا إلّا أنه مذكور بذكر ذلك الإنسان و معلوم بعلمه و مراد خدمته بإرادته. و على هذا التقدير فلا تكون الإلهية صفة الله تعالى.

الإيراد السادس: أنه يلزم بالنظر إلى تقدم بيانه أن يقال: إنه تعالى ما كان إلهًا في الأزل. كذا قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى.

الإيراد السابع: ما ذكره الإمام المازني رحمه الله تعالى كما في الأشباه النحوية للسيوطي رحمه الله تعالى ج٣ ص٢٣٢ حيث روى عن المبرد أنّه قال: سمعت المازني يقول: سألني الرياشي فقال: لم نهيتَ أن يكون "الله" أصله "الإلاه" ثم خفّف بحذف الهمزة كما يقول أصحابك؟

فقلت: لو كان مخفّفا منه لكان معناه في تخفيف الهمزة كمعناه في حال تحقيقها لا يتغير المعنى. ألا ترى أن "الناس" و"الأناس" بمعنى واحد. و لما كنت أعقل لقولي "الله" فضل مزية على قولي "الإله"

و رأيته قد استعمل لغير الله في قوله : وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗا . و لما لم يستعمل "الله" إلاّ للباري تعالى علمتُ أنه عَلَم وليس بمأخوذ من الإله . انتهى . و قد تقدم ذكره في باب آخر من هذا الكتاب .

الإيراد الثامن : ما أورده ابن مالك رحمه الله حيث قال : إن "الله" من الأعلام التي قارن وضعها "أل" و ليس أصله "الإله" .

ثم قال : و لو لم يرد على من قال ذلك إلاّ أنه ادّعى ما لا دليل عليه لكان ذلك كافيا . لأنّ "الله" و "الإله" مختلفان لفظًا و معنى .

أمّا لفظًا : فلأن أحدهما معتل العين . والثاني مهموز الفاء صحيح العين و اللام . فهما من مادّتين . فردّهما إلى أصل واحد تحكُّم من سوء التصريف .

و أمّا معنى : فلأن "الله" خاصّ به تعالى جاهليةً و إسلامًا . و "الإله" ليس كذلك لأنه اسم لكل معبود . انتهى .

الإيراد التاسع : ما أورده الإمام الرازي رحمه الله حيث قال : من الناس من قال : الإله ليس عبارة عن المعبود . بل الإله هو الذي يستحق أن يكون معبودًا .

و هذا القول أيضًا يرد عليه أن لا يكون إلهًا للجمادات و البهائم و الأطفال و المجانين ، و أن لا يكون إلهًا في الأزل . و منهم من قال : إنه القادر على أفعال لو فعلها لاستحق العبادة ممن يصح صدور العبادة عنه .

ثم قال الرازي : و اعلم : أنّا إذا فسرنا "الإله" بالتفسيرين الأوّلين لم يكن إلهًا في الأزل . ولو فسرنا بالتفسير الثالث كان إلهًا في الأزل .

الإيراد العاشر : هو لابن مالك رحمه الله حيث قال : و من قال : أصله "الإله" لا يخلو حاله من أمرين : لأنه إمّا أن يقول : إن الهمزة حذفت ابتداء ثم أدغمت اللام . أو يقول : إن الهمزة نقلت حركتها إلى اللام قبلها و حذفت على القياس . و كلا الأمرين المذكورين باطل .

أمّا الأمر الأوّل فلأنه ادّعى حذف الفاء بلا سبب ولا مشابهة ذي سبب من ثلاثي . فلا يقاس "بيدٍ" لأن الحرف الآخر و ما يتصل به محل التغيير . و لا "بِعِدةٍ" مصدر "يعد" لحمل عِدة على الفعل . فحذف للتشاكل . و لا "برقة" بمعنى ورق لشبهه بعدة وزنًا و إعلالاً . ولو لا أنه بمعناه لتعين إلحاقه بالثنائي المحذوف اللام "كثلة " . و أما "ناس" و "أناس" فمن "نوس" و "إنس" . على أن الحمل عليه على تقدير تسليم الأخذ زيادة في الشذوذ . و كثرة مخالفة الأصل بلا سبب يلجئ لذلك .

و أمّا الأمر الثاني فلأنه يستلزم مخالفة الأصل من وجوه :

أحدها : نقل حركة بين كلمتين على سبيل اللزوم . ولا نظير له .

و الثاني : نقل حركة همزة إلى مثل ما بعدها . وهو يوجب اجتماع مثلين متحركين . و هو أثقل من تحقيق الهمزة بعد ساكن .

الثالث : يلزم مخالفة الأصل بتسكين المنقول إليه الحركة . فيوجب كونه عملاً كلا عمل . وهو بمنزلة من نقل في "بئس" . ولا يخفى ما فيه من القبح مع كونه في كلمة . فما هو في كلمتين أمكن في الاستقباح و أحق بالاطّراح .

قلتُ : فتسكين الحرف بعد تحريكه بالفور من قبيل نقض الرجل ما غزَلَه و فكِّه ما نَسَجَه و حَلِّه ما عقَده و هدمِه ما بناه و رفعَه . و هذا نقضٌ وخطأ .

الرابع : إدغام المنقول إليه فيما بعد الهمزة . و هو بمعزل عن القياس . لأن الهمزة المنقولة الحركة على تقدير الثبوت ، فكأنها ثابتة غير ساقطة . فإدغام ما قبلها فيما بعدها كإدغام أحد المنفصلين في آخر . و قد اعتبر أبوعمرو في الإدغام الكبير الفصل بواجب الحذف . نحو "يبتغ غير" فلم يدغم . فاعتبار غير واجب الحذف أولى .

الإيراد الحادي عشر : هو ما أورده أيضًا ابن مالك فقال : و من زعم أن أصله "إله" يقول : إن الألف و اللام عوض عن الهمزة . ولو كان كذلك لم يحذفا في "لاه أبوك" أصله : لله أبوك . إذ لا يحذف عوض و معوض عنه في حالة واحدة .

الإيراد الثاني عشر : لابن مالك أيضًا حيث قال : قالوا في "لِلّٰه أبوك" : لَهيَ أبوك . بفتح

اللام و الياء و إسكان الهاء . فحذفوا لام الجر والألف واللام و قدّموا الهاء على الألف و سكّنوها فصارت الألف ياءً .

و علم بذلك أن الألف كانت منقلبة لتحركها و انفتاح ما قبلها . فلمّا وليت ساكنًا عادت إلى أصلها . و فتحتها فتحة بناء . و سبب البناء تضمن معنى التعريف عند أبي علي . ومعنى حرف التعجب إذ لم يقع في غيره و إن لم يوضع له حرف عندي . انتهى . هذا . والله أعلم .

فصل
في ذكر بقيّة الأقوال في أصل اسم "الله"

بعد ما فرغنا من بسط الإيرادات و الخدشات الواردة على القول الأوّل نرجع إلى ما كنّا بصدده من ذكر أقاويل علماء اللغة و مذاهب أئمة النحو و آراء مهرة العلوم العربيّة في مأخذ اسم "الله" و أصله فنقول و بالله التوفيق :

القول الثاني

أنّ "الله" مشتق من "أله الرجل" بابه سمع . إذا تحيّر . فسمِّي الله تعالى به لأن الأوهام تتحير في معرفة المعبود و تدهش الفطن . و لذلك كثر الضلال و فشا الباطل و قلّ النظر الصحيح . و هذا القول مختار الزمخشري في الكشاف .

قال البيهقي رحمه الله في كتاب الأسماء و الصفات : و قال بعضهم : أصله من "أله الرجل يأله" إذا تحيّر . و ذلك لأن القلوب تأله عند التفكر في عظمة الله سبحانه . أي تتحيّر و تعجز عن بلوغ كنه جلاله . انتهى .

و لنعم ما قيل في الفارسية :

اے برتر از خیال و قیاس وگمان و وهم — وز هر چه خوانده ایم وشنیدیم وگفته ایم

مجلس تمام گشت به پایاں رسید عُمر — ما همچناں در أوّل وصفِ تو مانده ایم

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره . هو مشتق من "أله في الشيء" إذا تحيّر فيه و لم يهتد إليه . فالعبد إذا تفكّر فيه تحيّر . لأن كل ما يتخيله الإنسان و يتصوره فهو بخلافه .

فإن أنكره العقول كذّبته نفسها . لأن كل ما سواه فهو محتاج . و حصول المحتاج بدون المحتاج إليه محال .

و إن أشار العقل إلى شيء يضبطه الحس و الخيال و قال : إنه هو . كذّبته نفسه أيضًا . لأن كل ما يضبطه الحس و الخيال فأمارات الحدوث ظاهرة فيه . فلم يبق في يد العقل إلاّ أن يقرّ بالوجود و الكمال مع الاعتراف بالعجز عن الإدراك . فهٰهنا العجز عن درك الإدراك إدراك . ولا شك أن هذا موقف عجيب تتحير فيه العقول و تضطرب الألباب في حواشيه . انتهى .

و اختاره ابن الأثير رحمه الله تعالى كما يدل عليه عبارته في النهاية . حيث قال : و في حديث وهيب بن الورد : إذا وقع العبد في أُلهانيّة الربّ لم يجد أحدًا يأخذ بقلبه . هو مأخوذ من "إلاه" و تقديرها فُعلانية بالضم . يقول : إلهٌ بيّن الإلاهية و الألهانية . وأصله من "ألِه يأله" إذا تحير . يريد إذا وقع العبد في عظمة الله تعالى و جلاله و غير ذلك من صفات الربوبية و صرف وهمه إليها أبغض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد . انتهى .

و يرد عليه أوّلًا : أن "الإله" مهموز الفاء عند الجوهري و "أله يأله" عنده معتل الفاء قلبت الواو همزة . و اختاره صاحب المصباح .

و الجواب : أن المراد الاشتقاق الأكبر . فالهمزة تشارك الواو في الجهر .

و ردّه السيد الشريف رحمه الله تعالى بأن المتبادر الاشتقاق الصغير . و أيضًا النزاع بين أئمة اللغة إنما وقع في أن "الإله" مشتق اشتقاقًا صغيرًا أو لا .

فالجواب : أن قول الجوهري معارض بقول غيره من الأئمّة . ولو سلم فلتكن همزة "إله" واوًا و إن جعلها الجوهري أصلًا . انتهى .

و ثانيًا : ما قاله الشهاب و الآلوسي رحمهما الله تعالى : إن الأصل في الاشتقاق أن يكون لمعنى قائم

بالمشتق . و الحيرة قائمة بالخلق لا بالحق .

القول الثالث

أنه مشتق من "أله الفصيل بأمّه" إذا حرص و ولع بأمه . بابه سمع . و الفصيل ولد الناقة . سمّي به الله تعالى لأنّ العباد مولعون بالتضرع إليه في الشدائد والمصائب . فلا ملجأ ولا مرجع لهم غير الله تعالى . فإنه تعالى نعم المولى و نعم النصير ، وهو المنجي و الرحيم ، و أرحم على عباده من الأمّ على ولدها .

و يرد عليه ما نقلنا عن العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى في القول الثاني .

القول الرابع

أنه مشتق من "أله الرجل يأله إليه" إذا فزع إليه من أمر نزل به . بابه سمع . فآلهه ، من باب الإفعال ، أجاره و آمنه فسمي إلهًا كما يسمّى الرجل إمامًا إذا أمّ الناس فأتموا به . كذا في كتاب الأسماء و الصفات .

قال المحقق البيضاوي رحمه الله تعالى في تفسيره : هو من "أله" إذا فزع من أمر نزل عليه . و آلهه غيرُه ، من باب الإفعال ، أجاره . إذ العائذ يفزع إليه و هو يجيره حقيقةً أو بزعمه .

و في القاموس و شرحه تاج العروس ج٩ ص٣٧٥ و تقول : أَلِهَ كفرح يأْلَه إليه . إذا فزع و لاذ . لأنه سبحانه المفزع الذي يلجأ إليه في كل أمر . قال الشاعر :

* إلِهتَ إلينا و الحوادث جَمّة *

انتهى . و مثل ذلك في اللسان ج١٣ ص٤٦٩ .

القول الخامس

أنه مشتق من "أله يأله" إذا عشق . قال الشيخ عبدالكريم بن إبراهيم رحمه الله تعالى في الإنسان الكامل ص١٧ : و من قائل إنه مشتق من "أله يأله" بابه سمع . إذا عشق بمعنى تعشَّق الكون لعبوديته بالخاصية

بالجري على إرادته تعالى و الذلّة لعزة عظمته عزّوجلّ .

فالكون من حيث هو هو لا يستطيع مدافعة ذلك . لما نزل ماهية وجوده عليه من التعشُّق لعبودية الحق سبحانه كما يتعشق الحديد بالمغناطيس تعشقا ذاتيًا .

و هذا التعشُّق من الكون بعبوديته هو تسبيحه الذي لا يفهمه كلٌّ . و له تسبيح ثانٍ ، وهو قبوله لظهور الحق فيه . و تسبيح ثالث ، وهو ظهوره في الحق باسم الخلق . و تسبيحات الكون كثيرة لله تعالى . فللكون بنسبة كل اسم لله تعالى تسبيح خاص يليق به بذلك الاسم الإلهي . فالموجودات كلها تسبّح الله تعالى باللسان الواحد في الآن الواحد بجميع تلك التسبيحات الكثيرة المتعددة التي لا يبلغها الإحصاء . وكل فرد من أفراد الوجود بهذه الحالة مع الله .

فاستدل من قال بأنّ هذا الاسم مشتق بقولهم "أله يأله" فلو كان جامدًا لما تصرف . ثم قالوا : إنّ هذا الاسم لمّا كان أصله "إله" و وضع للمعبود دخله لام التعريف . فصار "الإله" فحذف حرف الألف الأوسط منه لكثرة الاستعمال فصار "الله" . انتهى كلامه بلفظه .

القول السادس

اسم "الله" مشتق من "الإلاهة" بمعنى الهلال . و علماء اللغة و أئمة العلوم العربيّة صرّحوا بثبوت الإلاهة بمعنى الهلال في كلام العرب العرباء . يقال : رأيت الإلاهة . أي رأيت الهلال .

و لايخفى أنّ الهلال مرتفع المقام محبوب الأنام يُقبل عليه الخلق و يلتفتون إليه التفات اعتناء .

و أيضًا يكون القمر دائمًا بدرًا منيرًا كامل الإشراق لا تتغيّر حاله البدريّة كما ثبت في علم الهيئة . لكن شانه الظاهري بالنسبة إلينا و إلى أعيُننا يتغيّر كل يوم . كذلك الله تعالى لم يزل ولا يزال كاملاً نور السموات و الأرض متنزّهًا كنهه و ذاته عن التغيّرات . لكنّ شانه تعالى بالنسبة إلى الخلق و إلينا و إلى ظاهر أحوالنا يتبدّل . قال الله تعالى : كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ . يعزّ و يبسط الرزق مرةً و يذلّ و يقدر الرزق أخرىٰ .

ففي هذا الاشتقاق إشارة إلى ماذكر ، و إلى رفيع شان الله تعالى و جليل مقامه ، و إلى كونه

تعالى محبوبًا في ذاته ، و إلى أن الخلق يقبلون على عبادته تعالى و يتوجّهون إليه عزّ و جلّ في الحوائج .

القول السابع

أنه مشتق من "ألهت إلى فلان" إذا سكنت إليه . لأن القلوب تطمئن بذكره و الأرواح تسكن إلى معرفته .

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى : و بيانه من وجوه :

الأوّل : أن الكمال محبوب لذاته . و ما سوى الحق فهو ناقص لذاته لا يكمل إلّا بتكميل الكامل لذاته . فإذا كان الكامل محبوبا لذاته و ثبت أن الحق كامل لذاته وجب كونه تعالى محبوبًا لذاته .

الثاني : أن كل ما سواه فهو ممكن لذاته . والممكن لذاته لا يقف عند نفسه . بل يبقى متعلّقا بغيره . إذ لا يوجد إلّا بوجود غيره . فعلى هذا كل ممكن فإنه لا يقف عند نفسه . بل ما لم يتعلق بالواجب لذاته لم يوجد .

و إذا كان الأمر كذلك في الوجود الخارجي وجب أن يكون كذلك في الوجود العقلي . فالعقول مترقبة إلى عتبة رحمته و الخواطر متمسكة بذيل فضله و كرمه . و هذان الوجهان عليهما الاعتماد في تفسير قوله تعالى : أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ . انتهى .

القول الثامن

ثبت في كتب اللغة كالقاموس و غيره أن لفظ "الإلاهة" معناه الهلال و الشمس . و أقول نظرًا إلى هذا : إن اسم "الله" مشتق و مأخوذ من "الإلاهة" بمعنى الشمس .

و وجه التسمية على هذا أنه تعالى أصل الوجود و شمس كل كمال . فما في الدنيا كمال إلّا وهو مستمدّ من كماله تعالى بل هو لكماله تعالى كالظلال . و أنه تعالى شمس عالم المحبة و الجمال . فسبحان الذي هو كامل في ذاته و محبوب لذاته .

و أيضًا أنه عزّ و جلّ يفيض على كل مخلوق من أنواره و أسراره . فينال الكل من الأنوار الربّانية حسب استعداده و ملكته ، كالشمس تتلألأ على كل شيء من الأعلى و الأدنى و البحر و البر و الطاهر

و النجس . لا تخص الشمس بضيائها شيئًا دون شيء . فيستنير الكل حسب ما يليق بأحواله و استعداده .

و مثل شان المسمّى شان اسمه الجلالة التي هي شمس البركات و مجمع الأنوار و مكمن الأسرار . منه ضياء كل اسم من الأسماء الحسنى كما صرح به العلماء . فسبحان الذي هو نور السموات و الأرض . و له المثل الأعلى . و ليس كمثله شيء .

القول التاسع

في مفتاح الفلاح : قيل : إنه مشتق من "ألهت بالمكان" إذا أقمت به . و ذلك إشارة إلى دوام وجوده تعالى . قال الشاعر :

ألهت بدار ما تبين رسومها كأنّ بقاياها وسامٌ على اليد

و في تاج العروس ج٩ ص٣٧٥ : و نقل شيخنا "أله بالمكان" كفرح . أي بابه سمع . إذا أقام . ثم أنشد البيت المذكور .

القول العاشر

أصل اسم "الله" "ولاه" معتل الفاء بالواو المكسورة . قال البيهقي رحمه الله تعالى : فأبدلت الواو همزة فقيل "إله" كما قالوا "وسادة" و "إسادة" و "وشاح" و "إشاح" . و اشتق من "الولَه" لأن قلوب العباد تولّه نحوه كقوله سبحانه : ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ . وكان القياس أن يقال "مألوه" كما قيل : معبود . إلّا أنهم خالفوا به البناء ليكون اسما عَلَما . فقالوا "إله" كما قيل للمكتوب "كتاب" و للمحسوب "حساب" . انتهى كلام البيهقي .

قال المحقّق البيضاوي رحمه الله تعالى في وجوه اشتقاقه : أو من "وله" بابه سمع . إذا تحيّر وتخبّط عقله . وكان أصله "ولاه" فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في "وجوه" فقيل "إله" كإعاء و إشاح . و يردّه الجمع على "آلهة" دون "أولهة" . انتهى .

قال العبد الضعيف الروحاني : هذا قول الخليل رحمه الله تعالى كما صرح به ابن الشجري رحمه الله تعالى في

أماليه ج٢ ص١٦ حيث قال : و قال الخليل بن أحمد : أصل "إلاه" "ولاه" من "الوله" ، و الوله الحيرة . فأبدلوا الواو لانكسارها همزةً كما قالوا في وشاح و وعاء : إشاح و إعاء . ثم أدخلوا عليه الألف و اللام للتعريف فقالوا : الإلاه . ثم حذفوا همزته بعد إلقاء حركتها على لام التعريف فصار "أَلِلاه" فاجتمع فيه مثلان متحركان . فأسكنوا الأوّل و أدغموه في الثاني ، و فخّموا لامه فقالوا "الله" . فكان معناه على هذا المذهب أن يكون "الوله" من العباد إليه جلّت عظمته . انتهى .

و يرد على هذا القول من وجوه .

الأوّل : جمعه على " آلهة " دون " أولهة " .

و أجيب : بأنّ الواو قلبت ألفًا . و رُدّ أن قلب الواو ألفًا إذا لم تتحرك مخالف للقياس . إلاّ أن يقال : إن ذلك من خواص الجلالة مثل سائر خواصها .

و لا يبعد أن يجاب أن جمعه على " آلهة " لتوهم إصالة الهمزة لكثرة الاستعمال بالهمزة ، كما جمع لفظ "مكان" على أمكنة لتوهُّم الميم حرفًا أصليًّا مع أنها زائدة في الواقع . و اشتق منه الباب فقيل : تمكّن يتمكّن . و له نظائر كثيرة .

و يجاب أيضًا بأن التوهُّم واقع فيه عند الأئمّة و مسلّم عندهم ههنا جمعًا و بابًا . حيث صرح الجوهري رحمه الله أن "أله يأله" إذا تحير أصله بالواو أي وله . و اختاره الفيومي رحمه الله .

و الثاني : أنه يرد عليه ما أورده ابن مالك رحمه الله . و قد ذكرنا هذا الإيراد في القول الأوّل عند بيان اشتقاقه فراجعه .

و الثالث : ما ذكره الحافظ السيوطي رحمه الله في المزهر ج١ ص٣٤٩ : أنه إذا تردّدت الكلمة بين أصلين في الاشتقاق يترجّح أحد الأصلين بوجوه : منها كونه أشرف ، لأنه أحق بالوضع له . و النفوس أذكر له و أقبل . كدوران كلمة "الله" فيمن اشتقّها بين الاشتقاق من "أله" أو "لوه" أو "وَلِه" فيقال من أله أشرف و أقرب . انتهى . و حاصله أن كون "الله" من "الوله" بعيد و كذا من "لوه" .

القول الحادي عشر

أنه مشتق من "وله يله الصبي إلى أمّه" مثل وعد يعد . و "وله يوله" مثل وجل يوجل . إذا فزع إليها . لأنّ الخلق يولهون إليه تعالى في حوائجهم و يضرعون إليه فيما ينوبهم كما يوله كل صبي إلى أمّه . و لأنّ العباد يفزعون إليه تعالى في الملمّات و الفتن و الأزمات و المحن و يسكنون إلى ذاته و ذكره عند كل فزع . قال الله تعالى : أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ .

القول الثاني عشر

أنه مشتق من "ولهت الأمّ إلى ولدها" من باب سمع . إذا حنّت إليه حنانًا وعطفت واشتاقت إليه . لأن الله تعالى يتوب على عباده و يتوجه إليهم و يعطف إليهم برحمته و إحسانه . قال تعالى : لَقَدْ تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ .

و يحنّ إليهم و يسمع لمن حمده و يستمع لقراءته . و في الحديث : ما استمع الله لأحد مثل ما استمع لنبي حسن الصوت . و من أسمائه الحسنى "الحنّان" .

القول الثالث عشر

هو مشتق من "وله زيد من فلان" إذا خاف منه . لأن جميع مخلوقاته يخافونه و يخشون عذابه حتى الجماد .

قال تعالى : وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ . و أشد الناس خشيةً العلماء . قال تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا .

القول الرابع عشر

أنه مشتق من "وله الرجل ولهًا" إذا ذهب عقله همًّا و حزنًا . لأن الخلق كلهم و العباد عن آخرهم والهون دون الوصول إلى معرفته تعالى .

لأنهم قسمان : الواصلون إلى ساحل معرفته . و محرومون . فالمحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة و الجهالة . فكأنهم ذهب عقلهم و فقدوه . و أمّا الواصلون إلى عرصة النور و فسحة الكبرياء فتاهوا في ميادين الصمدية . و فقدوا عقولهم و أرواحهم . و حزنوا على أن لم يدركوا كنه ذاته تعالى . و في الحديث : كان رسول الله ﷺ دائم الحزن . و فيه أيضًا : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح .

القول الخامس عشر

أنه مشتق من "لاه يليه" مثل باع يبيع . إذا تستّر . وهو أحد أقوال ثلاثة لسيبويه رحمه الله : أحدها : أنه غير مشتق . و الثاني : أنه مأخوذ و مشتق من "أله" . و الثالث : أنه مشتق ومأخوذ من "لاه" .

قال صاحب القاموس : و جوّز سيبويه اشتقاق الجلالة منه . انتهى .

و وجه التسمية أنّ الله تعالى و إن كان ظاهـرًا بالآثار لكنّه تعالى محتجب عن الأبصار . لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار .

و في روح المعاني : زعم بعضهم أن أصله "لاه" مصدر "لاه يليه" أو "لاه يلوه ليهًا و لاهًا" إذا ارتفع و احتجب . و هذا القول ينسب إلى سيبويه . لكن القول بأن "لاه" مصدر لم ينسب إليه . لكن ذكره بعض الثقات . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : هذا القول مؤيد و راجح عندي بوجوه متعدّدة قويّة :

الوجه الأوّل : هذا القول مصون عن جميع ما يرد على ماسبق من الأقوال في أصل الجلالة من حذف همزة "إله" على خلاف القياس أو للتخفيف . و تعويض اللام و غير ذلك من التكلّفات والتصرّفات التي ذكرناها من قبل . و تلك التصرفات مما لا نظير لأكثره .

الوجه الثاني : الأصل المذكور في هذا القول أي "لاه" مستعمل في الشعر القديم . قال ميمون بن قيس الأعشى :

كحلفة من أبي رباح   يشهدها لاهُـه الكبار

فلا يبعد أن يتخذ أصلاً للجلالة . و قال الشاعر :

لاهِ ابن عمّك لا أفضلت في حسب عنّي و لا أنت ديّاني فتخزوني

الوجه الثالث : قدثبت هذا الأصل أي "لاه" في بعض القراءات الشاذة و هي قوله تعالى : وهو الذي في السماء لاه و في الأرض لاه .

إن قيل : هل الاستدلال بالقراءة الشاذّة في إثبات الحقائق اللغويّة و المسائل النحويّة جائز ؟

قلنا : نعم . صرّح جمع من المحققين على أنّ التمسُّك بالقراءة الشاذّة جائز و صحيح في إثبات الضوابط اللغوية والقواعد العربية . نعم . التمسُّك بالقراءة الشاذّة في المسائل الفقهيّة مختلف فيه .

قال السيوطي رحمه الله في الاقتراح ص١٢ : أمّا القرآن فكلّما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترًا أم آحادًا أم شاذًّا . وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذّة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معروفًا . بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه و إن لم يجز القياس عليه كما يحتج بالمجمع على وروده و مخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه . ولا يقاس عليه نحو "استحوذ" و "يأبى" .

و ما ذكرتُه من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافًا بين النحاة و إن اختلف في الاحتجاج بها في الفقه . و من ثم احتج على جواز إدخال لام الأمر على المضارع المبدوء بتاء الخطاب بقراءة في ذلك "فلتفرحوا" كما احتج على إدخالها على المبدوء بالنون بالقراءة المتواترة "وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ" .

و احتج على صحة قول من قال : إن "الله" أصله "لاه" بما قرئ شاذًّا : و هو الذي في السماء لاه و في الأرض لاه . انتهى .

الوجه الرابع : أنهم قالوا "لَهْيَ أبوك" بفتح اللام و الياء و إسكان الهاء . و أصله "لِلّٰه أبوك" فحذفوا لام الجر و لام التعريف و قدموا الهاء على الألف و أسكنوها . فصارت الألف ياء .

فقولهم هذا يدل على أن أصل لفظ "الله" "لاه" و على أن الألف منقلبة من الياء لتحركها و انفتاح ما قبلها . فلمّا وليت الألف ساكنا عادت إلى أصلها و هو الياء . صرح به ابن مالك و غيره .

قال الشيخ ابن الشجري في أماليه ج٢ ص١٥ : قال سيبويه : جاز أن يكون أصل الاسم "اللّٰه" "لاه" و أصل "لاه" "ليَه" بفتح الياء على وزن فعَل . ثم أدخل عليه لام التعريف .

و استدل على ذلك بقول بعض العرب "لهي أبوك" يريدون "لاهِ أبوك" . قال : فتقديره على هذا القول فعَل و الوزن وزن باب و دار . و أنشد للأعشى : كحلفة من أبي إلخ . ولذي الأصبع العدواني : لاه ابن عمك إلخ . انتهى كلام سيبويه .

و أقول : إن الاسم الذي هو "لاه" على هذا القول تام أصله "ليه" بفتح الياء على وزن جبل . انتهى كلام ابن الشجري .

قال العبد الضعيف : قد استوعبت مباحث قولهم "لهي أبوك" في بابه من هذا الكتاب . إن شئت التفصيل و بسط البحث في هذا القول فراجعه .

الوجه الخامس : أن قولهم في اللّٰهم "لاهم" يؤيد أن أصله "لاه" و ذلك كثير في أبيات البلغاء من العرب . قال الشاعر :

* لاهمّ لا أدري و أنت الداري *

و قول الآخر :

* لاهمّ إن كنت قبلت حجّتج *

و قول الآخر :

لاهمّ إن الحارث بن جبله زنى على أبيه ثم قتله

راجع باب "اللّٰهم" من هذا الكتاب .

القول السادس عشر

أنه مشتق من "لاه يليه الشيء" إذا ارتفع و علا .

و وجه التسمية أنّ اللّٰه تعالى مرتفع الشان عالٍ على كل شيء بالبرهان ، جليل القدر رفيع

الذكر ، إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه ، رفيع الدرجات ذوالعرش ، يرفع ما يشاء و من يشاء و يخفض و ينزل ما يشاء و من يشاء . قال الله تعالى : نَرْفَعُ دَرَجٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ . و قال تعالى : يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجٰتٍ .

القول السابع عشر

أنه من قولهم : لاه الله الخلق يلوههم لوهًا و لاهًا . خلقهم .

و وجه التسمية على هــذا القول ظاهر لايخفى على أحد . فالله تعالى يخلق ما يشاء . و الله على كل شيء قدير . و لئن سألتهم مَن خلق السمٰوات و الأرض و سخّر الشمس و القمر ليقولنّ الله . الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل .

القول الثامن عشر

أنه مشتق من "لاه يلوه" إذا احتجب . كذا قال الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى .

قال العبد الضعيف : لم أر "لاه يلوه" بالواو بمعنى احتجب إلاّ في كلام الإمام الرازي . فلعلّه كتب : مشتق من "لاه يليه" و التصرف من أوهام الناسخين . أو نقول : الإمام الرازي وسيع العلم فلعلّه اطلع على ما لم نطلع عليه .

القول التاسع عشر و العشرون

أن أصله "هو" . و اختلفوا في لفظة "هو" هل هي ضمير الغيبة أو اسم ظاهر . قولان . و لكل وجهة هو مولّيها . و إلى هذا الاسم أي اسم "هو" و جعله اصلاً و مأخذًا لاسم "الله" ذهب كثير من أهل العرفان و الطريقة من الصوفية .

قال الإمام المحدث الكبير البيهقي رحمه الله تعالى في كتابه الأسماء و الصفات : و زعم بعضهم أن الأصل فيه الهاء التي هي الكناية عن الغائب . و ذلك لأنهم أثبتوه موجودًا في فطر عقولهم . فأشاروا إليه بحرف الكناية . ثم زيدت فيه لام المِلك . إذ قد علموا أنه خالق الأشياء و مالكها . فصار "له" ثم زيدت الألف

و اللام تعظيمًا و فخّموها توكيدًا لهذا المعنى . و منهم من أجراه على الأصل بلا تفخيم . انتهى كلامه .

دلّ كلام البيهقي هذا على أن زيادة الألف و اللام عليه للتعظيم لا للتعريف . و هو يخالف كلام عامة النحاة و علماء العربية حيث صرحوا بأن الألف و اللام في الجلالة للتعريف .

ثم اعلم : أنهم اختلفوا في نداء "يا هو" و في أن لفظ "هو" فيما نحن فيه هل هو اسم ظاهر أو مضمر . قال العلامة الأشموني رحمه الله في شرح الألفية : الصحيح منع نداء المضمر مطلقًا . انتهى .

قال العلامة الشيخ الصبان رحمه الله في شرحه ج٣ ص١٠٤ : ظاهر كلام الأشموني أن الخلاف جار في مطلق الضمير . و ليس كذلك . بل الخلاف في ضمير المخاطب فقط . و أمّا ضمير المتكلم و الغائب فنداؤهما ممنوع اتفاقًا كما في التصريح . فلا يقال : يا أنا و يا هو . و لا يرد أنه سمع "يا هو" "يا من لاهو إلّا هو" لأنّ لفظ "هو" في مثله اسم للذات العلية لا ضمير . انتهى .

و هذا الكلام للشيخ الصبّان صريح في أن لفظ "هو" الذي يطلق على الله تعالى و أنه اسم لله تعالى عند القائلين بذلك . و له ذكر عند الصوفية هو اسم ظاهر لا مضمر . فتدبر .

قال الشيخ عبد الكريم رحمه الله في كتابه الإنسان الكامل ج١ ص٥٨ : هويّة الحق غيبه الذي لايمكن ظهوره . لكن باعتبار جملة الأسماء والصفات . فكأنها إشارة إلى باطن الواحدية وشانها الإشعار بالبطون والغيبوبية . و هي مأخوذة من لفظة "هو" التي للإشارة إلى الغائب . و هي في حق الله تعالى إشارة إلى كنه ذاته باعتبار أسمائه و صفاته . انتهى .

قال العارف الصمداني المجدد للألف الثانية الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي رحمه الله في رسالته المعارف اللدنية : إنّ اسم الجلالة مؤلف من حرف التعريف و هو الألف و اللام و من لفظة هاء و هي أيضًا من المعارف . والمجموع عَلَم الذات الواجبة الوجود .

فاجتمع في هذا الاسم المبارك ثلاثة أنواع من التعريف . و في اجتماعها إشارة إلى أن مسماه لكمال عظمته و علوّ درجته لا يتعرف بشيء من آلات التعريف .

إذ لو كان التعريف يتطرّق إليه لكفى له آلة واحدة . إذ لا دخل لكثرة الأسباب في ثبوت

المسبب . و إنما هو بوجود واحد من الأسباب . فإذا لم يوجد بواحد منها علم أنه لاسببية بينهما . فإذا انتفى سببية أسباب التعريف في حقه تعالى انتفى المعروفية والمعلومية في شانه سبحانه أيضًا . فلا يصل إلى جناب قدسه عِلم عالم و لا يفيد في تعريفه تعريف معرِّف . فهو تعالى أجلّ من أن يدرك ، و أعظم من أن يعرف ، و أكبر من أن يعلم كنهه بتمامه . انتهى كلامه بتعريب فارسيّه .

ثم قال هذا الشيخ الفاروقي في موضع آخر : لا تدخل الألف و اللام للتعريف إلّا على نكرة .

و في هذا الاسم الشريف أي اسم "الله" دخلتا على المعرفة و هي هاء الضمير كما ذكره بعض المحققين من أن اسم "الله" تعالى مسمّاه هو الهاء الدالة على غيب الهوية . و الألف و اللام للتعريف . ففي إتيان حرف التعريف إيماء إلى أن تعريف الضمير لا يكفي لتعيين المشار إليه . ولابد من آلة أخرٰى له . ثم تشديد اللام للمبالغة في التعريف .

ثم لمّا لم يحصل تعريف المسمى مع هذه المبالغة لا جرم جعل هذا المجموع عَلَمًا ليتأتّى التعريف . إلّا أنه لم يتأتّ و لم تصر المسمى معلومًا و معروفًا أي بكنهه . غاية ما في الباب حصل الامتياز عما عداه . فسبحان من لم يجعل للخلق إليه سبيلاً إلّا بالعجز عن معرفته . انتهى تعريب كلامه الفارسي . هذا . والله أعلم بالصواب و بنفائس البدائع و الحقائق و غرائب الروائع و الدقائق ، و علمه أتم و أدقّ و أجلّ .



الباب السابع و التسعون
و فيه نحو ستين و مائتي خاصّة و مزيّة

اعلم : أن كتابي هذا أوّل كتاب صنف في خصائص اسم "الله" . و لم أر ولا أعلم أن أحدًا من الأعلام السالفين فصّل خصائصه و دوّنها و صنف فيها .

ثم بعد تكميل تاليفه و إتمام تبييضه رأيت أن المجد الفيروز آبادي رحمه الله تعالى ذكر عدّة خصائص للجلالة ستراها في هذا الباب . لكنك ترى أنّ الخصائص التي ذكر الفيروز آبادي غير علمية و ليست متفرعة على قواعد العلوم و أصول التحقيق ولا مرتّبة على النكات الفنّيّة و الأسرار العلميّة التي اشتهر بحث العلماء و خوض الفضلاء فيها .

إذ كينونة الاسم "الله" فاعلًا لفعل أو مضافًا إليه لاسم و نحو ذلك ممّا فصّله المجد ليس مما يخفى أو يبهم حتى يبحث عنه ، ولا مما يحتاج أحد إلى كشف القناع عنه ، ولا مما يستحسن عدّه من الخصائص . اللّهمّ إلّا في بعض المواضع .

وها أنا أذكر ههنا عبارة المجد وأطويها على غرّها كي تميز بين اللب و القشر .

قال المجد الفيروزآبادي رحمه الله تعالى في بصائر ذوي التمييز ج٢ ص٢٠ : و لهذا الاسم أي لاسم "الله" خصائص كثيرة :

(١) أنه يقوم مقام جملة أسماء الحق تعالى و صفاته . (٢) أن جملة الأسماء في المعنى راجعة إليه . (٣) تغليظ لامه كما سبق . (٤) الابتداء به في جميع الأمور بمثل قولك "بسم الله" . (٥) ختم المناشير

و التواقيع في قولك "حسبي الله". (٦) ختم الأمور و الأحوال به "وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ". (٧) تعليق توحيد الحق تعالى به في قول "لا إله إلاّ الله".

(٨) تأكيد رسالة الرسول به في قولك "محمد رسول الله". (٩) تزيين حج الحجاج به في قولهم "لَبَّيك اللّهمّ لَبَّيك". (١٠) انتظام غزو الغزاة به في قولك "الله أكبر الله أكبر". (١١) افتتاح الصلاة و اختتامها به في قولك "الله أكبر" و آخرًا "و رحمة الله". (١٢) به يفتتح دعاء الداعين "اللّهمّ اغفر"، "اللّهم ارحم". (١٣) لا ينتقص معناه بنقص حروفه.

و لاشيء من الأسماء يتكرر في القرآن المجيد و في جميع الكتب تكرُّره. أمّا في نص القرآن فمذكور في ألفين و خمسمائة و بضع و ستين موضعًا. و أكثر الأسماء والصفات والأفعال الإلهيّة و أحوال الخلق مرتبطة به:

(١) الأحدية "قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ". (٢) الصمدية "ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ". (٣) القدرة "وَٱللَّهُ قَدِيرٌ". (٤) العزة "وَٱللَّهُ عَزِيزٌ". (٥) الغني "ٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ". (٦) اللطف "ٱللَّهُ لَطِيفٌ". (٧) الربوبية "ٱللَّهُ رَبُّكُمْ". (٨) علم الأسرار "وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ". (٩) الاطلاع على الفساد و الصلاح "وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ". (١٠) الوقوف على الأعمال و الأحوال "وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ".

(١١) الحمد و الثناء "قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ". (١٢) التسبيح و التقديس "سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ". (١٣) الفضل "قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ". (١٤) الغلبة على الأعداء "وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ". (١٥) قهر الجبارين "هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ". (١٦) ابتداء الخلق "ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ". (١٧) تخصيص ذكر السماء "إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ". (١٨) تخصيص ذكر الأرض "ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا". (١٩) تسخير الله البحر "ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ". (٢٠) المنة على الخلق بالرياح "ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ".

(٢١) المطر و الثلج و البرد "أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً". (٢٢) رزق العباد "إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ". (٢٣) هداية الموحّدين "وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا". (٢٤) المنّة علينا بالهداية إلى الإيمان "بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ". (٢٥) المنة على المؤمنين بسيد المرسلين "لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى

ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا" . (٢٦) حفظ العباد من الآفات "فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا" .

(٢٧) نصرة الغزاة "إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ". (٢٨) كفاية أمر العباد "أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ". (٢٩) المنة بجميع النعم "وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ" . (٣٠) الأمر بالشكر و ذكر النعمة "وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ" ، "وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ". (٣١) الأمر بدوام الذكر "ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا". (٣٢) تحبيب الإيمان إلى المؤمنين "وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ" . (٣٣) اتصال التراب من قبضة المصطفى ﷺ إلى أعين الكفار "وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ" . (٣٤) وضع تاج الاجتباء على رؤوس الأنبياء "وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ" . (٣٥) تسليط الرسل على الأعداء "وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ" .

(٣٦) التأليف بين قلوب العارفين "وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ" . (٣٧) ذكر الشهادة "شَهِدَ ٱللَّهُ"، "لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ". (٣٨) قتل المتمردين "وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ". (٣٩) شرح صدرالمسلمين "أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ" . (٤٠) الدعوة إلى دار السلام "وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ" . (٤١) الدعوة إلى الجنة "وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ" . (٤٢) إضافة الملك "قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ" . (٤٣) الإنجاء من الهلكة "قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا" .

(٤٤) الإشراف على علم الغيب "لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ" . (٤٥) خزائن النعمة في عالم الحكمة "وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ" . (٤٦) كمال السمع "إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ" . (٤٧) كمال البصر "وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ" . (٤٨) ذكر الرحمة "لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ" . (٤٩) ذكر المغفرة "وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ" . (٥٠) إنزال القرآن "ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ" . (٥١) اصطفاء الرسل السماوية "ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا" . (٥٢) اصطفاء آدم و نوح "إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَ نُوحًا" . (٥٣) عصمة خاتم الأنبياء "وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ" .

(٥٤) بسط الرزق "ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ" . (٥٥) الجمع بين القبض و البسط "وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ" . (٥٦) خلق الإنسان من عين الضعف "ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ" . (٥٧) خلق المخلوقات "ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ" . (٥٨) الأمر بالتوحيد و الإيمان "ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ" . (٥٩) اللطف بالعباد "ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ" .

(٦٠) الأمر بالخدمة والطاعة "وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ" ، "مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ". (٦١) الأمر بالتقوى "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ" . (٦٢) الأمر بعبادة المعبود "وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ" . (٦٣) الأمر بالتوكل "وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا" . (٦٤) الأمر بالاستغفار "وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ" . (٦٥) الأمر بالفرار إلى حضرة المولى "فَفِرُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ" . (٦٦) الأمر بالجهاد "وَجَٰهِدُوا فِي ٱللَّهِ" . (٦٧) الأمر بالوفاء "وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ" . (٦٨) الإخلاص في الدين "وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ" . (٦٩) الإخبار عن تسبيح الموجودات "سَبَّحَ لِلَّهِ" ، "يُسَبِّحُ لِلَّهِ" . (٧٠) سجدة الساجدين "وَلِلَّهِ يَسْجُدُ" ، "وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ" .

(٧١) تفاوت حال الخلائق "هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ" . (٧٢) الهداية إلى نور الله "يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ" . (٧٣) تنوير العالم "ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ". (٧٤) الشفاعة بأمره "قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ" . (٧٥) الصلاة على الرسول "إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ" . (٧٦) وعد القبول "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ" . (٧٧) رؤية الأعمال "فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ" . (٧٨) قبض الأرواح "ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا" . (٧٩) جمع الرسل في القيامة "يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ" .

(٨٠) إضافة الحكم إليه "إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" . (٨١) الأمر يرجع إليـه "وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ" . (٨٢) ذكر التثبيت "يُثَبِّتُ ٱللَّهُ" . (٨٣) ذكر البركة "فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ". (٨٤) سرعة الحساب "إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ" . (٨٥) شدة العقاب "إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ" . (٨٦) صعوبة العذاب "وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ" . (٨٧) وعد الأجر والثواب "وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا" . (٨٨) جزاء أهل الصدق "لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ" . (٨٩) الثناء عليهم "قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ" . (٩٠) علم القيامة "إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ" .

(٩١) محق الربا "يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا" . (٩٢) صنع اللطيف "صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" . (٩٣) علامة الإيمان "صِبْغَةَ ٱللَّهِ" . (٩٤) الفطرة الأولى "فِطْرَتَ ٱللَّهِ" . (٩٥) عطاء الملك "وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ" . (٩٦) اختصاص النبوة "وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ" . (٩٧) تخليق الليل و النهار "ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا" . (٩٨) وعد اليسر و السهولة "يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ" . (٩٩) بيان حكم الشريعة "يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ" . (١٠٠) إرادة التخفيف "يُرِيدُ ٱللَّهُ

أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ" . (١٠١) نفي الحرج في العبودية "مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ" .

(١٠٢) عقد علم الولاية لنا "ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا" . (١٠٣) فلق الحب "إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ" . (١٠٤) شرى المؤمنين عنايةً بهم "إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ" . (١٠٥) دفع العذاب حماية لهم "إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا" ، "وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ" . (١٠٦) رفع الدرجة و المنزلة "يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا" . (١٠٧) إنفاذ القضاء و المشيئة "لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا" .

(١٠٨) الوعد السالم من الخلف "وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ" . (١٠٩) الدعوة إلى الله "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ" . (١١٠) ثواب الجنة "فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا" . (١١١) طلب العون و النصرة "مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ" . (١١٢) وعد الرضا في العاقبة "لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ" . (١١٣) توفيق الطاعة "وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ" . (١١٤) ضمان الأجر على الشهادة "فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ" . (١١٥) قبول التوبة من الزلّة "إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ" .

(١١٦) حوالة الحكم إلى الحضرة "إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" . (١١٧) المرجع بعد الموت إليه "ثُمَّ رُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ" . (١١٨) طلب العدل والحق من كتاب الله "فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ". (١١٩) حوالة النعمة ، و الرأفة ، و الرحمة "مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ" . (١٢٠) حصر الخالقية "هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ". (١٢١) الكل منه ، و به ، و إليه ، أوّلاً وآخرًا ، دنيا وعقبى "قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ". (١٢٢) ابتداء القرآن "بِسْمِ ٱللَّهِ" . (١٢٣) ختمه "قُلْ هُوَ ٱللَّهُ" .

هذه مائة و عشرون و نيف خصلة (يقول العبد الضعيف البازي : بل مجموع ذلك مائة و ستّ و ثلاثون) بعضها في صفات الربوبية و بعضها في خصال العبودية و بعضها في قهر أهل الضلال و بعضها في ملاطفة أهل الكمال و بعضها في تفصيل الأحوال المنسوبة إلى حضرة الجلال . انتهى ما ذكره صاحب البصائر المجد الفيروزآبادي رحمه الله تعالى .

قال العبد الضعيف البازي : لسنا بصدد ذكر أمثال هذه الخصائص . إذ أكثرها غير علميّة كما لا يخفى على الناظر . و إنّما نحن تصدّينا في هذا الكتاب لذكر خصائص علميّة و مزايا يتعلق بها أسرار و حقائق بحث عنها العلماء الأعلام والمحققون الكرام . ولو سلكنا مسلك المحقق الفيروزآبادي

رحمه الله تعالى و نهجنا منهجه و حذونا حذوه و تلونا تلوه و نحونا نحوه و اقتفينا خبره و قصصنا أثره لازدادت الخصائص و انتهت إلى آلاف .

ثم لا جناح علينا أن نماشيه في هذا المنهج و نذكر شيئًا من خصائص الجلالة من هذا السبيل من غير استقصاء إفادةً للقراء . فدونك عدة مزايا الاسم "الله" في كتاب الله العزيز .

(١) فصل الأمور يوم القيامة بين عباده "فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ" . (٢) المن و تفضيل المجاهدين على غيرهم "كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْ" ، "وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا" . (٣) وعد الحسنى "وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ" . (٤) إراءة القضاء الحق "لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ" . (٥) الإفتاء فيما يستفتون "يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ" . (٦) إطفاء نار الحرب "كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ" . (٧) مرجع التخشع و المسكنة "خَٰشِعِينَ لِلَّهِ" . (٨) الكفاية علمًا "وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا" .

(٩) الخشية منه "إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ" . (١٠) ذكر النعمة العريضة الغير المتناهية "وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ" . (١١) يسر الأمور "وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا" . (١٢) ردّ الأمور إليه عند التنازع "فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ" . (١٣) الحلف "يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا" .

(١٤) صدق الحديث "وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا" . (١٥) ذكر الفوائد والمغانم "فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞ" . (١٦) الهجرة إليه "وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ" . (١٧) مرجى الراجين "وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ" . (١٨) إسلام الوجه إليه "وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ" . (١٩) ثواب الدارين "فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ" . (٢٠) الرسالة و الرسل "ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ" . (٢١) إخلاص العبادة له "وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ" .

(٢٢) الذكر و كثرته "وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ" . (٢٣) نسبة التوبة إليه "أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ" . (٢٤) إضافة الشهادة الواجب إظهارها على الناس "وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ" . (٢٥) التنكيل باستهزاء الكفار المستهزئين "قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ" .

(٢٦) الحدود الشرعية "وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ" . (٢٧) اختصاص الغيب "فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ" .

(٢٨) الكلمات الأزلية المتعلقة بالتكليف "لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ" . (٢٩) أمر إهلاك الكفار "قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ" . (٣٠) الرحمة و البركة المخصوصة بالمقربين "رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ" . (٣١) التوفيق "وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ" . (٣٢) التنزيه عند الاستعجاب "وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا" .

(٣٣) التفرد بالحكم "إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ" . (٣٤) اختصاص علم الغيب "لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ" . (٣٥) الروح و العناية "وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ" . (٣٦) الذكر الذي يطمئن به القلوب "أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ" .

(٣٧) ذكر أن كل نعمة بنا من هبته "وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ". (٣٨) ذكر سجود الظلال له "يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ" . (٣٩) ذكر انقياد كل شيء و سجوده له "وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ" . (٤٠) إثبات المثل الأعلى "وَ لِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ" .

(٤١) علم المكتومات القلبية وإظهارها "وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ" . (٤٢) الطبع على القلوب "خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ" . (٤٣) فتح الأمور وكشفها "قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ" . (٤٤) نفي الغفلة "وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ" . (٤٥) إنزال الوحي "وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ" ، "وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ" . (٤٦) تخصيص المرحومين بالرحمة "وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ" .

(٤٧) الرأفة و العناية "إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ" . (٤٨) إرادة اليسر بالمؤمنين "يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ" . (٤٩) إضافة العلم المحيط "وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ" . (٥٠) تبيين الآيات "كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ" . (٥١) العهد القديم الواجب الإيفاء "وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ" .

(٥٢) الحجة البالغة "قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ" . (٥٣) صرف الحياة و الممات والإخلاص في العمل "قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ" . (٥٤) التنزيه عن الأمر بالفحشاء "قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ

لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ" . (٥٥) زينة الظواهر "قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ" . (٥٦) الترهيب باللعنة "أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ" .

(٥٧) الإضافة للتنويه بشان المضاف "هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ" . (٥٨) الترهيب عن شدة المضاف "أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ" . (٥٩) الاستعانة "قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ" . (٦٠) ما قدر للعباد "أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ" . (٦١) استعظام الافتراء "فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا" .

(٦٢) الأسماء الحسنى "وَ لِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ" . (٦٣) الاستعاذة "فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ" . (٦٤) الغنائم و الأنفال "قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ" . (٦٥) إخزاء أعداء الله "أَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ" . (٦٦) الكتب السماوية "وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ" . (٦٧) أخذ العصاة بذنوبهم "فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ" . (٦٨) نسبة المساجد لإظهار تعظيمها "إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ" .

(٦٩) الكلمة بمعنى كلمة الشهادة أو بمعنى الإسلام "وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا" . (٧٠) الحلف "سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ" . (٧١) الأمر الغالب "حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ" . (٧٢) المعية مع أهل الصبر "وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ" . (٧٣) إيتاء الملك والحكمة "وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ" ، "وَ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ" . (٧٤) التكليم مع المقربين و رفع درجاتهم "مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَ رَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ" . (٧٥) مشيئة القضاء و القدر "قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ" .

(٧٦) التفضيل بإيتاء النبوة و الحكم "مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ" . (٧٧) التحذير من نفسه "وَ يُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ وَ إِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ" . (٧٨) التاييد بالنصرة "وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُ" . (٧٩) الشهادة "شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ" . (٨٠) محاسبة ذرة ذرة بعد الموت "وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ" . (٨١) الصدق "قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ" . (٨٢) التنزيه من إرادة الظلم "وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ" ، "وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ" .

(٨٣) محبة المحسن "وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ" . (٨٤) تمحيص المؤمنين ومحق المخالفين "وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ" . (٨٥) محبة الصابر "وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ" . (٨٦) أخذ الميثاق

"وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلۡكِتَٰبَ" . (٨٧) إرادة التخفيف عن الناس "يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا" . (٨٨) تزكية النفوس و مدحها "بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ" .

(٨٩) الإنعام على المقربين "فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ" . (٩٠) كف بأس أعداء الله عن أهل الله "عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا" . (٩١) شدة التنكيل و البأس "وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا" . (٩٢) الجمع و الحشر إلى يوم القيامة "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ" . (٩٣) إعداد العذاب للأعداء و الغضب عليهم "وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا" . (٩٤) الأمر بالإطاعة له "وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ" .

(٩٥) البعث من القبور "يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ" . (٩٦) القوة "إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" . (٩٧) إمام النور نور الإسلام "وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ" . (٩٨) الإحلال "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ" . (٩٩) ولايته للمؤمنين "وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ" . (١٠٠) ضرب الأمثلة الكاملة للتفهيم "ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ" ، "وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ" . (١٠١) الإنبات "وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا" .

(١٠٢) تقدير الزمان و ليله و نهاره "وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ" . (١٠٣) تحريم ما لم يذكر عليه "وَلَا تَأۡكُلُوا مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ" . (١٠٤) الترغيب فيما ذكر عليه "وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ" .

(١٠٥) إضافة جميع العالم ملكا "قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُل لِّلَّهِ" . (١٠٦) اللقاء في الآخرة "قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ ٱللَّهِ" . (١٠٧) اختيار الاجتباء "قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ" . (١٠٨) نسبة السبيل المرضي "قَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُوا" . (١٠٩) الرجوع إليه يوم القيامة "وَٱتَّقُوا يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ" .

(١١٠) إضافة الرضاء الإلهي "وَٱتَّبَعُوا رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ" ، "أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ" . (١١١) ذكر الابتغاء بمعنى الإخلاص "وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِ". (١١٢) دين الإسلام "إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ" . (١١٣) أنصار الحق "قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ". (١١٤) العهد الأزلي "إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ

بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا". (١١٥) الإذن "فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ". (١١٦) اللعنة "ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ".

(١١٧) ذكر افتراض الحج "وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا". (١١٨) الاعتصام "وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ". (١١٩) الرجوع بعد الحشر "وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ"، "وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ". (١٢٠) المغفرة و الرحمة "لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ". (١٢١) ملك كل أمر "قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ". (١٢٢) نسبة الأمور المعظمة "شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ". (١٢٣) اختصاصه بالذكر عند ذكر الكبرياء "قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ".

(١٢٤) إنزال السكينة على النبي ﷺ "فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ". (١٢٥) وعد المغفرة التامة لأوليائه "وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً". (١٢٦) امتحان القلوب للتقوى "أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ". (١٢٧) الإنعام بالهداية للإيمان "بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ". (١٢٨) تخصيصه ببروز الناس له يوم القيامة "وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ".

هذه نبذة من خصائص الاسم "الله" على مسلك صاحب البصائر. و في البعض تكرار اخترته لغرض من الأغراض. و لا حرج فيه لكون هذه الخصائص متفرعة على ظاهر النظر دون دقيق الفكر. هذا. والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب، و علمه أجلّ و أتمّ و أهمّ.



الباب الثامن و التسعون

من خصائص اسم "الله" الشريف أن عدد حروفه الملفوظة بالأبجد أي بحساب الجمل سبعة و ثلاثون . و عدد حروفه المرقومة بهذا الحساب ستة و ثلاثون .

أمّا الحروف الملفوظة لهذا الاسم فهي أربعة أي "ا ، ل ، ا ، ه" . و أمّا الحروف المرقومة له فهي ثلاثة أي "ا ، ل ، ه" . و أمّا حروفه الملفوظة مع رعاية المعنى فهي خمسة أي "ا ، ل ، ا ، ه ، و" . و عدد هذه الحروف الخمسة بحساب الجمل ٤٣ .

قال الشيخ أحمد بن علي : له أي لاسم "الله" من العدد ٣٧ لفظًا و ٣٦ رقمًا . و هو من الأسماء الجامعة لسر الوتر و الشفع . و له عدد ٤٣ معنًى . و ذلك لدخول الواو في الهاء . انتهى .

و في عدد سبعة و ثلاثين لطائف عجيبة و أسرار غريبة .

تفصيل المرام أن حروف "الله" أربعة بإسقاط لام التعريف من الاعتبار كما صرح به كثير من العلماء . و هي الألف ، و اللام ، و الألف ، و الهاء . و هذه حروف أصله و هو "إله" .

و لك أن تعدّ "أل" أيضًا في حروفه فتقول : هي "ا ، ل ، ا ، ه" بإسقاط إحدى اللامين لكونها مكررة . و عدّ الهمزة و الألف حرفين برأسهما لكونهما مختلفتين مخرجًا و أداءً . فالهمزة حلقية بخلاف الألف . و أيضًا الألف لازمة السكون دون الهمزة . و عدد هذه الحروف الأربعة بطريق الأبجد أي بحساب الجمل ٣٧ و هذا ظاهر .

ثم اعلم : أن ههنا عددين وترين آخرين لابدّ من معرفتهما و حفظهما لمعرفة هذه الخاصية

البديعة الرفيعة المذكورة في هذا الباب .

و إيضاح ذلك أنّ حروف الاسم "الله" أي حروفها المرسومة المكتوبة ثلاثة : الألف ، واللام ، و الهاء . فاحفظ هذا .

ثم اعلم أيضًا : أن حروف هذا الاسم الشريف المرقومة المرسومة بعد البسط تسعة ، هكذا : ألف و هي ثلاثة ، و لام وهي ثلاثة ، و هاء و هي أيضًا ثلاثة عند طائفة . و المجموع تسعة حروف .

فاحفظ هذه الأعداد الثلاثة : العددالأول ٣٧ و العددالثاني ٣ و العددالثالث ٩ . ففي هذه الأعداد الثلاثة سرّ بديع .

إذ أيّ عدد من الأعداد الآتية التي مجموعتها تسعة أعداد أوّلها ٣ و آخرها ٢٧ . إذا ضربت فيه عدد ٣٧ و بالعكس يحصل من ذلك نتيجة مشتملة على ثلاثة أرقام متشابهة بالنسق من "١" إلى "٩" حسب نسق الأعداد المضروب فيها . و الأعداد التسعة المضروب فيها عدد ٣٧ هذه "٣ ، ٦ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٧" .

و هذه الأعداد المضروب فيها تسعة أعداد : أوّلها ٣ ثم ٦ بزيادة ٣ ثم ٩ بزيادة ٣ و قِس على هذا .

و هذا جدول صورة العمل مع النتائج .

٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
× ٢٧	× ٢٤	× ٢١	× ١٨	× ١٥	× ١٢	× ٩	× ٦	× ٣
٩٩٩	٨٨٨	٧٧٧	٦٦٦	٥٥٥	٤٤٤	٣٣٣	٢٢٢	١١١

فتفكّر و اشكر . فإنّ هذا من عجائب اللطائف العالية الساطعة ، و غرائب الشرائف الغالية اللامعة . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب ، و علمه أوسع و أجلّ و أعلى .

الباب التاسع و التسعون

من بدائع خصائص اسم "الله" الشريف و عجائب مناقبه اندماج عددين متحابّين فيه وتضمنه لهما بطريق لطيف من طرق الأبجد أي بحساب الجمل .

و العددان المتحابّان هما "٢٢٠" و "٢٨٤" . فهذان العددان متعاشقان يظهر كل واحد منهما بصورة الآخر ، و يبدو هذا في شكل ذاك و بالعكس . فهما يتّحدان باعتبار و يتغايران باعتبار آخر . كما هو حال العاشق و المعشوق و المحب و المحبوب و الطالب و المطلوب . و لنعم ما قيل في اللسان الفارسي :

من تو شدم تو من شدی من تن شـدم تو جاں شدی
تا کس نه گوید بعد ازیں من دیگرم تو دیگری

و ما قيل :

روحـه روحي و روحي روحـه من رأى روحَين حلاّ في البدن

و ما قيل :

فإن قلتَ إنا واحد كنتَ صادقا و إن قلتَ لسنا واحدًا لم نكذِّب

إيضاح المقام و تفصيل المرام على وجه ينكشف به الشُّبهة و تنجلي الغُمّة و تزول العُجمة أن العشق سار في كل شيء حتى في الأعداد نحو عدد ٢٢٠ و عدد ٢٨٤ فإنهما متحابّان و متجاذبان كأنهما متعانقان .

لأن ٢٢٠ عدد زائد . و أجزاؤه و مضاريبه تساوي ٢٨٤ . و أجزاء عدد ٢٢٠ هي "١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ١١٠" و مجموعها ٢٨٤ .

و عدد ٢٨٤ عدد ناقص . و أجزاؤه تساوي ٢٢٠ . فإن أجزاء ٢٨٤ إنما هي "١ ، ٢ ، ٤ ، ٧١ ، ١٤٢" و مجموعها ٢٢٠ .

فيبدو كل واحد من هذين العددين باعتبار الأجزاء في صورة العدد الآخر منهما . و هذا معنى كونهما متحابين و متجاذبين تجاذبًا .

إن قلتَ : كيف انطوى اسم "الله" على هذين العددين ، و كيف تضمّنهما ، وما تفصيل ذلك ؟

قلتُ : إيضاح تضمن الاسم "الله" لهـذين العددين أن قولنا "يا الله" مشتمل على لفظين : أحدهما "يا" حرف النداء و عدده بالأبجد و حساب الجمل "١١" و اللفظ الآخر اسم "الله" و حروفه الملفوظة خمسة و هي "ا ، ل ، ل ، ا ، ه" باعتبار همز الوصل و عدّها حرفًا مستقلًّا و باعتبار عدّ الحرف المشدد حرفين . فاضرب ٥ في ١١ عدد حرف "يا" يحصل "٥٥" .

ثم إن حروف "الله" بإسقاط همزة الوصل أربعة و هي "ل ، ل ، ا ، ه" . و إن شئت فقل : حروفه المرقومة أربعة و هي "ا ، ل ، ل ، ه" .

و بالجملة حروف "الله" خمسة باعتبار وأربعة باعتبار آخر . فاضرب ٤ في ٥٥ يحصل ٢٢٠ . و هو أحد العددين المتعاشقين .

ثم إن عدد اسم "الله" ٦٧ سبعة و ستون . أي باعتبار الحروف الملفوظة أو ٦٦ أي بالنظر إلى حروفه المرسومة . فهما قولان في عدد اسم "الله" بحساب الجمل . وقد صرح به علماء الأوفاق .

فإذا جمعت ٤ أو ٥ أي عدد حروف "الله" الأصلية بالنظر إلى اعتبارين مع عدد "الله" بالأبجد ٦٧ أو ٦٦ بالترتيب يصير المجموع على كل تقدير ٧١ .

ثم اضرب ٧١ في ٤ أي في عدد حروف "الله" المرسومة كان الحاصل ٢٨٤ . و هو ثاني العددين المتحابّين . فاندمج في الجلالة أي في قولنا "يا الله" عددان متحابّان . و هذا من العجائب و اللطائف .

فائدة شريفة

للشيخ أبي علي ابن سينا رسالة في العشق . قال فيها : إن العشق سارٍ في المجردات و الفلكيات و العنصريات و المعدنيات و النباتات و الحيوانات . حتى أن أرباب الرياضي قالوا : الأعداد المتحابة . و استدركوا ذلك على أقليدس . و قالوا : فاته ذلك و لم يذكره . وهي ٢٢٠ فإنّه عدد زائد أجزاؤه أكثر منه . و إذا جمعت أجزاء ٢٢٠ كانت ٢٨٤ بغير زيادة ونقصان . و عدد ٢٨٤ عدد ناقص أجزاؤه أقل منه . و إذا جمعت أجزاء ٢٨٤ كانت جملتها ٢٢٠ .

فالمائتان و العشرون لها نصف أي ١١٠ و رُبع أي ٥٥ و خُمس أي ٤٤ و عُشر أي ٢٢ و نصف عشر أي ١١ و جزء من أحد عشر أي ٢٠ و جزء من اثنين و عشرين أي ١٠ و جزء من أربعة و أربعين أي ٥ و جزء من خمسة و خمسين أي ٤ و جزء من مائة و عشرة أي ٢ و جزء من مائتين و عشرين أي ١ . و جملة ذلك من الأجزاء ٢٨٤ .

و العدد الآخر هو المائتان و الأربعة و الثمانون ليس له إلّا نصف و هو ١٤٢ و رُبع وهو ٧١ و جزء من أحد و سبعين وهو ٤ و جزء من مائة و اثنين و أربعين و هو ٢ و جزء من مائتين و أربعة و ثمانين و هو ١ . و مجموع ذلك مائتان و عشرون .

فقد ظهر بهذا المثال تحابّ العددين المذكورين و تعاشقهما . و أصحاب العدد يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة في المحبة مجربة . انتهى .

و في "معجون الجواهر" لعبد العزيز الفرهاري رحمه الله : أنّ لهذين العددين خاصية عظيمة في الحبّ . قال أفلاطون : هما مغناطيس القلوب . و ذكر بعضهم أنه كتبهما على شقّي المقصّ بطالع الزهرة فتلاقيا بلا محرّك .

و **ضابطة** استخراجهما أن تطرح من زوج الزوج واحدًا . و تزيد زوج الزوج السابق على الباقي . وتطرح زوج الزوج السابق على السابق عن الباقي بعد طرح الواحد . فيحصل ثلاثة أعداد .

فإن كان كل منها عددًا أوّل و هو الذي لا يعدّه غير الواحد فتضرب الثاني في الثالث . و تضرب

الحاصل في زوج الزوج السابق . فالحاصل أصغر المتحابين .

ثم تزيد على الثاني و الثالث مسطحهما . و تضرب المجموع إن كان أوّل في زوج الزوج السابق . فالحاصل أعظم المتحابّين . و زوج الزوج ههنا ما انتهى في التنصيف إلى واحد كالثمانية و الأربعة و الإثنين .

ثم نقول مثلاً : طرحنا من الثمانية واحدًا و زدنا الأربعة على الباقي فحصل أحد عشر . و طرحنا اثنين من الباقي فحصل خمسة .

فالأعداد الثلاثة هي السبعة وأحد عشر والخمسة . ومسطّح الثاني و الثالث خمسة وخمسون . فضربناه في أربعة فحصل أصغر المتحابين أي ٢٢٠ .

ثم زدنا الثاني و الثالث على خمسة و خمسين فحصل أحد و سبعون . فضربناه في أربعة . فحصل أعظم المتحابّين أي ٢٨٤ . و هذان أقل متحابين . انتهى .

هذه ضابطة شريفة بديعة و قاعدة لطيفة رفيعة . فعضّ عليها بالنواجذ . فإنّها من الحكم التي هي ضالّة المؤمن حيث وجدها فهو أحقّ بها .

ضابطة أخرى في معرفة ذلك . نقول : استخراج هذا كله بسبب عدد ٢ . لأن عدد ٢ إذا ضرب في ٣ ثم في ٦ ثم ضرب مربعه و هو ٤ في ١٨ حصل عندنا ٦ و ١٢ و ٧٢ . فإذا نقصنا من هذه الثلاثة واحدًا واحدًا كان هكذا ٥ ، ١١ ، ٧١ . و إذا ضربنا ٥ في ١١ و ضربنا الناتج و هو ٥٥ في ٤ كان الناتج ٢٢٠ . و هو أحد العددين السابقين .

و يمكن إيجاد العدد الآخر بضرب ٧١ في مربع ٢ المذكور و هو ٤ . فيكون الناتج ٢٨٤ . وهو العدد الثاني و هو المطلوب . و هكذا يمكن استعمال أيّ قوة من قوى عدد ٢ على هذا النمط لاستخراج الأعداد المتحابّة .

هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب ، و بيده جميع الأسباب ، و علمه أعلى و أوسع و أجلّ .

الباب الموفي مائة

من نفائس خصائص اسم الجلالة أنه مشتمل على مجموع العددين المتحابّين المتعاشقين المذكورين في الباب المتقدم . و هما ٢٢٠ و ٢٨٤ . و مجموعهما ٥٠٤ .

تحقيق الكلام أن عدد اسم "الله" ٦٦ . و هذا عدد حروفه رقمًا . و حروفه المرقومة أربعة أي "ا ، ل ، ل ، ه" . و عددهذه الحروف الأربعة بحساب الجمّل ٦٦ كما لا يخفى . فاجمع مع هذا العدد تلك الأربعة أي حروفه المرقومة كان الحاصل ٧٠ .

ثم إن عدد هذه الحروف الأربعة بعد البسط أربعة عشر حرفًا . هكذا "ألف ثلاثة ، ثم لام ثلاثة ، ثم لام ثلاثة ، ثم ها حرفان" . و الكل ١٤ حرفًا . فاحفظ هذا .

ثم نقول : إن حروف الاسم "الله" المنطوقة مع لحاظ أصله سبعة : و هي "ا ، ل ، ا ، ل ، ا ، ه ، و" بضم الواو في الآخر كما قالت الصوفية : إن أصل هاء الجلالة "هو" فأسقطت الواو من "هو" تخفيفًا .

إذا علمت هذا فعليك أن تضرب ٧٠ في ٧ ليحصل ٤٩٠ . ثم اجمع معه ١٤ أي عدد حروفه الأربعة بعد البسط حصل ٥٠٤ . و عدد ٥٠٤ مجموع العددين المتحابّين . فثبت أن اسم الجلالة محتوٍ بطريق لطيف غريب على مجموع العددين المذكورين المتعاشقين . و هذا من بدائع الحكم .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : قد نُبِّهت بهذه الخاصة الشريفة البديعة في منام الهاجرة في ثامن شهر رمضان سنة ١٣٩٨ من الهجرة .

كأنه قيل لي في المنام : أتعرف أن هذا الاسم الأعظم يجمع مجموع العددين المتحابّين ؟ فما فهمت و ما استطعت أن أستخرج ذلك . فعمل لي شخص مثل هذا العمل المذكور من قبل و كتبه على قرطاس و أرانيه و أوضحه لي في المنام .

فلما انتبهتُ كتبته كما رأيتُ . ولله الحمد و المنة . و هذه رؤيا حق صالحة . و في الحديث : لم يبق من النبوة إلاّ المبشرات . و هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له .

تفكّر في هذه الخاصّة الشريفة فإنّها من نفائس الخصائص ، و روائع الفوائد ، و غرائب المزايا ، و عجائب الفضائل .

هذا . والله تعالى رَبّ الأرباب ، و فاتق الأسباب ، و رافع الحجاب . و هو أعلم بما هو صواب من الأفكار ، و محجوب عن الأبصار . و هو يدرك الأبصار و لا يدركه الأبصار . و علمه أعلى و أجلّ و أتمّ .



الباب الحادي بعد المائة

من خصائص الاسم "الله" أنه اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى .

و هذا قول كثير من الأئمّة حتى أنه لا ذكر عند العارفين فوق الذكر بالاسم "الله" . و لكونه أعظم الأسماء الإلهيّة خصص به الحمد و البسملة و التهليل و التشهّد دون غيره من الأسماء الحسنى .

روى هشام عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال : سمعت أباحنيفة رحمه الله تعالى يقول : اسم الله الأعظم هو "الله" . و اختاره الإمام الطحاوي . و قال الفخر الرازي : هو الأقرب عندي . و به قال سيد العارفين بالله الشيخ عبدالقادر الجيلاني قدس سره .

و لي في كشف أسرار الاسم الأعظم و إيضاح المطالب المتعلقة به رسالة شريفة مفردة . وهي هذه التي أجعلها بابًا لهذا الكتاب . و سترى فيها أبحاثا لا توجد مجموعة في كتاب آخر .

و أيضًا لي كتاب آخر في هذا الموضوع كبير لطيف و بديع شريف . سميته بالكنز الأعظم في تعيين الاسم الأعظم . بسطت فيه ما يتعلّق بالاسم الأعظم من مسائل خفيّة و أبحاث سنيّة هي عرائس الأسرار ، و نفائس الأفكار ، و بدائع الحقائق ، و روائع الدقائق . و هو مما لا نظير له في كتب السلف و الخلف . ولله الحمد و المنّة على ما وفقني لتاليفه .

فصل

في ذكر عبارات متفرقة

اعلم : أني أسرد في هذا الفصل عرائس أقوال شتى و نفائس عبارات متفرقة للعلماء في كتبهم .

لتطلع إجمالاً على ما كتبوه و اختاروه و على ما سطروه و ردّوه . فأقول و بالله التوفيق :

أنكر البعض التفاضل في أسماء الله تعالى و قال : أسماء الله تعالى كلها عظيمة . و قال : إن معنى الأعظم العظيم ، أو أعظم من كل ما هو غير الأسماء الحسنى .

و اختار كثير من الأئمة و العلماء المحققين التفاضل في الأسماء الحسنى . منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . و كان يشير كما حكى عنه تلميذه الإمام ابن القيم رحمه الله أن الاسم الأعظم الحي القيوم . و ردّ المحقق السهيلي رحمه الله في روض الأنف على نافي التفاضل و منكره أشدّ الرد .

و في فتح الإله : الأظهر الاسم الأعظم الجلالة لأنه الاسم الأعظم عند أكثر العلماء . ولا ينافيه أن كثيرين يدعون به و لا يستجاب لهم . لأن ذلك لخلل في دعوتهم . لكونها نحو قطيعة رحم أو لكونهم لم يستوفروا شروط الدعاء التي منها أكل الحلال .

و بالجملة قد كثر اختلاف العلماء في تعيين الاسم الأعظم كما كثر اختلافهم في تعيين ليلة القدر و ساعة الإجابة يوم الجمعة و السبعة الأحرف التي نزل عليها القرآن . فنفى بعضهم وجود الاسم الأعظم و قال : أعظم بمعنى عظيم كأكبر بمعنى كبير .

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله : و يرد عليه بأن الأعظمية هنا ليست من حيث المسمّى لاستواء الأسماء و الصفات كلها من هذه الحيثية . و إنما هي من حيث الدلالة . ولا شك أن بعض الأسماء و الصفات قد تفيد من حيث الدلالة معاني ولا تفيدها البقية . و فارق أعظم أكبر بأن مفاد أعظم امتاز على غيره من الأسماء و الصفات بخصوصه ليست في البقية . و هذا لا محذور فيه كما تقرّر بأن يبقى على صيغته . و أمّا "أكبر" فمفاده أن غير الله تعالى شاركه في كبريائه . و هذا غير واقع . فوجب تأويل "أكبر" بمعنى كبير حتى لا يوهم ذلك . كذا في الفتوحات الربانية ج٧ ص٢١٢ .

و تكلّم العلامة السهيلي رحمه الله على هذا الموضوع في الروض الأنف ج١ ص٣١ في شرح حديث ابن التامر الذي ذكر فيه الاسم الأعظم حيث قال :

و ذكر فيه الاسم الأعظم . و قول الراهب له : إنك لن تطيقه . أي لن تطيق شروطه و الانتهاض بما يجب من حقه . و قد قيل في قول الله تعالى "قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ" : إنه أوتي الاسم

الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب . وهو آصف بن برخيا في قول أكثرهم . و قيل غير ذلك . وأعجب ما قيل فيه : إنه ضبة بن أد بن طابخة . قاله النقاش . ولا يصح .

ثم قال السهيلي رحمه الله : هي مسألة اختلف فيها العلماء . فذهبت طائفة إلى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى و قالوا : لا يجوز أن يكون اسم من أسمائه أعظم من الاسم الآخر . و قالوا : إذا جاء في خبر أو أثر ذكر الاسم الأعظم فمعناه العظيم . كما قالوا : إني لأوجل . أي وجل . و كما قال بعضهم في "أكبر" من قولك "الله أكبر" : إن " أكبر" بمعنى كبير و إن لم يكن قول سيبويه .

و ذكروا أن أهون بمعنى هيّن من قوله عزّوجلّ : وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ . و أكثروا الاستشهاد على هذا . و نسب أبوالحسن بن بطال رحمه الله هذا القول إلى جماعة منهم ابن أبي زيد و القابسي و غيرهما .

و ممّا احتجوا به أيضًا أن رسول الله ﷺ لم يكن ليحرَم العلمَ بهذا الاسم وقد علمه من هو دونه من ليس بنبي . و لم يكن ليدعو حين اجتهد في الدعاء لأمته "ألّا يجعل بأسهم بينهم" وهو رؤف بهم عزيز عليه عنتهم إلّا بالاسم الأعظم ليستجاب له فيه . فلمّا منع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله إلّا و هو كسائر الأسماء في الحكم و الفضيلة يستجيب الله إذا دعي ببعضها إن شاء و يمنع إذا شاء . و قال الله سبحانه : قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ . و ظاهر هذا الكلام التسوية بين أسمائه الحسنى .

و كذلك ذهب هؤلاء و غيرهم من العلماء إلى أنه ليس شيء من كلام الله تعالى أفضل من شيء . لأنه كلام واحد من ربّ واحد . فيستحيل التفاضل فيه .

ثم قال الشيخ الفقيه السهيلي رحمه الله في ردّ قول هؤلاء العلماء المنكرين للتفاضل في الأسماء الحسنى : وجه استفتاح الكلام معهم أن يقال : هل يستحيل هذا عقلاً أم يستحيل شرعًا . ولا يستحيل عقلا أن يفضل الله سبحانه عملا من البر على عمل و كلمة من الذكر على كلمة . فإن التفضيل راجع إلى زيادة الثواب و نقصانه . وقد فضّلت الفرائض على النوافل بإجماع ، و فضّلت الصلاة و الجهاد على كثير من الأعمال . و الدعاء و الذكر عمل من الأعمال .

فلا يبعد أن يكون بعضه أقرب إلى الإجابة من بعض و أجزل ثوابا في الآخرة من بعض .

و الأسماء عبارة عن المسمّى و هي من كلام الله سبحانه القديم . ولا نقول في كلام الله : هو هو ولا هو غيره .

كذلك لا نقول في أسمائه التي تضمنها كلامه إنها هو ولا هي غيره . فإن تكلّمنا نحن بها بألسنتنا المخلوقة و ألفاظنا المحدثة فكلامنا عمل من أعمالنا . والله سبحانه و تعالى يقول : وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ . و قبحًا للمعتزلة فإنهم زعموا أن كلامه مخلوق . فأسماؤه تعالى على أصلهم الفاسد محدثة غير المسمّى بها . و سوّوا بين كلام الخالق و كلام المخلوق في الغيرية و الحدوث .

و إذا ثبت هذا و صحّ جواز التفضيل بين الأسماء إذا دعونا بها فكذلك القول في تفضيل السور و الآي بعضها على بعض . فإن ذلك راجع إلى التلاوة التي هي عملُنا لا إلى المتلو الذي هو كلام ربنا و صفة من صفاته القديمة .

و قد قال ﷺ لأبيّ رضي الله عنه : أيّ آية معك في كتاب الله أعظم ؟ فقال : ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ . فقال : ليهنك العلم أبا المنذر . و محال أن يريد النبي ﷺ بقوله "أعظم" معنى "عظيم" . لأن القرآن كله عظيم فكيف يقول له : أيّ آية في القرآن عظيمة . و كل آية فيه عظيمة كذلك .

و كل ما استشهدوا به من قولهم " أكبر " بمعنى كبير و " أهون " بمعنى هيّن باطل عند حذاق النحاة . و لولا أن نخرج عما نحن بصدده لأوضحنا بطلانه بما لا قبل لهم به . ولو كان صحيحا في العربية ما جاز أن يحمل عليه قوله : أيّ آية معك في كتاب الله أعظم ؟ لأن القرآن كله عظيم . و إنما سأله عن الأعظم منه و الأفضل في ثواب التلاوة و قرب الإجابة .

و في هذا الحديث دليل أيضًا على ثبوت الاسم الأعظم ، و على أن لله اسما هو أعظم أسمائه . ومحال أن يخلو القرآن عن ذلك الاسم والله تعالى يقول : مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ . فهو في القرآن لا محالة . و ما كان الله ليحرمه محمدا و أمته و قد فضّله على الأنبياء و فضّلهم على الأمم .

فإن قلت : فأين هو في القرآن ؟

فقد قيل : إنه أخفي فيه كما أخفيت الساعة في يوم الجمعة و ليلة القدر في رمضان ، ليجتهد الناس ولا يتّكلوا .

قال الفقيه الحافظ أبوالقاسم أي السهيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول النبي ﷺ لأبيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ "أيّ آية معك في كتاب الله أعظم" و لم يقل " أفضل" إشارة إلى الاسم الأعظم أنه فيها . إذ لا يتصور أن تكون هي أعظم آية و يكون الاسم الأعظم في آية أخرى دونها . بل إنما صارت آية الكرسي أعظم الآيات . لأن الاسم الأعظم فيها .

ألا ترى كيف هنّأ رسول الله ﷺ أبيًّا بما أعطاه الله تعالى من العلم . و ما هنّأه إلّا بعظيم بأن عرف الاسم الأعظم والآية العظمى التي كانت الأمم قبلنا لا يعلمه منهم إلّا الأفراد . منهم عبد الله بن التامر و آصف صاحب سليمان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ و بلعوم قبل أن يتّبع الشيطان فكان من الغاوين .

و قد جاء منصوصًا في حديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا الذي خرجه الترمذي و أبوداود . و يروى أيضًا عن أسماء بنت يزيد وكنيتها أم سلمة . فلعل الحديث واحد . أنها سألت رسول الله ﷺ عن الاسم الأعظم . فقال رسول الله ﷺ : هو في هاتين الآيتين "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ" و "الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ" . و قال سبحانه : هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ . الآية . أي فادعوه بهذا الاسم . ثم قال : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . تنبيهًا لنا على حمده و شكره . إذ علمنا من هذا الاسم العظيم ما لم نكن نعلم .

ثم قال السهيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فإن قلت : فقد روى أبوداود و الترمذي أيضا أن رسول الله ﷺ سمع رجلا و هو زيد أبوعياش الزرقي ذكر اسمه الحارث بن أبي أسامة في مسنده يقول : اللّهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلّا أنت المنان بديع السموات و الأرض ذو الجلال و الإكرام . فقال : لقد دعا الله باسمه الأعظم . و يروى أنه قال له في هذا الحديث : غفر الله له غفر الله له . و روى الترمذي نحو هذا فيمن قال : اللّهم إني أسألك فإنك الله الذي لا إله إلّا أنت الأحد الصمد الذي لم تلد ولم تولد . وهذا معارض لحديث أم سلمة .

قلنا : لا معارضة بين هذا و بين ما تقدم . فإنّا لم نقل : إن الاسم الأعظم هو "الحي القيوم" . بل الحي القيوم صفتان تابعتان للاسم الأعظم و تتميم لذكره . وكذلك "المنان" "ذو الجلال والإكرام" في حديث أبي داود . وقد خرجه الترمذي أيضا في الدعوات . وكذلك "الأحد الصمد" في حديث

الترمذي . و قولك "الله لا إله إلّا هو" هو الاسم . لأنه لا سميّ له و لم يتسم به غيره .

و قد قال بعض العلماء في التسعة و التسعين اسما : إنها كلها تابعة للاسم الذي هو "الله" و هو تمام المائة . فهي مائة على عدد درج الجنة . إذ قد ثبت في الصحيح أنها مائة درجة . بين كل درجتين مسيرة مائة عام . و قال في الأسماء : من أحصاها دخل الجنة . فهي على عدد درج الجنة .

و أسماؤه تعالى لا تحصى . وإنما هـذه الأسماء هي المفضلة على غيرها و المذكورة في القرآن . يدل على ذلك قوله في الصحيح : أسألك بأسمائك الحسنى ما علمتُ منها وما لم أعلم . و وقع في جامع ابن وهب : سبحانك لا أحصي أسماءك .

وما يدلّ على أنه الاسم الأعظم أنك تضيف جميع الأسماء إليه ولاتضيفه إليها . تقول : "العزيز" اسم من أسماء الله . و لا تقول : "الله" اسم من أسماء العزيز . و فخمت اللام من اسمه وإن كانت لاتفخم لام في كلام العرب إلّا مع حروف الإطباق نحو "الطلاق" ولا تفخم لام في شيء من أسمائه ولا شيء من الحروف الواقعة في أسمائه التي ليست بمستعلية إلّا في هذا الاسم العظيم المنتظم من ألف و لامين و هاء .

فالألف من مبدأ الصوت ، و الهاء راجعة إلى مخرج الألف . فشاكل اللفظ المعنى و طابقه . لأن المسمى بهذا الاسم منه المبدأ و إليه المعاد . والإعادة أهون من الابتداء عند المخاطبين . فكذلك الهاء أخف و ألين في اللفظ من الهمزة التي هي مبدأ الاسم . أخبرت بهذا الكلام أو نحوه في الاسم و حروفه عن ابن فورك رحمه الله . ذكره أبوبكر شيخنا في كتاب . انتهى كلام العلامة السهيلي .

قال الشيخ أبوبكر الفهري : قد استفاض في الأمة و اشتهر عند أهل القرآن وأهل الكتاب أن لله الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى . و ها أنا أتلو عليك ما عندنا فيه من الروايات عن النبي ﷺ و نصوص الصحابة وسائر السلف الصالح .

فمن ذلك قوله سبحانه و تعالى : وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا . قال ابن عباس وابن اسحاق و السدي و مقاتل و غيرهم : إن هذا الرجل من بني إسرائيل اسمه بلعام بن باعوراء . وكان عنده الاسم الأعظم . فطلبه الملك فاختفى منه . ثم ظفر به فقال له : أنت صاحب الاسم الأعظم ؟ قال : نعم . ادع لي بثور لم يعمل عليه . فأتي بثور أحمر لا يقدر أحد أن يدنو منه . فقام إليه و تكلم في أذنه

فتساقط الثور جمرا . فقال للملك : لتنتهينّ عن بني إسرائيل وما تفعل بهم . و إلاّ نزل بك ما نزل بالثور . فكفّ عن بني إسرائيل .

و من ذلك قوله سبحانه و تعالى : قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ . قال أكثر المفسرين قتادة وغيره : هو آصف بن برخيا .كان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى .

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : إن آصف بن برخيا حين صلى و دعا الله سبحانه و تعالى قال لسليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : مدّ عينيك حتى ينتهي إليك طرفك . فمدّ سليمان عينيه نحو اليمين . فدعا آصف . فبعث الله الملائكة حتى حملت السرير من تحت الأرض يخرقون الأرض خرقًا حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

و روت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : الاسم الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا "يا حي يا قيوم" .

و قال الزهري : دعاء الذي عنده علم من الكتاب "يا إلهنا و إله كل شيء إلهًا واحدا لا إله إلاّ أنت ائتني بعرشها" . فمثّل له بين يديه . و قال : اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى "يا ذاالجلال و الإكرام" .

و من ذلك قوله تعالى : وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ . قال ابن عباس و علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وقتادة و السدي و الكلبي رَحِمَهُمُ اللهُ : إن هاروت و ماروت كانا يقضيان بين الناس يومهما . فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم و صعدا إلى السماء . فاختصمت إليهما ذات يوم الزهرة . وكانت من أجمل نساء بلدها . وكانت ملكة في بلدها من ملوك فارس . فافتتنا بها و راوداها عن نفسها فأبت و قالت : لن تدركاني حتى تخبراني بالاسم الأعظم الذي تصعدان به إلى السماء . فقالا : باسم الله الأكبر . فعلّماها ذلك . فتكلّمت به و صعدت إلى السماء فمسخت كوكبًا .

قال القاضي أبوبكر بن الطيب رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الممتع : ذكر كثير من أهل العلم أن الذي أنزل على الملكين هو اسم الله الأعظم الذي صعدت به الزهرة إلى السماء . وكان الملكان قبل أن يسخط عليهما

يصعدان إلى السماء . فعلّمته الشياطين فهي تعلمه أولياءها و تعلمهم السحر . وكانت الزهـرة بغيًا من بغايا بني إسرائيل . و إنها لمّا تعلّمت الاسم صعدت به إلى السماء فحبست و مسخت كوكبًا . قال القاضي أبوبكر : و العقل لا يحيل شيئًا من ذلك .

و روي في الخبر أن ملك الموت يقبض الأرواح بالدعاء و ذكر اسم الله الأعظم الذي خص به . و هو ينفي قول من يقول : كيف يأخذ الأرواح من البعد ، وكيف يقبض أرواح جماعة في أقطار متباعدة . و في هذه الآيات التي تقدم ذكرها بين الصحابة و التابعين أقوال غير ما ذكرنا .

و إنما موضع الاستدلال منها من وجهين :

أحدهما : أنه قد جرىٰ على ألسنة الصحابة و من بعدهم من سادات المسلمين اسم الله الأعظم . فلم ينكره أحد منهم . و إنما اختلفوا في تفسير الآية فبعضهم يقول : ليس المراد بالآية اسم الله الأعظم . وإنما المراد بها شيء آخر . و لم ينكر هذا أن يكون الاسم الأعظم .

و الثاني : أنه متى اختلف الصحابة في تأويل آية وجب ترجيح قول ابن عباس عند معظم المحققين بدليل أن النبي ﷺ ضرب صدره و قال : اللّهم علّمه التأويل . و قد بينه ابن عباس رضي الله عنهما .

و أمّا السنة فروى أبوداود بإسناده و قال : حدثنا يحي عن مالك عن معاوية عن عبد الله ابن أبي بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : اللّهم إني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد و لم يكن له كفوًا أحد . فقال : لقد سألت الله باسمه العظيم الذي إذا سئل به أعطى و إذا دعي به أجاب . و في حديث آخر : لقد سألت الله باسمه الأعظم .

و عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : الاسم الأعظم في هاتين الآيتين : "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ " و فاتحة آل عمران "الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ " .

و عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللّهم إني أسألك أنك أحد صمد لم تتخذ صاحبة و لا ولدًا . فقال : سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى .

وعن أنس رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ برجل يصلي وهو يقول : اللّهم لك الحمد لا إله إلاّ أنت يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام . فقال النبي ﷺ لنفر من أصحابه : أتدرون بم دعا الرجل ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم . قال : دعا ربه باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى .

و عن أبي أمامة رضي الله عنه يرفعه قال : اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و اذا سئل به أعطى في ثلاث سور : سورة البقرة ، و آل عمران ، و طه .

قال جعفر الدمشقي رحمه الله تعالى : فنظرت في هذه السور الثلاث فرأيت فيها شيئًا ليس في القرآن مثله ، آية الكرسي "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ" ، و في آل عمران "الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ"، و في طه "وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ" . انتهى .

و قال أبوجعفر : والصواب عندي أن اسم الله الأعظم هو "الله" .

و عن أسماء بنت يزيد مرفوعًا : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين . الحديث . و ليس ذكر "الحي القيوم" إلاّ في إحداهما . انتهى .

قلت : بل هو يقتضي أن يكون اسم الله الأعظم "لا إله إلاّ هو" . ألا ترى إلى ما رواه مالك في الموطأ أن النبي ﷺ قال : أفضل ما قلت أنا و النبيون من قبلي "لا إله إلاّ الله" . و روى أبوداود أن النبي ﷺ قال لأبيّ رضي الله عنه : أيّ آية في كتاب الله أعظم ؟ فقال : ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ . فضرب صدره و قال : ليهنئك العلم يا أبا المنذر . انتهى .

و نقل العلامة الجمل رحمه الله تعالى في شرح الجلالين ج٢ ص٦١١ عن معراج القليوبي : أنّ أبواب السموات كلها من ذهب وأقفالها من نور و مفاتيحها اسم الله الأعظم . انتهى .

وفي نسيم الرياض ج٢ ص٣١٤ : قيل : الحقيقة المحمدية صورة الاسم الأعظم الجامع للأسماء . فله التصرف في العوالم ، و منه تستفيد وتستمدّ ما فيها من جهة حقيقته لا من جهة بشريته . فهو الخليفة حقيقة . انتهى .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح ج١٣ ص٤٨٢ : و إذ قد جرى ذكر الاسم الأعظم في هذه المباحث

فليقع الإلمام بشيء من الكلام عليه . و قد أنكره قوم كأبي جعفر الطبري و أبي الحسن الأشعري و جماعة بعدهما كأبي حاتم بن حبان و القاضي أبي بكر الباقلاني رحمهم الله فقالوا : لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض . و نسب ذلك بعضهم لمالك لكراهيته أن تعاد سورة أو تردّد دون غيرها من السور لئلا يظن أن بعض القرآن أفضل من بعض . فيؤذن ذلك نقصان المفضول عن الأفضل .

و حملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالأعظم العظيم . و أن أسماء الله كلها عظيمة . وعبارة أبي جعفر الطبري : اختلف الآثار في تعيين الاسم الأعظم . و الذي عندي أن الأقوال كلها صحيحة . إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم ولا شيء أعظم منه . فكأنه يقول : كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم . فيرجع إلى معنى عظيم كما تقدم .

و قال ابن حبان : الأعظمية الواردة في الأخبار إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك كما أطلق ذلك في القرآن و المراد به مزيد ثواب القاري .

و قيل : المراد بالاسم الأعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به مستغرقًا بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله تعالى . فإن من تأتّى له ذلك استجيب له . و نقل معنى هذا عن جعفر الصادق و عن الجنيد و عن غيرهما .

و قال آخرون : استأثر الله بعلم الاسم الأعظم و لم يطلع عليه أحدًا من خلقه . و أثبته آخرون معينًا و اضطربوا في ذلك . و جملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر قولًا . انتهى .

قال الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره ج١ ص٦٣ : و القول الثالث قول من قال : أسماء الله كلها عظيمة مقدسة . و لا يجوز وصف الواحد منها بأنه أعظم . لأن ذلك يقتضي وصف ما عداه بالنقصان .

و عندي أن هذا أيضًا ضعيف . لأنّا بيّنّا أن الأسماء منقسمة إلى الأقسام التسعة ، و بيّنّا أن الاسم الدال على الذات المخصوصة يجب أن يكون أشرف الأسماء و أعظمها . و إذا ثبت هذا فلا سبيل إلى الإنكار . انتهى .

قال الشعراني رحمه الله في اليواقيت و الجواهر في عقائد الأكابر ج١ ص٧٠ : فإن قلت : فهل في أسمائه تعالى أفضل و مفضول و إن عمها كلها العظمة و الجلال أم كلها متساوية .

فالجواب كما قاله الشيخ ابن العربي في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة (قلت : لم أجد هذا الكلام في هذا الباب من الفتوحات فلينظر) : أن أسماء الله تعالى متساوية في نفس الأمر لرجوعها كلها إلى ذات واحدة . و إن وقع تفاضل فإنما ذلك لأمر خارج . فإن الأسماء نسب و إضافات ، و فيها أئمة و فيها سدنة ، و فيها ما تحتاج إليه الممكنات احتياجًا كليًّا ، و منها ما لا تحتاج إليه الممكنات ذلك الاحتياج الكلي بالنظر للأحوال المشاهدة . فالذي يحتاج إليه الممكن احتياجًا ضروريًّا الاسم الحي العالم المريد القادر . و الأخير في النظر العقلي هو القادر . فهذه أربعة يطلبها الممكن بذاته .

وما بقي من الأسماء فكالسدنة لهذه الأسماء . ثم يلي هذه الأسماء الأربعة في ظهور الرتبة الاسم "المدبر" و "المفضل" ثم "الجواد" ثم "المقسط" فعن هذه الأسماء كان عالم الغيب والشهادة و الدنيا و الآخرة و البلاء و العافية و الجنة و النار . انتهى .

وكان سيدي علي بن وفا رَحِمَهُ اللَّهُ يذهب إلى التفاضل في الأسماء و يقول في قوله تعالى "وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا" : هو الاسم "الله" فإنه أعلى مرتبة من سائر الأسماء . انتهى .

و قال ﷺ : اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن : في البقرة و آل عمران و طه . أخرجه ابن ماجه والحاكم و الطبراني عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ و إسناده حسن .

قال العلامة العزيزي في شرح هذا الحديث : قال العلقمي : و اختلف العلماء في الاسم الأعظم على أقوال كثيرة لخصها شيخنا يعني الحافظ السيوطي في كتابه الدرّالمنظم . قال : قلت : و هذا تلخيص الأقوال من غير ذكر الأدلة إلّا ما لابدّ منه :

الأوّل : أنه لا وجود له . يعني أن أسماء الله كلها عظيمة لا يجوز تفضيل بعضها على بعض . ذهب إلى ذلك قوم منهم أبوجعفر الطبري و أبوالحسن الأشعري و أبوحاتم بن حبان و القاضي أبوبكر الباقلاني . و نحوه قول مالك و غيره لا يجوز تفضيل بعض القرآن على بعض . وحمل هؤلاء ما ورد من ذكر اسم الله الأعظم على أن المراد به العظيم .

و عبارة الطبري : اختلفت الآثار في تعيين اسم الله الأعظم . والذي عندي أن الأقوال كلها صحيحة . إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم ولا شيء أعظم منه . فكأنه يقول : كل اسم من أسمائه

تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم منه . فيرجع إلى معنى عظيم .

و **قال** ابن حبان : الأعظمية الواردة في الأخبار المراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك . كما أطلق ذلك في القرآن و المراد به مزيد ثواب القارئ .

القول الثاني : إنه مما استأثر الله تعالى بعلمه . و لم يطلع عليه أحدًا من خلقه كما قيل بذلك في ليلة القدر و في ساعة الإجابة و في الصلاة الوسطى .

الثالث : إنه "هو" . نقله الإمام فخر الدين عن بعض أهل الكشف .

الرابع : إنه "الله" لأنه اسم لا يطلق على غيره .

الخامس : "الله الرحمن الرحيم" .

السادس : "الرحمن الرحيم الحي القيوم" . لحديث الترمذي : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ" وفاتحة سورة آل عمران "الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ" .

السابع : "الحي القيوم" . لحديث : اسم الله الأعظم في ثلاث سور : البقرة و آل عمران و طه . قاله الرازي .

الثامن : "الحنان المنان بديع السموات و الأرض ذو الجلال و الإكرام" .

التاسع : "بديع السموات و الأرض ذو الجلال و الإكرام" .

العاشر : "ذو الجلال و الإكرام" .

الحادي عشر : "الله لا إله إلاّ هو الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد" . قال الحافظ ابن حجر : و هو الأرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك .

الثاني عشر : "رَبّ رَبّ" .

الثالث عشر : "مالك الملك" .

الرابع عشر : دعوة ذي النون "لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين" .

الخامس عشر : كلمة التوحيد . نقله عياض .

السادس عشر : ما نقله الفخر الرازي عن زين العابدين أنه سأل الله تعالى أن يعلّمه الاسم الأعظم فرأى في النوم "هو الله الذي لا إله إلاّ هو رب العرش العظيم" .

السابع عشر : هو مخفي في الأسماء الحسنى .

الثامن عشر : أن كل اسم من أسمائه تعالى دعا العبد به ربّه مستغرقا بحيث لا يكون في ذكره حالتئذ غير الله فإنه من تأتّى له ذلك استجيب له . قاله جعفر الصادق و الجنيد و غيرهما .

التاسع عشر : إنه "اللّهم" حكاه الزركشي .

العشرون : "الٓمٓ" . انتهت عبارة شرح العزيزي على الجامع الصغير .

و قد بسط الكلام على اسم الله الأعظم الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه الدرالنظيم في خواص القرآن العظيم . فعقد له فصلاً مخصوصا في سورة آل عمران بعد الآية الأولى منها . و هو قوله تعالى "الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ" .

قال العارف بالله الشيخ عبدالوهاب الشعراني رحمه الله تعالى في لطائف المنن ج٢ ص١٦٦ : و مما منّ الله تبارك و تعالى به عليّ معرفتي باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب . و لكن لا أعلّمه لمن طلبه إلاّ أن وثقت بدينه و بخوفه من الله تعالى و شفقته على خلقه . فإني أخاف أن يدعو به على كل من غضب عليه أو آذاه فيهلكه الله تعالى كما وقع لبلعام بن باعوراء . ولو لا أن غيري من الأولياء سبقني إلى كتمانه لذكرته لك على التعيين يا أخي في هذا الكتاب . و لكن الكتاب يقع في يد أهله و في يد غير أهله .

ولا بأس أن أذكر لك يا أخي ! جملة من الأقوال في تعيين الاسم الأعظم و إن كان ذلك لايفيد الجزم بمعرفته . فأقول و بالله التوفيق : ذهب جماعة منهم أبوجعفر الطبري والشيخ أبوالحسن الأشعري وابن حبان والباقلاني و غيرهم رحمهم الله تعالى إلى أن الاسم الأعظم لا وجود له بمعنى أن أسماء الله تعالى كلها عظيمة ليس فيها اسم ليس بأعظم . و بذلك قال الإمام مالك وغيره .

و ذهب بعضهم إلى أنه اسم " الله " وبعضهم إلى أنه " هو " . و ذهب الشعبي إلى أنه هو قولك "يا الله" . و قال بعضهم : إنه "بسم الله الرحمن الرحيم" ، ورد به حديث في المستدرك وصححه . وقال بعضهم : هو "الحي القيوم" فقط . وغير ذلك كما ذكرناه في المنن الوسطى .

و قدكان على شخص دينٌ نحو ثلاثة آلاف دينار . فقال : اللّهم إني أسألك يا الله يا الله يا الله بلى والله أنت الله لا إله إلاّ أنت الله الله الله والله أنت الله لا إله إلاّ أنت يا حي يا قيوم .

ثم نام و قام فوجد عند رأسه ثلاثة آلاف دينار . ثم قيل له في المنام : لقد سألت الله تعالى باسمه الأعظم الذي إذا قرئ على الماء يجمد . انتهى . و بالجملة فلا يطلع أحد عليه إلاّ من طريق الكشف . انتهى بلفظه .

و حكى الشيخ اليافعي و العلامة الفهري رحمهما الله تعالى عن علي رضي الله عنه أنّه قال : اسم الله الأعظم آلم كهيعص حمعسق و ما أشبه ذلك .

و من أحسن كيف يصل الحروف بعضها ببعض فقد علم اسم الله الأعظم . يريد بقوله الحروف المقطعة التي جاءت في أوائل السور و تكررت . وهي أربعة عشر حرفًا "ا ، ح ، ر ، س ، ص ، ط ، ع ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، ه ، ي" .

و قال بعض العلماء : هو "الأحد الصمد" . وقال بعضهم : هو "ذوالجلال و الإكرام" . وقال بعضهم : هو "ربنا". و استدل بقوله "ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا" إلى " فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ " الآية . والاستجابة علامة اسم الله الأعظم . و ذلك بعد قولهم "ربنا" خمس مرات . ولا يرد هذا على قول من قال : إن الاسم الأعظم هو "الله" . قال الله تعالى في أوّل الآيات : ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا .

و قيل : هو "أرحم الراحمين" . واستدل بقوله تعالى حكايةً عن أيّوب عليه الصلاة والسلام : أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ . قال الله تعالى : فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ .

قال الليث : بلغني أن زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلاً إلى الطائف . اشترط عليه في الكراء أن ينزل به حيث شاء . فمال به إلى خربته فقال له : انزل . فإذا في الخربة قتلى كثيرة . فلمّا أراد أن يقتله قال له : دعني أصلي ركعتين . فقال له : صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا .

قال : فلما صليت أتاني ليقتلني . فقلت : يا أرحم الراحمين . قال : فسمع صوتا : لا تقتله . فخرج فلم ير شيئا . فرجع إليّ . فلما أراد أن يقتلني إذا فارس بيده حربة فطعنه بها فقتله .

و قيل : هو "لا إله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" لقوله تعالى حكاية عن يونس عليه الصلاة والسلام : فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ .

و روى ابن السني عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنّي لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلّا فرّج الله عنه . كلمة أخي يونس عليه الصلاة والسلام "فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ" .

و روى الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال : دعوة ذي النون إذا دعا ربه في بطن الحوت "لا إله إلّا أنت سبحٰنك إني كنت من الظّٰلمين" لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلّا استجاب الله له .

و قيل : هو "الوهّاب" لدعاء سليمان عليه الصلاة والسلام . وقيل : هو "خير الوارثين" لدعاء زكريا عليه الصلاة والسلام . و قيل : هو "حسبنا الله و نعم الوكيل" . و قيل : هو "الغفار" .

قال : و سمعت بعض العارفين يقول : إن لكل داع يدعو الله اسمًا هو بالنسبة إليه أعظم الأسماء بحسب حال من يدعو و على وفق المسئول و المطلوب بالدعاء . و هذا القول قريب المعنى . و هو قول جمهور مشايخنا الصوفية و سالكي طريق التحقيق .

قال : و سمعت الشيخ العارف محب الدين الطبري يقول : سمعت بعض العارفين يقول بمكة سنة ٦٦٦هـ : من عرف الله تعالى باسمه المؤثر في حاله و مقامه فقد عرف الاسم الأعظم المخصوص به .

و قيل : هو "القريب" . و قيل : هو "سميع الدعاء" . و قيل : هو "السميع العليم" . و العارف الموفّق يمكنه الجمع بين جميع ما ذكرنا من الأسماء في الدعاء . و متى وفّق لذلك ظفر بالسر المكنون و فتح له باب الكنز المخزون .

قال بعض العلماء : و قد جمعتُ في هذا الدعاء الأسماء المختلف فيها المتقدم ذكرها . و هي :

اللّٰهم اللّٰهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلّا أنت يا منان يا حنان يا بديع السموات و الأرض

يا ذا الجلال و الإكرام يا خير الوارثين يا أرحم الراحمين يا سميع الدعاء يا أللّٰه يا إله يا أللّٰه يا أللّٰه يا عليم يا عالم يا سميع يا عليم يا حكيم يا مالك يا ملك يا سلام يا حق يا قائم يا علي يا محيط يا حكم يا علي يا قهار يا قاهر يا رحمن يا رحيم يا حليم يا سريع يا كريم يا محصي يا معطي يا مانع يا محيي يا مقسط يا حي يا قيوم يا أحد يا صمد يا ربّ يا ربّ يا ربّ يا ربّ يا ربّ يا ربّ يا وهّاب يا غفّار يا قريب لا إله إلاّ أنت سبحانك أنت حسبي و نعم الوكيل .

و قال علي كرم الله وجهه : إذا أردت أن تدعو باسم الله الأعظم فاقرأ ست آيات من سورة الحديد و آخر سورة الحشر . فإذا فرغت من قراءتها قلت : يا من هو كذلك افعل لي كذا . فوالله لو دعا بها شقي لسعد .

و حكى الشيخ أبوالثناء محمود عن الأستاذ القشيري رحمه الله تعالى عن بعض الأولياء : اسم الله الأعظم ما دعوت به في حال تعظيمك له و انقطاع قلبك إليه . فما دعوتَ به في هذه الحالة استجيب لك بأيّ اسم دعوتَ به وفاءً بقوله تعالى : أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ . و قيل : هو اسم مخصوص يعلّمه الله من يشاء من عباده الخواص . فمن علمه لا يدعو به إلاّ في الموضع الذي يصلح .

و قال بعضهم : الاسم الذي في آل عمران : يا أللّٰه يا حي يا قيوم يا منزل التوراة و الإنجيل و القرآن العظيم يا من لا يخفى عليه شيء في الأرض لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم يا ربّ يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه يا من لا يخلف الميعاد يا من شهد لنفسه و شهدت له الملائكة و أولوا العلم قائمًا في خلقه و هو القائم بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم يا أللّٰه يا مالك الملك يا من تؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء و تعزّ من تشاء و تذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير يا من يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل و يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي و يرزق من يشاء بغير حساب .

و قيل : إن الاسم الذي دعا به آصف بن برخيا "يا إلهنا وإله كل شيء إلهًا واحدًا لا إله إلاّ أنت ائتني بعرشها" .

و قيل : إن الاسم الذي دعا به العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه لما خاض البحر صلّى ركعتين ثم

قال : يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم أجزنا .

و قال بعض الفضلاء العارفين : اعلم : أن أسرار الأولياء على ضربين :

إما انفعال بواسطة من جنّ مؤمن فهذه الدرجة للعوام .

و إمّا انفعال من الله تعالى بغير واسطة و هذه الدرجة للخواص . وهي كقوله تعالى للشيء "كُنْ" فيكون .

وكلتا الدرجتين لا يصل إليها إلّا مجتهد مخلص . فإذا وصل المجتهد إلى الدرجة الأولى لاحت له أسرار مؤمن الجن . فإيّاك أن ترضى بالدرجة الأولى . فإنها منزلة العوام من السالكين .

و اعلم : أنه لا يتأتّى الوصول إلى الدرجة الثانية إلّا بعد السلوك في الأولى . ثم لا تغتر بها . فإذا اغتررت أفسدتَّ على نفسك الحمية . و هذا كله لا يدرك إلّا باسمه تعالى "السريع" مع الجوع العظيم . و ذلك الاسم هو الاسم المكنون الذي لا يعرفه إلّا الأولياء . و قد قال عليه الصلاة والسلام : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين . الحديث . و قال عليه الصلاة والسلام : اسم الله الأعظم في ثلاث سور : سورة البقرة و آل عمران و طه .

و قال ذوالنون المصري رحمه الله تعالى : اسم الله الأعظم هو "السريع" الذي إذا دعي به أجاب . و هو من سبعة أحرف (كذا في الأصل فلينظر) .

ثم قال اليافعي : و رأيت كتاب الشيخ أبي العباس المرسي رحمه الله تعالى إلى بعض المشايخ باخميم الشيخ عبدالنور قائلاً بخطه فيه : و قد أتحفتك بالاسم الأعظم تدعو به بعد صلاة الصبح سبعين مرة . و هو أن تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم يا حي يا قيوم يا قديم يا دائم يا صمد يا ودود يا وتر يا ذا الجلال والإكرام . و هي سبعة أسماء نقلته من خط بعض العارفين وهو الشيخ أبو الحجاج المدفون بالأقصر . انتهى كلام اليافعي .

و قال العلامة الفاسي رحمه الله تعالى في شرح دلائل الخيرات عند قول المصنف "و بحق اسمك المخزون المكنون الذي سميتَ به نفسك و أنزلتَه في كتابك و استأثرتَ به في علم الغيب عندك" : الظاهر أن

المراد بالاسم المخزون الاسم المخفي من المائة المنزلة في القرآن . و هو الاسم الأعظم . و أن هذا الاسم الذي سمى به تعالى نفسه مع كونه أنزله في كتابه أخفاه و استأثر به . أي لم ينص على أنه الاسم الأعظم و لم يعينه . والله أعلم .

و قد اختلف في الاسم الأعظم ما هو ؟ فقيل : هو غير معين . بل ما دعوتَ به حال تعظيمك له و انقطاع قلبك إليه . فما دعوت به في هذه الحالة استجيب لك . لظاهر قوله تعالى "أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ" . و المشهور أنه اسم معين يعلّمه الله و يلهمه من يشاء من خواص عباده .

ثم اختلف القائلون بتعيينه بحسب النظر والأخذ بالأثر و بحسب الكشف والإلهام . فقيل : إنه "الله" . و نسبه بعضهم لأكثر أهل العلم . و قيل : إنه "هو" . و قيل : إنه "الحي القيوم" . و قيل : هو "العلي العظيم الحليم العليم" أي مجموع الأربعة . و قيل : هو "لا إله إلّا الله" أو "لا إله إلّا هو" . و قيل : الحق . و قيل : ذو الجلال و الإكرام . و قيل : لا إله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . و جاء أنه "لا إله إلّا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد" .

و جاء أيضًا أنه "اللّهم إنّي أسألك بأن لك الحمد لا إله إلّا أنت المنان أو الحنان المنان بديع السموات و الأرض يا ذا الجلال و الإكرام" . و جاء أنه في قوله : قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ . الآية . و قيل : هو "أرحم الراحمين" . و قيل : ربنا . و قيل : الوهّاب . و قيل : الغفّار . و قيل : القريب . و قيل : السميع البصير . و قيل : سميع الدعاء . و قيل : خير الوارثين . و قيل : حسبنا الله و نعم الوكيل . انتهى كلام الفاسي .

و عقد للاسم الأعظم الشيخ عمر بن سعيد الفوتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الرماح فصلًا و هو الفصل الثلاثون . نقل فيه الأقوال العشرين المتقدمة عن شرح العزيزي على الجامع الصغير . و زاد نقلًا عن سيدي عبد العزيز الدباغ أنه كمال المائة . و قال : إن كثيرًا من معانيه في الأسماء التسعة و التسعين . و عدّ من الأقوال فيه "الله حميد قهار" . و قال : إن النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختار أنه "الحي القيوم" لحديث : الاسم الأعظم في ثلاث سور : البقرة و آل عمران و طه .

و إن سيدي عبدالقادر الجيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختار أنه "الله" . قال : و هو المختار عند المعظم حتى

كاد ينعقد عليه الإجماع . و نقل عن الشيخ التيجاني رحمه الله وكان كما قيل ممن يجتمع بالنبي ﷺ يقظة أنه قال : قال لي سيد الوجود ﷺ : إن الاسم الأعظم مضروب عليه حجاب . و لا يطلع الله تعالى عليه إلاّ من اختصه بالمحبة .

و قال رحمه الله : اعلم : أن ثواب الاسم الأعظم الكبير لا شيء يعادله في الأعمال ، ثم إنه لا يناله إلاّ الفرد النادر مثل النبيين و الأقطاب . أمّا غيرهم فلا يناله منهم إلاّ الشاذ النادر . و غالب ذلك الشاذ أنه من الصديقين . و ربما ناله بعض الأولياء ممن لم يبلغ مرتبة الصديقين . انتهى .

قال الشيخ عمر المذكور : ومما يدلك على أن عليه حجابا مضروبا كثرة اختلاف العلماء في وجوده و في تعيينه حتى صار ذلك الاختلاف سببًا في عدم معرفته . لأن كثرة الاختلاف في الشيء تزيده غموضا . انتهى .

قال الدميري رحمه الله في حياة الحيوان الكبرى : قال ابن عدي : حدثنا عبد الرحمن القرشي قال حدثنا محمد بن زياد بن معروف قال حدثنا جعفر بن حسن عن أبيه قال حدثني ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : سألت الله الاسم الأعظم . فجاءني جبريل عليه الصلاة والسلام به مخزونا مختومًا . إلى أن قال : قالت عائشة رضي الله عنها : بأبي أنت و أمي يا نبي الله ! علّمنيه . فقال ﷺ : يا عائشة ! نهينا عن تعليمه النساء و الصبيان و السفهاء . انتهى .

و روى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اللّهم إنّي أسألك باسمك الطاهر المبارك الأحبّ إليك الذي إذا دعيت به أجبت و إذا سئلت به أعطيت و إذا استرحمت به رحمت و إذا استفرجت به فرّجت . قالت : فقال ذات يوم : يا عائشة ! هل علمت أن الله قد دلّني على الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب . قالت : فقلت : يا رسول الله ! بأبي أنت و أمي علّمنيه .

فقال : إنه لا ينبغي لك يا عائشة . قالت : فتنحّيت و جلست ساعة ثم قمت فقبّلت رأسه ثم قلت : يا رسول الله ! علّمنيه . قال : إنه لا ينبغي لك يا عائشة أن أعلّمك . إنه لا ينبغي لك أن تسألي به شيئا للدنيا . انتهى . هذا .

فصل
في تفصيل الأقوال في تعيين الاسم الأعظم

نتوخّى في هذا الفصل العود إلى تفصيل الأقاويل في الاسم الأعظم . و العود أحمد . و نريد بسط الكلام فيما هو حق و باطل ، وفيما هو صحيح و سقيم . و البسط أنفع و أعضد . و نتيمّم فيه استنباط فوائد هي ألذّ من المنٰى الماجدة ، و استخراج بدائع هي أحسن من الغنيمة الباردة . فأقول و بالله التوفيق و بيده أزمّة التحقيق و التدقيق :

القول الأوّل : أنكر جمع من الأئمة وجود الاسم الأعظم بمعنى اسم التفضيل . منهم الطبري و أبوالحسن الأشعري رحمهما الله تعالى .

و عزي إلى أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى كما قال في الفتوحات ج٢ ص٦٤١ : إن بعض الشيوخ و هو أبو يزيد البسطامي سأله بعض الناس عن اسم الله الأعظم . فقال : أروني الأصغر حتى أريكم الأعظم . أسماء الله تعالى كلها عظيمة . فاصدق و خذ أيَّ اسم إلٰهيّ شئت . انتهى .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في الدر المنظم في الاسم الأعظم ج١ ص٣٩٤ من الحاوي للفتاوى : و نحوه قول مالك رحمه الله تعالى فقد حكي عنه أنه كان لا يجوّز تفضيل بعض الأسماء على بعض . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : هذا القول ضعيف عندي من وجوه كثيرة :

منها : أنه متفرع على التأويل و المجاز ، و أخذ أعظم بمعنى عظيم . و العمل بالحقيقة و الاحتراز عن التأويل مهما أمكن أولى .

و منها : أنه لا مبنٰى له في الكتاب و السنة يؤيّده .

و منها : أن حديث التفاضل في الأمور الشرعية مسلّم لا منكر له .

ألا ترٰى إلى أن الصلاة أفضل العبادات و أركانها كلها عظيمة و ذات فضل . و مع هذا اختلفوا في أن تطويل القيام أفضل من تكثير السجود أو بالعكس .

و ألا ترٰى إلى أن الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام أفضل خلق الله تعالى . و قد قال الله تعالى : تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ .

و ألا ترٰى إلى القرآن المجيد ، و في الحديث : يسٓ قلبه ، و قل هو الله ثلثه ، و الفاتحة أمّ القرآن وجامع لجميع معانيه و مضامينه .

و ألا ترٰى إلى الأمة و الصحابة فأفضلهم أبوبكر و أمينهم أبوعبيدة و أحياهم عثمان رضي الله عنهم .

و ألا ترٰى إلى صنف النساء ، فلم يكمل فيهنّ إلّا أربع . و سيدتهنّ في الجنة فاطمة .

و ألا ترٰى إلى الجنان ، فأحسنها و أوسطها جنة الفردوس .

و ألا ترٰى إلى أسماء الله الحسنى ، فالجلالة أجمعها و أخصّ بالله تعالى لكونها عَلَمًا .

و ألا ترٰى إلى أعضاء الإنسان ، فأفضلها القلب ، إن صلح صلح البدن كله و إن فسد فسد .

القول الثاني : أن الله تعالى أخفٰى الاسم الأعظم عن العقول تبجيلًا لمقامه و تنويهًا بشانه .

قال السيوطي في الدر المنظم : القول الثاني : أنه مما استأثر الله بعلمه و لم يطّلع عليه أحدًا من خلقه كما قيل بذلك في ليلة القدر و في ساعة الإجابة و في الصلاة الوسطى . انتهى كلامه .

و في الروض الأنف ج١ ص٣٢ : فإن قلت : فأين هو أي الاسم الأعظم في القرآن ؟ فقد قيل : إنه أخفي فيه كما أخفيت الساعة في يوم الجمعة و ليلة القدر في رمضان ليجتهد الناس ولا يتّكلوا . انتهى كلامه .

و حكي عن بعض المشايخ وكان مشهورًا بالمقامات العالية قال : قال لي النبي ﷺ أي في المنام أو في المراقبة و نحو ذلك : إن الاسم الأعظم مضروب عليه حجاب . ولا يطلع الله تعالى عليه إلّا من اختصه بالمحبة . و لو عرفه الناس لاشتغلوا به و تركوا غيره . و من عرفه و ترك القرآن و الصلاة عليّ لما يرى فيه من كثرة الفضل فإنه يخاف على نفسه . انتهى .

قال الشيخ عمر بن سعيد الفوتي في كتاب الرماح بعد ذكر الحكاية المذكورة : فاعلم : أن الاسم الأعظم لا يصلح للدنيا و لا لطالبها . و من عرفه و صرفه لطلب الدنيا خسر الدنيا و الآخرة . انتهى .

قلت : فلا يطلع على الاسم الأعظم إلّا من طريق الكشف و الإلهام . ولا يصلح له إلّا الأمين التامّ الأمانة المتخلّق بأخلاق الله تعالى الزاهد في الدنيا الذي لا يهمّه إلّا همّ واحد همّ الآخرة كيلا يصرفه في أمر الدنيا الفانية فيحرم سعادة الدارين .

و لذا كان الأولياء العالمون بالاسم الأعظم يخفونه عن أصحابهم و لا يطلعون أحدًا منهم به إلّا من هو أهل له خشية صرفه في غير موضعه . كما حكي عن ذي النون قدس الله سره أنه أبى أن يطلع بالاسم الأعظم بعض خواصه و خدّامه بعد ما علم خيانته .

و في الروض ص٢٤٠ : حكي أنه جاء بعض الفقراء إلى بعض الشيوخ الذين يعرفون الاسم الأعظم فقال له : علّمني الاسم الأعظم . قال : و هل فيك أهلية لذلك ؟ قال : نعم . قال : اذهب إلى باب البلد و اجلس هناك . فما جرى من شيء هناك أعلمني به . فخرج إلى حيث أمره . و إذا بشيخ حطّاب قد أقبل و معه حمار عليه حطب . فتعرّض له جنديّ فأخذ حطبه و ضربه .

فرجع الفقير إلى الشيخ و هو حزين . فأخبره بالقصّة . فقال له الشيخ : لو كنت تعرف الاسم الأعظم ما كنت تصنع بالجندي ؟ قال : كنت أدعو عليه بالهلاك . قال : فذلك الشيخ الحطّاب هو الذي علّمني الاسم الأعظم .

قلت : مفاد هذه القصّة أنه لا يصلح الاسم الأعظم إلّا لمن هو متصف بهذه الصفة أعني الصبر و الحلم و الرحمة للخلق و سائر الصفات المحمودة التي تخلّق بها أهل الاصطفاء رضي الله عنهم . انتهى .

و مثل هذه القصّة المذكورة قصة ذي النون و ابن الحسين رحمهما الله تعالى و قد ذكرها غير واحد من العلماء .

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتاب الأذكياء ص٨٤ : حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : قيل لي : إن ذا النون يعرف اسم الله الأعظم . فدخلت مصر و خدمته سنة ثم قلت : يا أستاذي ! إني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك . و قيل لي : إنك تعرف اسم الله الأعظم . وقد عرفتني ولا تجد له موضعًا مثلي . فأحب أن تعلّمني إياه . قال : فسكت عني ذوالنون و لم يجبني . و كأنه أومأ إلى أنه يخبرني .

قال : فتركني بعد ذلك ستة أشهر . ثم أخرج لي من بيته طبقًا بمكبّة مشدودًا في منديل . و كان ذوالنون يسكن الجيزة . فقال : تعرف فلانًا صديقنا من الفسطاط ؟ قلت : نعم . قال : فأحب أن تؤدّي هذا إليه .

قال : فأخذت الطبق و هو مشدود و جعلت أمشي طول الطريق و أنا متفكر فيه . مثل ذي النون يوجّه إلى فلان بهدية ترى أيّ شيء هي . فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر . فحللت المنديل و رفعت المكبة فإذا فارة قفزت من الطبق و مرت .

قال : فاغتظت غيظًا شديدًا و قلت : ذوالنون يسخر بي و يوجّه مع مثلي فارة . فرجعت على ذلك الغيظ . فلمّا أن رآني عرف ما في وجهي فقال : يا أحمق ! إنما جرّبناك . ائتمنتك على فارة فخنتَني . أفأئتمنك على اسم الله الأعظم . مر عنّي فلا أراك . انتهى .

و قال الحافظ أبوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي رحمه الله في تاريخ بغداد ج١٤ ص٣١٦ في ترجمة يوسف بن الحسين بن علي أبي يعقوب الرازي رحمه الله من مشايخ الصوفية . قال الخطيب : أخبرنا أبوالحسين محمد بن عبد الله بن جعفر قال : سمعت يوسف بن الحسين الرازي الصوفي يقول : قيل لي : إن ذا النون المصري يعرف اسم الله الأعظم . فدخلت مصر فذهبت إليه . فبصرني و أنا طويل اللحية و معي ركوة طويلة . فاستشنع منظري و لم يلتفت إليّ .

قال محمد بن عبد الله : و كان يوسف يقال : إنه أعلم أهل زمانه بالكلام و علم الصوفية .

فلمّا كان بعد أيام جاء إلى ذي النون رجل صاحب كلام فناظر ذا النون . فلم يقم ذوالنون بالحجج عليه . قال يوسف : فاجتذبته إليّ و ناظرته فقطعته .

فعرف ذوالنون مكاني . فقام إليّ و عانقني . و جلس بين يديّ و هو شيخ و أنا شابّ . و قال : اعذرني فلم أعرفك . فعذرته و خدمته سنة واحدة . فلمّا كان على رأس سنة قلت له : يا أستاذ ! إني قد خدمتك و قد وجب حقي عليك . و قيل لي : إنك تعرف اسم الله الأعظم . ثم ذكر القصة المتقدمة عن آخرها .

فائدة

كان يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى هذا من أكابر المشايخ صاحب كرامات و أحوال و مقامات .

حكى أبونصر السراج عن أبي الحسين الدراج قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد . فلمّا دخلت الري سألت عن منزله . فكل من أسأل عنه يقول : أيش تفعل بذاك الزنديق ؟ فضيّقوا صدري حتى عزمت على الانصراف . فبتُّ تلك الليلة في مسجد .

ثم قلت : جئت هذا البلد فلا أقل من زيارة . فلم أزل أسأل عنه حتى وقعت إلى مسجده و هو قاعد في المحراب و بين يديه رحل عليه مصحف يقرأ . و إذا هو شيخ بهيّ حسن الوجه و اللحية . فدنوت و سلمت . فردّ السلام .

و قال : من أين ؟ قلت : من بغداد . قصدت زيارة الشيخ . فقال : لو أن في بعض البلدان قال لك إنسان : أقم عندي حتى أشتري لك دارًا و جارية أكان يمنعك عن زيارتي ؟ فقلت : يا سيدي ! ما امتحنني الله بشيء من ذاك . ولو كان لا أدري كيف كنت أكون ؟ فقال : أتحسن أن تقول شيئًا ؟ فقلت : نعم . و قلت :

رأيتك تبني دائبًا في قطيعتي ولو كنتَ ذاحزم لهدمتَ ما تبني
كأنّي بكُمْ واللَّيتُ أفضلُ قولِكم ألا ليتَنا كنّا إذا الليتُ لا تُغني

فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلّ لحيته و ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه . ثم قال لي : يا بنيّ ! تلوم أهل الريّ على قولهم "يوسف بن الحسين زنديق" و من وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن لم يقطر من عيني قطرة . و قد قامت عليّ القيامة بهذا البيت .

و **حكى** عبد الله بن عطاء يقول : كان مرحوم الرازي يتكلم في يوسف بن الحسين . فاتبعته ليلة و هو يبكي . فقيل له : ما لك ؟ قال : رأيت كتابًا نزل من السماء . فلمّا قرب من الخلق إذا فيه مكتوب بخط جليل : هذه براءة ليوسف بن الحسين مما قيل فيه . فجاء إليه و اعتذر .

و لمّا مات يوسف رؤي في المنام . فقيل له : ما ذا فعل الله بك ؟ قال : غفر لي و رحمني .

فقيل : بما ذا ؟ قال : بكلمة أو بكلمات قلتها عند الموت . قلت أي عند الموت : اللّٰهم إني نصحتُ الناس قولاً و خنت نفسي فعلاً . فهب خيانة فعلي لنصيحة قولي . كذا في تاريخ بغداد .

القول الثالث : رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ . كذا في الدر المنثور شرح الأسماء الحسنى ص٥ .

القول الرابع : أنه "هو" . قال السيوطي رحمه الله تعالى في الدر ص٣٩٥ و الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح ج١١ ص١٨٩ : نقل الفخر الرازي رحمه الله تعالى عن بعض أهل الكشف أنه "هو" و احتج له بأن من أراد أن يعبر عن كلام معظم بحضرته لم يقل له : أنت قلت كذا . و إنما يقول : هو . تأدّبًا معه . انتهى .

قلت : قال الشيخ عبد الكريم رحمه الله تعالى في كتابه الإنسان الكامل ص٥٨ : فاسم "هو" أفضل الأسماء . اجتمعتُ ببعض أهل الله بمكة زادها الله تعالى شرفًا في آخر سنة تسع و تسعين و سبعمائة فذاكرني في الاسم الأعظم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنه في آخر سورة البقرة و أوّل آل عمران . و قال : إنها كلمة "هو". و إن ذلك مستفاد من ظاهر كلام النبي صلى الله عليه وسلم . لأن الهاء آخر قوله سورة البقرة . و الواو أوّل قوله . و أول آل عمران .

و هذا الكلام و إن كان مقبولاً فإنّي أجد للاسم الأعظم رائحة أخرٰى . و ما أوردت ما قاله هذا العارف إلّا تنبيها على شرف هذا الاسم و كون الإشارة النبوية وقعت عليه من الجهة المذكورة و أنه أعظم الأسماء .

و قال هذا الشيخ أعني عبد الكريم قبيل هذه العبارة : و اعلم : أن هذا الاسم أخص من اسمه "اللّٰه" و هو سرّ للاسم الله . ألا ترى أن اسم "اللّٰه" ما دام هذا الاسم موجودًا فيه كان له معنى يرجع به إلى الحق . و إذا فكّ عنه بقيت أحرفه غير مفيدة للمعنى .

مثلاً إذا حذفت الألف من اسم "اللّٰه" بقي "للّٰه" ففيه الفائدة . و إذا حذفت اللام الأولى يبقى "له" و فيه فائدة . و إذا حذفت اللام الثانية يبقى "ه" و الأصل في "هو" أنها هاء واحدة بلا واو . و ما لحقت بها واو إلّا من قبيل الإشباع و الاستمرار العادي جعلهما شيئا واحدًا . فاسم "هو" أفضل الأسماء . انتهى بحروفه .

القول الخامس : أنه "بسم الله الرحمن الرحيم" . حكاه بعض العلماء كما في كتاب الداء والدواء ص١٤ عن الإمام الشعبي رحمه الله .

قلت : و يستأنس لهذا ببعض الآثار . فأخرج أبونعيم و الديلمي عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمّا نزلت "بسم الله الرحمن الرحيم" ضجّت الجبال حتى سمع أهل مكة دويّها . فقالوا : سحر محمد الجبال . فبعث الله دخانا حتى أظـلّ على أهل مكة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ "بسم الله الرحمن الرحيم" موقنًا سبحت معه الجبال إلّا أنه لا يسمع ذلك منها .

و أخرج أبوالشيخ في العظمة عن صفوان بن سليم قال : الجنّ يستمتعون بمتاع الإنس و ثيابهم . فمن أخذ منكم ثوبًا أو وضعه فليقل : بسم الله . فإن اسم الله طابع .

و أخرج الديلمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ "بسم الله الرحمن الرحيم" كتب له بكل حرف أربعة آلاف حسنة و محي عنه أربعة آلاف سيئة و رفع له أربعة آلاف درجة . كذا في الدرالمنثور للسيوطي ج١ ص١٠ .

و أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره و الحاكم في المستدرك و صححه و البيهقي في شعب الإيمان و أبوذر الهروي في فضائله والخطيب في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن عثمان رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن "بسم الله الرحمن الرحيم" . فقال : هو اسم من أسماء الله تعالى . و ما بينه و بين اسم الله الأكبر إلّا كما بين سواد العين و بياضها من القرب . و لعلّ لهذا السرّ أمرنا بقراءتها في بدء كل ذي بال .

و أخرج ابن مردويه و الثعلبي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : لما نزلت "بسم الله الرحمن الرحيم" هرب الغيم إلى المشرق و سكنت الريح و هاج البحر و أصغت البهائم بآذانها و رجمت الشياطين من السماء و حلف الله بعزّته و جلاله أن لا يسمّى على شيء إلّا بارك فيه .

و في الرسالة القشيرية ص١٩ في أحوال الشيخ أبي السري منصور بن عمار من أهل مرو العارف الكبير صاحب الكرامات رحمه الله : قيل : سبب توبة ابن عمار أنه وجد في الطريق رقعةً مكتوبًا عليها "بسم الله الرحمن الرحيم" فرفعها فلم يجد لها موضعا فأكلها . فرأى في المنام كأن قائلاً قال له : فتح الله عليك باب الحكمة باحترامك لتلك الرقعة . انتهى كلامه .

القول السادس : قولنا "الله الرحمن الرحيم" . كذا في الفتح .

قلت : و لعل مستنده ما أخرجه ابن ماجه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها سألت النبي ﷺ أن يعلّمها الاسم الأعظم فلم يفعل . فصلّت و دعت :

اللّهم إني أدعوك الله و أدعوك الرحمن و أدعوك الرحيم و أدعوك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم . الحديث . وفيه : أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال لها : إنه لفي الأسماء التي دعوت بها . قال : وسنده ضعيف و في الاستدلال به نظر . انتهى .

و في الدر المنظم : قلت : أقوى منه في الاستدلال ما أخرجه الحاكم في المستدرك و صححه عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سأل رسول الله ﷺ . فذكر الحديث المتقدم ذكره في القول الخامس . ثم قال : و في مسند الفردوس للديلمي من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا : اسم الله الأعظم في ستّ آيات من آخر سورة الحشر . انتهى .

القول السابع : ما قيل : إنه الدعاء المبارك المنقول عن بعض الأولياء . فروى الدينوري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أن رجلًا من الصالحين دخل قرية من القرى عند المساء و قال لأهلها : من يبيتني الليلة عنده و أجره على الله . فلم يلتفت إليه أحد منهم . قال : فبينما الرجل واقف و إذا هو برجل أعمى متعدٍ كان من تلك القرية . فسمع الرجل و هو يقول : يا من يأويني عنده في هذه الليلة إلى الليل و أجره على الله .

فقال الرجل الأعمى : أنا . ثم أخذ الأعمى بيد ذلك الرجل الفقير و أتى به إلى منزله و أضافه تلك الليلة . فلمّا كان نصف الليلة قام الأعمى ليقضي حاجته . و إذا به سمع ذلك الرجل الفقير يناجي ربه و يدعو بهذا الدعاء الآتي ذكره .

فألهم الله إلى ذلك الأعمى أن يحفظ ذلك الدعاء . فتوضأ و صلّى ركعات . ثم دعا الله تعالى بذلك الدعاء . فما أصبح الصباح إلاّ ردّ الله عليه بصره . فطلب الأعمى ذلك الفقير فلم يجده . فعلم أنه من أولياء الله . و هو هذا الدعاء المبارك :

اللّهم ربّ الأرواح الفانية و الأجساد البالية أسألك بطاعة الأرواح الراجعة إلى أجسادها الملتئمة بعروقها وبطاعة القبور المشققة عن أهلها ودعوتك الصادقة فيهم وأخذك الحق منهم وقيام الخلق

كلهم من مخافتك و شدّة سلطانك ينتظرون قضاءك و يخافون عذابك أسألك أن تجعل النور في بصري والإخلاص في عملي والشكر في قلبي و ذكرك في لساني بالليل و النهار ما أبقيتني يا رب العالمين و لا حول و لا قوة إلّا بالله العلي العظيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه وسلم تسليما كثيرًا آمين . انتهى .

القول الثامن : أنه في ستّ آيات من آخر سورة الحشر كما روينا مرفوعًا في القول المتقدم . و روي هذا الأثر في ذيل الجامع الصغير أيضًا .

القول التاسع : أنه "الحي القيوم" أو "يا حي يا قيوم" لقوله ﷺ كما في الجامع الصغير : اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن : في البقرة و آل عمران و طه . أخرجه ابن ماجه و الحاكم و الطبراني عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

قال المناوي رحمه الله تعالى في شرحه الكبير على الجامع : و فيه هشام بن عمار مختلف فيه . و قال في المختصر : و إسناده حسن . و قيل : صحيح .

قال أبو أمامة رضي الله عنه : فالتمستُها فوجدت في البقرة في آية الكرسي "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ" و في آل عمران "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ" و في طه "وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ" . انتهى . و القدر المشترك في الثلاثة اسمان و هما "الحي القيوم" .

و أخرج الحافظ البيهقي في الأسماء و الصفات ص١٩ بسنده عن أبي الحسين علي بن محمد بن بشران عن أبي الحسين علي محمد بن أحمد عن عبد الله بن أبي مريم عن عمر بن أبي سلمة عن عبد الله بن العلاء بن زبر قال : سمعت القاسم أبا عبدالرحمن يقول : إن اسم الله الأعظم في سور من القرآن ثلاث : البقرة و آل عمران و طه .

فقال رجل يقال له عيسى بن موسى لأبي زبر : و أنا أسمع يا أبا زبر . سمعت غيلان بن أنس يحدث قال : سمعت القاسم أبا عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : إن اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن ثلاث : البقرة و آل عمران و طه .

قال أبوحفص عمر بن أبي سلمة رحمه الله تعالى : فنظرت أنا في هذه السور فرأيت فيها شيئًا ليس في شيء من القرآن مثله ، آية الكرسي "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ" وفي آل عمران "الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ " و في طه "وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ " .

و يستأنس لتايید هذا القول بما أخرج البيهقي أيضًا بسنده عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا في الحلقة ورجل قائم يصلي . فلمّا ركع وسجد وتشهد و دعا فقال في دعائه : اللّٰهم إني أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلاّ أنت المنّان بديع السموات و الأرض يا ذا الجلال و الإكرام يا حيّ يا قيّوم إني أسألك . فقال النبي ﷺ : لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى . و رواه أبوداود السجستاني في كتاب السنن .

فقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "لقد دعا الله باسمه العظيم" إلخ ، يمكن أن يكون مشيرًا إلى "يا حيُّ يا قيّوم" المذكورين في هذا الحديث .

قال الحليمي : و إنما يقال ذلك ، لأن الفعل على سبيل الاختيار لا يوجد إلاّ من حيّ . و أفعال الله تعالى كلها صادرة عنه باختياره . فإذا أثبتناها له فقد أثبتنا أنه حي . قال أبوسليمان : "الحيّ" في صفة الله سبحانه هو الذي لم يزل موجودًا و بالحياة موصوفًا لم تحدث له الحياة بعد موت . ولا يعترضه الموت بعد الحياة . و سائر الأحياء يعتورهم الموت و العدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معًا . كل شيء هالك إلاّ وجهه . انتهى .

و أخرج البيهقي أيضا في كتاب الأسماء ص١١٢ بسنده عن زيد مولى رسول الله ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : من استغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم غفر له و إن كان فر من الزحف .

و أخرج أيضًا فيه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : قال رسول الله ﷺ لفاطمة : ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت و إذا أمسيت : يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شاني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين .

و أخرج أيضًا عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : من قال حين يأوي إلى فراشه "أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم و أتوب إليه" كفّر الله ذنوبه و إن كانت مثل زبد البحر .

و أخرج أيضًا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : إن النبي ﷺ كان إذا نزل به كرب قال : يا حي

يا قيوم برحمتك أستغيث .

و أخرج أيضًا عن الضحاك قال : دعا موسى عليه الصلاة والسلام حين توجه إلى فرعون و دعا رسول الله ﷺ يوم حنين و دعا : لكل مكروب كنت وتكون وأنت حي لا تموت ، تنام العيون و تنكدر النجوم و أنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم يا حي يا قيوم .

و أخرج أيضًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان من دعاء النبي ﷺ يا حيّ يا قيوم . فهذا ما رواه البيهقي .

قال في مطالع المسرات شرح دلائل الخيرات ص٣٦٥ في بيان الاسم الأعظم : و الثاني " الحيّ القيوم " . و اختاره النووي تبعًا لجماعة أنه الاسم الأعظم . و تدل له الأحاديث . و الثالث "ذوالجلال و الإكرام" . و تشهد له الأحاديث أيضًا . انتهى .

و في المنازل : و إنما تستبصر العبرة بثلاثة أشياء : بحياة العقل و معرفة الأيام و السلامة من الأغراض . انتهى .

قال الشيخ ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين ج١ ص٤٤٨ شارحًا لهذا الكلام المذكور في كتاب المنازل : و من تجريبات السالكين التي جرّبوها فألفوها صحيحة أن من أدمن "يا حي يا قيوم لا إله إلّا أنت" أورثه ذلك حياة القلب و العقل .

و قال أيضًا : و حياة العقـل هي صحة الإدراك و قوة الفهم وجودته و تحقق الانتفاع بالشيء و التضرّر به . وهو نور يخص الله به من يشاء من خلقه . وبحسب تفاوت الناس في قوة ذلك النور و ضعفه و وجوده و عدمه يقع تفاوت أذهانهم و أفهامهم و إدراكاتهم . و نسبته إلى القلب كنسبة النور الباصر إلى العين .

ثم قال : وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه شديد اللهج بهما جدًّا . و قال لي يومًا : لهذين الاسمين و هما "الحيّ القيوم" تاثير عظيم في حياة القلب . وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم . و سمعته يقول : من واظب أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر و صلاة الفجر على "يا حي يا قيوم لا إله إلّا أنت برحمتك أستغيث" حصلت له حياة القلب و لم يمت قلبه .

و مَن علم عبوديات الأسماء الحسنى و الدعاء بها و سر ارتباطها بالخلق و الأمر و بمطالب العبد و حاجاته عرف ذلك و تحقّق . فإن كل مطلوب يسأل بالمناسب له . فتأمل أدعية القرآن و الأحاديث النبوية تجدها كذلك . انتهى .

و لذا يوصي مشايخ السلوك مريديهم أن يواظبوا عند ضيق النفس و شدة الغم و قلة ركون النفس إلى ذكر الله تعالى بذكر "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" فإنه نافع جدًّا مجرب . لاسيما في السجدة .

كما أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل به همّ أو غمّ قال : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث . قال الحاكم : صحيح الإسناد . و أخرجه الترمذي من حديث أنس والنسائي من حديث ربيعة بن عامر .

وأخرج النسائي و الحاكم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لمّا كان يوم بدر قاتلت شيئًا من قتال . ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر ما صنع . فجئت و إذا هو ساجد يقول : يا حيّ يا قيوم . ثم رجعت إلى القتال . ثم جئت فإذا هو ساجد يقول ذلك . ففتح الله تعالى . قال الحاكم : صحيح الإسناد .

و في الدر المنثور في شرح الأسماء الحسنى ص٦٢ للشيخ عبدالعزيز يحي رحمه الله تعالى : قال الشيخ السهروردي رحمه الله تعالى : من قرأ "يا قيوم" عندما يأوي إلى بيته فإنه يأمن من التعرّض . و إذا قرأه البليد كل يوم ست عشرة مرة في مكان خال فإن الله تعالى يؤمنه من عوارض النسيان فيقوي حفظه و ينوّر قلبه .

ويقال : إن بني إسرائيل سألوا موسى عليه الصلاة والسلام حين دخلوا البحر عن اسم الله الأعظم . فقال : قولوا "أهيا" يعني يا حيّ ، "شراهيا" يعني يا قيوم . فقالوا ذلك فنجوا من الغرق . فإذا دعا به أحد في البحر نجّاه الله من الغرق . انتهى .

و في رسالة الإمام القشيري ص١٩٤ : قال الكتاني : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت : ادع الله أن لا يميت قلبي . فقال : قل كل يوم أربعين مرة "يا حي يا قيوم لا إله إلاّ أنت" فإن الله يحيي قلبك .

انتهى .

و في جامع الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر قال : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث .

و فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أهمّه الأمر رفع طرفه إلى السماء فقال : سبحان الله العظيم . و إذا اجتهد في الدعاء قال : يا حي يا قيوم .

قال الشيخ الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب الطب النبوي ص١٥٩ : وفي تاثير قوله عليه الصلاة والسلام "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" في دفع هذا الداء مناسبة بديعة . فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها . و صفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال . و لهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى هو اسم "الحي القيوم" .

و الحياة التامة تضاد جميع الأسقام و الآلام . و لهذا لمّا كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم همّ ولا غمّ ولا حزن ولا شيء من الآفات . و نقصان الحياة يضرّ بالأفعال و ينافي القيومية .

فكمال القيّوميّة لكمال الحياة . فالحيّ المطلق التام لا يفوته صفة الكمال ألبتة . و القيوم لا يتعذّر عليه فعل ممكن ألبتة . فالتوسُّل بصفة الحياة و القيومية له تأثير في إزالة ما يضادّ الحياة و يضرّ بالأفعال .

و نظير هذا توسُّل النبي ﷺ إلى ربّه تعالى بربوبيته لجبريل و ميكائيل و إسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه . فإن حياة القلب بالهداية . و قد وكّل الله سبحانه هؤلاء الأملاك الثلاثة بالحياة .

فجبريل موكل بالوحي الذي هو حياة القلوب ، و ميكائيل بالقطر الذي هو حياة الأبدان و الحيوان ، و إسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم و عود الأرواح إلى أجسادها . فالتوسل إليه سبحانه بربوبيته هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة له تاثير في حصول المطلوب .

و المقصود أن لاسم "الحيّ القيّوم" تاثيرًا خاصًّا في إجابة الدعوات و كشف الكربات . و في السنن و صحيح أبي حاتم مرفوعًا : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا

هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ " وفاتحة آل عمران "الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ " . قال الترمذي : حديث صحيح . و لهذا كان النبي ﷺ إذا اجتهد في الدعاء قال : يا حي يا قيوم . انتهى .

و اعترض الفخر الرازي رحمه الله على من قال : إن الاسم الأعظم "الحي القيوم" . حيث قال في تفسيره ج١ ص٦٣ : و عندي أنه ضعيف . و ذلك لأن "الحيّ" هو الدرّاك الفعّال . و هذا ليس فيه كثرة عظمة لأنه صفة . و أمّا "القيّوم" فهو مبالغة في القيام . و معناه كونه قائمًا بنفسه مقوّما لغيره . فكونه قائمًا بنفسه مفهوم سلبي و هو استغناؤه عن غيره . و كونه مقوِّمًا لغيره صفة إضافية . فالقيّوم لفظ دال على مجموع سلب و إضافة . فلا يكون ذلك عبارة عن الاسم الأعظم . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : و الجواب عندي عن اعتراض الفخر الرازي رحمه الله من وجوه متعددة :

الوجه الأوّل : قد ثبت في نصوص عديدة الإشارة إلى كون "الحي القيوم" اسمًا أعظم . فردّها بمثل هذا البحث العقلي مما لا ينبغي .

الوجه الثاني : لا يصح قول الرازي في الحي "و هذا ليس فيه كثرة عظمة" كيف و قد صرح كثير من المتكلمين و منهم الرازي أن الصفة الحقيقية إنما هي الحياة و أنها مدار الكمالات و مناطها .

قال الفخر الرازي في تفسيره ج١ ص٧٣ بعد البحث على صفات الله الحقيقية و غيرها : أمّا الصفة الحقيقية العارية عن النسبة و الإضافات في حق الله تعالى فليست إلّا صفة الحياة . فلنبحث عن هذه الصفة فنقول :

قالت الفلاسفة : "الحيّ" هي الدرّاك الفعّال . و قال المتكلمون : إنها صفة باعتبارها يصح أن يكون عالمًا قادرًا . و قال قوم ثالث : معنى كونه حيًّا أنه لا يمتنع أن يقدر و يعلم . انتهى باختصار .

الوجه الثالث : القيومية صفة متضمنة لجميع صفات الأفعال كما صرح به ابن القيم . ففيها الدلالة على الجامعية المناسبة للاسم الأعظم . و استلزامها السلب و الإضافة لا يضرّ . و بالجملة : الحياة التامة و القيومية من أخص صفات الله تعالى .

أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم عن الربيع في قوله "الحي" قال : حي لا يموت . "القيوم" قيم على

كل شيء يكلؤه و يرزقه و يحفظه .

و أخرج البيهقي في الأسماء و الصفات عن مجاهد في "القيوم" قال : القائم على كل شيء . و أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال : "القيوم" الذي لا زوال له . و أخرج ابن الأنباري في المصاحف عن قتادة قال : "الحي" الذي لا يموت و "القيوم" القائم الذي لا بديل له .

الوجه الرابع : أثبت الفخر الرازي نفسه في تفسير آية الكرسي أنه الاسم الأعظم . و هذا تضادّ بين كلاميه . فنقض هناك ما اعترض به أوّلاً .

قال في تفسيره ج٢ ص٣٢٤ بعد بحث مطنب : فأنت إن ساعدك التوفيق و تأملت في هذه المعاقد التي ذكرناها علمت أنه لا سبيل إلى الإحاطة بشيء من المسائل المتعلقة بالعلم الإلهي إلّا بواسطة كونه تعالى حيًّا قيومًا . فلاجرم لا يبعد أن يكون الاسم الأعظم هو هذا .

و أمّا سائر الآيات كقوله "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" و قوله "شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" ففيه بيان التوحيد بمعنى نفي الضد و الند . وأمّا قوله "قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ" ففيه بيان التوحيد بمعنى نفي الضد و الند و بمعنى أن حقيقته غير مركبة من الأجزاء . و أمّا قوله "إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ" ففيه بيان صفة الربوبية و ليس فيه بيان وحدة الحقيقة .

أمّا قوله "الحي القيوم" فإنه يدل على الكل . لأن كونه تعالى "قيوما" يقتضي أن يكون قائما بذاته و أن يكون مقوّما لغيره . و كونه قائما بذاته يقتضي الوحدة بمعنى نفي الكثرة في حقيقته . و ذلك يقتضي الوحدة بمعنى نفي الضد و الند . و يقتضي نفي التحيز و بواسطته يقتضي نفي الجهة .

و أيضًا كونه "قيومًا" بمعنى كونه مقوّما لغيره يقتضي حدوث كل ما سواه ، و يقتضي استناد الكل إليه تعالى و انتهاء جملة الأسباب و المسببات إليه . و ذلك يوجب القول بالقضاء و القدر .

فظهر أن هذين اللفظين كالمحيطين بجميع مباحث العلم الإلهي . فلا جرم بلغت هذه الآية أي آية الكرسي في الشرف إلى المقصد الأقصى . و استوجب أن يكون هو الاسم الأعظم من أسماء الله تعالى . انتهى كلام الفخر الرازي .

القول العاشر : ذوالجلال و الإكرام . و في الحديث الصحيح المرفوع : ألظّوا بيا ذا الجلال

و الإكرام .

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في تفسيره ج١ ص٦٣ : و هذا عندي ضعيف . لأن الجلال إشارة إلى الصفات السلبية ، و الإكرام إشارة إلى الصفات الإضافية . و قد عرفت أن حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب و الإضافات . انتهى .

و في الفتح لابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ج١٣ ص٤٨٢ عند ذكر الأقوال في الاسم الأعظم : الثامن : ذوالجلال والإكرام . أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : يا ذا الجلال و الإكرام . فقال : قد استجيب لك فسل .

و احتج له الفخر الرازي بأنه يشمل جميع الصفات المعتبرة في الإلٰهية . لأن في الجلال إشارة إلى جميع السلوب ، و في الإكرام إشارة إلى جميع الإضافات . انتهى .

قال العبد الضعيف البازي : قد علمت من عبارة الفخر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ المتقدّمة أن الفخر الرازي ردّ هذا القول .

القول الحادي عشر : "اللّٰهم". قال ابن مظفر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ : قيل : إنها الاسم الأعظم . و استدل لذلك بأن "الله" دال على الذات و الميم دالة على الصفات التسعة و التسعين . و لهذا قال أبو الحسن البصري : اللّٰهم تجمع . و قال النضر بن شميل : من قال "اللّٰهم" فقد دعا الله بجميع أسمائه . انتهى . كذا في الإتقان ص١٥٣ . و حكاه الزركشي في شرح جمع الجوامع . و قال أبو رجاء العطاردي : الميم فيها تجمع سبعين اسمًا من أسمائه .

قال العبد الضعيف الروحاني : لا يبعد أن يستأنس لهذا القول بما أخرج ابن مردويه عن أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قالوا أي أهل الجنة في الجنة "سبحانك اللّٰهم" أتاهم ما اشتهوا من الجنة من ربهم .

و أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال : أهل الجنة إذا اشتهوا شيئا قالوا "سبحانك اللّٰهم و بحمدك" فإذا هو عندهم . فذلك قوله : دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ .

و أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال : إن أهل الجنة إذا دعوا بالطعام قالوا "سبحانك اللّٰهم"

فيقوم على أحدهم عشرة آلاف خادم مع كل خادم صحفة من ذهب فيها طعام ليس في الأخرى . فيأكل منهن كلهن .

و أخرج ابن جرير و ابن المنذر و أبوالشيخ عن ابن جريج قال : أخبرت أن قوله "سبحانك اللّٰهم" إذا مرّ بهم الطائر يشتهونه قالوا : سبحانك اللّٰهم . ذلك دعاؤهم به . فيأتيهم الملك بما اشتهوا . فإذا جاءهم الملك بما يشتهون فيسلّم عليهم فيردّون عليه . فذلك قوله : وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ . كذا في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى : دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ .

فسرعة الإجابة بعد ذكر الاسم "اللّٰهم" لا يبعد أن تكون نتيجة لكونه أعظم الأسماء . و لعلّ لهذا خص هذا الاسم لدعواهم سكّان الجنة . واللّٰه أعلم .

القول الثاني عشر : قوله تعالى حكاية : لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ . أخرج الترمذي و اللفظ له و النسائي و الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت "لا إلٰه إلّا أنت سبحٰنك إنّي كنتُ من الظّٰلمين" فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلّا استجاب الله له . قال الحاكم : صحيح الإسناد .

و أخرج الطبري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اسم اللّٰه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى عليه الصلاة والسلام .

و أخرج ابن أبي حاتم عن كثير بن معبد قال : سألت الحسن عن اسم اللّٰه الأعظم . فقال : أما تقرأ القرآن قول ذي النون : لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ .

القول الثالث عشر : أنه "الرحمن الرحيم الحي القيوم" لحديث تقدم ذكره في القول الثامن : اسم اللّٰه الأعظم في هاتين الآيتين : "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ " و فاتحة سورة آل عمران "الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ " .

القول الرابع عشر : "القيوم". ذهب إليه جمع من العلماء . و فسره هؤلاء بأنه القائم بذاته و المقوم لغيره . و فسروا القيام بذاته بوجوب الوجود المستلزم لجميع الكمالات و التنزه عن سائر وجوه النقص . و جعلوا التقويم للغير متضمنا جميع صفات الأفعال . فصح لهم القول بذلك . كذا في روح

المعاني .

القول الخامس عشر : قيل : اسم الله الأعظم في البقرة آيتان و في آل عمران واحدة و في الأنعام ثلاث و في الأعراف آيتان و في الأنفال آيتان و في الرعد آية و في مريم آية و في طه أربع آيات و في المؤمنون آية و في الفيل آية و في الروم آية و في السجدة آية و في يس آيتان و في غافر ثلاث و في الجاثية آية و في الرحمن آيتان و في الحشر ثلاث و في الملك آية و في الإخلاص آيتان .

القول السادس عشر : كلمة التوحيد . نقله القاضي عياض رحمه الله تعالى .

القول السابع عشر : حكي عن شريح رحمه الله تعالى أنه قال : رأيت في النوم قائلاً يقول : امض إلى فلان فقد أمرناه أن يعلّمك اسم الله الأعظم . فلما أصبحت جاءني الرجل فقال : رأيت البارحة أن ائتِ شريحًا ، فعلّمه اسم الله الأعظم . و هو كل ما في القرآن من :

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ .

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ . الآية .

الٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ . الآية .

هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ .

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ . إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ .

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ . الآية .

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ .

ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ .

قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ

تَهۡتَدُونَ .

وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ . الآية .

فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ .

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ .

فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ .

قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ .

يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ .

وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى . ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ .

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ .

إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا .

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ .

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ . فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ .

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ .

وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ .

إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ .

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ .

هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ . ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ .

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ .

فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ .

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ .

رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا . انتهى ما حكي عن شريح رحمه الله تعالى .

القول الثامن عشر : في الإتقان ج٢ ص٩ أنه قولنا "ن" حيث قال : و قيل : إنها الاسم الأعظم . إلّا أنّا لا نعرف تأليفه منّا . كذا نقله ابن عطية . و أخرج ابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : هو اسم الله الأعظم .

القول التاسع عشر : "الم" أخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي أنه بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "الم" اسم من أسماء الله تعالى الأعظم . كذا نقله السيوطي في الإتقان .

القول العشرون : أنه "الله لا إله إلّا هو الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد" . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : هو أرجحها من حيث السند .

قال الشوكاني في شرح الحصن ص٦٢ : أخرجه أهل السنن الأربع و ابن حبان و هو من حديث بريدة رضي الله عنه و حسنه الترمذي وصححه ابن حبان . و أخرجه أيضًا من حديثه الحاكم و قال : صحيح على شرطهما . قال المنذري : قال شيخنا أبوالحسين المقدسي : و إسناده لا مطعن فيه . و لم يرد في

الباب حديث أجود منه إسنادًا . انتهى .

القول الحادي و العشرون : " الحنان المنان بديع السموات و الأرض ذو الجلال و الإكرام الحي القيوم " .

ورد بذلك مجموعًا في حديث أنس عند أحمد والحاكم . و أصله عند أبي داود و النسائي . وصححه ابن حبان . و في الدرالمنظم : لم يذكر معه "الحي القيوم" .

و في حديث أحمد و أبي داود و ابن حبان و الحاكم عن أنس أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا و رجل يصلّي ثم دعا : اللّهم إنّي أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلّا أنت الحنان المنان بديع السموات و الأرض يا ذا الجلال و الإكرام يا حيّ يا قيّوم . فقال النبي ﷺ : لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب و إذا سئل به أعطى .

القول الثاني و العشرون : "بديع السموات والأرض ذوالجلال و الإكرام" .

أخرجه أبويعلى من طريق السري بن يحيى عن رجل من طيّ و أثنى عليه قال : كنت أسأل الله أن يريني الاسم الأعظم . فأريتُه مكتوبًا في الكواكب في السماء . و في الدرالمنظم : فرأيت مكتوبًا في الكواكب في السماء "يا بديع السموات و الأرض يا ذا الجلال و الإكرام" . انتهى .

القول الثالث و العشرون : "الرحمن" . قال الآلوسي رحمه الله في روح المعاني ج١٥ ص١٩٣ في تفسير قوله تعالى "قُلِ ٱدۡعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُوا۟ ٱلرَّحۡمَٰنَ" الآية : إن اليهود يزعمون أن "الرحمن" أحب أسمائه تعالى و أعظمها و أشرفها لكثرة ذكره تعالى إياه في التوراة . انتهى كلامه .

القول الرابع و العشرون : هذا الدعاء للأسماء التي قيل : إن كل اسم منها هو اسم الله الأعظم . و هو هذا :

اللّهم إني أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلّا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات و الأرض يا ذا الجلال و الإكرام يا حيّ يا قيّوم يا رحمن يا رحيم يا أحد يا صمد يا ذا الجلال و الإكرام يا وهّاب يا خير الوارثين يا غفّار يا قريب يا سميع يا عليم لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين يا أرحم الراحمين .

يا سميع الدعاء يا ربّنا يا ربّنا أسألك باسمك الله الذي لا إله إلاّ هو ربّ العرش العظيم الم كهيعص طسم طس حمعسق حسبنا الله و نعم الوكيل أسألك الله بها و بالآيات كلّها و بالأسماء كلّها و بالاسم الأعظم منها يا من لم يلد ولم يولد و لم يكن له كفوًا أحد أن تصلّي و تسلّم على سيدنا محمد وصحبه ﷺ .

قال بعض العلماء بعد ذكر هذا : و تسأل أيّ حاجة شئت تقضى بإذن الله تعالى .

القول الخامس و العشرون : "مالك الملك" . أخرج الطبراني في الكبير بسند ضعيف عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في هذه الآية من آل عمران "قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ" إلى قوله "وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" . قال السيوطي : و لم أدر من ذكره . كذا في الدرالمنظم .

القول السادس و العشرون : ترك المعاصي . روي ذلك عن علي كرّم الله وجهه .

القول السابع و العشرون : "الأحد الصمد" .

القول الثامن و العشرون : "ربّنا" .

القول التاسع و العشرون : "أرحم الراحمين" .

القول المتمّم الثلاثين : "الوهّاب" . لدعاء سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

القول الحادي و الثلاثون : "حسبنا الله و نعم الوكيل" .

القول الثاني و الثلاثون : "الغفّار" .

القول الثالث و الثلاثون : "خير الوارثين" . لدعاء زكريا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

القول الرابع و الثلاثون : "السميع العليم" .

القول الخامس و الثلاثون : "سميع الدعاء" .

القول السادس و الثلاثون : ما روي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إذا أردت أن تدعو باسم الله الأعظم فاقرأ ستّ آيات من سورة الحديد و آخر سورة الحشر . فإذا فرغت من قراءتها قلت : يا من هو

كذلك افعل لي كذا . فوالله لو دعا بها شقي لسعد .

القول السابع و الثلاثون : "القريب" .

القول الثامن و الثلاثون : "العلي العظيم الحليم العليم". أي مجموع الأربعة .

القول التاسع و الثلاثون : "السميع البصير" .

القول الأربعون : "الودود" .

القول الحادي و الأربعون : "سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ" .

القول الثاني و الأربعون : أنه في سورة الحج في قوله تعالى : وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ . الآية .

القول الثالث و الأربعون : "المانع" .

القول الرابع و الأربعون : "العليّ العظيم" .

القول الخامس و الأربعون : "العليم" .

القول السادس و الأربعون : أوائل السور . أي الأحرف النورانية و هي أربعة عشر حرفًا .

القول السابع و الأربعون : "اللطيف" . وصرح بعض العلماء أن في هذا الاسم أسرارًا لطيفة . و له ثمرات عالية تحصل لمن داوم على ورده .

و في حياة الحيوان حكاية عن الشيخ اليافعي : من الفوائد المجرّبة العظيمة البركة الكثيرة الخير لقضاء الحوائج و تفريج الهم و الغم أن تقرأ بعد صلاة العشاء على طهارة كاملة في جلسة واحدة اسمه تعالى "لطيف" ١٦٦٤١ مرة . و الحذر ثم الحذر من النقص و الزيادة فإنه يبطل السر .

و ضبط ذلك أن تأخذ سبحة عدّتها ١٢٩ فتقرأ الاسم عليها ١٢٩ مرة . فيحصل المقصود . و في كل ١٢٩ مرة تقول : لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ .

و من فوائده لجلب الخير و الرزق و البركة تقوله عقب كل صلاة ١٢٩ مرة . ثم تقول : ٱللَّهُ لَطِيفُۢ

بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ . انتهى بتصرف .

و قد ألّف الشيخ أبوبكر الكتامي الشافعي فيه كتابا سماه المنهج الحنيف في تصريف اسمه تعالى "اللطيف" . و هذه عدة غرر فوائده أنقلها منه .

قال : من أراد تسهيل الرزق فليذكره كل يوم ١٢٩ مرة يرى البركة في رزقه و ماله . ومن أراد الخلاص من الضيق أو السجن فليذكره العدد المذكور . و يقول بعده : إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ . ثم يصاحبه فيكون الخلاص لوقته .

و من أراد أن يرى في شانه ما يحب و يختار فليتوضأ وليصلّ العشاء ، ثم ليصلّ ركعتين بعدها ، و ليستغفر الله ما أمكنه ، و ليصلّ على النبي ﷺ ما أمكنه ، ثم يقول : يا لطيف مائة مرة و تسعًا و عشرين مرة . ثم يقول : أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ . يا هادي يا لطيف يا خبير اهدني و أرني وخبّرني في منامي ما يكون من أمر كذا وكذا ، و تذكر حاجتك ، بحق سرك المكنون ، وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ . و ينام فإنه يرى ما يطلبه في منامه إمّا أوّل ليلة أو الثانية أو الثالثة .

و من خواص الاسم اللطيف أنه ينفع من جميع الأذى والمضار وسرعة إزالتها . و صفة التداوي به أن يكتب كل حرف عدد ذلك الحرف فتكتب الألف ١١١ مرة و اللامين ١٤٢ مرة و الطاء ١٠ مرة و الياء ١١ مرة و الفاء ٨١ مرة في إناء نظيف . ثم تقرأ عليه هذا الاسم ١٦٠ مرة بقولك "اللطيف" و هي عدده . و يشربه من تحكّمت عليه الأمراض يبرأ بإذن الله تعالى .

و قال بعض المشايخ أصحاب الأسرار : من كتب "ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ" ستّ عشرة مرة في إناء نظيف و قرأ عليه آيات الشفاء و محاه بماء النيل و سقاه لمن به مرض شاقّ فإن قدر الله له الحياة شفاه في أسرع وقت . و إن كتب له الموت سكن ألمه و هوّن عليه الموت . و قد جرّب مرارًا كثيرة فصح .

و آيات الشفاء ست وهي : وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ . وَ شِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ . يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ . وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ . وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ . قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ .

و قيل : إن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما دخل على الحجاج دعا الله تعالى بهذه الكلمات : اللّٰهم إنّي أسألك يا لطيفًا قبل كل لطيف يا لطيفًا بعد كل لطيف يا لطيفا لطف بخلق السمٰوات و الأرض أسألك بما لطفت به بخلق السمٰوات و الأرض أن تلطف بي في خفيّ لطفك الخفيّ من خفيّ لطفك الخفيّ . إنّك قلت و قولك الحق : ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ . إنك لطيف لطيف . عشرين مرة .

فلمّا قالها و هو قادم عليه قام إليه الحجاج و أقبل عليه و عظّمه و أجلسه بجنبه و أنعم عليه بعد ما توعّده بالقتل .

القول الثامن و الأربعون : ربّ ربّ . أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء و ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بلفظ : اسم الله الأكبر ربّ ربّ .

و أخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إذا قال العبد "يا ربّ يا ربّ" قال الله تعالى : لبيك عبدي . سل تعط . رواه مرفوعًا و موقوفًا . كذا في الفتح . و رواه في الدر عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعًا و موقوفًا .

القول التاسع و الأربعون : ما نقل الفخر الرازي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عن زين العابدين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أنه سأل الله تعالى أن يعلّمه الاسم الأعظم . فرأى في المنام "هو الله الله الله الذي لا إله إلّا هو ربّ العرش العظيم" . فتح .

القول الموفي الخمسين : أن كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به ربّه مستغرقًا بحيث لايكون في قلبه حالتئذ غير الله . فإنه من تأتّى له ذلك استجيب له . قاله جعفر الصادق و الجنيد و غيرهما رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى .

القول الحادي و الخمسون : أن الإنسان نفسه هو الاسم الأعظم . فمن عرف نفسه فقد عرف ربه .

و قال الشيخ الكبير أبوالحسن الشاذلي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى كما في الشمس ص١٤٤ : جلست يومًا بين يدي شيخي عبدالسلام بن مشيش و كان له ولد صغير . فوضعته في حجري . ثم هممت أن أسأل الشيخ عن

الاسم الأعظم . فمسك الطفل بذقني ثم قال لي : يا عم ! أنت اسم الله الأعظم ، أو اسم الله الأعظم فيك .
فقال الشيخ : قد أجابك الطفل . فافهم .

قال العبد الضعيف الروحاني : و هذا غريب بديع لا يعرفه صاحب العلم الظاهر .
و يخطر بالبال و الله أعلم بحقيقة المقال أن الاسم في قولنا "الاسم الأعظم" على هذا القول بمعنى الشيء المسمّى . فإنّ للاسم معاني كثيرة . منها المسمّى سواء كان جوهرًا أو عرضًا على ما اختاره الصوفية الصافية .

و قالوا : إن المراد بالكلمات في قوله تعالى "لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي" الآية ، الذوات المسمّيات . و بهذا المعنى سمّي عيسى عليه الصلاة والسلام كلمة الله .

فعلى هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام في حق الاسم الأعظم "إذا دعي به أجاب" أن الإنسان إذا كمل و صفت روحه و تجرّدت عما سوى الله تعالى و فنيت في ذاته تعالى و دعا الله تعالى في مثل هذه الحالة بهذا القلب الأعظم و الوجود الأكمل أجاب الله دعاءه . هذا . و الله أعلم .

قال الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في الباب الثامن و الثمانين و مائتين من الفتوحات في معرفة منزل التلاوة الأولى من الحضرة الموسوية ج٢ ص٦٤١ : ثم لتعلم أنك من جملة أسمائه تعالى من أكملها اسمًا .

ثم قال الشيخ : و لقيت أبا أحمد بن سيدبون بمرسية و قد سأله إنسان عن اسم الله الأعظم . فرماه بحصاة يشير إليه أنك اسم الله الأعظم . وذلك أن الأسماء وضعت للدلالة . فقد يمكن فيها الاشتراك . و أنت أدل دليل على الله و أكبره .

إن قلت : فقد وصف نفسه بالعظمة ؟

قلنا : و قد وصفك بالعظمة وندبك إلى تعظيمك فقال : وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ . و أنت أعظم الشعائر .

فيتضمن قوله تعالى "فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ" أن تنزهه بوجودك و بالنظر في ذاتك . فتطلع على ما أخفاه فيك من قرة أعين . فأنت اسمه العظيم . ومن كونك على صورته ثبتت العلاقة بينك

و بينه . فقال : يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُۥٓ . و المحبة علاقة بين المحبّ و المحبوب . و لم يجعلها إلّا في المؤمنين من عباده . ولا خفاء أن الشكل يألف شكله و هو الإنسان الكامل . انتهى كلامه بحرفه .

القول الثاني و الخمسون : أنه كمال المائة و ليس من الأسماء التسعة والتسعين . و اختاره العارف بالله عبدالعزيز الدباغ المصري رحمه الله تعالى .

قال تلميذه في الإبريز ص٢٥٧ نقلاً عنه رحمه الله تعالى : وسمعته يقول في اسم الله العظيم الأعظم : إنه كمال المائة و ليس من التسعة و التسعين ، و إن كثيرًا من معانيه في التسعة و التسعين ، و إنه هو ذكر الذات لا ذكر اللسان . فتسمعه يخرج من الذات كطنين النحاس الصفر . و هو يثقل على الذات . ولا تطيق الذات ذكره إلّا مرة أو مرتين في اليوم .

فقلت : و لم ؟

فقال رحمه الله تعالى : لأنه لا يكون إلّا مع المشاهدة التامة . و ذلك ثقيل على هذه الذات . و إذا ذكرته الذات فقد العالم كله هيبةً و جلالاً مخافة .

قال رحمه الله تعالى : وكان في السيد عيسى بن مريم على نبينا و عليه الصلاة و السلام قوّة على ذكره . وكان يذكره في اليوم أربع عشرة مرة . انتهى .

القول الثالث و الخمسون : "المميت". ذكره في الشمس حكاية عن البعض .

القول الرابع و الخمسون : "يا ظاهر" .

القول الخامس و الخمسون : "الله الحميد القهار" .

القول السادس و الخمسون : ما أخرجه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في هذه الآية و هي : قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَآءُ . إلى آخر الآية .

قال الهيثمي : في إسناده حنش بن فرقد و هو ضعيف . قال المناوي : و في إسناده أيضًا محمد بن زكريا السعداني وثّقه ابن معين . و قال أحمد : ليس بالقوي . وقال النسائي و الدارقطني : ضعيف . و في

إسناده أيضًا أبوالجوزاء و فيه نظر . كذا في شرح الشوكاني للحصن الحصين .

القول السابع و الخمسون : "الحق". صرح به بعض العلماء .

القول الثامن و الخمسون : "السريع" .

القول التاسع و الخمسون : "يا الله". و قد تقدم نقله عن البعض . و هذا مؤيد بوجوه كثيرة : منها : أن "يا الله" مشتمل على عدد ١٩ . و في هذا العدد أسرار بديعة كما فصلنا قبل عدة أبواب . و أتينا هناك بعجائب و غرائب .

القول الستون : "الله" . و اختاره أكثر العلماء والأئمّة ، منهم الإمام أبوحنيفة رحمه الله تعالى . و استدلوا على هذا القول بوجوه كثيرة .

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره : القول الرابع : أن الاسم الأعظم هو قولنا "الله". و هذا هو الأقرب عندي . لأنّا سنقيم الدلالة على أن هذا الاسم يجري مجرى اسم العلَم في حقه سبحانه . و إذا كان كذلك كان دالًّا على ذاته المخصوصة . انتهى .

و قال فيه ص٦٣ بعد البحث على أن لله تعالى بحسب ذاته اسمًا أم لا : إن بتقدير أن يكون وضع الاسم لتلك الحقيقة ممكنًا وجب القطع بأن ذلك الاسم أعظم الأسماء . و ذلك الذكر أشرف الأذكار .

لأن شرف العلم بشرف المعلوم و شرف الذكر بشرف المذكور . فلمّا كان ذات الله أشرف المعلومات والمذكورات كان العلم به أشرف العلوم ، وكان ذكر الله أشرف الأذكار ، وكان ذلك الاسم أشرف الأسماء . و هو المراد من الكلام المشهور الواقع في الألسنة . و هو اسم الله الأعظم .

و لو اتفق لملك مقرب أو نبي مرسل الوقوف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلّى له معناه لم يبعد أن يطيعه جميع العوالم الجسمانيات و الروحانيات . انتهى .

و في كتاب الداء و الدواء : عن جابر كما في البخاري أن اسم الله الأعظم هو الله . ألا ترى أنه في جميع القرآن يبدأ به قبل كل اسم . انتهى .

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوائل كتابه المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى ص٤٠ : إن هذا الاسم أي "الله" أعظم الأسماء التسعة والتسعين . لأنه دال على الذات الجامعة للصفات الإلهية كلها حتى لا يشذّ منها شيء . و سائر الأسماء لا تدل آحادها إلّا على آحاد المعاني من علم أو قدرة أو فعل أو غيره .

و لأنه أخص أسمائه إذ لا يطلقه أحد على غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازًا . و سائر الأسماء قد يسمّى به غيره تعالى كالقادر و العليم و الرحيم و غيرها . فلهذين الوجهين يشبه أن يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء . انتهى .

ثم قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : و اسمه تعالى "الرحمن" لا يسمى به غيره تعالى . فهو من هذا الوجه قريب من اسم "الله" و إن كان هذا مشتقا من الرحمة قطعا . و لذا جمع الله بينهما في قوله : قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ . انتهى .

و قال الإمام الرازي في هذه الآية : تخصيص هذين الاسمين بالذكر يدل على أنهما أشرف من سائر الأسماء . و تقديم اسم "الله" على اسم "الرحمن" يدل على أن قولنا "الله" أعظم الأسماء . انتهى .

قال بعض العلماء الأعلام : و مما يدل على أنه هو الاسم الأعظم أنك تضيف جميع الأسماء إليه فتقول : العزيز اسم من أسماء الله . ولاتقول : الله اسم من أسماء العزيز .

و قال الشيخ أبوبكر الفهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال الله تعالى : وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا . فعم الأسماء كلها . ثم قال : قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ . بدأ بالأعظم من أسمائه ، و ندب الخلق أن يدعوه به . وهو الاسم الذي سمى به الحق سبحانه نفسه و منع من التسمِّي به . وصرف دواعي الخلائق من كل جبار عنيد وشيطان مريد أن يتسمّى به سرًّا و علانية .

فهذا فرعون الطاغية لعنه الله مع عتوّه و جبروته قال لقبط مصر : أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ . فحلّت به و بقومه النقمة و لم يستجرئ أن يقول : أنا الله .

قبض الله الأشرار عن الادعاء فيه فقال تعالى : هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا . يعني هل أحد غير الله تعالى يقال له : الله . و هو الاسم الذي أطلق ألسنة الخلائق بذكره و وفر الدواعي على النطق به و علق

الإيمان في الحقوق به و جعله غياث المستغيثين و ملجأ المظلومين و لهف الخائفين و عبادة العابدين و جنة المستجيرين .

فلا يقع أحد في شدّة أو يخاف بلية إلّا و هجيراه "يا الله" . و هو أوّل مفروض على المكلّف في دار الدنيا إذا قذفته الأرحام من ظلمة الأحشاء إلى سعة رَوح الدنيا . تلقته القوابل و صرخوا "الله أكبر" . و هو آخر ختام فراق الدنيا "لا إله إلّا الله" . و به يتباشر الخلائق في محاوراتهم و يجعلونه عرضة في تعاطي ما يجري بينهم حتى نهوا عن ذلك فقال تعالى : وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ .

وهو الاسم الذي يقتضي جمع همك في الوله به و يوجب انفصامك عن شهواتك وعن حظوظك . و لهذا فسح الله تعالى للخلق في الدعاء لما هو أوفق لقلوبهم و أطمع لنفوسهم فقال : ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ . كأنه سبحانه و تعالى قال : إن لم تدعوني بي فادعوني بتفضلي و رحمتي .

و لهذا قال الواسطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ما دعاه أحد باسم من أسمائه تعالى إلّا و لنفسه فيه نصيب ، إلّا قوله "الله" فإن هذا الاسم يدعوه إلى الوحدانية ليس للنفس فيه نصيب . و لهذا قالوا : إن هذا الاسم للتعلق دون التخلق . ولأن الألوهية للقدرة على اختراع الأعيان . و هي غاية صفات الجلال و نعوت الكمال .

و قال أبوسعيد : أوّل ما دعا عباده دعاهم إلى كلمة واحدة . فمن فهمها فهم ما وراءها . و هو قوله : الله . ألا ترى أنه قال تعالى : قُلْ هُوَ ٱللَّهُ . فتمّ به الكلام لأهل الحقائق . ثم زاد بيانا للخاص فقال : أَحَدٌ . ثم زاد بيانا للأولياء فقال : ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ . ثم زاد بيانا للعوام فقال : لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ .

و روى هشام عن محمد بن الحسن الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : سمعت أبا حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول : اسم الله الأعظم هو "الله" أو "الإله" . و هو اعتقاد أكثر المشايخ من الصوفية و العارفين . فإنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق مقام الذكر باسم "الله" مجرّدًا . قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ . و لهذا كان الشبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في ذكره : الله . و هو مذهب لبعض الصوفية .

و قال حجة الإسلام نقلًا عن بعض أهل العلم : إنه الاسم المخصوص الذي لم يتسمَّ به أحد من

الخلق .

و قال أبوجعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه المسمى بالمشكل : إن الاسم الأعظم هو "الله" . و استدل بحديث أسماء المتقدم ذكره . انتهى .

و في الشمس ج١ ص٣٢ : روي عن النبي ﷺ أنه قال : ما بين بسم الله الرحمن الرحيم و بين اسم الله الأعظم إلاّ كما بين بياض العين و سوادها . و قال النبي ﷺ : ما بين الآدميين و الشياطين إلاّ بسم الله الرحمن الرحيم .

فاسم "هو" الاسم المضمر الذي يدل على أن ما بعده الاسم الأعظم وهو "الله" لأن الاسم الأعظم هو الجلالة و هو قطب الأسماء و إليه ترجع . وهو في الأسماء كالعَلَم . لأنك إذا سُئلتَ : من الرحمن ؟ فتقول : الله . و كذا سائر الأسماء تضاف إليه و تعرف به الجلالة و علوّ رفعته .

و له شرف زائد على الأسماء . وهو أنك إذا أزلت منه حرف الألف بقي "لله" و إذا أزلتَ منه اللام الأولى بقي "له" و إذا أزلتَ الثانية أيضًا بقي "هو" . فكل حرف منه قائم بذاته . وليس كذلك غيره من الأسماء . لأنك إذا أزلتَ منه بطل معناه . وهذا الاسم الأعظم حروفه لم تختل . فله شرف على الأسماء و دليل على أنه الذات المكرمة الثابتة العز و البقاء .

و له شرف آخر وهو أنه يدل على الذات الوحدانية الربوبية ، ويدل على توحيد الإلٰهية . فإن أوله الألف و هو أوّل الحروف و أوّل الأعداد و أوّل الآحاد . فهو فرد في صفته أحد في عدده ، يشير إلى أحدية سره الذي خضعت له الموجودات . و آخره حرف الهاء و هو يشير إلى توحيد الألوهية . وهو لايوجد في غيره من الأسماء . و هو يقول بلسان حاله : أنا الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن .

و "الله" هو أخصّ الأسماء و أعظمها اتفاقًا . و هو اسم سرياني . و أمّا تفسيره فهو أنه يخرج الأشياء من العدم إلى الوجود . و له معان أخر يجب على الناظر فيها كفها عن السفهاء . لئلا يتوصلوا به إلى فعل المنكرات و المحرمات فيسقط من عند الله مثل باعوراء .

و هذا الاسم له حروف أربعة : ألف و لامان و هاء . لأن الطبائع أربعة . و الأقطار أربعة : شرق و غرب و شمال و جنوب . و ملائكة التسبيح أربعة : جبريل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل .

انتهى .

القول الحادي و الستون : وهو المختار عند هذا العبدالضعيف الروحاني البازي . ألهمني الله عزّوجلّ استخراج هذا القول و ابتكاره و اختراعه بفضله و منّه و توفيقه و كرمه . ولله الحمد .

إيضاح هذا القول أن الروايات في تعيين الاسم الأعظم متعارضة ، و الحكايات من العارفين متدافعة ، و أقوال الأئمّة في ذلك متضادة .

فاختار الجمهور من الأئمة أنه الاسم "الله" و يدفعه حديث : أن اسم الله الأعظم دعوة ذي النون "لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" . إذ ليس في هذه الدعوة الاسم "الله" .

و كذا يدفعه حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا : اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في هذه الآية من آل عمران "قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ" إلى قوله "وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ" . أخرجه الطبراني . و لا يوجد في هاتين الآيتين الاسم "الله" .

و حديث الترمذي عن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلًا يقول : يا ذا الجلال والإكرام . فقال : قداستجيب لك فسل .

و كذا يعارض هذه الأحاديث قول من قال : إنه "القيوم" أو "الحي القيوم" لعدم وجود "القيوم" و لا "الحي" في الأحاديث المتقدمة . و هذا حال قول من قال : إنه "الم" أو "اللّهم" لعدم ثبوت "الم" في كثير من الروايات ، و كذا "اللّهم" .

ألا ترى ما رواه أبوداود و الترمذي و الحاكم عن بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلًا يقول : اللّهم إني أسألك بأني أشهد أنّك الله لا إله إلاّ أنت الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد . فقال : لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى و إذا دعي به أجاب . و في لفظ عند أبي داود : لقد سألت الله باسمه الأعظم .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : و هو أرجح من حيث السند عن جميع ما ورد في ذلك . انتهى . و ليس فيه "الم" و لا "القيوم" و لا "الحي" .

هذا تعارض قويّ بين الآثار و تدافع جليّ بين الأخبار ، و لم أر من تعرض لهذا التعارض و لدفعه و حلّه .

قال العبد الضعيف البازي : الذي يخطر بالبال ، والله أعلم بحقائق الأحوال و بصدق القضايا وحقّيّة الأقوال ، و منه الإعانة و التوفيق و بيده أزمّة التحقيق و التدقيق ، أن اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى نوعان :

النوع الأوّل : ما هو متعين بتعيين الله سبحانه . وهو أمر لدنيّ أزليّ . وهو موصوف بالأعظمية من بين الأسماء الحسنى دائمًا لا يتبدل شانه الأعظم و لا يتغير مقامه الأفخم . لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم . فهذا النوع لا دخل لعمل المكلف و كسبه في صيرورة الاسم أعظم الأسماء . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

و النوع الثاني : ما هو غير متعين لهذا المقام مثل تعين النوع الأوّل . بل يعيَّن لهذا المقام الأسنٰى و الشان الأبهٰى و المرام الأعلٰى بتوجّه العامل المكلف و عمله و حسن نيّة العارف .

فالعابد الداعي إذا دعا باسم من الأسماء الحسنى و رقّ قلبه حالتئذ مخلصًا نيته و مستغرقًا في جلاله عزّوجلّ و فانيًا في جماله تعالى و سبحانه منقطعًا عما سوى الله محصلاً جميع شرائط الدعاء و الإجابة نال ما رام و وجد ما طلب و أعطي ما سأل ببركة هذا الاسم الإلهي الذي سأل به .

و صار له هذا الاسم أعظم الأسماء حيث نال ببركته في هذه الحالة المخصوصة ما لم يمكن أن يناله و إن دعا بجميع الأسماء عند عدم الإخلاص الكامل و عدم تحقق الشرائط التامة .

قال عليه الصلاة والسلام : إن لله في دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها . و نهى عليه الصلاة والسلام عن الدعاء على شيء و قال : لا توافقوا ساعة لا يردّ فيها الدعاء .

فالداعي إذا وافق دعاءه باسم من الأسماء الحسنى وقت النفحة الربانية و الساعة المستجابة النورانية و دعا بنية خالصة إيمانية كان له هذا الاسم أكبر من كل اسم .

و يعلم من كتب أهل الكشف و عبارات أهل الطريقة الصافية أن لبعض طبائع الإنسان و أرواح العباد مناسبة مع بعض الأسماء الإلهية . و هذا من الأسرار التي يطّلع عليها الماهرون و يعرفها

العارفون . و الأسماء الإلهية بمثابة أرواح الكائنات بها نيط كل مخلوق و تكوّن كل كائن . و الأرواح جنود مجنّدة . فما تعارف منها ايتلف و ما تناكر منها اختلف . فالداعي بهذا الاسم الموافق لروحه و طبعه يجاب و يعطى ما يسأل .

قال العبد الضعيف البازي : هذه وجوه يتفق بها كثير من الآثار المتعارضة ، و يتعاضد بها غير واحد من الأقوال المتدافعة ، و يعلم بها سبب اختلاف أقوال رسول الله ﷺ . فنبينا ﷺ كان يرى و يسمع بسبب وحي الله تعالى و اطلاعه ما لا نراه ولا نسمعه .

فرأى ﷺ رجلًا يدعو و يهتف باسم من أسماء الله تعالى خاشعًا منقطعًا عما سوى الله تعالى متوجّها إلى الله سبحانه بكليته . و رأى أن باب الرحمة فتحت له و خزائن الله أبيحت له . و له أن يأخذ منها ما يشاء . بشّره ﷺ أنه دعا الله تعالى بالاسم الأعظم الذي إذا دعي به بمثل هذه الحالة من كمال التوجه و الإخلاص أجاب و أعطى .

ثم رأى رجلًا آخر دعا باسم إلهي في حالة نفحة مقبولة من نفحات الربّ تعالى . و النفحة نور . و صار هذا الاسم الإلهي نورًا على نور . و لم يعلم الداعي بأنه وقت النفحة النورانية . أخبره رسول الله ﷺ أنه دعا الله عزّ و جلّ بالاسم الأعظم الذي إذا دعاه العبد به أعطى . و إنما كان أعظم ببركة عارض النفحة النورانية .

ثم رأى ﷺ رجلًا ثالثًا يدعو باسم إلهي آخر في ساعة مستجابة . فأنبأه ﷺ بأنك دعوت الله جل جلاله بأعظم الأسماء ما إذا سئل به أعطى . أي إذا سئل به في مثل هذه الأوقات بهذه الشرائط .

ثم رأى ﷺ رجلًا رابعًا يدعو باسم آخر إلهي يناسب طبعه و روحه أزلًا . و بينهما مناسبة شديدة طبعًا و رابطة قوية فطرةً . و أنه له أعظم الأسماء يجيب الله تعالى به دعاءه و يعطيه ما يسأل . أطلعه ﷺ على ذلك . و هكذا .

و خلاصة هذه الأقوال لرسول الله ﷺ أنه أعظم بالمعنى الثاني . فلا وصمة في اختلاف الأقوال و الأجوبة .

و يؤيد هذا ما أخرجه أبونعيم في الحلية عن أبي يزيد البسطامي أنه سأله رجل عن الاسم

الأعظم ؟ فقال : ليس له حد محدود . إنما هو فراغ قلبك لوحدانيته . فإذا كنت كذلك فافزع إلى أيّ اسم شئت . فإنّك تسير به إلى المشرق و المغرب .

و ما أخرج أبونعيم أيضًا عن أبي سليمان الداراني قال : سألت بعض المشايخ عن اسم الله الأعظم . قال : تعرف قلبك ؟ قلت : نعم . قال : فإذا رأيته قد أقبل و رقّ فسل الله حاجتك . فذاك اسم الله الأعظم .

و ما أخرج أبونعيم أيضًا عن ابن الربيع السائح أن رجلاً قال له : علّمني الاسم الأعظم . فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، أطع الله يطعك كل شيء .

و قال في الشمس ص١٤١ : إن السلف الصالح لم يرتقوا حقائق الملكوت و عجائب الجبروت إلّا بتحقيق التخلّق بالأسماء إلى أن ينقلب كل اسم في حق مقامه أعظم مما يرد فيه . و يراه من مواهب الله و لطائف الحكم . و مهما سمعت الأعظم على لسان هذه الطائفة فهذه حقيقته .

فإذا علموا هذه الأسماء عادت إليهم أسماء أعظم . و ذلك في كمالات المقامات و انتهاء الغايات . فلا يبقى لهم اسم يسلكونه للتخلّق . بل يعينون في اسم الذات الذي هو حقيقة التخلّق و هوية وقع الأمر لقوله : قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ . انتهى .

و أيضًا فيه : و مهما وافق اسم من أسماء الله تعالى اسم ذات في العدد الحرفي و العددي و كسره و اتفق وفقه كان اسما أعظم في حقه . يفعل به ما يفعل بالاسم الأعظم .

و سمعت بعض العارفين بالله تعالى يقول : إن لكل داع يدعو الله اسمًا هو بالنسبة إليه أعظم الأسماء . كما كان "أرحم الراحمين" لأيوب عليه الصلاة والسلام ، و "الوهّاب" لسليمان عليه الصلاة والسلام ، و "لا إله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" ليونس عليه الصلاة والسلام . وهذا بحسب حال من يدعو لا على وفق المسئول و المطلوب بالدعاء . و هذا القول قريب إلى هذا المعنى . و هو قول جمهور أهل الطريقة .

و حكي عن الشيخ العارف بالله تعالى محمد الخوارزمي قدّس الله سرّه بحرم مكة في سنة ٦٧٠هـ أنه قال : من عرف الله تعالى باسمه الوتر في حاله و مقاله فقد عرف الاسم الأعظم المخصوص به .

و اعلم : أن الله مِن خفي لطفه أظهر أسماء مختلفة التراكيب ليدل كل اسم منها على نوع من أنواع

أفعاله و طرقه . فيجد كل سالك مسلكًا سهلًا يليق به . فيكون الاسم اللائق به في قصده إذا عرفه و سأل به في وقت يناسب الاسم .

فيجتمع من معرفة الوقت و معرفة السبب و معرفة الاسم اللائق بالوقت و الحاجة المطلوبة المطابقة للاسم في الوقت مع توجّه القلب لذلك النوع المطلوب خصوصًا سرعة الإجابة . فإنّ من دعا بهذا القانون أستجيب له .

و ذلك إشارة لحديث النبي ﷺ بقوله : إن في أيام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها . و النفحات مصادفة الوقت اللائق بالطلب ، و الاسم المطابق للمقصد . وهذا نوع من الأسرار كشف لأهل عناية الله تعالى من المرسلين و عباده المقربين .

قال الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره ج١ ص٨٤ : إن بين الخلق و بين أسماء الله تعالى مناسبات عجيبة . والعاقل لابد و أن يعتبر تلك المناسبات حتى ينتفع بالذكر . و الكلام في شرح هذا الباب مبني على مقدمة عقلية .

و هي أنه ثبت عندنا أن النفوس الناطقة البشرية مختلفة بالجوهر والماهية . فبعضها إلهية مشرقة كريمة ، و بعضها سفلية ظلمانية خسيسة ، و بعضها رحيمة عظيمة الرحمة ، و بعضها قاسية قاهرة ، و بعضها قليلة الحب لهذه الجسمانيات قليلة الميل إليها ، و بعضها محبة للرياسة و الاستعلاء . و من اعتبر أحوال الخلق علم أن الأمر كما ذكرنا .

ثم إنا نرى هذه الأحوال لازمة لجواهر النفوس . و إن كل من راعى أحوال نفسه علم أن له منهجا معينا و طريقا مبيّنًا في الإرادة و الكراهة والرغبة ، و أن الرياضة و المجاهدة لا تقلب النفوس عن أحوالها الأصلية ومناهجها الطبيعية . و إنما تاثير الرياضة في أن تضعف تلك الأخلاق و لا تستولي على الإنسان . فأمّا أن ينقلب من صفة إلى صفة أخرى فذلك محال . و إليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة . و بقوله عليه الصلاة والسلام : الأرواح جنود مجندة .

إذا عرفت هذا فنقول : الجنسية علّة الضم . فكلّ اسم من أسمائه تعالى دال على معنى معين . فكل نفس غلب عليها ذلك المعنى كانت تلك النفوس شديدة المناسبة لذلك الاسم . فإذا واظب على ذكر

ذلك الاسم انتفع به سريعًا .

و سمعت أن الشيخ أبا النجيب البغدادي السهروردي رحمه الله كان يأمر المريد بالأربعين مرة أو مرتين بقدر ما يراه من المصلحة . ثم كان يقرأ عليه الأسماء التسعة و التسعين . و كان ينظر إلى وجهه . فإن رآه عديم التأثر عند قراءتها عليه قال له : اخرج إلى السوق و اشتغل بمهمات الدنيا . فإنك ما خلقت لهذا الطريق . و إن رآه متأثرًا عند سماع اسم خاص مزيد التأثر أمره بالمواظبة على ذلك الذكر .

و أقول : هذا هو المعقول . فإنه لمّا كانت النفوس مختلفة كانت كل واحدة منها مناسبة لحالة مخصوصة . فإذا اشتغلت تلك النفس بتلك الحالة التي تناسبها كان خروجها من القوة إلى الفعل سهلًا هينا يسيرًا . انتهى .

قلت : حصحص من هذا البيان اللطيف أنه قد يصير لرجل اسم من الأسماء الحسنى أعظم الأسماء . إذا سأل به أعطي و إذا دعا به أجيب . و ذلك بسبب مناسبة بينهما تامة . ولا يكون هذا الاسم لرجل آخر أعظم لفقد تلك المناسبة .

فذلكة الكلام المذكور أنّ الاسم الأعظم عند هذا العبد الضعيف البازي اسمان :

أمّا الاسم الأوّل : فهو متعين في نفس الأمر بتعيين الله تعالى و سبحانه إياه من غير مدخل لحال العبد المكلّف و فعله و اختياره في صيرورة الاسم أعظم الأسماء و أكبرها . و هذا القسم من الاسم الأعظم لا يطّلع عليه إلّا بالكشف و الإلهام . و هـذا الذي كان الأولياء العارفون به يكتمونه عمن لايستأهل له .

و أمّا الاسم الثاني : فهو غير متعيّن في نفس الأمر . وإنما يتعيّن للأعظمية بالعوارض الخارجة عن نفس ذلك الاسم مثل إخلاص الداعي و حسن نيته و استغراقه في التوجّه إلى الله تعالى و جمعه لشرائط الدعاء . أو كون الوقت مستجابا وقت نفحة ربانية و نحو ذلك .

و لا حاجة لكتم هذا النوع . إذ لا يصل إلى هذا المقام إلّا العارف الكامل بعد الرياضات والتخلّق بأخلاق الله تعالى . و بعد الوصول إلى هذا المقام هو أهل له . و بهذا القول الدقيق و البحث البديع الوثيق تتفق الروايات المتخالفة و يجمع الأقوال المتعارضة ويندفع التضاد فيها . ولله الحمد . والله

أعلم و علمه أتمّ .

فصل

في ذكر أسباب عدم قبول الدعاء بالاسم الأعظم في هذا الزمان

اعلم : أن ههنا سوالاً مشهورًا وهو أن من خصائص الاسم الأعظم سرعة الإجابة و عموم الإجابة في كل مطلوب . و نحن نرى خلاف ذلك . إذ كثير من الناس يدعون به و لا يستجاب لهم ، فضلاً عن سرعة الاستجابة .

أقول و بالله التوفيق و هو المستعان و بيده أزمّة التحقيق و إلقاء البرهان : إنّ الجواب من هذا السوال القويّ من وجوه متعدّدة :

الجواب الأوّل : لو تعيّن الاسم الأعظم لكان لهذا السوال مجال . و قد علمتَ اختلاف أقوال العلماء في تعيينه . فمن أين يعلم قطعًا أن هذا الداعي دعا بالاسم الأعظم .

قال الشيخ أبوبكر الفهري رحمه الله تعالى : فإن قيل : ما قولنا اسم الله الأعظم و هل تجري المفاضلة في أسماء الله تعالى . بل كيف تتصور المفاضلة و المغايرة في أسماء الله تعالى إذا كان الاسم هو المسمى ؟ فالجواب : أن قولنا "اسم الله الأعظم" ما قرب به الإجابة . و هو قوله : إذا دعي به أجاب .

فإن قيل : فما بال الإنسان يدعو به ثم لا يجاب ؟

قلنا : أمّا أوّلاً فلا نقطع على تعيينه . و إنما هو في مجال الظنون لاختلاف الألفاظ فيه . فإن لم يتعين للداعي عينه لم يعلم اقتراب للإجابة . فإن قيل : فلو جمع الإنسان في دعائه جميع هذه الألفاظ ثم لم تقض حاجته ما جوابكم فيه ؟ قلنا : إلى الآن لم يجرّب أحد ذلك و رجع خائبًا . انتهى .

الجواب الثاني : عموم الإجابة بالاسم الأعظم و سرعتها كانت من خصائصه في العهد الأوّل و الزمان الأقدم . إذ كان ذلك الاسم المبارك مصونا عن الابتذال معظمًا مفخّمًا محفوظًا عن استعماله في معرض السفاهة والخنا و موضع الاحتدام والاستنشاط للدنيا .

و لمّا ابتذل و دعي به في الهوى والأمور الباطلة ذهبت هيبته وسلب الله منه تلك الخصوصية .

الجواب الثالث : من ذا الذي يستيقن بعدم الاستجابة لمن دعا بالاسم الأعظم . ولا ينبغي لأحد أن يفوه و يجترئ بذلك .

كيف و الاستجابة ثلاثة أنواع كما ورد في الحديث : إمّا أن يعجل الله للسائل ما سأل ، أي في الدنيا . و إمّا أن يدخر له . و ذلك خير مما سأل و طلب . و إمّا أن يصرف عنه من البلاء بقدر ما سأل من الخير .

قال العلامة السهيلي رحمه الله في الروض الأنف ج١ ص٣٣ : فإن قيل : فأين ما ذكروه عن الاسم الأعظم و أنه لا يدعى الله به إلاّ أجاب و لا يسئل به شيئًا إلاّ أعطاه ؟ قلنا : عن ذلك جوابان :

أحدهما : أن هذا الاسم كان عند من كان قبلنا إذا علمه مصونًا غير مبتذل معظّمًا . لا يمسه إلاّ طاهر و لا يلفظ به إلاّ طاهر . و يكون الذي يعرفه عاملا بمقتضاه متألّهًا مخبتًا قد امتلأ قلبه بعظمة المسمّى به لا يلتفت إلى غيره ولا يخاف سواه .

فلمّا ابتذل و تكلم به في معرض البطالات و الهزل و لم يعمل بمقتضاه ذهبت من القلوب هيبته . فلم يكن فيه من سرعة الإجابة و تعجيل قضاء الحاجة للداعي ما كان قبل .

ألا ترى قول أيوب عليه الصلاة والسلام في بلائه : قد كنتُ أمرّ برجلين يتنازعان فيذكران الله يعني في تنازعهما أي تخاصمهما . فأرجع إلى بيتي فأكفّر عنهما كراهة أن يذكر الله إلاّ في حق . و في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : كرهت أن أذكر الله إلاّ على طهر . فقد لاح لك تعظيم الأنبياء له .

ثم قال السهيلي : و الجواب الثاني : أن الدعاء به إذا كان من القلب و لم يكن بمجرد اللسان أستجيب للعبد . غير أن الاستجابة تنقسم كما قال عليه الصلاة والسلام : إمّا أن يعجّل له ما سأل . و إمّا أن يدخر له و ذلك خير مما طلب . و إمّا أن يصرف عنه من البلاء بقدر ما سأل من الخير . و أمّا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته "ألاّ يجعل بأسهم بينهم" فمنعها فقد أعطي عوضا لهم من ذلك الشفاعة لهم في الآخرة . وقد قال : أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب . عذابها في الدنيا الزلازل و الفتن . أخرجه أبوداود . فإذا كانت الفتن سببًا لصرف عذاب الآخرة عن الأمة فما خاب دعاؤه لهم .

على أنّي تأملت هذا الحديث و تأملت حديثه الآخر حين نزلت "قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ" فقال : أعوذ بوجهك . فلما سمع "أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ" قال : أعوذ بوجهك . فلما سمع "أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ" قال : هذه أهون . فمن ههنا (والله أعلم) أعيذت أمته من الأولى و الثانية و منع الثالثة حين سألها بعد .

و قد عرضت هذا الكلام على رجل من فقهاء زماننا . فقال : هذا حسن جدا غير أنا لا ندري أكانت مسألته بعد نزول الآية أم لا . فإن كان بعد نزول الآية فأخلق بهذا النظر أن يكون صحيحًا .

قلت له : أليس في الموطأ أنه دعا بها في مسجد بنى معاوية وهو في المدينة . ولا خلاف أن سورة الأنعام مكية . فقال : نعم . و سلم و أذعن للحق و أقرّ به رحمه الله تعالى . انتهى ما قال السهيلي .

قال الشيخ أبوبكر الفهري رحمه الله تعالى : فإن قيل : فهل تجوزون أن يدعو العبد ربّه في حاجته ثم لايجاب دعاؤه ؟ قلنا : إن سأل ربه ما سبق في معلومه أن يكون تجاب دعوته . لأن الدعاء لا يغلب المعلوم ولا يرد القضاء .

فإن قيل : فما فائدة الاسم الأعظم حينئذ ؟

قلنا : يجوز أن تكون فائدته أن الباري سبحانه وتعالى لايلهم ولا يجري على قلب عبد و لسانه إلّا ما سبق في علمه تكون ما سأل . و إن لم يسبق في المعلوم قضاء الحاجة لم يجره على لسانه .

فإن قيل : هذه مراتب سائر الدعوات .

قلنا : ليس كذلك . بل قد تجري سائر الدعوات على لسان من سبق في المعلوم قضاء حاجته ، وعلى لسان من سبق في المعلوم أنه لا تقضى حاجته . و سنبيّن إن شاء الله تعالى شروط الإجابة في الدعاء و موانع الإجابة . فيجوز أن يخل في سائر الأدعية بشرط من شروط الإجابة ، و يعمل به في بعض المواضع . فإذا أجرى الله تعالى الاسم الأعظم على لسان الداعي تحصل شروط الإجابة و تنتفي الموانع . فهذا معنى قوله "أعظم" . انتهى .

الجواب الرابع : ما حكاه الشيخ أبوالمظفر ظهيرالدين رحمه الله تعالى في كتابه "فتح المبين" ص٧٢ عن

العارف الكبير الشيخ عبدالقادر الجيلاني قدس سره ، حيث قال :

قال سيدي عبدالقادر الجيلاني قدس الله سره في الاسم الأعظم : اسم الله الأعظم هو "الله" . و إنما يستجاب لك إذا قلت "الله" وليس في قلبك غيره تعالى . "بسم الله" من العارف ككُن من الله تعالى . انتهى .

و معلوم أن تخلية القلب عن جميع ما سوى الله تعالى و تحليته بالتوجّه الأتمّ إلى ذاته الكبرياء أمر أعزّ من الكبريت الأحمر دونه خرط قتاد لا يقدر عليه إلّا الأنبياء و الكمّل من الأولياء .

و يقرب من قول هذا الشيخ ما حكى اليافعي رحمه الله تعالى في كتابه "روض الرياحين" ص١٧٤ عن الشيخ أبي بكر إسماعيل الفرغاني رحمه الله تعالى قال : كنت أدفع إلى شدة الفاقة أيامًا كثيرًا . و ربما كنت أسقط مغشيًّا عليّ . و كنت حينئذ قليل الدراية . كنت أنظر إلى أظافر أصابعي كمدة من الجوع . فقلت ذات يوم : يا ربّ ! لو علّمتني اسمك الأعظم سألتك به إذا حلّت بي فاقة متلفة .

قال : فبينما أنا في بعض الأيّام بدمشق على باب البريد جالس فرأيت رجلين قد دخلا المسجد . فوقع في نفسي أنهما ملكان . فوقفا بحذائي .

فقال أحدهما للآخر : تريد أن أعلّمك اسم الله الأعظم ؟ فقال له الآخر : نعم . فأصغيت إليهما . فقال : هو أن تقول : يا الله . فقلت : قد تعلّمت و رجعت كما كنت . فقال أحدهما : ليس كما تقول أنت ، ولكن بصدق اللجاء .

قال الشيخ أبوبكر : صدق اللجاء أن يكون مثل الغريق في لجة البحر . لم يبق له شيء يتعلق به ولا له ملجأ إلّا الله عزّ و جلّ . انتهى .

و قال بكر بن العلاء رحمه الله تعالى : سألت سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى عن اسم الله الأعظم ؟ فقال : هو "الله" . قلت له : فقد قيل : إنه إذا سئل به أعطى و نحن نسأله ولا يعطينا . فقال : لو سألته و قلبك فارغ من كل شيء إلّا من مناجاته لأجابك في الوقت . ثم قرأ : وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا . أي من كل شيء إلّا من المسألة في أمر موسى عليه الصلاة والسلام . انتهى .

الجواب الخامس : الاستجابة منوطة بأن تقول "الله" بآداب تليق به من حضور و خشوع و تبتّل إلى الله و هيبة تامة تستوجبها ذات الله تعالى . فعند ذلك يستجاب دعاؤك و تكاد السموات يتفطّرن من هيبته و تتصدّع الجبال من جلاله و تندكّ و تنشقّ الأراضي من شدته .

و يستأنس لذلك بما حكي عن شيخ العارفين ذي النون المصري قدس الله سرّه أنه قال : بينما أنا في بعض سياحتي إذا أنا بشيخ على وجهه سيما العارفين .

فقلت له : يرحمك الله . كيف الطريق إلى الله ؟

فقال : لو عرفت الله لعرفت الطريق إليه . ثم قال : يا هذا ! دع الخلاف و الاختلاف .

قلت : يا هذا ! يرحمك الله . أليس خلاف العلماء رحمة من الله ؟

قال : نعم . إلاّ في تجريد التوحيد .

قلت : و ما تجريد التوحيد ؟

قال : فقدان رؤية ما سواه لوجدانه .

قلت : و هل يكون العارف مسرورًا ؟

فقال : و هل يكون العارف محزونًا ؟

قلت : أليس من عرف الله طال همه ؟

قال : بل من عرف الله زال همه .

قلت : و هل تغيّر الدنيا قلوب العارفين ؟

قال : و هل تغيّر العقبى قلوب العارفين حتى تغيّرها الدنيا ؟

قلت : أليس من عرف الله صار مستوحشًا ؟

قال : ولكن يكون مهاجرًا متجردًا .

قلت : و هل يتأسّف العارف على شيء غير الله ؟

قال : وهل يعرف العارف غير الله فيتأسّف عليه ؟

فقلت : و هل يشتاق العارف إلى الله ؟

قال : و هل يكون العارف غائبًا عن الله طرفة عين حتى يشتاق إليه ؟

قلت : ما اسم الله الأعظم ؟

قال : أن تقول "الله" و أنت تهابه .

قلت : فأنا كثيرًا ما أقول "الله" و لا تداخلني الهيبة .

قال : لأنك تقول "الله" من حيث أنت ، لا من حيث هو .

قلت : عظني .

قال : حسبك من الموعظة علمك بأنه يراك فقمتُ من عنده .

فقلت : ما تأمرني به .

قال : اطلاعه عليك في جميع أحوالك لا تنسه . انتهى . كذا في الروض ص١٩٦ .

قلت : فإذا دعا الداعي بالاسم الأعظم بهيبة و استغراق و خشوع كاد يتصدّع منه الجبل و ينفلق البحر .

كما حكى اليافعي في الروض ص١٣٥ عن بعضهم قال : احتبس على أهلي خروج الولد . فمضيت إلى الشيخ وليّ الله أبي الحسن الدينوري رَحِمَهُ الله بجام أتبرّك بخطّه فيه . فلمّا كتب الشيخ "بسم الله الرحمن الرحيم" انفلق الجام و سقط الشيخ مغشيًّا عليه . فأتيته بجام آخر فكان منه ما كان من الأوّل . ثم جئته بثالث و رابع و خامس .

فقال : يا هذا ! اذهب إلى غيري . فلو جئتني بما أمكن أن تجيء به لم يكن إلّا ما رأيتَ . فإني عبد إذا ذكرت مولاي ذكرته بهيبة و حضور . انتهى .

فذكر الله بمثل هذه الهيبة و الخضوع الكامل و الحضور التام يسرع به الإجابة . لكن لا يقدر

على الحضور الأتمّ و الاستغراق الأكمل إلّا الكمّل من الأولياء . و لا يتيسر هذا المقام إلّا بعد جمع الشريعة و الحقيقة .

و الحقيقة و الشريعة كما في جامع الأصول ص٣١٦ و غيره من كتب المشايخ الكبار و المحققين من الأفاضل يجمعهما "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" .

"فإياك نعبد" لا يتوصل إليها إلّا بقطع عقبتين : الأولى : العلم النافع . والثانية : العمل المخلص .

و "إياك نستعين" لا يتوصل إليها إلّا بقطع سبع عقبات :

الأولى : قطع عقبتي "إياك نعبد" . و الثانية : عقبة فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية . والثالثة : فطم النفس عن المألوفات العادية . والرابعة : فطم القلب عن الرعونات البشرية . والخامسة : فطم السر عن الكدورات الطبيعية . و السادسة : فطم العقل عن الخيالات الوهمية . و السابعة : فطم الروح عن غير ربّ البرية . انتهى .

ثم اعلم : أنّ حق الهيبة الكاملة الغيبة عما سوى الله تعالى . فكل هائب غائب . و الهائبون يتفاوتون في هذه الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة و الأنس بذكر الله . و هذا مقام عالٍ لايفوز به إلّا الكاملون من العارفين .

ففي الرسالة القشيرية ص٣٦ : قالوا : أدنى محل الأنس أنه لو طرح في لظٰى لم يتكدّر عليه أنسه . قال الجنيد رحمه الله تعالى : كنت أسمع السري رحمه الله تعالى يقول : يبلغ العبد إلى حدّ لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر . وكان في قلبي منه شيء حتى بان لي أن الأمر كذلك . و عن العارف أبي سعيد الخراز رحمه الله تعالى أنه قال : تهتُ في البادية مرة فكنت أقول :

أتيه فلا أدري من التيه من أنا ... سوى مايقول الناس فيّ و في جنسي
أتيه على جنّ البلاد و إنسها ... فإن لم أجد شخصًا أتيه على نفسي

قال : فسمعت هاتفًا يهتف بي و يقول :

أيا من يرٰى الأسباب أعلى وجوده ... و يفرح بالتيه الدنيّ و بالأنس

فلو كنتَ من أهـل الوجود حقيقةً لغبتَ عن الأكوان والعرش والكرسي
وكنتَ بلا حـال مع الله واقفـًا تصـان عن التـذكار للجنّ و الإنس

الجواب السادس : إنما يستجيب الله تعالى الدعاء بالاسم الأعظم أن تقول "يا الله أغثني" و نحو ذلك و أنت كالمضطرّ المنقطع عما سوى الله تعالى . ولا ترجو غيره تعالى كالغريق الذي لا شخص عنده و يرجو النجاة من الله عزّ و جلّ . فإنه في حالة الغرق ينقطع عن الدنيا و أهلها . و ييأس من أن يغيثه أحد غير الله تعالى و سبحانه .

و في الرسالة القشيرية ص١٣٠ : سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول : قال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال . و دعاء الحال أن يكون صاحبه مضطرًا لابد له مما يدعو لأجله .

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي قال : سمعت أبا عبد الله المكانسي يقول : كنت عند الجنيد فأتت امرأة إليه وقالت : ادع الله تعالى لي . فإن ابنًا لي ضاع . فقال : اذهبي و اصبري . فمضت ثم عادت فقالت مثل ذلك . فقال لها الجنيد رحمه الله تعالى : اذهبي و اصبري . فمضت ثم عادت . ففعلت مثل ذلك مرّات . و الجنيد يقول لها : اصبري . فقالت : عيل صبري و لم يبق لي طاقة فادع لي .

فقال الجنيد : إن كان كما قلت فاذهبي فقد رجع ابنك . فمضت ثم عادت تشكر له . فقيل للجنيد : بم عرفت ذلك ؟ فقال : قال الله تعالى : أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ . انتهى .

و يشير إلى تاثير حالة الاضطرار في الدعاء ما روى أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، و الإمام العادل ، و دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام و يفتح لها أبواب السماء و يقول الربّ : و عزّتي لأنصرنّك ولو بعد حين . أخرجه أحمد و الترمذي .

و حكى الشيخ الإمام أبوالثناء محمود عن الأستاذ القشيري عن بعض الأولياء : اسم الله الأعظم ما دعوت به في حال تعظيمك له و انقطاع قلبك إليه . فما دعوت به في هذه الحالة استجيب لك بأيّ اسم دعوت به وفاءً بقوله : أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ . انتهى .

و يستأنس لذلك بعدة حكايات من السلف الصالحين .

كما روي أنه كان في الكوفة رجل مُكارٍ تثق به التجار و يأمنونه على أموالهم . فسافر وحده في وقت . فلمّا خرج من العمران لقيه في الطريق رجل فقال له : أين تريد ؟ فقال المكاري : أريد بلد كذا وكذا . فقال له الرجل : لولا قلّة قدرتي على المشي لكنت رفيقك إليها لكراء . إن شئت أعطيتك دينارًا على أن تحملني إليها على دابتك . فقال له المكاري : أفعل . فأخرج له دينارًا فأخذه و حمله على دابته .

فلمّا صارا في بعض الطريق عرض لهما طريقان . فقال الراكب لصاحب الدابة : أيّ طريق نأخذ ؟ قال : الزم الجادة . فقال له الراكب : أليس هذا الطريق أقصد وأخصب لدابتك ؟ قال صاحب الدابة : ما سلكتها قط . قال له الرجل : أنا سلكتها مرارًا كثيرة . قال : فسِر حيث شئتَ . فسارا ساعة من النهار حتى دقّت تلك الطريق و رمتهم إلى واد موحش فيه جيف القتلى كثيرة . فقال صاحب الدابة : أرٰى هذا الطريق قد انقطع .

فنزل الرجل عن الدابة و أخرج سكّينًا و قصد المكاري ليقتله . فقال له : لا تفعل و دونك و البغل و ما عليه . قال : لا و الله ، لا آخذ البغل حتى أقتلك . فقال له : سألتك بالله العظيم إلاّ ما تركتَني و أخذتَ البغل بما عليه . فقال : لابد من قتلك إلاّ أن يسبقني ملك الموت .

قال : فدعني أختم عملي بركعتين و لا تعجل عليّ . فضحك من كلامه و قال : قم فافعل فإنه فعل مثل ذلك كل من ترى من الجيف في هذا الوادي . فما نفعتهم صلاتهم ولا خلّصتهم مني . فعجل صلاتك . فقام يصلي فكبر ثم قرأ فاتحة الكتاب . ثم تلجلج و لم يدر ما يقول . فنهره و قال : عجل لا أمّ لك . فألهمه الله عزّ و جلّ أن يقول : أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ . فرفع صوته و هو يبكي .

فإذا بفارس قد خرج من الوادي وبيده رمح و في رأسه سنان . كأنه كوكب مضيء . فجاء و قصد الرجل أسرع من اللحظة فطعنه طعنةً من ورائه خرّ بها على وجهه . ثم التهبت في مكانه الذي وقع فيه النار . فلمّا رأى ذلك صاحب الدابة خرّ ساجدًا لله تعالى ما شاء الله .

ثم رفع رأسه و مضى إلى الفارس و قال له : سألتك بالله الذي رحمني بك في هذا المكان من أنت ؟ فقال الفارس : أنا عبد "أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ" . اذهب حيث شئت فلا بأس عليك .

و أنشد بعضهم :

لبستُ ثوب الرجا والناس قد رقدوا	و قمتُ أشكو إلى مولاي ما أجد
و قلتُ يا أملي في كل نائبة	و من عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها	ما لي على حملها صبر و لا جلد
و قد مددتُّ يدي بالذل مبتهلا	إليك يا خير من مدّت إليه يد
فلا تردّنها يا ربّ خائبةً	فبحر جودك يروي كل من يرد
ثم الصلاة على المختار من مضر	محمَّد المصطفى ما مثله أحد

و قال الإمام أبوالقاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري في الرسالة القشيرية ص٣١ : أخبرنا أبوالحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد قال : حدثنا أبوعمرو عثمان بن أحمد المعروف بابن السماك قال حدثنا محمد بن عبدربه الحضرمي قال حدثنا بشر بن عبدالملك قال حدثنا موسى بن الحجاج قال : قال مالك بن دينار حدثنا الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجر من بلاد الشام إلى المدينة و من المدينة إلى بلاد الشام . و لا يصحب القوافل توكُّلًا منه على الله عزوجل .

قال : بينا هو جاء من الشام يريد المدينة إذ عرض له لصّ على فرس فصاح بالتاجر : قف . فوقف له التاجر و قال له : شأنك بمالي و خلّ سبيلي . فقال له اللص : المال مالي ، و إنما أريد نفسك . فقال له التاجر : ما ترجو بنفسي . شانك و المال و خلّ سبيلي . قال : فردّ عليه اللص مثل المقالة الأولى .

فقال له التاجر : أنظرني حتى أتوضأ و أصلي و أدعو ربي عز و جل . قال : افعل ما بدا لك . قال : فقام التاجر و توضأ و صلى أربع ركعات . ثم رفع يديه إلى السماء فكان من دعائه أن قال :

يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعّال لما يريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك و برحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلّا أنت يا مغيث أغثني . ثلاث مرات .

فلمّا فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب عليه ثياب خضر بيده حربة من نور . فلمّا نظر اللصّ إلى الفارس ترك التاجر و مرّ نحو الفارس . فلمّا دنا منه شدّ الفارس على اللصّ . فطعنه طعنة أذراه عن فرسه . ثم جاء إلى التاجر فقال له : قم فاقتله . فقال له التاجر : من أنت ؟ فما قتلت أحدًا قط ولاتطيب نفسي لقتله .

قال : فرجع الفارس إلى اللص فقتله . ثم جاء إلى التاجر و قال : اعلم أني ملك من السماء الثالثة . حين دعوتَ الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعةً . فقلنا : أمر حدث . ثم دعوتَ الثانية . ففتحت أبواب السماء و لها شرر كشرر النار . ثم دعوتَ الثالثة . فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام علينا من قبل السماء و هو ينادي : من لهذا المكروب ؟ فدعوتُ ربي عز و جل أن يولّيني قتله .

و اعلم يا عبد الله ! أنه من دعا بدعائك هذا في كل كربة و كل شدة و كل نازلة فرّج الله تعالى عنه و أعانه . قال : و جاء التاجر سالمًا غانمًا حتى دخل المدينة . و جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بالقصة و أخبره بالدعاء .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لقد لقّنك الله عز و جل أسماءه الحسنى التي إذا دعي بها أجاب و إذا سئل بها أعطى . هذا .

فصل
في ردّ شبهة تمسّك بها المنكرون

اعلم : أن بعض المنكرين لوجود الاسم الأعظم احتجوا على دعواهم بأنه لو كان الأسم الأعظم موجودًا لدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في البدر و في عرفات و غير ذلك من المواضع المهمّة . و لأجاب الله تعالى جميع دعواته . مع أن الله تعالى قد ردّ بعض أدعيته . فسأل في عرفات في حجة الوداع ثلاث دعوات و قبل الله تعالى منها اثنتين و لم يقبل واحدة .

قال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه الدرالنظيم في خواص القرآن العظيم عند ذكر طائفة قالوا "لا يكون اسم من أسمائه تعالى أعظم من الآخر" :

و مما احتجوا به أيضًا أن رسول الله ﷺ لم يكن ليحرم العلم بهذا الاسم . و قد علمه من هو دونه يعني مثل آصف بن برخيا و بلعام بن باعوراء و عبد الله بن التامر . و لم يكن ﷺ ليدعو حين اجتهد في الدعاء لأمته "أن لا يجعل بأسهم بينهم" و هو عليه الصلاة والسلام رؤف بهم عزيز عليه عنتهم . إلّا بالاسم الأعظم . ليستجاب له فيهم .

فلمّا منع الله تعالى ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسمائه تعالى إلّا و هو كسائر الأسماء في الحكم و الفضيلة . يستجيب الله له إذا دعا ببعضها إن شاء و يمنع إن شاء . قال الله تعالى : قُلِ ٱدۡعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُوا ٱلرَّحۡمَٰنَ أَيّٗا مَّا تَدۡعُوا فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ . و ظاهر هذا الكلام التسوية بين أسماء الله الحسنى . انتهى .

قال العبد الضعيف الروحاني البازي : الأولى أن يقال في بسط هذا الجواب : لا ريب في أن نبيّنا عليه الصلاة والسلام كان يعرف الاسم الأعظم . وهو الأجدر بمقامه العالي و شانه السامي وهو منصوص في غير واحد من النصوص المتقدّمة :

منها حديث عائشة رضي الله عنها . و فيه : يا عائشة ! هل علمتِ أن الله قد دلّني على الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب . الحديث .

و منها أحاديث نص فيها رسول الله ﷺ على أنّ اسم الله الأعظم في آية كذا و كذا .

و منها أحاديث بشّر فيها النبي عليه الصلاة والسلام الصحابة رضي الله عنهم عند سماع دعاء داعٍ أنّ هذا الداعي دعا الله تعالى بالاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب . و غير ذلك من الأخبار الصحيحة .

إذا عرفت هذا فأقول : إنّ نبينا عليه الصلاة والسلام و إن كان عارفًا بالاسم الأعظم أتمّ معرفة لكن لايلزم من ذلك الدعاء بالاسم الأعظم في مواضع الاجتهاد في الدعاء لأمّته مثل يوم بدر و يوم أحد و في عرفات في حجة الوداع و غير ذلك من المواضع المهمّة . و الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام لم يدع بالاسم الأعظم في المواضع المذكورة .

إن قلتَ : لِمَ لم يدع النبي عليه الصلاة والسلام بالاسم الأعظم في مثل هذه المواضع المهمّة ؟

قلت : لعل وجه عدم دعائه عليه الصلاة والسلام به في تلك المواضع المهمة إمّا منع الله تعالى إياه أن يدعو

بالاسم الذي يستجاب الدعاء به قطعًا لتجري الأمور حسب مشية الله تعالى بالإطلاق .

و إمّا الأدب مع ذات الله تعالت و تقدّست . و هكذا أدّب الله تعالى وسبحانه أهله أن لايدعوا بالاسم الأعظم و لو في الاضطرار و الحاجة الشديدة إلاّ في موضع لابد فيه من الدعاء بالاسم الأعظم . ولذا لايطلع الله تعالى على الاسم الأعظم إلاّ الولي الكامل الحليم الصابر على الأذى والشدائد الراضي بالقضاء المتوكل المفوّض جميع أموره إلى الله . كي لايدعو به على كل من آذاه أو في كل شدة .

و ما ذكرتُه من أنه عليه الصلاة والسلام لم يدع بالاسم الأعظم في مواضع اجتهاد الدعاء تأدّبًا مع الله تعالى أو منعًا من الله عزّ و جلّ يؤيّده ما ذكره بعض العارفين حيث قال في ذكر الاسم الخاص الذي يستجاب به الدعاء لا محالة : إن الكلام في مثل هذه الأسماء محجور على أهل الله تعالى لما فيه من كشف أسرار . و تأبى الغيرة الإلهية إظهار ذلك . بل أهل الله مع معرفتهم بذلك لا يستعملونها مع الله .

و الدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بها و بإجابة الله تعالى من دعاه بها . لما هي عليه من الخاصية في علم الله بها . و قد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته "أن لا يجعل بأسهم بينهم" فمنعه ذلك و لم يجبه .

و إن كان قد عوّضه فمن باب آخر . و هو أن كل دعاء لا يردّ جملة واحدة و إن عوقب صاحبه . و لكن يردّ ما دعا به خاصة إذا دعا فيما لا يقتضيه خاصية ذلك الاسم .

و أجاب دعاء بلعام بن باعوراء في موسى عليه الصلاة والسلام وقومه لمّا دعاه بالاسم الخاص بذلك وهو قوله : ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ . فلم يكن له من الاسم إلاّ حروفه فنطق بها . و لهذا قال : فَٱنسَلَخَ مِنْهَا . فكانت في ظاهره كالثوب على لابسه . وكما تنسلخ الحية من جلدها . و لو كان في باطنه لمنعه الحياء والمقام من الدعاء على نبي من الأنبياء . وأجيب لخاص الاسم و عوقب و جعل مثله كمثل الكلب . ونسي حروف ذلك الاسم .

فلو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بالاسم الخاص واستعمله لأجابه الله في عين ما سأل . مع علمنا بأنه علم علم الأوّلين و الآخرين و أنه أعلم الناس .

فعلمنا أن دعاءه عليه الصلاة والسلام لم يكن بالاسم الخاص أي بالاسم الأعظم و أنّه تأدّب .

و سبب ذلك الأدب الإلهي . فإنه لايعلم ما في نفس الله . كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام : تَعۡلَمُ مَا فِيۡ نَفۡسِيۡ وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِيۡ نَفۡسِكَ . فلعل ذلك الذي يدعوه فيه ليس له فيه خير . فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام عدلوا تأدّبًا إلى الدعاء فيما يريدون من الله بغير الاسم الأعظم . فإن كان لله في علمه فيه رضًا و للداعي فيه خير أجاب الله في عين ما سئل فيه . و إن لم يكن فيه رضاه عوّض الداعي درجات أو تكفيرًا في سيّآت .

و معلوم عند الخاص و العام أن في أسماء الله الحسنى اسمًا جليلاً يسمى الاسم الأعظم . و في بعض الأحاديث أنّه في آية الكرسي و أوّل سورة آل عمران و غير ذلك من الآثار التي مضى ذكرها . و مع علم النبي عليه الصلاة والسلام به ما دعا به النبي عليه الصلاة والسلام فيما ذكرناه من مواضع اجتهاد الدعاء و الحاجة الشديدة أدبًا . و لو دعا به لأجابه الله تعالى في عين ما سأل الله تعالى فيه .

فالله عزّوجلّ أدّب أهله و أولياءه و أحسن تأديبهم و تزكيتهم . ما أحسن تأديبه و ما أجلى تزكيته . هو نعم المولى و نعم النصير .

هذا . نفعَنا الله وإيّاكم ببركة الإيمان ، وثبّتنا عليه عند الانتقال من هذه الدار إلى الدار الحيوان ، و أحلّنا منها دارالكرامة والرضوان ، و حال بيننا و بين دارٍ سرابيلها من القطران ، و جَعَلنا من العصابة التي أخذت الكُتب بالأيمان ، و ممّن انقلب من الحوض وهو رَيّان ، و ثقل في الميزان ، و ثبتت له على الصراط القدمان ، إنه المنعم المنّان . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب ، و علمه أجلّ و أتمّ و أوسع و أعمّ .



الباب الثاني و مائة

من خصائص الاسم "الله" أنه عين المسمّى ، وأن اسم الجلالة هو المراد من قول الإمام الأشعري رحمه الله تعالى و أتباعه : إن الاسم عين المسمّى .

فباسم الجلالة تصح المحاكمة بين القولين قول الإمام الأشعري المذكور و قول من ادعى التغاير بين الاسم و المسمى و هو قول جمهور العلماء و عامة الأئمة .

خلاصة المحاكمة أن قول الأشعري رحمه الله تعالى بالعينية مختص باسم واحد و هو الاسم "الله" فهو عين مسماه تعالى و عزّ مجده . لكونه دالًّا على ذات بحت ، موضوعًا لها من غير لحاظ صفة أخرى . و أمّا المغايرة بين المسمّى و اسمه ففيما عدا الاسم "الله" ، فصح القولان و انتفى النزاع و الخلاف .

و هذه المسألة مما تحيّر فيه العلماء الأعلام وتوقّف في فهمه كثير من الأئمة الكرام . كما سيبدو لك عند ذكر أقوالهم . و ادّعى كثير منهم أنه لا يعرف وجه النزاع ، و أن القول بالاتحاد بين الاسم و مسماه بديهي البطلان .

و ذكر كثير من المحققين لتوجيه النزاع و تصحيحه وجوهًا . شكر الله تعالى مساعيهم . و لعل الذي ذكرناه من المحاكمة و توجيه النزاع أشفى في دفع الحيرة و أحسن مما ذكروه .

إن قلت : هل صرّح أحد من الأعلام بهذه المحاكمة ؟

قلت : نعم . صرح به بعض المحققين ، و ارتضاه المحقق الجلال المحلي رحمه الله تعالى حيث قال : إن المراد من اتحاد الاسم و المسمى اتحاد الاسم "الله" مع مسمّاه لا اتّحاد كل اسم مع مسمّاه .

قال في اليواقيت ج١ ص٧٦ : فإن قيل : فهل الاسم عين المسمّى أو غيره ؟ فالجواب : أن الأصح كما قاله ابن السبكي رحمه الله تعالى : أن الاسم عينه . و به قال الشيخ أبوالحسن الأشعري رحمه الله تعالى . و قال غيره : هو غير المسمّى كما هو المتبادر . إذ لفظ "النار" مثلاً غيرها بلاشك .

قال الجلال المحلي رحمه الله تعالى : المراد بما قاله الأشعري بالنظر للاسم "الله" إذ مدلوله الذات من حيث هي . بخلاف غيره كالعالم مثلا فإن مدلوله الذات باعتبار الصفة كما قال الأشعري : و لايفهم من الاسم "الله" سوى ذاته تعالى . بخلاف غيره من الصفات فإنه يفهم منه زيادة على الذات من علم أو غيره . انتهى .

و في شرح القنوي و حواشيه على تفسير البيضاوي ج١ ص٤٨ : قال الشيخ أبوالحسن الأشعري رحمه الله تعالى : قد يكون الاسم المدلول عين المسمّى أي ذاته من حيث هو نحو "الله" فإنه اسم عَلَم للذات من غير معنى فيه . و قد يكون غيره نحو "الخالق" و "الرازق" مما يدل على نسبة إلى غيره . ولا شك أن تلك النسبة غيره . و قد يكون لا هو ولا غيره كالعليم و القادر مما يدل على صفة حقيقية قائمة بذاته . انتهى .

فائدة

قال العلامة الشهاب رحمه الله تعالى في شرح تفسير البيضاوي ج١ ص٤٥ : قد اشتهر في كتب الأصول ذكر الخلاف في أن الاسم هو عين المسمى أو التسمية أو غيرها . و قد تحير الناس في المراد من ذلك . و ذكروا له تأويلات لم تظهر لها ثمرة . ولم يتحرّر إلى الآن محل الخلاف و مقطعه . انتهى كلامه .

ولشيخ الإسلام إمام العلماء الشيخ ابن القيم رحمه الله تعالى بحث دقيق مطنب في عدة تصانيفه استوعب فيه ما له و ما عليه كما هو عادته و عادة شيخه المجاهد الكبير ابن تيمية رحمه الله تعالى . فكفى ما قاله و شفى .

ثم إن للقوم في تحرير هذا البحث و في تعيين محل النزاع و الخلاف هنا وجوهًا متعددة بعضها أقوى و بعضها أضعف :

منها : أن الاسم يطلق و يراد به اللفظ كما في "كتبت زيدًا" و يطلق و يراد به المسمّى كما

في "كتب زيد". فإذا ورد ما يحتملهما من غير قرينة مرجحة كرأيت زيدًا. فالقائل بالغيرية يحمله على اللفظ، و بالعينية على المسمى. قيل: و هو أحسن الوجوه في تعيين محلّ النزاع.

و منها: ما ذكره الفخر الرازي رحمه الله تعالى و ادّعى لطفه و دقّته حيث قال في تفسيره ج١ ص٦٠: اعلم: أنا استخرجنا لقول من يقول "الاسم نفس المسمى" تأويلاً لطيفًا دقيقا. و بيانه أن الاسم اسم لكل لفظ دلّ على معنى من غير أن يدل على زمان معين. و لفظ "الاسم" كذلك. فوجب أن يكون لفظ "الاسم" اسما لنفسه. فيكون لفظ "الاسم" مسمى بلفظ الاسم. ففي هذه الصورة الاسم نفس المسمى.

إلّا أن فيه إشكالاً. وهو أن كون الاسم اسما للمسمى من باب الاسم المضاف. و أحد المضافين لابد و أن يكون مغايرًا للآخر. انتهى.

و ردّ عليه الشهاب الخفاجي رحمه الله تعالى في شرح تفسير البيضاوي ج١ ص٤٧: بأن هذا إنما يصح لو كان النزاع في لفظ "اسم" ولا يصلح محلًّا للخلاف حتى ينكره المعتزلة. و أيضًا هذا لا يخص الاسم. بل يجري في غيره كلفظ "لفظ" وككلمة "كلمة" و لفظ "موضوع" ونحوه. انتهى.

و أجاب عنه الفاضل القنوي رحمه الله تعالى في شرح تفسير البيضاوي ج١ ص٤٨ بما حاصله: أن مراد الإمام الرازي أن إصلاح كلامهم مشكل إلّا في صورة كون النزاع في لفظ "الاسم" فإن توجيهه يمكن بهذا الوجه اللطيف الدقيق. ولايعني إصلاح كلامهم مطلقًا، إذ قد صرح الإمام قبل هذا التوجيه أن هذا النزاع فضول.

و منها: ما سطرناه من قبل أن مراد الإمام الأشعري رحمه الله تعالى إنما هو الاسم "الله" فهو عين المسمى. و هذا وجه وجيه من وجه. و إن كان هو أيضًا مما لايثلج به الصدر ثلجًا.

قال في اليواقيت: و أمّا كلام محققي الصوفية في ذلك فقال الشيخ الأكبر في الباب الثاني و الأربعين و ثلاثمائة من الفتوحات: مما يؤيد قول من قال "إن الاسم عين المسمى" قوله تعالى: ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّيْ. فجعل اسمه تعالى عين ذاته. كما قال: قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا. ولم يقل: قل ادعوا بالله و لا بالرحمن. فجعل الاسم هنا عين المسمّى. فلو لم يكن عين المسمى في قوله "ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ" لم يصح قوله "رَبِّيْ". انتهى كلامه.

قلت : و مما يؤيد ذلك أيضا حديث مسلم مرفوعًا : أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحرّكت بي شفتاه . فإنه تعالى جعل اسمه عين ذاته . إذ الذات لا تحرك بها الشفتان . و إنما تتحركان بالاسم الذي هو اللفظ . فليتأمل . انتهى كلام الشعراني .

قال الشيخ السبكي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في كتاب القواعد : إنهم بنوا على هذه المسألة فروعًا فقهية :

منها : ما إذا قال : اسمك طالق . هل يقع به الطلاق أم لا .

و منها : ما لو قال : باسم الله لأفعلن كذا . هل يكون يمينًا أم لا . انتهى . هذا . والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب ، و علمه أعلى و أجلّ .



الباب الثالث و مائة

من خصائص الجلالة أنها جامعة لحقائق الأسماء الحسنى كلها ، و محتوية على معاني الصفات الربّانية بأسرها ، و متضمّنة لمدلولات النعوت الرحمانيّة عن آخرها ، و مشيرة إلى محامد الأفعال الصمدانيّة برُمّتها .

إن قلت : ما وجه كون الجلالة جامعة لمعاني الأسماء الحسنٰى و حقائقها ؟

قلت : اختلفوا في وجه كون الجلالة جامعةً لحقائق الأسماء الحسنٰى بأسرها .

فقيل : وجه ذلك كون الجلالة موضوعة للذات المستجمعة لصفات الكمال . أي مع لحاظ تلك الصفات .

و قيل : هي موضوعة للذات المحضة بدون لحاظ تلك الصفات . إلّا أن تلك الذات المسمّاة بالجلالة جامعة للكمالات و لصفات الكمال . و جامعيّة الذات المسمّاة تستلزم كون اسمها الذاتي مشيرًا إلى صفات كمالها كلها .

و قيل : الجلالة منقولة من "الإله" و معنى الإله المعبود . و المعبود لا يكون إلّا من يوصف بصفات الكمال و الكبرياء و العظمة و الجبروت و الصمدية .

و قيل : "الإله" هو المستحق للعبادة لا المعبود . والمستحق للعبادة لايكون إلّا من هو منعوت بتلك الصفات .

و قيل و القائل هو العلّامة الحليمي رحمه الله تعالى : "الإله" معناه القديم التام القدرة .

قال الشيخ الفقيه ابن عابدين رحمه الله تعالى في ردّ المحتار : و "الله" عَلَم على الذات العليـة المستجمعة للصفات الحميدة كما قاله السعد و غيره ، أو المخصوصة أي بلا اعتبار صفة أصلاً كما قاله العصام . انتهى كلامه .

قال العلامة الجمل رحمه الله تعالى : "الله" أعظم الأسماء الحسنى . لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها . بخلاف سائر الأسماء . فإن كلا منها لايدل إلاّ على بعض المعاني من علم أو فعل أو قدرة أو غيرها . انتهى .

و نقل الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في كتاب الأسماء و الصفات عن العلاّمة الحليمي أنه قال في معنى "الله" : إنه "الإله" . و هذا أكبر الأسماء و أجمعها للمعاني . و الأشبه أنه كأسماء الأعلام موضوع غير مشتق . ومعناه القديم التام القدرة . فإنه إذا كان سابقًا لعامة الموجودات كان وجودها به . و إذا كان تام القدرة أوجد المعدوم و صرف ما يوجده على ما يريده . فاختص لذلك باسم الإله . و لهذا لا يجوز أن يسمّى بهذا الاسم أحد سواه بوجه من الوجوه .

قال : و من قال "الإله هو المستحق للعبادة" فقد رجع قوله إلى أن "الإله"إذا كان هو القديم التام القـدرة كان كل موجود سواه صنيعًا له . و المصنوع إذا علم صانعه كان حقًّا عليه أن يستخذي له بالطاعة ويذل له بالعبودية . لا أن هذا المعنى بتفسير هذا الاسم . قلت : و هـذا الاستحقاق لا يوجب على تاركه إثمًا و لا عقابًا ما لم يؤمر به . قال الله : وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا . و المعنى الأوّل أصح . انتهى .

فائدة شريفة

قال العبد الضعيف البازي : كون اسم "الله" جامعًا لحقائق أسماء الله الحسنى خاصّة لطيفة غريبة . و قد أجمع جمهور العلماء المحققين على صحّة هذه الخاصّة . و تستخرج من كون اسم "الله" جامعًا نتائج تسرّ الناظرين ، و مطالب تُبجّح المشتاقين ، و مسرّات تهزّ أعطاف الأولياء ، و ثمرات تصافح أذهان الأذكياء ، و فوائد تعانِق قلوب الأصفياء .

ندرج ههنا عدّة من طيّبات ثمرات كون اسم "الله" جامعًا لحقائق الأسماء الحسنى كلّها تكميلاً للإفادة . فأقول و بالله التوفيق :

من ثمرات ذلك : إضافة جميع الأسماء الإلهية الحسنى إلى الاسم "الله" . قال الله تعالى : وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ .

قال المحقق ترجمان الإسلام محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين ج١ ص٣٢ بعد ذكر الدلالات الثلاث من المطابقة و التضمن و الالتزام :

فاسم "الله" دالّ على جميع الأسماء الحسنى و الصفات العليا بالدلالات الثلاث . فإنه دالّ على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له ، مع نفي أضدادها عنه . و صفات الإلهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه و المثال و عن العيوب و النقائص .

و لهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى : وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ . و يقال : الرحمن و الرحيم و القدّوس و السلام و العزيز و الحكيم من أسماء الله . و لا يقال : الله من أسماء الرحمن و لا من أسماء العزيز و نحو ذلك .

فعلم أن اسمه "الله" مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دالّ عليها بالإجمال . والأسماء الحسنى تفصيل و تبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم "الله" . و اسم "الله" دال على كونه مألوهًا معبودًا تألهه الخلائق محبةً و تعظيمًا و خضوعًا و فزعًا إليه في الحوائج و النوائب . و ذلك مستلزم لكمال ربوبيته و رحمته المتضمّنين لكمال الملكِ و الحمدِ .

و إلٰهيتُه و ربوبيّتُه و رحمانيّتُه و ملكُه مستلزم لجميع صفات كماله . إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحيّ ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعّال لمايريد ولا حكيم في أفعاله .

و من ثمرات ذلك : كثرة ذكر هذا الاسم الشريف عند بيان الكبرياء و الجلال السامي والكمال التامّ له تعالى . قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن صفات الجلال و الجمال أخص باسم "الله" . انتهى .

و لهذا قال الله تبارك وتعالى : وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَٱللَّهُ قَدِيرٌ . وَٱللَّهُ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ . فالغنى صفة كمال و الحمد صفة كمال . و اقتران غناه بحمده كمال أيضًا . و علمه كمال و حكمته كمال . و اقتران العلم بالحكمة كمال أيضًا . و قدرته كمال و مغفرته كمال . و اقتران القدرة بالمغفرة كمال . وكذلك اجتماع العفو مع القدرة . قال الله تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا . و اقتران العلم بالحلم . قال الله عز و جل : وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ .

و حملة العرش أربعة : اثنان يقولان : سبحانك اللّهم و بحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك . و اثنان يقولان : سبحانك اللّهم و بحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك .

فما كل من قدر عفا ، ولا كل من عفا يعفو عن قدرة ، ولا كل من علم يكون حليما ، ولا كل حليم عالم ، فما قرن شيء بشيء ولم يرتبط وصف بوصف أزين و أكمل من حلم بعلم ، و من عفو بقدرة ، و من ملك بحمد ، و من عزة برحمة . قال تعالى : وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ .

فهذه مواقع ذكر الكمال التام و الجلال الجليل و الجمال الجميل ، و قد أضيف فيها ما هو كمال و جلال إلى الاسم "الله" .

و من ثمرات ذلك : إضافة نور الفراسة إلى هذا الاسم الجليل إشارةً إلى إكرام المؤمن و إلى كمال نور أعطيه عنايةً من الله تعالى .

قال بعض العارفين : قوله عليه الصلاة والسلام : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله . إنما أضاف نور الفراسة إلى الاسم "الله" دون غيره .

لأن الاسم "الله" هو الجامع لأحكام الأسماء . فيكشف المذموم و المحمود و حركات السعادة و الشقاوة . فلو أنه صلى الله عليه وسلم أضاف نور الفراسة إلى الاسم "الحميد" مثلاً لما كان المتفرس يرى بنور فراسته إلّا المحمود السعيد خاصةً .

فمن كانت فراسته العلامات الربانية فلا تخطئ له فراسة . بخلاف من كانت فراسته مستندة إلى الفراسة الحكمية كقولهم مثلاً : من كان أبيض ذا شقرة أو زرقة كثيرة فهو دليل على القحّة والخيانة و خفة العقل و الفسوق . فإن هذا ليس بقاعدة كلية .

ومن ثمرات ذلك : اختصاص هذا الاسم العظيم بالذكر في الاستعاذة . قال الله تعالى : فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ . الآية . و جرى عمل الأمة بذلك فيقولون عند الاستعاذة "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" .

قيل : إنما خص الأمر بالاستعاذة بالاسم "الله" دون غيره من الأسماء ، لأن الطرق التي يأتينا منها الشيطان غير معيّنة . فأمرنا بالاستعاذة بالاسم الجامع . فكل طريق جاءنا منها الشيطان يجد الاسم "الله" مانعًا له من الوصول إلينا . بخلاف الأسماء الفروع . انتهى .

و من ثمرات ذلك : نسبة الفرار إلى هذا الاسم الكريم في قوله تعالى : فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ .

قال بعض العلماء في بيان قوله تعالى "فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ" : إنما جاء بالاسم الجامع الذي هو "الله" لأن في عرف الطبع الاستناد إلى الكثرة . قال ﷺ : يد الله مع الجماعة . فالنفس يحصل لها الأمان باستنادها إلى الكثرة .

و الاسم "الله" مجموع أسماء الخير . و من حقّق معرفة الأسماء الالهية وجد أسماء الأخذ و الانتقام قليلة ، و أسماء الرحمة كثيرة في سياق الاسم "الله" . انتهى .

و من ثمرات ذلك : إضافة الأكبرية و الأعظمية إلى هذا الاسم الأعظم . قال الله تعالى : وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ . و قال تعالى : كَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا . و إنما كان ذكر الاسم "الله" أكبر و كلمته أعلى لكونه جامعًا لحقائق جميع الأسماء الإلهية .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله في اليواقيت ص٧٩ : وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يذهب إلى التفاضل في الأسماء الحسنى ويقول في قوله تعالى "وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا" : هو الاسم "الله".

فإنه أعلى مرتبةً من سائر الأسماء . و لذلك تقدم في التسمية . و في نحو قوله "ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ" على ما ذكر مما يعطف عليه من الأسماء . و أجمع المحققون على أنه الاسم الجامع لحقائق الأسماء كلها .

قال : و نظير ذلك أيضا قوله تعالى : وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ . أي ولذكر الاسم "الله" أكبر من ذكر سائر الأسماء . انتهى .

و من ثمرات ذلك : نسبة الإحسان في العبادة إلى هذا الاسم الشريف . قال عليه الصلاة والسلام عند بيان مقام الإحسان : الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فأضاف العبادة إلى الاسم الجامع و هو "الله" تنبيهًا على أن الإحسان يقتضي العبادة الجامعة ، و على أن أكمل الناس عبوديةً إنما هو المتعبد بالطريق الجامع وهو الصراط المستقيم ، لا المتعبد ببعض أسمائه . ولذا قال الله تعالى : وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا . و الدعاء يشمل العبادة . وهو سبحانه تعالى يحبّ موجب أسمائه و صفاته و كمالها . و كمال الأسماء و الصفات الربانية منوط بالجامعية . و الاسم "الله" أجمعها و أكملها . فالتعبد بالاسم "الله" هو التعبد بأسمائه الحسنى كلها .

قال الإمام الشيخ ابن القيم رحمه الله في المدارج ج١ ص٤٢٠ : فله تعالى وسبحانه في كل ما قضاه و قدره الحكمة البالغة و الآيات الباهرة ، و التعرفات إلى عباده بأسمائه و صفاته و استدعاء محبتهم له و ذكرهم له و شكرهم له و تعبدهم له بأسمائه الحسنى . إذ كل اسم فله تعبّد مختص به علمًا و معرفةً و حالاً .

و أكمل الناس عبوديةً المتعبّد بجميع الأسماء و الصفات التي يطلع عليها البشر . فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، كمن يحجبه التعبد باسمه "القدير" عن التعبد باسمه "الحليم الرحيم" ، أو يحجبه عبودية اسمه "المعطي" عن عبودية اسمه "المانع" ، أو عبودية اسمه "الرحيم" و "العفو" و "الغفور" عن اسمه "المنتقم" ، أو التعبد بأسماء "التودد" و "البر" و "اللطف" و "الإحسان" عن أسماء "العدل" و "الجبروت" و "العظمة" و "الكبرياء" و نحو ذلك .

و هـذه طريقة الكمّل من السائرين إلى الله تعالى . و هي طريقة مشتقة من قلب القرآن . قال الله تعالى : وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا . و الدعاء بها يتناول دعاء المسألة و دعاء الثناء و دعاء التعبّد . و هو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه و صفاته ، و يثنوا عليه بها ، و يأخذوا بحظّهم من عبوديتها . انتهى .

فالإحسان أكبر مقامات السائرين إلى الله تعالى و أجمعها . و الأحرى بالمقام الأكبر أن يضاف إلى أعظم أسماء الله تعالى و أجمعها .

فانظر ما ألطف كلام النبي صاحب جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم و ما أحسنها . و لذا أضاف الله تعالى

الحمد إلى الاسم الجامع في فاتحة كتابه فقال : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . ليتأدّى الحمد الكلي الكامل الجامع . لأن الواجب علينا أن نحمد الله تعالى على جميع صفاته و أسمائه . و ذلك لا يتأتّى إلّا بإضافته إلى الاسم "الله" المحيط بمعاني جميع أسمائه الحسنى .

فإذا قلنا "الحمد لله" فقد حمدناه على الرحمة و الرازقية و القدرة و البصر و العلم و الإنعام و غير ذلك من أوصاف الكمال بحذافيرها ، لكون "الله" اسمًا جامعًا .

بخلاف قولنا "الحمد للرحمن" فإنه حمد على رحمته فقط دون علمه و دون سائر الصفات . وقولنا "الحمد للعليم" حمد على علمه فقط دون رحمته وبقية صفات الله تعالى . فمثل هذا حمد جزئي ، والحمد الجزئي مقام المريدين ، و هو دون مقام الكمّل ذوي الإحسان و الإتقان .

و نحن إنما أمرنا بالإحسان في حمده تعالى و في كل شيء . و الإحسان في شكره و حمده تعالى يستدعي الحمد الجامع الكلي بالإضافة إلى الاسم الجامع . و هو قولنا : الشكر لِله ، و الحمد لله .

هذا . والله أعلم بما هو صواب من الأسرار و بما هو حق من الأفكار و بما هو خير من الأنوار ، و علمه أعلى و أوسع و أجلّ .



الباب الرابع و مائة

من عجائب خصائص الاسم "الله" اندماجه في جميع الأسماء و دخوله فيها بحساب الجُمّل و سريانه في جميع الكلمات سريان الروح في الحيوان و دخول الروح عند المسرّة في أحشاء الإنسان و قلبه و جريان الرائحة الطيبة في جميع أجزاء المسك و الريحان . و إن شئت فقل : من عجائب خصائص الاسم "الله" استخراج عدده من كل اسم بل من كل كلمة سواء كانت عربية أو عجمية . و ذلك بحساب الجمل .

إن قلت : ما تفصيل هذه الخاصة الغريبة ؟ و ما طريق استنباط عدد الاسم "الله" من الكلمات بحساب الأبجد و الجمل ؟

قلت : تفصيل المقام بحيث ينحل به المرام أن تعرف أوّلاً أعداد لفظ تريده بحساب الجمل ثم تضرب ذلك العدد في عدد ٢ .

ثم تجمع الواحد مع حاصل الضرب .

ثم تضرب مجموع العدد في عدد ٣ .

ثم تقسِّم العدد الناتج من الضرب على ٦ .

ثم ما بقي من العدد بعد التقسيم تضربه في عدد ٢٢ .

فالعدد الحاصل هو المطلوب . و المطلوب هو عدد الاسم "الله" . و عدد الاسم "الله" ٦٦ .

إن قلت : ما توضيح ما قلت إن عدد الاسم "الله" بحساب الجمل هو ٦٦ و ما طريق حصول

عدد ٦٦ من هذا الاسم الجليل ؟

قلت : توضيح طريقه أن الحروف المرسومة للاسم "الله" أربعة : الف ،ل ، ل ، ه. و مجموع عدد هذه الأحرف الأربعة بحساب الجمل ٦٦ هكذا ألف = ١ ، ل = ٣٠ ، ل = ٣٠ ، ه = ٥ .

إن قلت : زدنا توضيحًا و تفصيلاً بذكر الأمثلة .

قلت : تريد استخراج عدد الجلالة من لفظ "عرش" فنقول : مجموع عدد حروف "عرش" بحساب الأبجد ٥٧٠ هكذا ع = ٧٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ .

فاضرب أوّلاً ٥٧٠ في ٢ هكذا ٥٧٠ × ٢ = ١١٤٠ .

ثم اجمع معه الواحد هكذا ١١٤٠ + ١ = ١١٤١ .

ثم اضرب ١١٤١ في ٣ هكذا ١١٤١ × ٣ = ٣٤٢٣ .

ثم اقسم ٣٤٢٣ على ٦ هكذا ٣٤٢٣ ÷ ٦ = ٥٧٠ .

فالناتج من التقسيم ٥٧٠ و يبقى عدد ٣ زائدًا .

ثم اضرب ٣ في ٢٢ كان الناتج ٦٦ هكذا ٣ × ٢٢ = ٦٦ .

و عدد ٦٦ هو عدد حروف الاسم "الله" بحساب الجمل كما عرفت من قبل .

وكذلك إن تريد استخراج عدد الجلالة من الاسم "محمد موسى" فنقول : مجموع عدد حروف "محمد موسى" بحساب الأبجد ٢٣٩ هكذا م = ٤٠ ، ح = ٨ ، م = ٤٠ ، م = ٤٠ ، د = ٤ ، م = ٤٠ ، و = ٦ ، س = ٦٠ ، ألف = ١ .

فاضرب أوّلاً ٢٣٩ في ٢ هكذا ٢٣٩ × ٢ = ٤٧٨ .

ثم اجمع معه الواحد هكذا ٤٧٨ + ١ = ٤٧٩ .

ثم اضرب ٤٧٩ في ٣ هكذا ٤٧٩ × ٣ = ١٤٣٧ .

ثم اقسم ١٤٣٧ على ٦ هكذا ١٤٣٧ ÷ ٦ = ٢٣٩ .

فالناتج من التقسيم ٢٣٩ و يبقى عدد ٣ زائدًا .

ثم اضرب ٣ في ٢٢ كان الناتج ٦٦ هكذا ٣ × ٢٢ = ٦٦ .

و عدد ٦٦ هو الذي أردناه .

وكذلك إن تريد استخراج عدد الجلالة من لفظ "شيخ" فنقول : مجموع عدد حروف "شيخ" بحساب الأبجد ٩١٠ هكذا ش = ٣٠٠ ، ي = ١٠ ، خ = ٦٠٠ .

فاضرب أوّلاً ٩١٠ في ٢ هكذا ٩١٠ × ٢ = ١٨٢٠ .

ثم اجمع معه الواحد هكذا ١٨٢٠ + ١ = ١٨٢١ .

ثم اضرب ١٨٢١ في ٣ هكذا ١٨٢١ × ٣ = ٥٤٦٣ .

ثم اقسم ٥٤٦٣ على ٦ هكذا ٥٤٦٣ ÷ ٦ = ٩١٠ .

فالناتج من التقسيم ٩١٠ و يبقى عدد ٣ زائدًا .

ثم اضرب ٣ في ٢٢ كان الناتج ٦٦ هكذا ٣ × ٢٢ = ٦٦ .

و عدد ٦٦ هو عدد حروف الاسم "الله" بحساب الجمل .

هذا آخر الكلام في كشف خصائص الاسم "الله" و بسط أسراره و لطائفه . فدونك كتابًا لطيفًا هو محتوٍ على ما ينيف على خمسين و سبعمائة من خصائص الجلالة و مزاياها .

و هذا موضوع بديع و مطلب شريف رفيع لم يؤلّف فيه أحد من العلماء المتقدمين و المتأخرين . وفّقني الله تعالى و سبحانه لإتمامه و تكميله .

ثم اعلم : أنك ترى في أثناء أبوابه مباحث لأصحاب الإشارات و أهل الطريقة من الصوفية . و لم أذكرها إلّا تكميلاً لأبحاث الموضوع و حرصًا على جمع كل ما قيل في بيان أسرار الجلالة .

و أمّا معتقدي فهو أن كل ما خالف الكتاب و السنة فهو ردٌّ ، و أن الحق محصور فيما وافقهما . و حقّ ما قال إمام الأئمة المجاهد القاطع بسيف حقّه البتّار أعناق أهل البدعة شيخ الإسلام ابن تيمية

رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : يجب على كل مسلم أن لا يتّبع إلاّ ما وافق كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ . إذ لا فلاح إلاّ في ذلك .

و أسأل الله تعالى وسبحانه أن يتقبل كتابي هذا بقبول حسن و ينبته نباتا حسنا و أن يحبّبه إلى كل فاضل و عالم . إنه ذو فضل كامل دائم .

و كان الفراغ من تبييضه ببلدة لاهور ، و أنا على غارب الترحال إلى حجّ بيت الله الشريف ، صباح يوم الثلاثاء في سادس ذي القعدة من شهور سنة ثمان و تسعين و ثلاثمائة و ألف من الهجرة . والحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على رسوله محمد و آله و أصحابه و أتباعه أجمعين .

تمّ الكتاب

الفهـرس

الصفحة **الموضوع**

تمّ الفهرس للجزء الثاني

فهرستُ مؤلفات الروحَـاني البَازي

أعلى الله درجاته في دارالسّلام و طيّب آثاره

ندرج ههنا مؤلفات المحدّث المفسّر الفقيه الرحلة الحجّة الشهير في الآفاق جامع المعقول و المنقول أمير المؤمنين في الحديث العلامة الأوحدي و الفهامة اللوذعي الشاعر اللغوي الأديب الشيخ مولانا محمد موسى الروحاني البازي وآثاره العلمية الخالدة . رَحمه الله تعالى رحمة واسعة .

﴿ قال الشيخ الروحاني البازي رحمه الله تعالى في بعض مؤلفاته : تصانيفي بعضها باللغة العربية وبعضها بلغة الأردو وبعضها بالفارسية وغيرها من الألسنة ثم إن بعضها مطبوعة وبعضها غير مطبوعة لعدم تيسر أسباب الطباعة . و بعضها صغار و بعضها كبار و بعضها في عدة مجلدات .

وقد وفّقني الله تعالى للتصنيف في جميع الفنون الرائجة قديمًا وحديثًا في علماء الإسلام رحمهم الله تعالى مثل فنّ علم التفسير و فنّ أصوله و علم رواية الحديث و علم الفقه و أصوله و علم اللغة العربية و الأدب العربي و علم الصرف و علم الاشتقاق و علم النحو و علم الفروق اللغوية و علم العروض و علم القافية وعلم أصول العروض و في الدعوة الإسلامية والنصائح و علم المنطق و علم الطبيعي من الفلسفة و علم الإلٰهيات و علم الهيئة القديمة و علم الهيئة الحديثة و علم الأخلاق و علم العقائد الإسلامية وعلم الفِرق المختلفة و علم الأمور العامة و علم التاريخ و علم التجويد و علم القراءة . ولله الحمد و المنة .

وكذلك درست بتوفيق الله تعالى في المدارس والجامعات كتب أكثر هذه الفنون إلى مدة . ولله الحمد والمنة . ﴾

هذه أسماء نبذة من تصانيف الشيخ البازي رحمه الله تعالى في العلوم المختلفة و الفنون المتعددة من غير استقصاء

في علم التفسير

١ - شرح و تفسير لنحو ثلاثين سورةً من آخر القرآن الشريف . هو تفسير مفيد مشتمل على أسرار و علوم .

٢ - أزهار التّسهيل في مجلّدات كثيرة تزيد على أربعين مجلّدًا . هو شرح مبسوط للتفسير المشهور بأنوار التنزيل للعلامة المحقّق البيضاوي .

٣ - أثمار التكميل مقدمة أزهار التسهيل في مجلّدين .

٤ - كتابُ علوم القرآن . بيّن فيه المصنف البازي رحمه الله تعالى أصول التفسير ومباديه و علومه الكلية وأتى فيه بمسائل مفيدة مهمة إلى غاية .

٥ - تفسير آية " قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ " الآية . ذكر فيه المصنف البازي رحمه الله تعالى من باب سعة رحمة الله غرائب أسرار و عجائب مكنونة مشتملة عليها هذه الآية نحو سبعين سرًّا و هذه أسرار لطيفة مثيرة لساكن العزمات إلى غرفات نيرات في روضات الجنّات . فتحها الله عز و جل على المصنف وقد خلت عنها زبر السلف والخلف . ولله الحمد و المنة .

٦ - كتاب تفسير آيات متفرقة من كتاب الله عز و جل و هو مجموعة خطابات تفسيرية كان المصنف البازي يلقيها على الناس و يذيعها بوساطة الراديو في باكستان و ذلك إلى مدة .

٧ - كتاب ثبوت النّسخ في غير واحد من الأحكام القرآنية و الحديثية و حكم النسخ و أسراره ومصالحه . رسالة مهمة جدًّا فيها أسرار النسخ ما خلت عنها الكتب . كتبها المصنّف البازي دمغًا لمطاعن غلام أحمد برويز رئيس طائفة الملاحدة المنكرين حجيَّة الأحاديث النبويّة في

الأحكام الإسلامية . أبطل فيها المصنف البازي رحمه الله اعتراضات هذا الملحد على الإسلام و على حكم النسخ . و ذلك بعد ما اتّفقت مناظرات قلميّة و خطابيّة بين المصنّف و بين هـذا الملحد غلام أحمد و أتباعه .

٨ - فتح الله بخصائص الاسم الله .كتاب بديع كبير في مجلدين ضخمين ذكر فيه المصنف البازي رحمه الله نحو سبعمائة و خمسين من خصائص و مزايا للاسم الله (الجلالة) ظاهرية و باطنية لغوية و أدبية و روحانية و نحوية و اشتقاقية و عددية و تفسيرية و تاثيرية . و هو من بدائع كتب الدنيا ما لا نظير له في كتب السلف والخلف ولا يطالعه أحد من العلماء أصحاب الذوق السليم والطبع المستقيم إلاّ و هو يتعجب مما اجتهد المصنف البازي في جمع الأسرار و البدائع .

٩ - رسالة في تفسير "هدًى للمتّقين" فيها نحو عشرين جوابًا لحلّ إشكال تخصيص الهداية بالمتّقين .

١٠ - مختصر فتح الله بخصائص الاسم الله .

في علم الحديث

١ - شرح حصّة من صحيح مسلم .

٢ - شرح سنن ابن ماجه .

٣ - كتاب علوم الحديث . هذا كتاب مفيد مشتمل على مباحث و علوم من باب أصول الحديث رواية و دراية .

٤ - رياض السنن شرح السنن و الجامع للإمام الترمذي رحمه الله في مجلدات كثيرة .

٥ - فتح العليم بحلّ الإشكال العظيم في حديث " كما صلّيت على إبراهيم" . هذا كتاب كبير بديع لا نظير له . فتح الله تعالى فيه برحمته وفضله على المصنف البازي أبوابًا من العلوم ما مستها أيدي العقول وما انتهت إليها عقول العلماء الفحول إلى هذا الزمان . ذكر المصنّف في هـذا الكتاب لحـلّ هذا الإشكال العظيم نحو مائة و تسعين جوابًا . قال بعض العلماء الكبار في حق هذا الكتاب : ما سمعنا أن أحدًا من علماء السلف و الخلف أجاب عن مسألة دينية و معضلة علمية هذا العدد من الأجوبة بل و لا نصف هذا العدد .

٦ - أجر الله الجزيل على عمل العبد القليل .

٧ - كتاب الفرق بين النبي و الرسول . هذا كتاب بديع لطيف ذكر فيه المصنف البازي أكثر من ثلاثين فرقًا بين النبي و الرسول مع بيان عجائب الغرائب و غرائب العجائب و بدائع الروائع و روائع البدائع من باب علوم متعلقة بحقيقة النبوة و بشان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . و هذا الكتاب لا نظير له في الكتب .

٨ - كتاب الدعاء . كتاب كبير نافع مشتمل على أبحاث مهمة لا غنى عنها .

٩ - النفحة الربانية في كون الأحاديث حجة في القواعد العربية . هذا كتاب كبير أثبت فيه المصنف البازي أن الأحاديث حجة في باب العربية و اللغة . و هو من عجائب الكتب .

١٠ - مختصر فتح العليم .

١١ - كتاب الأربعين البازية .

١٢ - الكنز الأعظم في تعيين الاسم الأعظم . كتاب جامع في هذا الموضوع لم تر العيون نظيرَه في كتب المتقدّمين و لم يقف أحد على مثيله في أسفار المتأخّرين .

١٣ - البركات المكيّة في الصلوات النبوية . كتاب بديع مبارك ذكر فيه المصنف البازي أكثر من ثمانمائة اسم محقَّق من أسماء النبي ﷺ في صورة الصلوات على خاتم النبيّين ﷺ .

١٤ - كتاب كبير على حجيّة الأحاديث النبويّة في الأحكام الإسلامية . كتبها المصنّف دمغًا لمطاعن طائفة الملاحدة المنكرين حجيّة الأحاديث النبويّة في الأحكام الإسلامية .

في علم أصول الفقه

١ - شرح التوضيح والتلويح . التوضيح والتلويح كتاب مغلق دقيق محقق جدًّا في أصول الفقه و يدرس في مدارس الهند و باكستان و أفغانستان وغيرها . وهو كتاب عويص لايفهم دقائقه وأسراره إلّا الآحاد من أكابر الفن فشرحه المصنف البازي شرحًا محققا و أتى فيه ببدائع النفائس و نفائس البدائع .

في علم الأدب العربي

١ - شرح مفصل لديوان أبي الطيّب المتنبي .

٢ - شرح آخر مختصر لديوان أبي الطيب .

٣ - خصائص اللغة العربيّة و مزاياها . هو كتاب ضخيم نفيس لا نظير له في بابه فصل فيه المصنف البازي رحمه الله الفضائل الكلية و الجزئية لهذه اللغة المباركة و أتى فيه بلطائف وغرائب و بدائع و روائع تسرّ الناظرين و تهزّ أعطاف الكاملين و حق ما قيل : كم ترك الأول للآخر .

٤ - رشحات القلم في الفروق . هذا الكتاب مما يحتاج إليه كل عالم ومتعلم لم يصنف في هذا الموضوع أحد قبل ذلك أثبت فيه المصنف البازي علومًا و حقائق الفروق و دقائق الحدود و لطائف التعريفات للمصدر الصريح والمصدر المأوّل وحاصل المصدر واسم المصدر وعلم المصدر والجنس و اسم الجنس وعلم الجنس و الجمع و اسم الجمع و شبه الجمع والجنس اللغوي والفقهي والعرفي والمنطقي والأصولي و نحو ذلك من المباحث المفيدة إلى غاية .

٥ - شرح ديوان حسان رضي الله عنه .

٦ - الطوبى . قصيدة في نظم أسماء الله الحسنى شهيرة طبعت في صورة رسالة مستقلة أكثر من خمس و عشرين مرة استحسنها العوام و الخواص و استفادوا منها كثيرًا .

٧ - الحسنىٰ . قصيدة في نظم أسماء النبي صلى الله عليه وسلم طبعت في صورة رسالة منفردة مرارًا .

٨ - المباحث الممهدة في شرح المقدمة . رسالة نافعة في مباحث لفظ المقدّمة الواقع في الخطب .

٩ - ديوان القصائد . مشتمل على أشعاري و قصائدي .

في علم النحو

١ - بُغية الكامل السامي شرح المحصول و الحاصل لملاّ جامي . هذا شرح مبسوط محتو على مباحث و حقائق متعلّقة بالفعل والحرف والاسم و حدودها وعلاماتها و وقوعها محكومًا عليها و بها وغير ذلك من أبحاث تتعلّق بهذا الموضوع . و هذا كتاب لا نظير له في كتب النحو . فيه بدائع و حقائق خلت عنها كتب السلف و الخلف . وكتب بعض كبار العلماء في تقريضه : هذا

الكتاب غاية العقل في هذا الموضوع . و من أراد أن يطلع على حقائق الاسم و الفعل و الحرف فوق هذا و أكثر من هذا فليستح .

٢ - التعليقات على الفوائد الضيائية للجامي . هذا شرح الكتاب للعلامة ملاّ جامي . و هو كتاب معروف و متداول في ديار باكستان و الهند و أفغانستان و بنغله ديش و غيرها و يدرس في مدارسها .

٣ - النجم السعد في مباحث " أمّابعد " . هذا كتاب مفيد لطيف بيّن فيها المصنف البازي رحمه الله تعالى مباحث فصل الخطاب لفظة " أمّابعد " و أوّل قائلها و حكمها الشرعي و إعرابها و ما ينضاف إلى ذلك من المباحث المفيدة و ذكر نحو ١٣٣٩٧٤٠ وجهًا و طريقًا من وجوه إعراب و طرق تركيب يحتملها "أمّابعد". و هذا من عجائب اللغة العربية فانظر إلى هذه الكلمة المختصرة و إلى هذه الوجوه الكثيرة .

٤ - لطائف البال في الفروق بين الأهل و الآل . هو كتاب صغير حجمًا كبير مغزى نافع جدًّا لا مثيل له في موضوعه . جمع فيه المصنف البازي فروقًا كثيرة و مباحث و دقائق يجهلها كثير من الناس و يحتاج إليها العلماء .

٥ - نفحة الرّيحانه في أسرار لفظة سبحانه . رسالة مفيدة مشتملة على أسرار هذه اللّفظة .

٦ - الطريق العادل إلى بغية الكامل .

٧ - كتاب الدرّة الفريدة ، في الكلم التي تكون اسمًا و فعلاً و حرفًا أو حوت قسمين من أقسام الكلمة الثلاثة . ذكر المصنف رحمه الله تعالى في هذا الكتاب الذي هو نظير نفسه كلمات تكون اسمًا مرة و حرفًا حينا و فعلا مرة أخرى . و هذا من غرائب كتب الدنيا و مما لا مثيل له .

٨ - رسالة في عمل الاسم الجامد .

٩ - النهج السهل إلى مباحث الآل و الأهل . كتاب نافع لأولى الألباب و سِفر رافع لدرجات الطلاّب لم تسمح في هذا الموضوع قريحة بمثاله و لم ينسج في هذا المطلوب ناسج على منواله . كتاب فريد جمع أبحاث الأهل و الآل منها الفروق بين هذه اللفظين التي بلغت أكثر من خمسة و ثلاثين فرقًا و منها الأقاويل في أصل الآل و منها المباحث و الأقوال في محمل آل النبي

ﷺ والمراد بهم و غير ذلك من المباحث المفيدة المهمّة جدًّا .

١٠ - رسالة بديعة في حقيقة المشتق .

١١ - رسالة في حقيقة الفعل .

١٢ - رسالة في حقيقة الحرف .

في علم الصرف

١ - كتاب الصّرف . هو كتاب نافع على منوال جديد .

٢ - التصريف . كتاب دقيق في هذا الفن لا نظير له .

٣ - كتاب الأبواب و تصريفاتها الصغيرة و الكبيرة .

في علمي العروض و القوافي

١ - الرّياض الناضرة شرح محيط الدّائرة .

٢ - العيون الناظرة إلى الرياض الناضرة . هذا كتاب لطيف و مفيد جدًّا مشتمل على أصول هذا الفنّ و أنواع الشعر و ما يتعلّق بذلك من البدائع و الحقائق الشريفة .

٣ - كتاب الوافي شرح الكافي . هذا شرح مبسوط للكتاب المشهور بالكافي .

في اللغة العربيّة

١ - كتاب الفروق اللغوية بين الألفاظ العربية هو كتاب نافع جدًّا لكل عالم و متعلم و بغية مشتاقي الأدب العربي أوضح فيه المصنف فروق مآت ألفاظ متقاربة معنى .

٢ - نعم النّول في أسرار لفظة القول . كتاب مفيد فصلت فيه أبحاث و مسائل متعلقة بلفظة القول و مادة " ق ، و ، ل " . و أتى فيه المصنف البازي أسرارًا و أثبت بالدلائل أن هذا البناء بحر فحدث عن البحر ولا حرج .

٣ - كتاب زيادة المعنى لزيادة المبنى . ذكر المصنّف فيه أن زيادة المادة و الحروف تدلّ على زيادة المعنى و أتى بشواهد من القرآن و الحديث و اللغة و أقوال الأئمة .

٤ - فتح الصمد في نظم أسماء الأسد المعروف بلقب نظم الفقير الروحاني في رثاء الشيخ عبدالحق الحقّاني . هذه قصيدة فريدة لا نظير لها في الماضي قد جمع فيها المصنف ما ينيف على ستمائة من أسماء الأسد و ما يتعلق بالأسد و هي في رثاء المحدّث الكبير مسند العَصر جامع المعقولات و المنقولات شيخ الحديث مولانا عبدالحق رَحِمَهُ الله مؤسّس جامعة دارالعلوم الحقانية ببلدة أكوره ختك .

٥ - كتاب كبير في أسماء الأسد و ما يتعلق بالأسد .

٦ - رسالة في وضع اللغات .

في النصائح و الدعوة الإسلامية العامة

١ - تعليم الرفق في طلب الرزق .

٢ - استعظام الصغائر .

٣ - تنبيه العقلاء على حقوق النساء .

٤ - ترغيب المسلمين في الرزق الحلال و طِعمة الصالحين .

٥ - منازل الإسلام .

٦ - فوائد الاتفاق .

٧ - عدل الحاكم و رعاية الرعية .

٨ - جنة القناعة .

٩ - أحوال القبر و ذكر ما فيها عبرة .

١٠ - الموت و ما فيه من الموعظة .

١١ - مَن العاقل و ما تعريفه و حدّه .

١٢ - التوحيد و مقتضاه و ثمراته .

في علم التاريخ

١ - تحبير الحسب بمعرفة أقسام العرب وطبقات العرب . كتاب مفيد فيه بيان طبقات العرب

وتفصيل أقسامهم و ما ينضاف إلى ذلك .

٢ - الصحيفة المبرورة في معرفة الفرق المشهورة . بيّن المصنف البازي في هذا الكتاب أحوال الفرق في المسلمين و تفاصيل مؤسس كل فرقة .

٣ - مرآة النّجباء في تاريخ الأنبياء . هذا كتاب تاريخي مشتمل على أهم واقعات الأنبياء وتواريخهم عليهم الصلاة و السلام .

٤ - التحقيق في الزنديق . رسالة لطيفة فيها تفصيل تعريف الزنديق و تحقيق لفظه و بيان مصداقه من الفرق الباطلة و حقق فيه المصنف البازي رحمه الله تعالى مستدلًّا بالكتاب و السنة وأقوال الأئمة الكبار أن الفرقة القاديانية أتباع المتنبي غلام أحمد الكذاب الدجال من الزنادقة و أنه لا يجوز إبقاؤهم في الدول الإسلامية بأخذ الجزية عنهم بل يجب قتلهم .

٥ - عبرة السائس بأحوال ملوك فارس . فصل المصنف البازي رحمه الله تعالى فيه تراجم ملوك فارس حسب ترتيب تملكهم وأحوال طبقتي ملوكهم الكينية و الساسانية و ما آل إليه أمرهم و في ذلك عبرة للمعتبرين .

٦ - غاية الطلب في أسواق العرب . كتاب أدبي تاريخي ذكر فيه المصنف البازي تواريخ الأسواق المشهورة في العرب و ما يتعلق بذلك الموضوع من حقائق أدبية .

٧ - إعلام الكرام بأحوال الملائكة العظام . بلغة أردو .

٨ - تراجم شارحي تفسير البيضاوي و مُحشّيه .

٩ - الطاحون في أحوال الطاعون .

١٠ - النظرة إلى الفترة . كتاب صغير مهم تاريخي في مصاديق زمن الفترة و أقسامها بأحكامها وما يتعلق بهذا الموضوع .

١١ - تاريخ العلماء و الأعيان .

١٢ - ترجمة سلمان الفارسي رضي الله عنه .

١٣ - توجيهات علمية لأنوار مقبرة سلمان الفارسي رضي الله عنه . كتاب بديع بيّن فيه المصنف رحمه الله تعالى نحو ثلاثين توجيها علميا لأنوار قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه .

في علم المنطق

١ - شكر الله على شرح حمد الله للسنديلي . كتاب حمد الله شرح سلم العلوم للشيخ العلامة حمد الله السنديلي كتاب كبير مغلق دقيق محقق جدًّا في المنطق و هو مما يقرأ و يدرس في مدارس الهند و باكستان و أفغانستان و غيرها لازما و لا يفهم دقائقه و أسراره إلّا بعض أكابر الفن وللمصنف البازي رَحِمَهُ اللهُ شهرة في حل هذا الكتاب فشرحه شرحا محققا و أتى فيه ببدائع .

٢ - التعليقات على شرح القاضي مبارك لسلّم العلوم . كتاب القاضي مبارك كتاب نهائي في المنطق و أشهر كتاب في هذا الفن قد اشتهر بين العلماء و الطلبة بأنه عويص و عسير فهما لأجل العبارات الدقيقة الجامعة للأسرار العلمية و أنه لا يقدر على تدريسه و فهمه إلّا القليل حتى قيل في حقه : كاد أن يكون مجملا مبهما . و هذا الكتاب يدرس في مدارسنا و جامعاتنا فشرحه المصنف البازي شرحًا مبسوطا و سهل فهمه للعلماء و الطلبة .

٣ - التعليقات على سلّم العلوم .

٤ - التعليقات على شرح مير زاهد على ملاّ جلال .

٥ - الثمرات الإلهاميّة لاختلاف أهل المنطق و العربية في أن حكم الشرطية هل هو بين المقدم والتالي أو هو في التالي . بيّن المصنف البازي ثمرات و نتائج اختلاف الفريقين المذكورين في محل القضية الشرطية هل هوفيما بين الشرط و الجزاء أو في الجزاء فقط و فرع على ذلك غير واحد من أدقّ مسائل الحنفية و الشافعية و غير ذلك من الأسرار و هو كتاب عويص لا يفهمه إلّا الآحاد من أكابر الفن و لا نظير له .

٦ - شرح مبحث الوجود الرابطي من كتاب حمد الله (باللغة العربية) .

٧ - شرح بحث الوجود الرابطي من كتاب حمد الله (بلغة الأردو) .

٨ - التحقيقات العلميّة في نفي الاختلاف في محلّ نسبة القضيّة الشرطية بين علماء المنطق وعلماء العربية . هذا كتاب لانظير له عويص لايفهمه إلّا بعض الأفاضل الماهرين في المعقول و المنقول حقق فيه المصنّف البازي أن هذا الاختلاف وإن كان مشهورًا مسلّما لكن الحق أنه لا خلاف بين هاتين الطائفتين وأن محل النسبة إنما هو بين الشرط و الجزاء عند كلا الفريقين أهل المنطق

و أهل العربية و أيّد المصنف مدعاه هذا بإيراد حوالات كتب النحو و ذكر أقوال أئمة النحو و حقق ما لا يقدر عليه إلّا مَن كان ذامطالعة وسيعة جدًّا .

في الطبعيات و الإلٰهيات من الفلسفة

١ - تعليقات على كتاب صدرا شرح هداية الحكمة للعلامة الصدر الشيرازي .

٢ - تعليقات على كتاب مير زاهد شرح الأمور العامة .

في علم الفلك القديم اليوناني البطليموسي

١ - شرح التصريح على التشريح . هذا شرح جامع مبسوط لكتاب التصريح المشهور المتداول في مدارس الهند و باكستان و أفغانستان و غيرها .

٢ - التعليقات على شرح الجغميني . هذه التعليقات جامعة لمسائل علم الفلك القديم مع ذكر مسائل الفلك الحديث بالاختصار . وكتاب شرح الجغميني متداول في دروس مدارسنا .

٣ - نيل البصيرة في نسبة سُبع عرض الشعيرة . فصّل المصنف البازي رحمه الله في هذا الكتاب العجيب مسائل مشكلة ومباحث مغلقة منها أن الجبال هل تضر في الكروية الحسية للأرض أم لا ، بحث فيه المصنف على تعيين أعظم الجبال ارتفاعًا في الزمان الحاضر و في العهد القديم ثم بيّن نسبة أعظم الجبال ارتفاعًا إلى قطر الأرض بيانًا شافيًا .

٤ - كتاب أبعاد السيّارات و الثوابت و أحجامهنّ حسبما اقتضاه علم الفلك القديم البطليموسي .

٥ - كتاب وجوه تقسيم الفلاسفة للدائرة ٣٦٠ جزء قد أجمع الفلاسفة منذ أقدم الأعصار على تقسيم الدائرة إلى ثلاثمائة و ستين درجة ولا يدري الفضلاء فضلًا عن الطلبة تفصيل وجوه ذلك . فذكر المصنف البازي في هذا الكتاب الذي هو نظير نفسه وجوهًا كثيرة غريبة بديعة قد شرح الله تعالى لها صدره و تفرد بها حيث لم يخطر إلى الآن هذه الوجوه على قلب أحد من العلماء .

في علم الفلك الحديث الكوبرنيكسي

١ - الهيئة الكبرى . كتاب كبير مفصّل .

٢ - سماء الفكرى شرح الهيئة الكبرى . هذا شرح لطيف مفيد جدًّا صنف المصنّف الروحاني البازي رحمه الله هذا المتن الهيئة الكبرى بإشارة جمع من أكابر العلماء و أماثل الفضلاء ثم شرحه أيضًا بطلبهم و إشارتهم .

٣ - الشرح الكبير للهيئة الكبرى .

٤ - كتاب الهيئة الكبيرة . كتاب كبير جامع لمسائل الفن لا نظير له .

٥ - أين محلّ السماوات السبع . هذا كتاب نفيس مُهِمّ لم يصنّف أحد قبل هذا في هذا الموضوع . صنّفه المصنّف البازي لدفع مطاعن المتنوّرين و الفجرة حيث زعموا أن بنيان الإسلام صار متزلزلا و قصره أصبح خاويًا ، إذ بطلت عقيدة السماوات السبع القرآنية لأجل إطلاق السفن الفضائية و الصواريخ إلى القمر و إلى الزهرة وغير ذلك من السيارات فدمغ المصنف في هذا الكتاب العظيم مطاعنهم بأدلة مقنعة و أثبت أن هذه الأسفار الفضائية تؤيد الإسلام و أصوله و أنها لا تصادم السماوات القرآنية .

٦ - هل للسموات أبواب (باللغة العربي) .

٧ - هل للسموات أبواب (بلغة الأردو) .

٨ - هل الكواكب و النجوم متحركة بذاتها (باللغة العربي) .

٩ - هل للنجوم حركة ذاتية (بلغة الأردو) .

١٠ - كتاب السدم و المجرات و ميلاد النجوم و السيارات (باللغة العربي) .

١١ - هل السماء و الفلك مترادفان (باللغة العربي) .

١٢ - السماء غير الفلك شرعًا (بلغة الأردو) . حقق المصنف في هذين الكتابين اللطيفين البديعين أن السماء تغاير الفلك شرعًا و أن السماء فوق الفلك و أن النجوم واقعة في أفلاك لا في أثخان السماوات . واستدلّ في ذلك بنصوص إسلامية كثيرة و بأقوال كبار علماء علم الفلك الجديد وبأقوال أئمة الإسلام .

١٣ - عمر العالم و قيام القيامة عند علماء الفلك و علماء الإسلام (بلغة الأردو) .

١٤ - الفلكيّات الجديدة . من عجائب كتب الفن كتاب جامع لأصول هذا الفنّ لانظير له ولكونه جامعًا متفردًا في موضوعه وأسلوب بيانه قرره علماء دولتنا في نصاب كتب المدارس والجامعات وجعلوا تدريسه لازمًا في جميع الجامعات و المدارس .

١٥ - كتاب أسرار تقرر الشهور و السنين القمرية في الإسلام .

١٦ - كتاب شرح حديث " أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصلي العشاء لسقوط القمر لليلة ثالثة " .

١٧ - التقاويم المختلفة و تواريخها و أحوال مباديها و تفاصيل ذلك .

١٨ - أين مواقع النجوم هل هي في أثخان السموات أو تحتهن عند علماء الإسلام و عند أصحاب الفلسفة الجديدة .

١٩ - قدرالمدّة من الفجر إلى طلوع الشمس . هذا كتاب دقيق لايفهمه إلاّ المهرة . ألّفه المصنّف عند تحكيم أكابر العلماء إيّاه في هذه المسئلة الكثيرة الاختلاف وقد اختلف العلماء والعوام في هذه المسألة كثيرًا حتى أفضى الأمر إلى الجدال و القتال و ذلك إلى عدة سنين فجعلوا المصنف البازي حكمًا و التمسوا منه أن يحقق الحق و الصواب فكتب المصنف هذا الكتاب و أوضح فيه الحسابات الدقيقة لسير الشمس فاستحسن العلماء هذا الكتاب جدًّا و اعتقدوا صحة ما فيه و عملوا على وفق ما حقق المصنف و ارتفع النزاع و اضمحل الباطل .

٢٠ - هل السماوات القرآنية أجسام صلبة أو هي عبارة عن طبقات فضائيّة غير مجسمة . هذا كتاب مهم و بديع جدًّا .

٢١ - هل الأرض متحرّكة ؟ هذا كتاب مفيد جدًّا جمع فيه المصنف البازي أقوال علماء الإسلام وآراء الفلاسفة من القدماء و المحدثين مما يتعلق بهذا الموضوع .

٢٢ - كتاب عيد الفطر و سير القمر . فيه أبحاث جديدة مفيدة مهمة مثل بحث المطالع و تقدم عيد مكة على عيد باكستان بيوم أو يومين . كتبها المصنف البازي رحمه الله تعالى دمغًا لمطاعن المتنورين الملحدين على علماء الدين بأنهم لا يعرفون العلوم الجديدة .

٢٣ - القمر في الإسلام و الهيئة الجديدة و القديمة .

٢٤ - قصة النجوم . هو كتاب ضخم .

٢٥ - كتاب الهيئة الحديثة . كتاب كبير جامع للمسائل و الأبحاث . أوّل كتاب أُلّف باللغة العربية في هذا الفن في ديار الهند و إيران و أفغانستان و باكستان وغيرها و مع هذا هو أوّل كتاب صنّفه المصنّف البازي رحمه الله في هذا الفنّ .

٢٦ - شرح الهيئة الحديثة (بلغة الأردو) .

٢٧ - الهيئة الوُسطى (باللغة العربي) .

٢٨ - النجوم النُشطى شرح الهيئة الوسطى (بلغة الأردو) .

٢٩ - الهيئة الصغرى (باللغة العربي) .

٣٠ - مدارالبشرى شرح الهيئة الصغرى (بلغة الأردو) .

٣١ - ميزان الهيئة .

في الموضوعات المتفرّقة

١ - كتاب أسرار الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء . هذا كتاب لطيف جامع لكثير من الحكم و الأسرار في الإسراء إلى بيت المقدس .

٢ - الخواصّ العلميّة للاسمين محمد و أحمد اسمي نبيّنا صلى الله عليه وسلم .

٣ - كتاب الحكمة في حفظ الله الكعبة من أصحاب الفيل دون غيرهم . ذكر المصنف البازي رحمه الله تعالى في هذا الكتاب الصغير أسرارًا و حكمًا مخفية في حفظ الله تعالى بيت الله من أصحاب الفيل دون غيرهم من أصحاب الحجّاج الظالم ومن الملاحدة الباطنية . و هذه الأسرار لا توجد في الكتب . صنفه البازي باقتراح بعض أكابر العلماء .

٤ - كتاب الحكايات الحكميّة .

٥ - فردوس الفوائد . كتاب كبير في عدة مجلدات .